

# المُشْتَرِقُونَ الْأَمْتَانِ

تَرَاجُمُهُمْ وَمَا أَسَمُّوا بِهِ فِي  
الذَّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

دراسات  
جمعها وشارك فيها  
صلاح الدين النجيد

دار الكتاب الحديث  
بيروت - لبنان



STANDARD  
TABLES







المُسْتَشْرِقُونَ إِلَى الْمَكَّانِ



# المُتَشَرِّقُونَ الأَمْثَلانَ

تَرَاجُمُهُمْ وَمَا أَسْهَمُوا بِهِ فِي  
الدَّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

دَرَاثَاتُ  
جَمْعُهَا وَشَارِكُ فِيهَا  
صَلَاحُ الدِّينِ الْمُنْجِدِ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

دارُ الكُتَابِ الْجَدِيدِ  
بِمَكَّةَ • لَيْثَانَ

الطبعة الاولى

**دار الكتاب الجديد**  
بيروت • لبنان

١٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تمهيد

إنَّ أطلاع الباحثين والمتقنين من العرب والمسلمين على الدراسات الجيدة التي كتبها المستشرقون بتجرّد وإخلاص ، أصبح أمراً ضرورياً ، في سبيل وضع دراسات شاملة قريبة من الكمال تكشف جميع نواحي الحضارة العربية الإسلامية . ولا شيء يمهّد لهذا الاطلاع مثل معرفة سير حياة هؤلاء العلماء ، والإحاطة بما قاموا به من أبحاث ودراسات .

لذلك رأيتُ أن أنشر تباعاً سَير هؤلاء المستشرقين الذين أدّوا للإسلام والعرب خدمات جليلة صادقة بدراساتهم ، وقد بدأتُ بسير طائفة من المستشرقين الألمان وبعض النمساويين .

وأنا أشكر القائمين على مجلة « فكر وفن » الألمانية ، الذين سمحوا لي بإعادة نشر ما كانوا نشره في مجلّتهم من هذه السَير ، كما أشكر أصدقائي المستشرقين الذين قدّموا لي كل عون لاقام هذا المشروع ، آملاً أن تتاح لي الفرصة لإصدار مجلدات أخرى تضمّ سير حياة مستشرقين آخرين .



لمحكات:

# من عظمة الاستشراق الألماني

بقلم: الأستاذ صلاح الدين المتجيد

والمتابع لحركة هذا الاستشراق يتلاحظ أنه  
اختصّ بجرايا واضحة ، هي ، في رأيي :

١ - لم ينحصر لغايات سياسية أو استعمارية  
أو ديفية : كالأستشراق في بلدان أوروبية أخرى . . .  
فالألمانيا لم يَسَحْ لها أن تستعمر البلاد العربية أو  
الإسلامية ، ولم تهتمّ بعشر الدين المسيحي في الشرق ،  
لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسات المستشرقين  
الألمان ، وظلت محافظة على الأغلب ، على التبرؤ ،  
غالباً ، والروح العلمية .

وإذا ظهر في بعض الدراسات الاستشراقية  
الألمانية ، بعض الانحراف في الرأي ، أو الخطأ ، فهذا  
أمر لا يمكن تعميمه في الدراسات كلها .

٢ - لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن  
العرب والإسلام والحضارة الإسلامية-العربية ،  
متصصة ، على الأغلب ، بروح عدائية . نعم ، لقد وجد  
بعض المستشرقين الذين أنصأ بأراء لا توافق العرب  
والمسلمين ، أو بأراء خاطئة تماماً ، كبعض آراء نولدكه  
(توفي سنة ١٩٣٠) عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم  
أو آراء فولرز Valers (١٨٨٠) عن القرآن وتهديه.  
لكن هذه الآراء معدودة ، فالاستشراق الألماني لم

اتيح لي أن أكون صديقا لعدد كبير من المستشرقين  
الألمان منذ ثلاثين سنة ، وعرفت معظمهم شخصياً :  
شيوخهم وشبابهم ، وزرت بعض جامعات ألمانيا وألقيت  
فيها محاضرات مختلفة ، واطلعت على كثير من دراسات  
المستشرقين الألمان الماضين والمعاصرين ، وقلت  
بعضها الى العربية في كتابي « المنتقى من دراسات  
المستشرقين » . لهذا كله ، أسمح لنفسي بالكتابة عن  
الاستشراق الألماني .

يذكر الأستاذ ألبرت ديتريش أن أول محاولة في  
ألمانيا لتدريس اللغة العربية كانت من قبل كريستيان  
التوفي سنة ١٦١٣ م. فقد ألف كتاباً لتعليم كتابة  
الحروف العربية ، بل إنه أعدّ بنفسه للمطبعة الحروف  
العربية في قوالب الخشب . لكن الرائد الأول الذي  
وقف حياته كلها على دراسة اللغة والحضارة الإسلامية  
هو رايكسكه التوفي سنة ١٧٧٤ . وتتابع بعد ذلك  
المستشرقون حتى كان القرن التاسع عشر عصر ازدهار  
واتاج خصب للاستشراق الألماني . وما زال كذلك  
حتى الحرب العالمية الثانية ، فأصيب بالضعف والبطء  
في الانتاج .

ألقى هذا البحث في الإسبوع الثقافي الألماني-العربي ، الذي  
انعقد في مدينة توبنجن في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٧٤ . وقد أعاد  
كاتبه النظر فيه ، ووسمه .

## ٢ - نشر النصوص القديمة :

لقد ظهرت النصوص العربية القديمة عتقة  
بناية الألمان منذ القرن الثامن عشر . كان رايسكه  
Reiske (١٧٧٤-) أول من نشر «معلقة طرفة بن  
العبد» بشرح ابن النحاس ، مع ترجمتها الى اللاتينية  
عام ١٧٤٢ . ثم ازدهر نشر النصوص في القرن التاسع  
عشر ، فنشرت مئات من نصوصنا القديمة الأساسية ،  
في الشعر العربي القديم في الجاهلية والاسلام ، واللغة  
والادب والتاريخ والجغرافية والفلسفة والفرق  
والحساب والجبر والفلك والطب . ان مجموع ما نشره  
الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون  
والانكليز معاً . ومن المؤسف ان جمعية المستشرقين  
الألمان لم تكلف أحداً بوضع مسرد لجميع النصوص  
العربية التي نشرها الألمان . فهذا مفيد جداً ومهم . وقد  
ضرب بعض المستشرقين مثالا نادراً في تحقيق النصوص،  
من حيث العدد ، ومن حيث الدقة . ولقد نشر فون  
من حيث العدد ، ومن حيث الدقة . ونشر وستنفلد  
F. Wustenfeld (١٨٩٩-) ما يعجز بمجم علمي  
عن نشره .

فقد حقق «معجم البلدان» لياقوت ، و «وفيات  
الأعيان» لابن خلكان ، و «طبقات الحفائض» لذهبي،  
و «تهذيب الاسماء واللغات» لشوكري ، و «الاشتقاق»  
لابن دريد ، و «تواريخ مكة» للأزرقي ، و «الفاكهة»  
والفاسي ، وابن طهية . و «معجم ما استعجم» للبكري،  
و «عجائب المخلوقات» لفزويني ، و «السيرة» لابن  
هشام ، وغيرها . وكان كل ما حققه من الكتب  
الضخمة الصعبة الأساسية . وقد زادت آثار هذا  
العالم الكبير على المائتين .

وقد نشر فريتاغ Freytag (١٨٩١-) «ديوان  
الحجاسة» لأبي تمام بشرح التبريزي ، وترجمه الى  
اللاتينية .

يعرف مستشرقين جعلوا دينهم عداً العرب والاسلام،  
وتمتدوا السن والتشويه في دراساتهم ، بل بالعكس،  
رافقت دراساتهم روح إعجاب وتقدير وحب وانصاف .  
تمجد هذه الروح عند رايسكه الذي سقى نفسه  
«شديد الأدب العربي» والذي يعتبر واضع الأساس  
المتين لدراسة العربية في أوروبا ، ومجدها عند جورج  
جاكوب في كتابه «أثر الشرق في مصر الوسيط» ،  
ومجدها بين المعاصرين عند السيدة زفيرد هولكه في  
كتابها «شمس الله تسلم على العرب» ، وعند أعظم  
المستشرقين الألمان في هذا العصر ، هلموث ريت ، وعند  
شبولر ، وعند بارت في دراساته المتأخرة ، وعند  
غيرهم . بل أن بعضهم أسلم حباً بالعربية والاسلام  
مثل ريشر الذي سقى نفسه بمسد اسلامه «عنان» ،  
وبعضهم اتخذ لنفسه اسماً عربياً مثل اوفوست ملتر  
- الذي نشر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة - فقد  
سقى نفسه «امرؤ القيس بن الطحان» ، وكان هذا  
ترجمة لأسرة الألماني . وقد نال بعضهم كثيراً من المتاعب  
والأذى في سبيل العربية . إن رايسكه ، الذي كان  
فقيراً ، وبقي كذلك ، مات مسلولاً بعد انصرافه الطويل  
إلى العربية والشعر العربي القديم . وإن وستنفلد  
كثف بصره من فكرة البحث والعمل على نشر  
النصوص العربية طوول ستين سنة . وبعضهم كان  
ينشر النصوص العربية التي كان يحققها على ثقته رغم  
فقره . فقد طبع الاستاذ رايسكه الجزء الأول من  
«تاريخ أبي الفداء» سنة ١٧٥٤ م . حل ثقته ، ولم  
يبيع غير ثلاثين نسخة ، وطبع كذلك «لامية الطنراي»  
بالعربية مع ترجمتها الى اللاتينية ، وما باع منها سوى  
مئة نسخة . ولقد بلغ من حماسة كريستمان العربية أنه  
أعد بنفسه المطبعة الحروف العربية في قوالب من  
الحطب ، حتى يسهل طبع النصوص العربية .

وهاتان الصفتان السابقتان أتاحتا للاشتراق  
الألماني أن يقدم العرب والمسلمين خدمات واسعة ،  
وخاصة في الميادين الآتية :

ونشر روكرت Ruckert (١٨٦٦-) «مقامات الحريري»، و «معلقة عمرو بن كلثوم» .

ونشر فيكه Wepke (١٨٦٤-) «براهين الجبر والمقابلة لبخيتام ، و «النخري في الجبر والمقابلة» للكرخي .

ونشر فلوجل Flugel (١٨٧٠-) «فهرست ابن النديم»، عمل فيه خمسة وعشرين عاماً ، وحقق «كشف الظنون» لحاجي خليفة وعمل فيه ثلاثة عشر عاماً .

ونشر ملر M. J. Muller (١٩١١-) «صور الأقاليم» للاصطخري .

ونشر توربكه Thorbecke (١٨٩٠-) «درّة النور» للحريري .

ونشر الورد Ahlwardt (١٩٠٩-) «الاسميات»، و «وجز المجاج ، والزقّيان ، وروبة» ، وديوان «طهارة الكلاوي» ، و «النخري في الآداب السلطانية» لابن القطقي .

ونشر ليرت Lépert (١٩١١-) «تاريخ الحكماء» للقطبي .

ونشر متر Mez (١٩١٧-) «حكاية أبي القاسم البغدادي» .

ونشر يان Jahn (١٩١٧-) «شرح الفصل لابن يعيش» .

ونشر بيكر Becker (١٩٣٣-) «مناقب عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي .

ونشر مايرهوف Meyerhof (١٩٤٥-) «شرح أسماء العقار» لموسى بن ميمون ، و «المشر مقالات في العين» المنسوب لحنين بن اسحق .

ونشر برجستراسر G. Bergstrasser (١٩٣٣-)

ويرتسل (١٩٤١) مجموعة نادرة من النصوص القرآنية، ورتبها معهد أبحاث القرآن في جامعة ميونيخ ، لكن هُدم هذا المعهد وأُتلف كل ما فيه ، أثناء الحرب العالمية الثانية . وقد نشرنا نصوصاً قرآنية مهمة جداً . منها «التيسير في القراءات السبع» ، و«الفتح في رسم مصاحف أهل الأمصار» ، و«مختصر الشواذ» لابن خالويه ، و«المختص» لابن جني ، و«طبقات القراء» لابن الجزري ، و «معاني القرآن» للفراء ، و «الايضاح» للاباري .

ومما يذكر عن برجستراسر أنه جاء الى القاهرة واستمع الى مقريه القرآن ودون انشاه بالنوطة .

ونشر سخاو Sachau (١٩٣٠-) الكثير من مؤلفات البيهقي الرائعة ، «كالاتار الباقية» ، و«تاريخ الهند» ، وشارك مع مستشرقين آخرين في نشر كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد .

ولا بدّ أن نذكر هنا المكتبة الاسلامية لجمعية المستشرقين الألمان التي بدأ بنشرها العلامة الكبير هلموت ريتز (١٩٧١-) في استانبول عام ١٩٣١ ، وتبعه في إدارتها الاستاذ البرت ديتريش Dietrich والاستاذ فيلد E. Wild . وقد ظهر فيها نصوص قليلة محققة ذات شأن . فقد حقق ريتز الجزء الأول من «الوافي بالوفيات» لفنندي ، ثم تابع على نشره علماء آخرون . وكتاب «فرق الشيعة» لثونجتي ، وكتاب «أسرار البلاغة» لجرجاني . ونشر هانس فاير H. Wehr «كتاب الحكايات المعبية» وهو أقدم من ألف ليلة وليلة ، ونشر فاغنر E. Wagner «ديوان أبي نواس» .

وللاستاذ ريتز محقيقات أخرى . فقد نشر «غاية الحكيم» المنسوب لمسلمة بن أحمد الجريفي ، و «رسالة الأرزاق» لابن سينا ، وكتاب «باتانجيل» لبيروني .

ومما ظهر من النصوص العربية بناية المستشرقين

الورد في عشر مجلدات ضخام ، وصف فيه ما يقرب من عشرة آلاف مخطوط . ولقد كان عملاً جباراً .

وهناك عشرات من الفهارس المفردة وضعا آخرون للمخطوطات العربية . فقد وضع زيبولد الجزء الأول من فهرس مخطوطات جامعة توبنجن ، ووضع فاسفايلر Weisweiler الجزء الثاني منه . ووضع أومير Aumer (١٩٢٢) فهرس المخطوطات في مكتبة جامعة ميونيخ ، ووضع فلاشر Fleischer (١٨٨٨) فهرساً للمخطوطات الشرقية في مكتبة درسدن الوطنية (٤٥٤) مخطوطاً . ووضع فير فهرس المخطوطات الموجودة في مكتبة جمعية المستشرقين الألمان ، وبروكلن فهرس المخطوطات الموجودة في مكتبة الدولة في برسلو ، وبرنباخ Berenbach ، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة جامعة هايدلبرج ، وغير ذلك . ويتابع الاستاذ زهايم الآن فهرسة طائفة أخرى من المخطوطات العربية التي لم تفهرس في ألمانيا . ووضع الاستاذ «اولن» فهرساً لمخطوطات الكيمياء العربية في مكتبة شتيرتي بدسبلن .

وقد كتب الاستاذ ريتز H. Ritter - الذي كان يعتبر مرجعاً فادراً للمثال في المخطوطات العربية - مقالات كثيرة عن مخطوطات استانبول . منها : مخطوطات تاريخية عربية في مكتبات استانبول لم تطبع بعد . صدرت في كتاب : ما ساهم به المؤرخون العرب (بيروت ، ١٩٥٩) ، والمخطوطات المكتوبة بمخطوط أصحها autographs في مكتبات تركية ، (صدرت في مجلة Oriens ، عام ١٩٥٣) . والمخطوطات العربية في الأناضول واستانبول . (صدرت في Oriens عام ١٩٤٩ و ١٩٥٠) ، ومخطوطات التفسير في اياصوفيا ، (صدرت في مجلة Türkiye Moğnu'asi عام ١٩٤٥) ، وغيرها مما كتبه المستشرقون الألمان كثير .

وفي باب الارشاد الى المخطوطات العربية في العالم،

الألمان : «طب العيون» لابن سينا ، نشره Hirschberg (١٩٢٥) بمحاولة ليرت ، وكذلك نشر «المتخف في علاج العيون» للموصلي . وكتاب «قط العروس» لابن حزم ، نشره زيبولد (١٩٢١) ، و «الحاسن والمساوي» لبيهقي ، نشره شوالي Schwally (١٩١٩) ، ورسالة «الطبيب» لابن سينا بشرح السهروردي ، نشره شليس Spies ، وكتاب «الأوائل» للمسكري ، نشره فيشر (١٩٤٩) ؛ و «عيون الأخبار» لابن قتيبة ، نشره بروكلن (١٩٥٦) ؛ والجزء التاسع من كتاب «كثر الدرر وجامع القرر» لابن ابيك اندوداري ، نشره روير Roemer ؛ والجزء الثامن من الكتاب نفسه نشره هارمان V. Haarmann ، ونشر فان ايستس J. Van Ess نصوصاً مختلفة عن المعتزلة ، ورسائل في الرد على القدسية . ونشر هيرت بوسه «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية» لعبد الغني النابلسي .

ولا سبيل الى الاستقصاء ، فكل ما ذكرناه هو على سبيل المثال ، وواضح أن ما نشره هو ذو شأن في تراثنا ، وهذا دليل على مدى الاهتمام العميق بهذا التراث .

وبما يجدر ذكره أن كثيراً من هذه النصوص القديمة ، قد نقلها ناشرها ، أو غيرهم الى اللغة الألمانية.

ب - والأمر الثاني الذي خدم فيه المستشرقون الألمان العرب ، وكان من مظاهر نشاطهم هو فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات ألمانيا ، أو مكتبات العالم أو التنويه بها . وكان كريستان J. Christmann (١٩١٣) أول من وضع فهرساً لمخطوطات عربية اقتناها نبيل ألماني . ولعل أعظم أثر في هذا الميدان يعتبر فخراً للمستشرق الألماني هو فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الذي وضعه

يدخل كتاب العلامة بروكمن عن تاريخ الآداب العربية . فهو ببيان ضخم جبار يدل على عظمة مؤلفه وقوة ارادته ومنابرته وصبره . وهو فخر الاستشراق الألماني . وسيتبقى ، رغم قصصه ، مرجعاً لكل باحث لمرشرات من السنين . وقد أمدّ الأستاذ رقر هذا الكتاب في طبعته الأخيرة ، بكثير من الإضافات .

ج - والأمر الثالث الذي عني به الاستشراق الألماني هو الاهتمام بالمعاجم العربية . وكان يعقوب يوليوس (-١٦٦٧) أول من وضع معجماً عربياً-لاتينياً . ثم وضع فرايتاغ (-١٨٦١) معجماً مثله ، حلّ محله . وجاء تولدكه فكتب على هوامش نسخته من معجم فرايتاغ الكثير من الإضافات . يمكن أن يكون منها معجم خاص . وقد أهتم جورج كزيمر (-١٩٦١) باستخراجها ، ونشر في عام ١٩٥٢ و ١٩٥٤ كراستين فيها حرف الألف . وحاول فيشر (-١٩٤٩) أن يضع جذاذات ، بلت الألف ، لمعجم اللغة العربية مستمد من المصادر القديمة على اختلاف المصور ، ليكون معجماً تاريخياً يدل على تطوّر معاني الألفاظ وقد قضى في جمع ذلك ، وبمعاونة بعض تلاميذه ، قرابة أربعين عاماً . واذ كان عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فقد حمل اليه بطاقاته ، بعد أن أبدى المجمع رغبة في إخراج معجمه . ولم يخرج المجمع إلا كراسة واحدة صغيرة منه .

ووضع الاستاذ فير معجمه العربي الألماني الذي قصره على الألفاظ العربية المستعملة في عصرنا ، في النصف ومؤلّفات الكتاب الحديثة ، مهلاً الألفاظ القاموسية أو الأدبية التي مانت أو لا تستعمل اليوم . وقد قضى في جمعه وقتاً طويلاً ، ونقل إلى الانكليزية . وأصبح مرجعاً لكل مستشرق ، وعالم .

✱

د - وكان من الطبيعي أن يستمر المستشرقون الألمان ، بالمعاجم المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية . وهناك دراسات هامة ما تزال مرجعاً ، رغم مضي زمن على تأليفها ، كدراسة رايسكه عن التاريخ الإسلامي وضرورة اعتباره جزءاً من التاريخ العالمي ، ودراسات «فوك» عن اللغة والهجات والأساليب ، ودور الرواية والرواة في الإسلام ، وشعر القبايل العربية الشمالية في الجاهلية ، والنبي محمد انساناً ومؤسساً لدين ، وغيرها ، ودراسات «شاخ» في الفقه الإسلامي ، ودراسات تشنر عن الفتوة في الإسلام ، ودراسات «شبولر» عن تاريخ الإسلام في إيران ، وجنوب روسيا ، وآسية الوسطى ، ودراسة «مايرهوف» عن طب العيون في الإسلام ، ودراسة «فلفاوزن» عن الامبراطورية العربية وسقوطها ، ودراسات «متر» عن الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري ، ودراسات «هرزفلد» الآثارية عن سرّ من رأى ، وسورية . ودراسات بارت «عن القرآن ، وبراون W. Braune عن الشعر الجاهلي ، و «كاسكل» W. Caske عن القبايل العربية ، ودراسات «اولن» عن الطب في الإسلام ، وغير ذلك .

ومن المستشرقين الأحياء الذين يتأهبون لدراساتهم الإسلامية في مختلف ميادين الثقافة العربية عن عرفانهم أو قرأنا آثارهم : الأستاذة والدكاترة : شيتالر A. Spitaler ، وديترش Dietrich ، وزهايم R. Sellheim ، وغايت Gatzje ، وبورجل Ch. Burgel ، وشال A. Schall ، واولن M. Ulmann ، وغروترفلد H. Grotzfeld ، وقيلد S. Wild ، وديم W. Diem وفيشر W. Fischer ، ونوت Noth ، وناجل Nagel ، واند H. Ende ، وفوك H. Vocke ، واندريس G. Endress ، وغرامليش R. Gramlich ، وشولر H. R. Singer ، وداير H. Daiber ، وسنجر H. R. Singer ، وبوس Buse ، وروتر G. Rotter ، وغاوب H. Gaube ، وهالم Halm ، وكونيتش P. Kunitzsch ، وباسترو

ZDMG التي صدرت عام ١٨٤٧ بعد تأسيس الجمعية بستين وما زالت تصدر . ومجلة الاسلام Der Islam التي أصدرها Becker عام ١٩١٠ ويشرف على تحريرها الآن الأستاذ شوبلر Spuler . ومجلة Islamica التي صدرت عام ١٩٢٤ وبقيت الى عام ١٩٣٨ ؛ ومجلة الدراسات السامية Zeitschrift für Semitistik التي صدرت عام ١٩٢٢ وتوقفت سنة ١٩٣٥ ؛ ومجلة Die Welt des Islam التي صدرت عام ١٩١٣ ، وتوقفت عام ١٩٤٢ وعادت سنة ١٩٥١ . ومجلة عالم الشرق Die Welt des Orients التي صدرت عام ١٩٤٧ وما تزال ، ومجلة اورينتس Oriens التي أصدرها العلامة ريتز عام ١٩٤٨ ، ورأس تحريرها الآن الأستاذ زهايم . ويمكن أن تلحق بهذه المجلات أيضا مجلة «فكر وفن» ، التي صدرت عام ١٩٦٣ .

وفي هذه المجلات مجموعة جيدة من المقالات والدراسات والنصوص التي كتبها ونشرها الألمان يحتاج اليها كل عالم وباحث .



وثمة حاجة جديدة زاد اهتمام الاستشراق الألماني بها بعد الحرب العالمية الثانية ، هي تتبع أحوال العالم العربي المعاصرة ودراساتها ، من النواحي الفكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاتجاهات الجديدة والتيارات الفعالة ، ودراسة اللهجات العامية . وقد كان هذا طبيعيا نظرا لكثافة العالم العربي والاسلامي في زماننا ، وازدياد شأنه . فظهر مستشرقون جدد اهتموا بمثل هذه الأبحاث . وكان اهتمام الأجيال الماضية من المستشرقين بمثل هذه الأبحاث أقل . وكان من الذين اهتموا بها برجستراس الذي كتب بحثا عن «اللهجة الدمشقية بنصوصها النثرية» نشر عام ١٩٢٤ ، وهارتمن الذي كتب عن «الورد كرومر وعباس حلمي ،

O. Jastrow ، وباخمن P. Bachmann ، ورادكه B. Radtke ، وفايبرت R. Weipert ، ودتر A. Denz ، وكورل Ch. Correll .

وقد شاركت النساء الألمانيات في الاستشراق ، وشاركن في الدراسات المختلفة . فمنهن: عميدة المستشرقات انا ماري شمل A. Schimmel ، والسيدات سوسنة فلزر Wilzer ، وريراك ياكوبي R. Jakobi ، وأنجليكا نورث A. Neuwirth ، وأنجليكا هارتمن A. Hartmann ، ومغثيلد بانكه Mechthild Pantke ، ودوروتيا كراوولسكي D. Krawulsky ، وفيلنت Viclandt وغيرهن .

٤ - ولتنتهي الى الميزة الرابعة من مزايا الاستشراق الألماني وهي **المنهج العلمي الدقيق** ، الذي يعتبر عند بعضهم مثالا نادرا يتعذى .

ولست أنكر أن في انتاج بعض هؤلاء المستشرقين نقصا أو أغلاطا ، ولكن من هو العالم الكامل ؟ يكفي أنهم عملوا بحب وحماة بقدر ما أسفقتهم به المعرفة والمصادر . ولقد استندرك بعضهم على بعض ، بإخلاص ، وصحح بعضهم أخطاء بعض ، وكانوا علماء حقا يقبلون كل نقد وتصحيح .

ومن المتقدمين في باب النقد الجبرد فلاشر الذي صحح طبعات تفح الطيب ، ومعجم البلدان ، والتهرست ، والكامل للمبرد ، وكذلك ريتز الذي قد وصحح عشرات وعشرات من الطبقات التي صدرت في اوروبا والبلاد العربية .



ولا بد أن ننوه أيضا بالمجلات الاستشرافية التي أصدرها الألمان ، منها مجلة المستشرقين الألمان



الاستاذ روبر هو الذي أنشأه ، في أوائل الستينات  
وتعاقب على ادارته روبر ، وشتيات ، و ويلد ، وبمجن .  
وفي هذا المعهد يقضي بعض المستشرقين الألمان الشباب  
سنة أو أكثر لتابعة دراساتهم الاستشرقية والتعرف  
على أحوال العالم العربي .

والطهطاوي ، وعن «الصحافة العربية في الاراضي  
الاسلامية» ، و «دليل لهجة سوق بيروت» ، و «أغاني  
شعبية سورية» و «أغاني من صحراء ليبيا» . وكيفما  
الذي كتب عن الادباء والشعراء المعاصرين في مصر  
والشام في الثلاثينات .

وقبل أن نهي استعراضنا هذا لا بد أن نلح  
على أمرين هامين :

الأول : زيادة التعاون العلمي بين المستشرقين  
الألمان وعلماء العرب . فمثل هذا التعاون يفيد الطرفين،  
ويصلي ثماراً علمية جيدة .

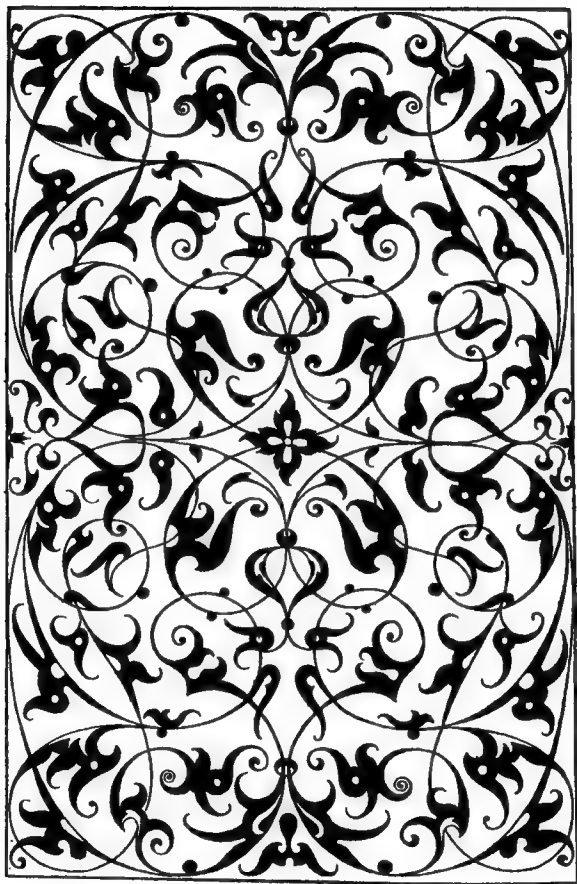
الثاني : العمل على نقل أحسن الدراسات  
الاستشرقية الألمانية ، في الماضي والحاضر الى اللغة  
العربية ، نظراً لقلته من يعرف الألمانية بين علماء العرب .  
ويمكن أن يتم هذا العمل بالتعاون بين الألمان والعرب  
معاً . ولا تخفى الفائدة التي تحققها هذه الترجمات الى  
اللغة العربية . فالاستشراق الألماني مقصر في التعرف  
بنفسه . والمتفقون العرب بحاجة الى معرفة ما توصل اليه  
المستشرقون في دراساتهم في مختلف ميادين الثقافة  
الاسلامية .

صلاح الدين المنجد

بيروت

وعلى الرغم من العوامل المادية الكثيرة التي  
تسبب همم الشباب الألمان للتخصص في ميدان  
الاستشراق ، ورغم عدم وجود مناصب في الجامعات  
لجميع المستشرقين الشباب ، فإن الاستشراق الألماني  
اليوم ماضٍ في سيره . وتكاد معظم الجامعات الألمانية  
تحتوي اليوم على قسم لتدريس اللغة العربية  
والاسلاميات ، وأحوال العالم العربي للمعاصر . وقد  
اختصت كل جامعة بنوع من الدراسة ، حسب  
الاستاذ المشرف على القسم . نذكر من هذه الجامعات :  
جامعة برلين ، وبوخوم ، وبون ، وارلنجن ،  
وفرانكفورت ، وفرايبورغ ، وغيسن ، وغوتنجن ،  
وهامبورغ ، وهایدلبرج ، وكيل ، وكولن ، وماربورغ ،  
ومأيز ، وميونيخ ، ومونستر ، وساربروكن ،  
وتوبنجن ، ورزبورغ .

والى جانب هذه المراكز ، أنشأت جمعية المستشرقين  
الألمان ممهداً في بيروت للدراسات الشرقية . وكان



# يُوْهَانَ يَعْقُوبَ رَايسْكه

(١٧١٦ - ١٧٧٤)

بقلم : الأستاذ يُوْهَانَ فُولك

قام الأستاذ الشهير يوهان فيوك J. Fück في سنة ١٩٤٣ بوضع مؤلف ذي أهمية فائقة عن تأريخ الاستشراق والمستشرقين في أوروبا من أوائل دراسات اللغة العربية إلى القرن التاسع عشر ؛ ثم أتم هذه الرسالة فيما بعد ونشرها في كتاب عنوانه :

Die arabischen Studien in Europa, Leipzig 1955

نود ان نورد هنا باباً من هذا الكتاب عن اول من جعل علم اللغة العربية علماً ودوساً مستقلاً ، وهو يوهان يعقوب رايسكه J. J. Reiske الألماني (١٧١٦ إلى ١٧٧٤) .

كان اول من اعنى باللغة العربية علماء الكنيسة المسيحية الذين بذلوا جهودهم في درس لغة المسلمين غير ان هدفهم لم يكن هدفاً علمياً بل اهتم ارادوا الرد على الاسلام على اساس تراجم لاثنية للقرآن واهداء المسلمين بواسطة تراجم عربية للأجيبيل والكتب الاخرى ، اى ان غرضهم كان بعيداً عن تحقيق عادل ودراصة علمية . ولم يتغير هذا الوضع في بلاد الغرب كلها حتى القرن السادس عشر تقريباً عندما اشتدت الرغبة لدى اهل الغرب في ارسال المبشرين الى البلاد الإسلامية بعد ان فتح الأتراك مدينة استانبول سنة ١٤٥٣ . ثم اخذ بعض اهل العلم يؤمنون الشرق ليحصلوا على مخطوطات عربية من استانبول ودمشق وغيرها من مدن الشرق ولتعل اللغة العربية في هذه المنطقة . وكان اول هؤلاء المستشرقين وبهلم پستل W. Postel الفرنسي الاصل الذي ارسله ملك فرنسا ، فرانس الاول ، سنة ١٥٣٤ الى مصر ثم الى استانبول حيث تعلم العربية والتركية والبرمانية وقليلاً من اللغة الحبشية . ولما رجع پستل الى وطنه عينه الملك استاذاً للغات الشرقية في جامعة باريس سنة ١٥٣٧ فألف في تلك السنين كتاباً في النحو العربي اشار فيه الى أهمية اللغة العربية وادبها ولكن امله في درس هذه اللغة كان فتح باب جديد للمبشرين النصراري في بلاد الاسلام . ونجد في كتابه هذا الخطأ بلا عدد ونستدل منه على ان معرفته بالعربية كانت ضعيفة غير كافية مع نشره في اخر كتابه ترجمة لاثنية لسورة الفاتحة .

اما المخطوطات التي كان پستل قد اتى بها الى أوروبا فقد باعها الى مكتبة جامعة هايدلبرج عندما وقع في ضيق مالى وجرى عليه ما جرى من الحوادث الغربية ؛ واصبحت هذه المخطوطات اساساً مهماً بنيت عليه دراسة اللغات الشرقية في ألمانيا في مهدها . فقام بعض اللاهوتيين بدراسة تراجم الاجيبيل العربية التي وجدت في المخطوطات المذكورة ، وكان يعقوب كريستمان Christmann (١٥٥٤ الى ١٦١٣) الذي تعلم اللغة العربية من كتاب النحو لپستل اول من عرض على الامير يوهان قاسمير تشكيل كرسي خاص للدراسات الشرقية وبالأخص العربية في جامعة هايدلبرج ، وكان ذلك في عام ١٥٩٠ غير ان هذا الاقتراح لم ينفذ قبل سنة ١٦٠٩ .

مع ان كريستمان ومن تبعه في ألمانيا في ذلك الزمان جعل من دراسته للعربية وسيلة لنشر النصرانية في الشرق فقد قام في فرنسا علم بمناهج اخر ، وهو يوصف سكاليجر Scaliger (١٥٤٠ الى ١٦٠٩) ، احد تلامذة پستل . وكان هذا اول من اهتم بعلم تحقيق عن مختلف مناهج ضبط التواريخ في الشرق والغرب وقام بجمع اخبار التقاويم لدى الملل والنحل كما سبقه في ذلك العالم المتبحر البيروني في « كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية » من نحو ستة قرون مضت ، وقارن سكاليجرين هذه التقاويم حتى انه اتم بخصوصية التاريخ المجري وكان هذا غير معروف عند اهل الغرب ، ووقف ايضا على التاريخ الجلال الذي ابدعه الرياضيون في دولة السلطان ملكشاه للسلاجوق (المغربي ١٠٧٢) . ومن هنا تبدأ الدراسة الحقيقية لتاريخ الاسلام .

وفي هذا العصر ظهرت لأول مرة الحروف العربية في الطبع في أوروبا مع كونها غير حسنة الشكل . وازدادت معرفة العلماء بالخط العربي وأربابهم . هذا العلم الذي كان مشهوراً في الغرب منذ القرون الوسطى على يد التراجم اللاتينية .  
 أما المملكة التي لعبت دوراً كبيراً في تطور الدراسة الشرقية فهي أربنوس (Epernius ١٥٨٤) أول من قام بنشر مخطوطة مأخوذة من الأدب العربي في أوروبا عندما طبع في سنة ١٦١٥ « كتاب الامثال » للميداني ؛  
 والى ايضا كتاب النحو العربي الذي كان يستعمله كل من اراد درس العربية في الغرب نحو قرنين الى ان نشر سيلفستر دى سامى S. de Sacy كتابه المشهور في النحو العربي في عام ١٨١٠ . واعتنى اربنوس ايضا بطبع سورة يوسف . إن ما ابتدأ به هذا العالم أتمه خليفته في جامعة لايدن ، يعقوب جولويس Golius (١٥٩٦ الى ١٦٦٧) الذي نشر عدداً من الآثار العربية المشهورة ، منها «لامية الحج» للطبراني و«عجائب المقدور» لابن عريشة ، وتوج آثاره بتأليف قاموس عربي - لاتيني .  
 زد على هذا انه اشترى في اثنا عشر سنة في سوريا وتركيا نحو ٢٥٠ مخطوطة عربية مازالت محفوظة في مكتبة لايدن الى الآن ، وازداد اليها فيما بعد وارثر Warner ، احد تلامذة جولويس ، ما يقارب من الف مخطوطة ذات قيمة ، فاصبحت مدينة لايدن مركزاً لتحصيل العربية في أوروبا . وبما يدعو للاسف اننا نجد بعد ذلك في الجامعة نفسها استاذاً آخر اى البرشت شولتس Schulzens (١٨٨٦ الى ١٧٥٠) الذي يعتبر مثالا مثيلاً لهؤلاء العلماء الذين لم يدرسوا اللغة العربية لقيمتها الادبية او للتعلم في تاريخ الاسلام او لدرس تطور الادب عند المسلمين بل لاستعمالها وسيلة لدرس العهد القديم واللغة العبرانية .  
 وعاش في ايام هذا المستشرق الفلمنكي عالم الماني اسمه يوهان يعقوب رايسكه يستحق بان يدعى اول مستشرق حقيقى في عهد غير ملائم للدراسات العربية ومن المدعش والجليل بالذكر انه قام بهذه الدراسة وادم عليها على الرغم من المصاعب التي اصابته في ايام حياته .

ياذن رايسكه في عائلة دياغ فقير في ٢٥ كانون الاول سنة ١٧١٦ في قرية تسوريج Zörbig في مملكة ساكسونيا ، وحصل على تربيته الثانوية في الميتم المشهور في مدينة هاله (وكان هذا الميتم الذي أسس سنة ١٦٩٥ ملوثة ذات شهرة في ذلك العهد) وبنى فيه من سنة ١٧٢٨ الى سنة ١٧٣٢ ، واطلعه وشوق لا يوصف وغير قابل القمع لتعلم اللغة العربية لم يدر الشاب ما سببه ، وعندما اجتاز بدراسته في جامعة لايبزج عام ١٧٣٣ اختار مواضيع تحصيله مستبداً برأيه وشرع في دراسة اللغة العربية بنشاط كبير وتوفيق في درس النحو العربي دون الأخذ بمعمونة اى معلم ما مستقلاً على موهبته الخاصة لتعلم اللغات فقط . وسعى ان يشتري كل ما وجد اذ ذاك في أوروبا من الكتب العربية المطبوعة رغم فقره المدقع وكونه في حاجة الى ضروريات الحياة لان والديه الفقيرين لم يستطيعوا ان يعطياه اكثر من ٢٠٠ تالر في سنة خمس سنوات (وكان الجالر يساوى الدينار اواقل منه) . وفي سنة ١٧٣٥ بدأ له ان يتجرأ على مطالعة «عجائب المقدور» لابن عريشة ، وهذا كتاب مسجع صعب الاسلوب ، ولعلمه بنقص الكتب المتشور على يد جولويس واغلاطه سافر في شتاء ذلك العام الى مدينة دريسدن ، وكان ملوماً لديه ان احد مأموري المكتبة الملكية هناك يملك نسخة مصححة مستقلة على نسخته هذا المؤلف المحفوظتين في مكتبة باريس ، فاستفسرها رايسكه

ياذن صاحبها . وقد اكل الشاب مطالعة كل ما كان موجوداً من الكتب العربية المطبوعة في سنة ١٧٣٦ - اى لا أتم من عمره عشرين سنة - وفي هذه السنة ترجم الى اللاتينية رسالة هرمس المثلث بالحقبة التي كان مخطوطها محفوظاً في مكتبة لايبزج ، فقال المستشرق الكبير ه. ل. فلايشر Fleischer عن هذه الترجمة سنة ١٨٧٠ ، اكثر من قرن بعد وفاة المؤلف : «انه لم يعد يوجد الآن شاب ابن عشرين سنة يستطيع القيام بترجمة احسن منها حتى ولو كان حاصل على افضل التعليم وملتقنا اصبح الوسائل» وغير كذلك عن رغبة واحدة يقول : «ليني اجتنبت غلطات رايسكه ، ولا ارضى في فضل اخر» . بعد ذلك كان على رايسكه ان يحصل على مخطوطات عربية فبعث اليه المؤلف الشهير لكتاب Biblia Hebraica وهو يوهان كريستوف فولف Wolf في مدينة هامبورج (من ١٧٨٣ الى ١٧٣٩) بنسخة من مقامات الحريري من مجموعته الخاصة ، ونشر رايسكه المقامة السادسة والشرين بخطها العربي وترجمتها الى اللاتينية استناداً الى هذه المخطوطة وإن سعى هذا التأليف فيما بعد eine elende Schüllerprobe وسرياً ما تحسنت ترجماته وتوفيق الاولى . واقرضه فولف المذكور مخطوطات اخرى لكي يتصرف بها فكان رايسكه يمتثل له لفضله هذا طول عمره . وكان كلما ازداد تعمقاً في الادب العربي ازداد شغفاً به ، واصبحت

امنيته الكبرى ان يكرس حياته لهذا العلم وينذل كل وقته لهذا الهدف . ولم يكن ذلك ممكناً الا بسخيوله مكتبة لايدن المشهورة وخزينة المخطوطات المحفوظة بها للمساء «يوقف وارثر» . عزم رايسكه على السفر الى هولاندا رغم المشكلات الطويلة ، فرحل في شهر مايو سنة ١٧٣٨ متوجهاً أولاً الى هامبورج حيث قابله المؤلف فليف المذكور بكل لطف وقدمه ايضا لرايماروس Reimarus ، عالم واسع الصيت . ثم تابع رايسكه سفره الى مدينة امستردام وزار هناك المذكور دورفيل d'Orville ، احد اساتذة اللغات القديمة وكان الاستاذ فليف قد كتب له خطاب توصية ، فود الاستاذ دورفيل ان يتخذ رايسكه معانواً له ، ولكن الشاب الذي كان شغفا بمطالعة المخطوطات العربية لم يرد قبول الارتباط بوظيفة ما ورد هذا العرض من انه لو كان قبله لحسنت وضيمته المالية تحسنا ملحوظا ، ولكنه رفض القبول حيناً كيلا يضيع الوقت اللازم لمطالعة الكتب الشرقية . ومع ذلك فقد قدم الاستاذ دورفيل له خدمات جميلة طيلة اقامته في هولاندا وكان يوكله بقرأة التصحيحات لبعض كتبه وما يشبه ذلك من الاعمال الادبية والعلمية ومن التراجع كما كان يقوم بتسليد بعض مصاريفه في لواخر اقامته بلايدن .

وصل رايسكه مدينة لايدن في ٦ حزيران ١٧٣٨ وقام في الحال بزيارة المستشرق شولتس فعرف منه انه لا توجد هناك منح دراسية للطلبة الاجانب وان عطلة الصيف سبيلنا من قريب . وقد زاد من غمه انه لم يسمح له بسخول المكتبة لمجهز من ايفاء الرسوم . فصار مصححا عند احد الكتبيين ، وهو يوهان لوزاك ، الذي اعطاه بدلا لخدمته غرفة وطعاما فقط ، وكان يحصل القليل من المال باعطاء دروس خصوصية باللغة اليونانية والمكاملة باللاتينية للطلاب الهولانديين . وعندما تابع شولتس التدريس بعد التصطيل الصيفي اصبح رايسكه تلميذا له وحصل بمساعدته على الاذن بمطالعة المخطوطات التي طالما اشتاق لرؤيتها . وكانت رغبته الاولى التحقق في آثار المؤرخين وكتب الجغرافيا ، ولكن شولتس اوصاه بدرس الشعر العربي . فسمع الشاب سنة ١٧٣٩ ديوان جرير ، ولامية العرب للشعري ، وديوان الطهمان ، وفي السنة التالية الحاسة للشعري ، واما معظم اوقاته فصرّفها في مطالعة اشعار الجاهلية الأكثر شهرة ، الى المملكات ، ودروها في مخطوطين ووارنر ٢٩٢ ووارنر ٥٦٢٨ مع شرح التبريزي وشرح النحاس ، واختار اطولاً ، وهي معلقة طرفة ، لقبليب والتصحيح ، واتم هذا العمل او القسم الاكبر منه ،

عام ١٧٤٠ ، ولكن الطباعة لم تتم الا بعد سنتين اي في عام ١٧٤٢ ، ويحتوي كتابه هذا على المتن العربي بلا حركات مع ترجمته اللاتينية وحواش له ، وشرح للنحاس ، وبعد ان يملأ المؤلف على الترجمة والحواش بعض الملاحظات يظهر كيف تطورت افكار الشاعر ويوضح موضوعات القصيدة واحدا يواحد كما يفسر ايضا الاشكال الشعرية وطرز البلاغة بمعونة كثير من الابيات والعبارات المأخوذة عن المملكات الاخرى وعن ديوان الهذيلية والجلستين واشعار المقتني واني اللامع المعري وسائر الشعراء ، وتعالج المقدمة انواع عطلوطات المملكات وحواشها وشرحها والامام التي تعرف بها ، ويقدم لقرءا محتويات كل واحدة منها ويضيف المعلومات عن مجرى حياة مؤلفيها ، ويبحث فيا بعد حياة طرفة بالتفصيل كما انه يضيف ايضا جدولاً للاساب يخبر منه علاقة القرابة بين طرفة وسائر الشعراء في جزيرة العرب ويمكننا بواسطة ضبط التواريخ الى اقترحها رايسكه في مقدمة تأليفه هذا . وكان رايسكه بهذا العمل اول من سلك الطريق الذي يسلك الى الآن في الغرب عند شرح آثار الشعراء العرب ، ومن المسأله به ان هذا الطريق هو احسن طريق يهتدى بالشارح الى غاية العلمية .

ومع ذلك فان الهياج الجليل كان بعيداً جداً عن الطرق التي بحث فيها الاستاذ شولتس عن اصول اللغات السامية في تمام خياله ، ولم يتم رايسكه في تأليفه بذكر مثل هذه المخطات الشعرية محقولة : ان من اقتنع بيراهين رايسكه على ان المملكات من شعر القرن السادس الميلادي فهو يعرف بان لا لغة بما زعمه شولتس عن الشعر العربي القديم المهد . اما شولتس فلم يعرف كيف يفهم كتاباً في العربية موضوعه لا علاقة له بتفسير التوراة ولا بنظريات اللاهوتيين .

وقعت لذلك ولسبب اخر مناقشة شديدة بين هذين الرجلين المختلي الاخلاق غاية الاختلاف . اما رايسكه فلم يبال بما قاله الكتريون وتأثير على سلك الطريق الذي عرله صحيباً وطيلدا ، ولم يكن له علاقة ما يعلم اللاهوت ، ولم يكثر بالسؤال هل تعلم التوراة ودرس اللغة العبرية اي فائدة من جراء دروس العربية ام لا . ولم يكن باستطاعة الاستاذ شولتس اقتناع تلميذه هذا بان يتعلم اللغات السامية الاخرى غير العربية لان رايسكه كان قد ادرك ان هذا لن يجلب انماها مرضية لدوس علم اللغة العربية وادها ، وعرف ان دروس مشتقات الكلمات تلاعب على اساس جطور فرضية وان السلي لمرفة المعنى الاجتهادي للكلمات المشتركة في اللغات السامية ما هو الا خرافات باطلة .

# THARAPHÆ MOALLAKAH

cum Scholis

## N A H A S.

e MSS. Leidensibus

Arabice edidit, castig, illustravit

IOANN. JACOB. REISKE.



APUD IOANNEM GUZAC

und mein damaliger Freund Herr, der Kriegsrath Langge, nur verschaffen, die habe ich nur in den letzten Jahren meines hiesigen Aufenthalts gewonnen. Ich hätte sie noch länger genossen können; allein am das Jahr 1738 fuhr mir die Reise nach Holland in den Kopf, und ich war davon nicht abzubringen. Keine Vorstellungen der Gefährlichkeit einer Reise in ein ferres Land, ohne Geld, fielen mir bey, oder hatten auf meine, damals noch kindisch süssige und der Welt unkundige Seele, einige Gewalt.

Ich sollte, ich mußte Leiden sehen. Darüber ließ ich alle in Händen habende Vortheile fahren. Meiner Reist nach Leiden, und dem Durste, die vorliegen arabischen Manuskripte zu durchforschen, opferte ich alle Klugheiten meines künftigen Glücks auf. Das ist mir sehr bekommen. Thuer, gar theuer, hab ich meine Thorheit büßen müssen! Ich bin zum Wertzer der arabischen Literatur geworden! Ach, wenn doch mein damaliger brennender Durst nach dieser Literatur, der mich nur unglücklich gemacht hat, weil er zu frühzeitig kam, in diesem Jahrhundert, das ihn nicht brauchen, und ihn auch nicht schaden, und nicht belohnen, noch aufmuntern konnte, in eine Gasse führe, die einen einmal glücklicheren Seiten weichen möchte! wenn der gleichen Seiten etwa einmal (vielleicht das nicht zu hoffen steht), einbrechen sollten, da man die arabische Literatur höher schätzen, und fleißiger treiben wird, als man jetzt that. Ein Geist, wie einer solchen

عن مائة طرلة.

صحيحة من مذكرات الاملا رايكه كتب فيها واصبحت شهيد الادب العربي....

على كبرى الدراسات الشرقية، وقد لورايكه ترك دراسة العربية تماماً. لذلك افهم العالم الالماني ان وضعيته بالسة بلا امل واقنعه بان يدرس قليلا من الطب، فدرس رايكه الطب لمدة بعض اشهر وحصل على درجة دكتور طب في شهر مايو سنة 1746 استناداً الى ما كان قد جمع من معلومات طبية من المؤلفات العربية مع ان اللاهوتيين في لايدن اقاموا مشكلات جديدة مدعين ان كان مادياً لما عرضه من الابعاث العلمية في امتحانه. سافر رايكه في 10 حزيران 1746 من هولندا ووصل مدينة لايزنج في اوائل شهر تموز. ولما لم يرغب في اجراء الطب فعلا وجب عليه ان يكسب يومئذ بتصحيات الكتب وابعطاء دروس خصوصية وبتراجم وما شابه ذلك من الاشغال غير المحبذة. ولكن المهم انه بقي لديه وقت لتابعة العربية، ولف في شهر آب 1747 كتاباً لاتينية عنوانه:

Prodridagmata ad Hagji Chhalifae librum memoriam rerum a Muhammedanis gestarum exhibentia introductionem generalem in historiam sic dictam orientalem

حتى انه اعلن وان اراد للمر ان يساعد على رواج دراسة العربية فعليه انه لا يدرسها كالاخواني. وثار ضميره كتمنيه في اللغة على طريقة شولتس الهوائية في معالجة النصوص العربية وكيف كان يتفادى الصعوبات إما بإعمال الكلمات التي لم يفهم معناها دون ذكر ذلك او بتفريها تمسفاً. لقد كان على علم بأنه لا يمكن لأصدار نشرة صحيحة كون المخطوط قائماً على اساس سليمة فحسب بل القدرة على النقد ومعرفة اخطاء النقل وتكوين المعنى الذي يقصده المؤلف من القرينة واصلاح مواضع فساد المخطوطة بتصحيات تناسب اصطلاحات المؤلف.

كلته ادارة المكتبة في لايدن بتبويب وتنسيق المخطوطات العربية، ووجب رايكه بهذه الفرصة التي امكنته من تدقيقها كلها ففسخ ما علق بها من الآثار، مثلاً الماروف لابن قتيبة، والتاريخ والجغرافيا لابي الفداء، وتاريخ حمزة الاصفهانى ومقتطفات من طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وغيره. ولكنه لم يتمكن الحصول على درجة الدكتوراه في كلية الاداب في جامعة لايدن لان شولتس ابي ذلك عليه إذ انه كان يريد ان يعين ابنه خليفة له

- ٩٤ فله كنت وغلا في الرجال لفرني عدوا وذي الاصحاب  
وللتوحد  
٩٥ ولكن نفي عن الرجال جرائي ما هم واقد نص وصدي  
ومجندني  
٩٦ لهرك ما لمري على بنة نهاري ولا ابلى على  
بسرود  
٩٧ بوم حسب النفس عند عراكها حفاضا على عورتها  
والنهد  
٩٨ على موتني تخشي القتي عند الردي مني تتعرك ذره  
الرياحي ترد  
٩٩ واصغر مضجوح ذلرت حواشي على الناني وتشتو منه  
كف مجند  
١٠٠ ستندي لك الايام ما كنت جاهلا بياتك جالاحيا  
من لم ترون  
١٠١ لهرك ما الايام ما لمعاري بها لمتلطف من معروفها  
فترود

٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

- ٩٤ الوعل الضعيف الخامل الذي لا ذكر له والواقل  
الذي يدخل على القوم من قبر اذهم والوعل الذي  
لا يفسد الشراب ولم يدع عليه والوعل الشراب ايضا  
٩٥ يفرى ولكن ياتي المعادي والمجند اصل  
٩٦ القوم والقمر والحد لا لهم لا يستعملون بالقسم الا لفتح  
لكنهم استعملهم اباء واقعة الاسر اذهم لا يهتدي  
له والسرمد الطويل  
٩٧ اصل العراك الا لاجل اي صبرت نفسي عند ارجاح  
القوم في الصروب والتحصينات وعورتها اي سخانة  
العدو

F I N I S .

- Nam si obscurus essem inter illustres, profecto noceret mihi odium & amicia stipati, & solitarii.  
٩٥ Sed homines a me propulsi me in ipsos audacia, & aggressio, & strenuitas, & profapia.  
Res mea, ita valeas, neque interdum me sollicitum tenent, neque nox mihi mea nimis longa.  
Per diem, quo firmavi pedem in conspurcata acie & inter minas, loca mihi patentia premitiens, in campo, ubi heros vereretur exitium; ubi, cum te in aciem inferas, scapulae contremiscant.  
Perque alantor iam, fugiti am flammam, fumosam, cuius vidi pullum igni astantem, & quam ingessi dexterae avari.  
١٠٠ Prodent sane dies tibi quod ignorabas, & adferet tibi nuncios is, quem nec commatu instruxeras.  
Dixi, hercule, non sunt nisi depositum; quod itaque ab his beneficii potes obtinere, capta.  
٩٩ موهنا اي ذهابها  
٩٨ الكون مستقر الحرب والرهبة الهلاك وتعتري اي  
تدبرهم والفرصة للحج من اخر الاستكانة ضد الجحيد  
٩٧ وفي اول ما ترد  
٩٦ وفي بالامني السهم والمضجوح الذي يفره الناني  
وحواري مجوده اذا جعل علي الناني العجم الذي يضرب  
بالسهم  
١٠٠ اي ستعلم لك الايام ما لم تكن تعرفه بياتك  
جالاحيا من لا تاسر اي بياتك بها ولا تروء

F I N I S .

السيلتان الاخيرتان لكاتب رايسك من سلقه طرلة، مع منها وترجتها اللاتينية.

المالك الاسلامية ومدنها المهمة ويبحث ايضا بوساطة  
مقدمة العالم العربي نفسه عن البحور والاشهار والجيال  
وينجز الباب مشيراً الى ما يجب ان يلم به من المعلومات  
على مدرسي الجغرافيا التاريخية. ويحتوي الباب الثالث  
- وموضوعه النتائج التاريخية - على فهراس الكتب النقدية  
مبتدأ بتأليف ديربلو d'Herbelot المسمى بـ Biblio-  
thèque Orientale (المكتبة الشرقية، وهي قاموس  
شامل على كل ما كان معروفا في اوائل القرن الثامن عشر  
عن المواضيع الشرقية) ، ويقدر رايسك هذا التأليف غاية  
التقدير ، ويذكر فيها بعد المعلومات المطبوعة التي يمكن  
ذكرها بهما التخصص وهي : E. Pocock

وتأليفات جرجيس المكين (المؤرخ ١٧٧٣) ، واني العباس  
احمد القرطاني النجم المشهور في اوربوا منذ القرن  
الوسطى ، والاقسام المطبوعة من تاريخ ابي الفداء  
(وليس في رأيه ابن عريشة بمؤرخ حقيق) ، وما يسمى  
الجغرافي التوني Geographus nubienensis ؛ ثم يشير  
بالايجاز الى كتب الرحلة وما ألف في اوربوا من الكتب  
حول التاريخ الاسلامي (مثلا قاتمر ، Pétis de la

وهو رسالة في التاريخ الاسلامي، نشرها تلميذه، يدعى  
ب. كوله Köhler سنة ١٧٦٦ في كتابه عن ابي الفداء  
في شكل ملحق (ص ٢١٥ - ٢٤٠) وفيه يرفض رايسك  
في مسهل مقدمته استعمال التعبير «شرق» لانه غير مضبوط ،  
ويستعمل بدلا منه تعبير «معدنى» لودسمل لان هذا العلم  
يبحث عن تاريخ المسلمين لا في الشرق فحسب بل ايضا  
في افريقيا واوربوا ؛ ويريد المؤلف ، كما قال ، معالجة  
مادته في ثلاثة ابواب : اولا البحث عن الملل والسلالات ،  
ثانيا عن البلدان التي وقعت فيها هذه الحوادث التاريخية ،  
وثالثا عن المصادر التي تخبرنا عن هذه الوقائع . وعلى هذا  
التمهيد الصريح بيان واضح حسن النظام .

الباب الاول (ص ٢١٨ - ٢٢١) يحدد العناصر الخمسة  
التي لعبت دوراً في تاريخ الاسلام ، وهم العرب ،  
والايرانيون ، والأتراك والراكة ، والمغول والفر ، والبربر ،  
ويبين موجزاً السلالات التي اخترجها كل أمة ، ويشير  
في ملحق لباب الاول مرة اخرى الى اماكن هولا  
السلالات وكيف انتشرت من الاندلس الى الشرق الاوسط .  
وفي الباب الثاني يذكر المؤلف استناداً الى آثار ابي الفداء ،

Croix وغيرهما) ، وبعد ذلك يبحث عن المصادر المخطوطة ، اى عن تأليفات ابي الفداء باجمعها ، عن ابن الشحنة ، حمزة الاصفهاني ، كتاب المعارف لابن قتيبة ، كتاب الاشفاق لابن دريد ، كتاب الامثال للبيداني الذي قدوره غاية التقدير . ثم يضيف بعض ملاحظاته في فهرست المخطوطات الشرقية في لايدن الذي اعطى باحصاره هايمان Heymann ، ويتم مقالته مشيراً الى مجموعات المخطوطات الموجودة في اوكسفورد ، باريس وغلورانس التي كانت اقل اهمية من مجموعة مكتبة لايدن .

بعد ان عالج رايسكه موضوعه في هذه الابواب الثلاثة ختم كتابه — على عادة عصره — بمديح يستحق الملاحظة حتى في ايامنا هذه ، مديح فيه تأريخ الاسلامى ويوصي مواطنيه بمتماد الاسباب الى درس هذا التأريخ الذي كان يجهل كثيراً في اوروبا . ومع ان هذه التصريحات كانت غامضة لطبقة القراء غير الاختصاصيين في هذا الحيز والذين لا علاقة خاصة لهم بفرضات هذا العلم فقد اراد المؤلف استرماع اهتمامهم لهذا الموضوع الجديد ، وبالرغم من ذلك فان هذا المديح دليل صريح لادراك تصورات رايسكه ونظرياته العامة وإن نقص احياناً ارتباط منطقي ، كذلك هذه السطور على ان العالم رأى تأريخ الشرق كقسم لتأريخ العالم العام ، وانه ظن ان درس هذا التأريخ كان واجباً على الانسان لاجل التواتر التاريخي ، كما أعجب ايضا درس تاريخ اليونان والرومانيين القديين واجبا على كل رجل مثقف وقد اجمع العلماء في العالم على ذلك اجماعاً كاملاً ولا ينكر احد اهمية التاريخ القديم . لقد تحقق لرايسكه من وصف ايران في اثناء القرون الوسطى بقلم ابي الفداء انه كانت هناك عين الأمم والاقاليم ، وعين العادات واتواع الحكومة التي تحققت له من مطالعته تأريخ هرويت اليوناني ووصفه لايران القديمة . لذلك يطلب العلم من المؤرخ ان يعقب ما حدث في مدى العصور لتلك الممالك والولايات في الشرق وفي افريقيا التي ضحها اليونان او كانت من توابع الامبراطورية الرومانية ، ويراعى ايضا العلاقات المتبادلة والحوادث المشتركة بين الغرب والعالم الاسلامي التي كانت موجودة منذ ايام شارلمان الامبراطور الاثاني في ايام هارون الرشيد ومنذ تأسيس دولة الفروم ، من عهد النورمان في صيبيليا والصليبيين الى فتوحات الاتراك العثمانية ، ويشير الى الفائدة التي سيحصلها مؤرخ الغرب من درس الشرقيات . وكثيراً ما أكد لقرائه بان التأريخ الشرق لا يقصر عن تاريخ الغرب معنى اوقية او محتويات ، وصرح بان المتخصص بالتاريخ كثيرا

ما يرى الكفر والظلم ظالفرين بلا عقاب يعيشان في سعادة فانية بينما يرى ايضا القوى وبساطة الخلق مهملين على سطح الارض اومداسين في التراب ، فيبلسو الناظر المتحير كان كل شيء دائري دور عظيم مهول تحركه قوة عماية عجيولة ، ومع ذلك لا يشك بان القمر الاحلي والحصول الامم الذي انتجه درس التأريخ هو ادراك القرى التي تسيطر الاعمال البشرية كما كشف عنها تأريخ بنى آدم . ومن اراد ان يتعلم من درس التأريخ مناهج السياسة ، ومن رغب في تبصر الحكمة الالهية او طرق القضاء الاعمى ، او من ود ان يتخصص الاخلاق والشيم البشرية فانه يجد لذلك في تأريخ الشرق امثلة بارزة عين البروز كما يجدها في تأريخ اوروبا . ولا يتردد رايسكه بان يعطف على اعمال طغول السلاجقة ، جنكز خان ، تيمورومحمد القانع اهمية وقيمة اكبر من قيمة فتوحات اسكندر الاكبر ، وبلغ اصحابه بمملك ايران القديمة حدا انه شبه انتصار اليونان على الايرانيين بتصلف برغش يزعم الاثاليان ، ونظر الى تاريخ الاسلام بعين طويلة النظر ، وان اعتبر ظهور محمد والفتوحات الدينية من الحوادث التاريخية التي لا يفهم معناها العقل الانساني بل يرى فيها حكم القدرة الالهية ، ويرى في قبض بنى امية عتات اللعنة وفي الآلام التي قاساها آل علي بن ابي طالب قضاء الهيا . وتمسك ، وفتيح حسنه كما وجد هذا التفتيح في مصادره التاريخية غير القديسة المهد: اى انه اعتبر علياً الخليفة الخفي للرسول وقد منته احوال الشورى وضاعته من حقه الموروث لمدة ٢٤ سنة ، ويرى فيه احسن ملك ظهر في العالم الاسلامي ، ملكاً شجاعاً ، عادلاً اعاه القضاء والقدر ، واباده بغض عائشة الطمحة . ويرى رايسكه في مجادلة علي ومعاوية مثالا امثل لظفر الحيلة على القوة ، لفوز الرئاسة على الامانة ، حتى انه لا يكتفي بذلك المديح بل يقارن بين علي بن ابي طالب ومارك اول ، الامبراطور الروماني الذي يسمى «الفيلسوف على السريرة» . وتصوره احياناً هذه الرغبة في التشبيه الى ان يكشف كثيراً من المشابهات بين التطور التاريخي في ممالك الاسلام وفي اوروبا لكي يثبت لقرائه انه قد وقع على مسرح الشرق من المشاهد السامية المهذبة مثلاً جرى في الغرب .

وفي ابان هذه السنوات كتب رايسكه كتابا اخر عنوانه :

de Principibus Muhammedanis literarum laude claris

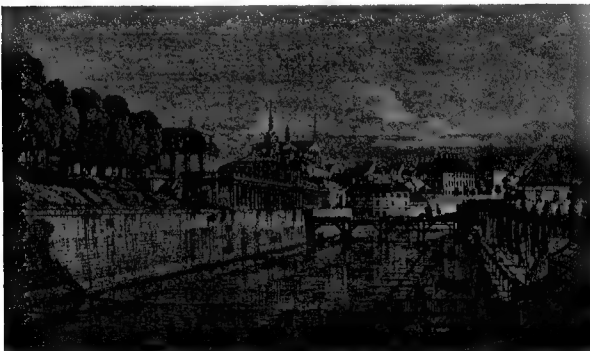
فانهم عليه ملك ساكسونيا في مدينة دريسدن لقب «الاستاذة وخصص له معاشاً سنوياً مقداره ١٠٠ تالر ، بيد ان الحكومة





برناردو بلوتو المسمى بـ «كاناليتو» Canaletto: السوق الخيقي في مدينة دريسدن وشارع القصر. تحت مل النحاس، سنة ١٧٥٢.  
تصوير: الفوتوتك الألماني بمدينة دريسدن Deutsche Fotothek, Dresden

برناردو بلوتو المسمى بـ «كاناليتو» Canaletto: إيوان القصر المعروف باسم «زوينجر» Zwinger مع بواب التاج والجرس على نهر إيلبه.  
تحت مل النحاس، سنة ١٧٥٨.  
تصوير: الفوتوتك الألماني بمدينة دريسدن. Deutsche Fotothek, Dresden.



أدريان زوينج A. Zwingg (١٧٣٤-١٨١٦): منظر مدينة دريسدن سنة ١٨١٥.  
محفوظ في متحف دريسدن المخصص التصويرات المنقولة مل النحاس Kupferstichkabinett  
تصوير: الفوتوتك الألماني بمدينة دريسدن Deutsche Fotothek, Dresden.

برناردو بلوتو المسمى بـ «كاناليتو» Canaletto: السوق الجديد في مدينة دريسدن، تحت مل النحاس، سنة ١٧٤٩.  
تصوير: الفوتوتك الألماني بمدينة دريسدن Deutsche Fotothek, Dresden.



اننا نهدف بايجاد هذه الرسوم ان القارئ يَصَوِّرَ منظر مدينة القدس في القرن الثامن عشر، وكانت هذه المدينة مركز المملكة الساسونية التي كانت وطن العلامة زياصكه، و سافر اليها مرارا.

لم توف هذا المعاش الا بين الحين والآخر حتى انقطع تماماً بعد سنة ١٧٥٥. وسرعان ما تدهورت وضعيته الاقتصادية ويقترض الفاقة والحمران كما كانت حالته من قبل ، ولم يرقه احد اذ اتهمه اللاهوتيين بالزندقة لانه لم يتراجع عن اصراره الا يسمى محمداً "نبياً كاذباً" وخطاباًه والا يصف دينه خرافة مضحكة ولانه لم يقسم تاريخ العالم الى قسمين ، احدهما التاريخ القلبي ، والآخر التاريخ الدنيوي ، بل كان يحصل لتاريخ الاسلام منصبا في وسط التاريخ العام .

زد على هذا ان رايسكه لم يتردد باظهار رأيه بكل صراحة غير ميل بالنتيجة ، وحدث ذلك خصومات شديدة ؛ فثلا قام الاستاذ شولتسن القلمنكي في سنة ١٧٤٨ بنشر طبعة جديدة لكتاب النحول الذي الله اربنيوس (سنة ١٦١٣) وما كان ذلك الا تكرار طبع المؤلف الاصل كما كان اعني به جيويوس ، خليفة اربنيوس ، دين ان يغير فيه شولتسن كلمة واحدة بل ابقى على ما فيه من اساطير لقمان ومن الامثال الا انه اضاف الى هذه المادة الموروثة اشعاراً متخبة في الحماسة ولم يخل هذا المختطف من الغلطات ؛ ثم الف شولتسن مقدمة طويلة لهذا الكتاب رد فيها نظريات بعض شارحي التوراة من اليهود ومن يقول قول من النصارى في مسألة قديمة اللغة العبرانية . واعترض رايسكه على المقدمة قائلا بانه لا يلقى ذكر هذه المسائل المتعلقة بتفسير التوراة في كتاب يبحث عن النحو العربي ، ولا جدال في ان مطالعة اشعار الحماسة ليست بمناسبة للمبتدئين بدرس الحرية .

وفي العام نفسه نشر شولتسن ترجمة لكتاب امثال سليمان مع شرح له مستعملا فيه منهج البحث عن مشتقات الكلمات بلا حرج . وقام رايسكه بمراجعة هذين الكتابين في Nova Acta Eruditorum وهي مجلة علمية من نشر السيد منكن . والزمه ضميره في هذا القند الأدنى أن يصرح عن الحقيقة بشأن الكتابين . ومع أنه حافظ على الاحترام اللائق تجاه شولتسن فإنه أدرك من الوقع الذي سببه فقط انه كان من الأفضل لو كان قد قام احد غيره بهذه المهمة . ولكن شولتسن الذي كان متصدا على المشاجرات الأدبية والذي لم يمتري احد حتى ذلك الوقت الشك في كونه معلم عصره في الحرية قام بالنفاخ عن نفسه بعبث محرمين الى «منكن» طالبا منه أن ينشرهما ويوزعهما الى جميع الجهات . وفيها خرج بالتزام الى المضمار الشخصي واقتري على رايسكه غاية الاقتراء بحيث لم يبق ذلك دين نتيجة . وكان هذين المكتوبين تأثير كبير في ألمانيا — وكان

شولتسن قد ارسلهما الى جميع اساتذة الكلية بلايزج — فلم يستطيعوا تقدير ما عرضه رايسكه من الاسباب الواقعية ولم يتمكن احدهم من المقارنة بين الرأيين مقارنة علمية كما لو كانوا اختصاصيين في الموضوع . ولم يجد احد يد المساعدة لرايسكه ومضت عليه سنة بعد سنة دون ان يعينه معهد ما في ألمانيا او في خارجها استاذاً ولم يفده اثباته في نشرياته انه كان متبحراً في اللغة اليونانية ايضا لأن خصمه في هذا المضمار كان الاستاذ ارنستي ، Ernesti استاذ اللغات القديمة واللاهوت معاً . — في سنة ١٧٥٣ حاول الاستاذ بوبوويتش Popowitsch في جامعة فيينا ان يجد منصباً لرايسكه لدى السفير النمساوي فوين شواخهام الذي سافر الى استانبول سفيراً عند الباب العالي ، وفشل هذا الترتيب لان رايسكه اثنى ان يتكلم . واستمرت احواله المالية تولى عليه الضيق والحمران ، وخاصة عندما توقف الملك الساكسوني عن اداء معاشه في عام ١٧٥٥ .

ولا يلس رايسكه من حاله توجه في اواخر سنة ١٧٥٦ الى الاستاذ د . د . ميخائيليس Michaelis (١٧١٧ الى ١٧٩١) في مدينة جوتنكن الذي كان زميله في المدرسة . ولم يشعر العلم الساذج الذي لم يكن له دراية لا بالناس واخلاقهم ولا بالدينا وديانها انه وضع حياته في يدى اثنائ مدير للمكاتب . روى له رايسكه ما جرى له من تصرفات الشر ومن الضيق وافهمه انه لو عينه استاذاً في معهد جوتنكن لأجبرت الحكومة الساكسونية على موافقة حتى ولو كان هذا التمييز المفروض ظاهراً وغير حقيقى ؛ و اضاف الى هذه الكلمات — وكان خلاصا غاية الاخلاص مستقيماً — ان ضيقه و فقره قد منعه من ان يعلم ركاب الادب العربي اكثر مما خدمه حتى الآن ، ولو تحسنت احواله فانه سيأخذ في طبع كتب العربية ويضئ خاصة بطبع قاموس صغير للحرية ؛ وان لم يساعده الله بالقرب العاجل فيصبح لا فائدة منه للادب العربي . ورغم انه كان ليخاطب ليس تأثير واسع ونفوذ كبير بين اهل العلم في ألمانيا فإنه لم يرغب في التوسط لأجل عالم فانه بكثير في اتقان اللغة العربية ... وكان وقفه هو على العربية ناقصاً لا يمتد به ، وكان مثلاً ان الاعراب كان من مخترعات التحوين العرب ولعلمهم ادخلوه متبعين المثال الاوروي ؛ وكان يترفع نفسه بانه يجهل تطبيق العروض ومع ذلك تجرأ ان يترجم ويشرح بقتطف من الحماسة الذي نشره شولتسن ، وكان عظيم لاختصار بطريق تعليمه اللغة العربية ومنهج تدريسه . ولما كان عليه من الاعتماد بالنفس وحس الظهور والاستبداد لم يرد ان يشتغل احد سواه في هذا المضمار . ولذلك تظاهر

الابيضاحات العلمية واكتفى بتعريف كلمات الشاعر وايضاح علم شعوره لقارئ الغري الذي كثيرا ما وقف مكتوف اليدين تجاه بعض التصاير الشرقية ، وحاول تقدير قيمة اشعار المتنبي من وجهة نظر علم الجمال .

وتحقق مراده الذي عبر عنه في اهداء هذا الكتاب وهو : ليت شعري ان يبق اسم زوجي مرقونا باسمي - معروفا عند الناس ! لان مادام اسم رايسكه يذكر سيذكر ايضا اسم رفيقه التي رافقته بوفاء تام وشجاعة مثيلة . لما توفي رايسكه في ١٤ آب ١٧٧٤ على اثر مرضه بالسل - ولم يكن قد اتم العلم الثامن والحسين من عمره - اهتمت هي ببركة القيمة حتى لا تقع في يد خصمه ارغشتي واستودعها لسينك *Lesing* المؤلف الالماني الشهير الذي كان من القليلين الذين قدروا قيمة رايسكه اثناء حياته ، وحفظ لسينك هذه الزكة الى ان اشترها حاجب الملك الدانماركي السيد فون سوم ، ووصلت المكتبة في كوبنهاجن بعد وفاة هذا الرجل الشريف .

نشرت زوجة رايسكه تاريخ حياة زوجها الراحل كما دونه نفسه قبل وفاته ، وهذا كتاب يحرق القلوب . ولم تحف من مجادلة اولئك الذين ظهرت سفاهتهم وحقارتهم في هذا التأليف ونشرت ايضا سنة ١٧٧٩ «نظريات في كتاب ابوبه» واماثال سليمان» التي دونها رايسكه سنة ١٧٤٩ ، مضيفة عليها متن خطابه الافتتاحي الذي القاه في ٣١ آب ١٧٤٨ في كلية لايبزج ، وسادها شعور بالرضى عندما رأت ان العالم المتوفى حصل على التقدير الذي نكروه عليه في حياته . ونشر جرور Gruner في ١٧٧٦ للمرة الثانية اطروحة رايسكه ، واما ي . ج . ايشهورن Eichhorn ، وهو ايضا من المستشرقين ، فنشر سنة ١٧٨١ المكاتيب التي يمت بها رايسكه عام ١٧٥٧ بخصوص مسألة السكك العربية الى مدير الخزينة في متحف مدينة دريسدن .

وقد رفع رايسكه من شأن علم اللغة العربية وادبها وجعله علما مستقلا . لم ينته احد من معاصريه الى استقلال هذا العلم وعدم ارتباطه بغيره من العلوم الفلوية واللاهوتية مثلا ادرك ذلك رايسكه ، ولم يتوجه احد بهذه البقطة ضد فقه اللغة المقلسة *philologia sacra* الذي كان مسيطرا على عقول العلماء في ذلك العصر ، وكان مقصد هذا النوع من علم اللغة ان صاحبه لم يهتم بالعربية الا من حيث اسدائها له فوائد جمعة في تفسير العهد القديم ، وكان يكتفي بالبحث عن اصول كلمات حرية في القاموس العربي للجوليس ويقابلها بكلمات عبرانية مختارا له من المعاني الختلفة لكل كلمة المعنى الذي يوافق اغراضه . ورغم ان

بالفيظ لما جاءه طلب رايسكه ، حتى انه حول مكتوبه الذي لايشك في ماهيته الخاصة الشخصية الى وزير المعارف في مملكته مشيرا اليه بالرد ، ثم قدم لرايسكه الرد الوزاري ضمن خطاب رسمي صارم .

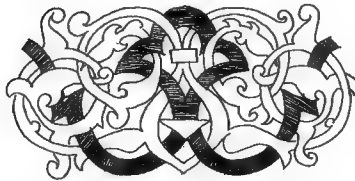
واطاح ذلك المكتوب باآمال رايسكه كلها ، فادرك انه لن يتعين استاذا في معهد ما بعد ذلك ، فانخد في السعي الى وظيفة في مدرسة ، فاصبح عميد مدرسة نيكولاى في لايبزج بيد ان «صديقا موثيا» اراد منع هذا التعيين بدعائه وكاد ان يوقف بذلك ، ولكن رايسكه كان قد وجه اهتمام الوزير كونت واكر بارت الساكسوني الى شخصه عندما عرف السكك العربية في غزن متحف مدينة دريسدن سنة ١٧٥٦ ، وكلفت شفاعته هذا الوزير لتبديد كل ما اظهر اهل الكنيسة من الشكوك عندما اختير رايسكه عميدا للمدرسة .

وبهذا وجد رايسكه بعد سنوات الضيق والفاقة الطويلة ملجأ آمنا ، فاستمر بالعمل في ميدان الاديين العربي واليوناني في اوقات فراغه من المدرسة . ولكنه لم يجد ناشرا لهذه المؤلفات فكان عليه ان يقوم بمصاريف الطبع بنفسه . وكان قد نشر في عام ١٧٥٤ المجلد الاول من ترجمته اللاتينية لتأريخ ابي الفداء ولكنه لم يتمكن من بيع اكثر من ٣٠ نسخة منها ، ولذلك اجبر على الكف عن الطبع . ومن ذلك الحين اقتصر على نشرات الصغرى ، وفي عام ١٧٥٥ اعطى بلشر رسالة ذات اهمية كبرى لما تحتوي عليه من تلميحات واشارات تأريخية ارسلها ابن زيلون الى ابن عيلوس . وهناك رسالة صغيرة القها ردا على تهينة صديق له قلما له بمناسبة تسميته في وظيفته الجديدة ، وكان صديقه قد ذكر في شعر لاتيني عصا يعقوب والصولجان المذكور في الادب اليوناني ، فشكره رايسكه برسالة صغيرة بحث فيها عن سبعة امثال حرية تعالج العصاة وقد اخلعا من كتاب الامثال لليبداني الذي كان مغرما به جدا . اما في السنة التالية فقد عالج في برنامج المدرسة اكثم بن صفيي احد «حكماء الجاهلية استنادا الى كتاب اليباني المذكور ولم يفهم احد من الناس مقصد هذا المقال واقتصروا عن ادراك اهمية العلمية حتى ان رايسكه كف عن تدوين برنامج اخر في المستقبل .

وكان الممن العربي الاخير الذي قدمه للعالم متعجبات من ديوان المتنبي كثال للشعر العربي ، ونشر نحو اثني عشر ابيات عشقية ومزجيتين في سنة ١٧٦٥ ، واهدى هذه الباقة الشعرية الغرامية لزوجته التي اهلها بعد انتظار طويل في سنة ١٨٦٤ ، وحبا لما اجتنب في شرح هذه التزيينات

ونظرت هذه أدت به الى ادراك اهمية الدور الذي لعبه الاسلام في تأريخ الشرق . فانه لم ينظر الى المتن العربية نظرة الفنى الصرف الذى لا يكثر الا لفهم معانى الكلمات كما قصدها المؤلف نفسه بل نظر اليها نظرة المؤرخ الذى جعل لتأريخ الاسلام مقامه من تأريخ العالم العام ، وكان يشرح هذه المتن مثلما يشرح المشاهد في دار التمثيل عند تأمله في الوقائع الجارية على المسرح اذ يقوم بالفحص عن بواطن الاشخاص الممثلين ومن مراد الشاعر . ورغم ان رايه لم يتوقف بتأليف «تاريخ الاسلام» كما اراده فانه هذا العلم البعيد للنظر وضع اساساً للعلوم الاسلامية العصرية التى تبنى كعلم تاريخي على اساس علم اللغة العربية . اما معاصروه فلم يستطيعوا فهم افكاره الجسورة ولا تأملاته الجلييلة فصار «شيد الادب العربي» كما سماه نفسه ، واصبح تاريخ حياته تأريخ الآلام والظلم كما تشبهه مذكراته المؤثرة . وكما ان الجراة التى سار بها دون اكرام على الطريق الذى اعتبره مرة مصيها أثرا ساميا فانه من الفضل انه لم يكشف احد من اولى الامر في جامعات اوربا اهمية هذا الرجل البقري العظمى ، هذا الرجل الفذ الذى كان من اعظم علماء الاداب العربية ، ومن الفضل كذلك ان هذه الاداب التى اراد تشيد بيت لها لم تحصل في المانيا القبول الذى استحقته . ولكنه من الطريف ان نذكر ان اسس في القرن التالى في لايبزج اى في عين المدينة التى قامى فيها ما قامى معهد لدراسة اللغة العربية بمنخر بان يعتبر رايه من اجداده الروحانيين .

احدى مميزات عصره كان نوع العلم المدعوبـ Polyhistorismus اى ان العالم تخيل انه بإمكانه لا بل من واجبه تحصيل العلوم كلها والوقوف على التطور التاريخي باجمعه فقد عرف رايه ان الطبيعة الانسانية والعقل الانساني حلا ونهاية؛ لذلك كتب مرة عن تحصيل آثار المؤرخ الرومانى ميسرو لاجل لاهائية الاعمال ، لتفحص في الوسائل ولجل عظم اليونانيين؛ كذا وقد كرس وقته باكله للعربية فقط ورفض اضاءة وقته وقوته في تحصيل اللغات المتجانسة . وكان غرض رايه اثبات الوحدة الباطنية الروحية لمعومه الفئوية والتاريخية والادبية ، ولم يهتم بالعلاقة الظاهرة بين اللغات السامية . مما لاشك فيه انه كلفه في اللغة رأى اصل العلم واساسه في درس عميق للغة نفسها ، وكان معلوما عنده ان لا يهدى الى وقوف حقيقى على اللغة العربية الا طول الأناة والصبر في مطالعة آثار المؤلفين العرب سنة بعد سنة بلا انقطاع ، وتحقيق له بان مؤلفات العرب المسلمين افضل من كل ناحية من مؤلفات العرب النصرارى بكثير . ولم يكن يخفى على فراسه ان طبعات التوراة والانجيل العربية ترجمها إما نصرارى شرقى ممن لم يكن لهم علم باليونانية او العبرانية او العربية ، وانها كانت تليج عجيبة على ايدى اليسوعيين الذين لم يعرفوا الا الفلجانات (أى الترجمة اللاتينية للتوراة والانجيل من القرن الخامس م) . ولذلك اجهد رايه في فتح طريق الى خزائن اداب العرب للمسلمين وتوفيق في ذلك واصبح هاديا للآخرين . ولكن درس اللغة لديه ليس غرضاً بنفسه بل رأى فيه اساساً لكشف عن التاريخ .





# يوسف فون هامر - يورجستال

(١٨٥٦-١٧٧٤)

بقلم: الأستاذة إنا ماري شمل

كان وضع الدراسات الشرقية في ألمانيا وسائر بلاد أوروبا غير مرض إلى أواخر القرن الثامن عشر، إذ لم يكن العلماء يمتدحون دراسة العربية إلا امتداداً للدراسة العبرانية واللاهوت لأغلب. وقد حاولنا أن نرى في وصف حياة الأستاذ يوهان يعقوب رايسكه Reiske الذي نشأه في النسخة الرابعة من هذه المجلة للمشكلات التي اعترضت من أراد تحرير الاستشراق من قيود علم اللاهوت.

أما وضع الاستشراق في النمسا فيختلف عنه في سائر بلدان الغرب. كانت هذه المملكة الواسعة مجاورة للدولة العثمانية، وقد حاصر الجنود الأتراك مدينة فيينا مرتين، سنة ١٥٢٩ وسنة ١٦٨٣. ولذلك وجب على النمساويين الاهتمام بمبادئ جيرانهم الأقوياء ويطرق حياضهم، وكذلك بلغتهم. فحضرت حروف عربية في خشب لأجل الطبع لأول مرة في سنة ١٥٥٤ في فيينا، وبعد قرن واحد أسس في تلك المدينة كرسى للدراسات الشرقية، وألف الأستاذ مينسكي Meninski كتاب النحو التركي وقاموساً تركياً نشره سنة ١٦٨٠، وما يثير الأسف أن أكثر نسخ هذا القاموس المفيد قد ضاعت في أثناء محاصرة فيينا عام ١٦٨٣، كما ضاعت الحروف العربية التي ابتدعها مينسكي، ثم عثر على هذه الحروف العربية المفقودة مرة أخرى في سنة ١٧٥٠، وحسنت شكلاً حتى صارت الآن أقرب إلى قواعد الخط العربي. وقد طبع القاموس التركي المذكور للمرة الثانية سنة ١٧٧١ في فيينا.

وقد أدركت الامبراطورة ماريا تيريزيا (١٧١٧-١٧٨٠) الكبيرة أهمية الدراسات الشرقية، فأسمت لذلك داراً للعلوم خصصت لطلبة اللغات الشرقية الذين عزموا على دخول السلك الدبلوماسي. وكان نظام هذه المؤسسة المسماة بالأكاديمية الشرقية Orientalische Akademie صارماً جداً، فكانت الدراسة تبدأ في الساعة السادسة صباحاً وتستمر إلى الساعة التاسعة في الليل. وكان على الطلبة أن يدرسوا اللغات الشرقية كل يوم ثلاث ساعات، وعلاوة على ذلك كانوا يتعلمون الفلسفة والتاريخ واللغة الفرنسية والقراءة والرقص وكل ما كان ينتظر من صفات في شاب أصيل سيكون مثلاً لمملكته في البلاد الأجنبية. وكانت مدة الدراسة خمس سنوات، وكان الشبان يتعلمون فيها التركية بصورة جيدة دون أن يحصلوا على تعمق في فقه اللغة أو في الطرق العلمية، بل كان مقصد هذا المعهد التطبيق الفعلي للغات في المناسبات السياسية بين النمسا والدولة العثمانية. وكان الطلاب يدرسون قليلاً من الشعر ويترجمون شيئاً من الأدب الفارسي كما نرى آثار هذه الأعمال الأدبية في مجموعة أهداها أعضاء الأكاديمية إلى الامبراطورة سنة ١٧٧٨.

وكان أحد طلبة المعهد المذكور يوسف هامر Joseph Hammer الذي مدحه العالم الكبير الألماني ي. ج. هرر J. G. Herder (١٧٤٤-١٨٠٣) وهو أحد اصنفاء جريته وكان يحب الأدب الشرقي وإن لم يتعلم اللغات الشرقية، وقال فيه: «ليت شعري أن تهر كل الآمال التي تنتظرها من المشرق في آثار هذا الشاب ذي الميول والآلام بالغات!»

نوجد ذكريات يوسف هامر في كتاب:

J. von Hammer-Purgstall, Erinnerungen aus meinem Leben. Bachofen-Echt, Wien 1940.

توجد تناولين تصانيف هامر كلها في:

K. Goedeke, Grundriss der deutschen Literatur VII, 2, S. 747-770.

وفي أثناء اقامته في استانبول اهتم هامر اولا بمحاكمات الف ليلة وليلة التي كان قد ترجمها جالان Galland الى الفرنسية في اوائل القرن الثامن عشر (ونشر هو ايضا فيها بعد ترجمة فرنسية لهذه الحكايات) ثم اهتم بمحاكمة عنتر، وما جذب قلبه أكثر من ذلك هو اشعار الحافظ الشيرازي الى أنشدتها له درويش ايراني. ومن ذلك الوقت عزم على ترجمة كاملة لديوان الحافظ واتخذ باعدادها.

نقل هامر من استانبول الى مصر سنة ١٨٠٠ وأقام بها لمدة عامين، ثم سافر الى انكلترا ورجع الى استانبول كاتباً للسفارة واشتغل هناك بالتأريخ والجغرافية وقام بتصميم «تأريخ الدولة العثمانية» الذي أصبح، بعد ثلاثين سنة، مؤلفه الأشهر. ولكن الحكومة النمساوية أرسلته بعد مدة الى ولاية مولدافيا عتقاً له على بعض الخلافات التي جرت بينه وبين أمراءه، وعاد سريعاً الى فينا حيث أسس بموافقة الكونت رزويسكي Rzewuski مجلة «مصادن الشرق» Fundgruben des Orients، ثم عين مترجماً رسمياً للحكومة النمساوية سنة ١٨١١، وانعمت عليه الحكومة بمنصب مستشار البلاط سنة ١٨١٨. وما زال هامر يكتب كتاباً بعد كتاب، ومقالة بعد مقالة، وترجمة بعد ترجمة، وكلما زاد اجتهاداً زاد كماله في علم الاختصاص. سعى هامر في تأسيس أكاديمية العلوم في فينا ووفق في ذلك سنة ١٨٤٧ بعد اجتهاد دام ١١ سنة، وعصر الرئيس الاول لهذه المؤسسة العلمية، وهو يقيم في هذا المنصب الا عامين. وتوفي فجأة في سنة ١٨٥٦، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، وكان يشغل حينئذ بتأريخ الادب العربي، وقيل ان سبب وفاته سكة القلب لشدة الحزن الذي أصابه عند سماعه خبر قطع تبادل المخطوطات العربية بين المكتبتين في فينا وباريس...

فيما السلي يمتاز به هذا العالم العامل السلي انقسم العلماء عند الحكم فيه قسمين، ففهم من مدحه غاية المدح، كما فعل ذلك كثير من زملائه النمساويين مدعين انه كان وفخر الغرب؛ القانع الكبير الرواحي للشرق، مشعل العلم ونواره، قطب الاجيال القادمة... ومنهم من تقلده أشد التقدير، مدحياً ان علمه بالعربية قليل وتقاعره وطموحه اكبر بكثير من تعمقه في العلوم. كان على رأس هذه الفئة الاخيرة الأستاذ فين ديجس von Dies، احد اصدقاء شاعرنا جويته، والفرسالة خاصة في جهالة هامر وسوء اخلاقه، عيره فيها بأنه «عديم المعرفة كلياً بجميع اللغات وبنائه مجهول التعابير والمواضيع جهلاً لا سبيل الى التغلب عليه» واتهمه «بانه ذو اخلاق سفينة لاتوصف ووقاحة لاحد لها ولا



صورة يوف لين هامر في سنة ١٨١٧.

ولد هامر في عين السنة التي توفي فيها الاستاذ الالماني لغة العربية رايسكه المقدم ذكره، اي سنة ١٧٧٤، في مدينة جراتس Graz في النمسا الجنوبية (وما أطلق عليه لقب الاصلالة «فون هامره» الا بعد سنة ١٨١١، ثم اُضيف الى اسمه لقب «بورجستال» بانتسابه الى الكونتس بورجستال التي تليقت بدين اولاد وصححت له جهلاً الانتساب، فصار يوسف فون هامر-بورجستال Joseph von Hammer-Purgstall، واشتهر بهذا الاسم). وكان ولده مأمور الحكومة النمساوية، ولما وجد في ابنه استعداداً لتحصيل اللغات الشرقية ارسله الى المعهد الشرقي في فينا حيث تعلم اللغات واشتغل في المكتبة لمدة عشر سنوات الى ان بعثت به الحكومة الى السفارة للنمساوية في استانبول عام ١٧٩٩. وكان يتكلم التركية دون صعوبة ويحيد من العربية ما يكفي للمكاملة، أما الفارسية فكان يحيدها اجادة حسنة حتى انه تحدث سفراء الشاه الايراني عند زيارتهم فينا سنة ١٨١٩. وكانت علاقته بالادب والتاريخ اكبر منها بتقواعد النحو، ومن عاداته انه كان يطالع القاموس بلا انقطاع ليتعلم كثيراً من الكلمات في اسرع وقت ممكن؛ وكان يظن ان هذه الطريقة لايد منها لكل من اراد معرفة كاملة للغة ما. وكان هامر مشغولاً بالادب الشرقي، ولم يزل طول حياته يسعى في نشر حب الشرق في اوروبا كما انه الف في شبابه قصيدة في اهمية الاشتغال بالادب الشرقي.



Herrn Doctor von Goltz  
als Merkmal  
seiner Hochachtung  
vom Vorleser

den 4. März 1842

أهداء بخط يوسف طمر.

والآن، ما هي هذه المؤلفات التي اشتهر بها هامر، وما هو الطريق الذي سلكه في اعماله العلمية والأدبية؟  
نشر هامر في اواخر حياته رسالة «في خواتم العرب والصعب والأتراك» ذكر فيها ثلاثة خواتم له، مكتوب على احدها «عبد السياح السامر يوسف هامر» وطن انه في الحقيقة سامر، يحب المسامرة والحكايات الطويلة في اجتماع الرجال والشيوخ، ويشبه اثره الأدبي من جانب مسامرة كثيرة المواضيع مزهرة الاسلوب، مزية باييات واشعار، ذاكرة للحوادث والأمور ووقائع الدهور في دار الاسلام كلها، من التاريخ والفنون والتصوف والجغرافيا وغيرها. وكان في اسلوبه - وخاصة في اواسط حياته - مقلدا لاسلوب الشرق المزين بالسجع والتلاعب بالكلم، كثير التشبيهات والرموز لأن المؤلف قصد مواصلة بين التفكير الشرقي والتفكير الغربي، بين الروح الشرقية والظل الغربي، وكانت جعل آثاره مطرقة بانواع الاسلوب الخطائي حتى انه ليصعب على القارئ الغربي ادراك معناها البسيط...  
لما رجع هامر من استانبول الى فينا سنة ١٨٠٧ ناشد صديقا له، الكونت رزويسكي Rzewuski (١٧٦٥-١٨٣٢) تأسيس مجلة استشرافية مشتملة على مقالات حول العلوم الشرقية واخبار عن احوال بلدان الشرق. ووفق في ذلك الاقتراح فسمي المجلة الجديلة «مبادئ الشرق»

نهاية... ولا غائلة لهذه الكلمات الا في التعبير عن اخلاق الكاتب نفسه.  
ولاشك ان هامر لم يكن عالما بحتا بمعنى الكلمة، وان كان قد الف اكثر من ٧٥ كتابا، بعضها شخص جدا، ومئات من المقالات والدراسات. ويندر ان نرى في تاريخ الاستشراق مثله: ذو افكار عالية وهمة جليلة، وفي الوقت نفسه ذو غيرية وطموح شديدتين، الف من الآثار ما لم يؤلف غيره قط، ومع ذلك فهو يفتقر الى الطريقة العلمية في البحث؛ وقد جمع من الكتب واطلع من الاشعار على ما لم يطلع عليه احد قبله وربما بعده، ومع ذلك فانه لم يبق من مؤلفاته ما هو معروف في تاريخ الاستشراق الا القليل؛ وقد حصل على معلومات يصعب على العالم المصري الحصول عليها، ولذلك لابد من مطالعة بعض مؤلفاته حتى الآن وان لم نجد في مئات الصفحات الا خيرا او خيرا مهمين. ومع ان تأثيره في تاريخ الاستشراق العلمي قليل لا يزيد على ما تثيره كتبه بين الفقهاء في اللغة لرد غلطاته، إلا ان تأثيره في تاريخ الادب الألماني عظيم، فقد صار استاذ الشاعر الكبير جوتيه كما تعلم من آثاره الشاعر المستشرق ريكورت Rückert (١٧٨٨-١٨٦٦) والشاعر الغريب كونت بلاتن Graf Platen (١٧٩٦-١٨٣٥). وما اسعد من يسمى استاذنا ومعلما روحانيا لشعره وطه وادبائه!

Fundgruben des Orients مشيراً الى أنها مستوحى على ذنب المعلومات التاريخية القيمة وجواهر الادب، واختار شعارها الآلة القرآنية :

«قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم». نشرت هذه المجلة بين السنتين ١٨٠٩ و ١٨١٧، وكان هامر مديراً الفخرى وكان يؤلف مع ذلك نحو سلس المقالات بنفسه، وتفهم من المحاضرة التي ألقاها في ١ شباط ١٨٥٥ عندما نصب هيكله في الاكاديمية النمساوية انه اقتصر بهذه المجلة وإدارته لما أكثر من اقتضاه بسافر تأليفه. وفي الواقع يجد القارئ فيها مقالات حول مسائل مختلفة ومواضيع ذات أهمية، مكتوبة بأقلام المستشرقين المشهورين في أوروبا كلها، ومنهم العالم الشهير الفرنسي سيلفستر ده ساسي Sylvester de Sacy الذي ينسب الى الآن مؤسس الاستشراق العلمي وفقه اللغة العربية في الغرب وهو استاذ أجيال من البعث في القرن التاسع عشر؛ كتب في «مبادئ الشرق» مقالة عن الكتاب القارص المعروف ببندينامه (كتاب النصيحة) لفريد الدين عطار الشاعر المتصوف (المتوفى عام ١٢٢٠ عند هجوم اجتاد جنكر خان على مدينة نيشابور). نجد أيضاً للعلامة الفرنسي ترجمة تفصيلية الأشخاص المشهورة «دع هيرة». اما زملاء سيلفستر ده ساسي الفرنسيين فالف كاترمير Quatremère المؤرخ الواسع الصيت مقالات في مسائل تاريخ الاسلام، ونشر جرانجره ده لاجرانج Grangeret de Lagrange متوناً وتراجم لاشعار الصفدى والمتنى وايضا لقائمة من مقامات الحريري. وهناك مقالة عالم اسباني اسمه ي.ا. كوندو Conde عن ابن خلدون وفلسفته، ومن الطبيعي ان عدد المستشرقين النمساويين في هذه المجلة فاق عدد غيرهم، ونشر هناك شاب ذو موهبة شاعرية وهو روزنتسلاويج - شواناو Rosenzweig-Schwannau (١٧٩١-١٨٦٥) لأول مرة ترجمة منظومة لبعض ابواب الاقصودة المشهورة ويصنف وزليخا للشاعر القارص مولانا عبدالرحمن جامي (المتوفى سنة ١٤٩٥) وصار هذا المستشرق فيما بعد من أشهر مترجمي الادب القارص في أوروبا. وقد ود هذا النسل الرومانتيكي من المستشرقين الترجمة الشعرية للأدب الشرقية حتى وان لم يفهموا معنى الشعر العربي والقارصين بنأمة اوقعصروا عن تحليله على قواعد النحو.

وعدا الترجمات والمقالات عن مسائل الادب جمع هامر في «مبادئ الشرق» معلومات تاريخية، مثلاً عن حياة البخاري كما وصفها ابن خلدون في وفيات الأعيان، او عن اسماء

النجوم عند العرب المتخصصة في هذا المضمار، الأستاذ ايدر Ideler الذي كان قد ألف في مجلة هامر مقالة اخرى في طرق تأريخ العرب والعجم وتقويمهم فأصبحت المجلة ميدان مشترك للمستشرقين من ألمانيا وروسيا، من فرنسا واسكتلندياً؛ ولم يكتف هامر بنشر مقالات علمية فحسب بل زاد عليها ما ساء «مكتابه من الشرق» وهي مشتملة على رسائل من علماء وباحثين اوروبيين يسافرون في الشرق منهم اولرشر ياسبر سيجن U.J. Seetzen الذي عاش في مصر وقام بالتحج في زى عربى ثم سافر الى اليمن للحصول على معلومات علمية عن تأريخ اليمن القديم وقتل هناك، واصل بعض اعضاء السفارات الأوروبية في سوريا والراق باخبار مهمة سواء عن حركة الرهاية ام عن الحفريات في بابل، عن تربية الفحول العربية ام عن مخطوطات عثروا عليها. وكان هامر يترجم ايضاً مقالات واشعار وتقيقات صادرة من ملوك العرب والعجم في ابامه، وجلب دقة المستشرقين الى محمولات اقلام الادباء المعاصرين في الشرق الأدنى، كما قال الأستاذ فيوك في كتابه عن تاريخ الاستشراق في أوروبا:

«علق هامر على هذه المراسلة أهمية كبرى خاصة لأنه لم يكن قد تعرف من قبل على وجهة النظر في علم التاريخ الى لا ترى الا في ما مضى موضوعاً يليق بالبحث الجدي. وكانت نظرتهم هو الى حياة الشرق الغريبة نظرة شاملة تأخذ بعين الاعتبار جميع الحوادث من العصور الغائرة حتى حاضر زمانه، ولم يكن يتردد في الضئاع الى آراء معاصريه الشرقيين».

ولم يدخل هامر في هذه المجلة علم اللاهوت ولا الابحاث اللاهوتية واقتصر على اللغات الثلاث المهمة في بلاد الاسلام وهي العربية والفارسية والتركية الا انه ذكر شيئاً من الأدب المختص، ولكنه لم يحب الفلسفة الهندية التي كانت رائجة في ذلك الوقت عند الفلاسفة الألمان الذين كانوا يمتدونها اشرف فلسفة واعلى افادة لاشتياق الروح الانسانية، ويمتدونها لهندستان وطناً لكل ماهو جميل وجليل، فهجا هامر هذه الطائفة أحياناً في رسائله.

وكان شاعرنا الكبير جرحه يستفيد كثيراً من «مبادئ الشرق» وذكرها في حواشي ديوانه الغربي - الشرق شاكراً مديراً وهو يقول:

«إن كتبي في جميع فصوله يهين الى اى حد انا مدين لهذا الرجل المجلد ... كان قد وصل الى علمي منذ بضع سنوات نشاط حركة العمل المتزايد في «مبادئ الشرق»، ولكن الوقت قد حان الآن فقط الذي اعلى للحصول على

فوائد منها. إن هذه المجلة اشارت الى عدة جهات فقد اظهرت للمصر احتياجاته فأصر بتسليد هذه الاحتياجات وجعلني اومن بصلق اختيارياتي من اننا نحصل في كل موضوع على مساعدة قيمة من معاصرنا إذا استطعنا ان نستفيد من فضائلهم ونظفهم لم شكرنا وامتناننا. هناك رجال ذوو معرفة واسعة يلقوننا دروسا عن الماضي ويوضحون لنا الموقف الذي وصلنا اليه في حاضرتنا والذي يكون مسرح اعمالنا ويوثقون الى الامام مشيرين الى الطريق الاقرب الذي يجب علينا ان نسلكه. انه لمن حسن الحظ ان التصنيف البارز المذكور يجد ثمنه بالجهود ذاته ومع اننا نجري بحثنا في هذا المضمار ناظرين الى الخلف فائنا نرجع دائما وبكل سرور وعطف الى كل ما يقدم لنا هنا من جميع الجهات بشكل منمض ياتع ومفيد.

وبعد ذلك اشرك هامر ايضا بمنتهى النشاط في تحرير مجلة اخرى اسمها Wiener Jahrbücher für Literatur نشر في كل من مجلداتها المائة والخمس والعشرين مقالة أو نقدا أو أكثر من ذلك، وكتب مقالات في كل ما كان يثير الاهتمام في مضمار الادب العربي والفارسي والتركي والصيني والسنسكريتي والفت تقييات ومراجعات بجميع كتب السياحة التي كانت تنحوى على اخبار مغلستان وآسيا ومصر وسوريا بما ألف في هذا القرن وما كتب يحه عام من الهندستان وكشمير وافغانستان، فضلا من هذه الرسائل في الكتب الجديدة التي بطول بعضها الى الغاية نشر هامر في هذه المجلة ملاحظات واسعة في كتب شرقية، او في مقارنة كلمات فارسية والماتية، او ترجمة مديح بعثت به الحكومة النيبالية اليه، وما يشبه ذلك.

وان كان جويته قد مدح «معدان الشرق» فهو قد استحسن ايضا القصيدة لهامر نشرت سنة ١٨٠٩ استنادا الى مصادر فارسية وتركية وهي حكاية «فرهاد وشيرين» التي نظم فيها شعراء العجم اشعار غير معلومة.

اما الكتاب الذي عطل اسم هامر وتوج اعماله في حيز الادب الشرقي فهو ترجمته الالمانية لديوان الحافظ الشيرازي، وقد مضى ذكر اطلاعه الاول على اشعار هذا الشاعر العظيم في اثناء اقامته في القسطنطينية. وترجم هذا الكتاب مستفيدا من حواشي السويدي التركي الذي يعتبر احسن شارح لاشعار الحافظ وكل الطبع بعد اجتهاد اربع عشرة سنة (وقال في مقدمة الكتاب انه اتمه في «مربع سبع سنوات» لانه احب رقم السبعة واللب بالارقام حتى انه ألف مقالة في المجلة الادبية المذكورة في اهمية السبعة عند اهل الغرب

والشرق ولا شك ان موضوع «الرقم المقدس» مهم جدا في تاريخ الاديان)

ولم تكن ترجمة هامر للحافظ اول ترجمة لهذا الشاعر في لسان غربي وان كانت الترجمة الاولى التامة. فقد نشر مينسكي للنمساوي سنة ١٦٨٠ غزلا للحافظ مع ترجمته اللاتينية، وكذلك هايد Hyde الانكليزي سنة ١٧٦٨، وترجم العلم للنمساوي رويشكي ١٦ غزلا له الى اللاتينية عام ١٧٧١، ولقت للمستشرق الكبير الانكليزي و. جونز W. Jones اهتمام اهل الغرب الى هذه الاشعار في كتابه المسى Poeseos asiaticae commentarium libri sex الذي نشر في ١٧٧٨، واستنادا الى اشغال جونس الذي كان حاكما في كالكوتا طبع ديوان الحافظ في هذه اللبنة سنة ١٧٩١ وهو من اول الكتب التي اهتم الانكليز بطبعها في الهند.

اما المستشرقون النمساويون فاستندوا الى التقاليد النيبانية في شرح الحافظ وائر الشعراء الايرانيين ولم يظن هامر الحافظ «متمسكا كاملا» لا يفتي الا عن العشق الالهي مستعلا رموز العشق المجازي. وقال مشيرا الى القاب الشاعر «شمس الدين» و «لسان الغيب»:

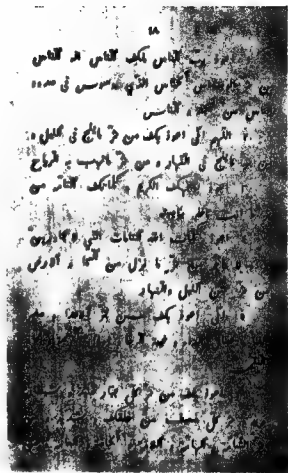
«انه لم يكن هاديا مضيقا للدين، ولم يترجم لسانه الاكليات الشوهة، لا اسرار الضيق الالهي». واصر على رايه هذا يبدان رئيس المستشرقين سيلفسر ده سامي الفرنسي كان قد قبل الحافظ متصوفا بحثا كل كلامه اشعارات ورموز. اما جويته فألف بين الرايين المتضادين لانه كان يعرف ان لكل كلمة معنى رمزيا يشير الى حقيقة اعلى منها ولا يمكن الضريق بين العشق المجازي والعشق الحقيقي، او بين الشراب المادي والخمر المعنوية في اشعار هذا الشاعر كما قيل «المجاز قطرة الحقيقة» وفهم جويته هذه الوحدة الروحية بين المعنوي وان كان يميل الى ايضاحات هامر دون تفسيره سامي والمتصوفين.

وكانت ترجمة هامر في شكل منظوم غير مصقول ومع انها لا تعكس الطرافة والطلاقة اللتين امتازت بها غزليات الحافظ إلا اننا نتخذ انها احسن من بعض التراجم الشعرية التي نشرت فيها بعد تحت اسم الشاعر الفارسي بأقلام شعراء المان لاعلم لم باللغة الفارسية ولا معرفة بطرز الادب الشرق على الاطلاق انحلتا منه افادات العشق والشهوة واللهو ومدح الخمر فقط. ولما حصل جويته على ترجمة هامر قرأها مرارا ووجد في الحافظ «ناحا روحانيا» له ولهمه هذا الكتاب بتأليف ديوانه الغربي — للشرق الذي يشتمل على كثير من الافكار الشرقية. وهايد ريوكرت Rückert

الأدب الألماني اتخذ في ترجمة ديوان المتنبي الذي اعتبره الشاعر الأكبر للعرب، ونشر هذا الكتاب بعد ديوان الحافظ بسنوات عشر راجيا منه عين النتيجة الحسنة وقال: «نعم الترجمة إذا أصاب نجاحا وتمكن بواسطة علم (كما توفيق هو بواسطة ترجمته لأشعار الحافظ الفارسي) أن يؤثر على الشعراء الألمان مثل جويتيه وريوكرت وبلاتن أن يتابعوا توطيئ الشعر العربي الذي ارتدى حلة المانية...» ولكنه لم يوفق في هذه الترجمة، ولم يقبلها العلماء حسن القبول لكثرة أخطائها، ولم يشغل الشعراء بها لخلوها من إبحال الشعر وحشوها بمعارف صعبة الفهم على غير المتخصصين، بيد أن بعض اصطفاء المؤلف مدح الكتاب غاية المدح رغم أنه لم يبق له أي أثر في العلم أو في الأدب الألماني.

ومع ذلك لم يزل هامر يقوم بتراجم جديدة، فنشر (بعد أن ترجم أقصوصة وكل وابل، لفصلي التركي) سنة ١٨٢٥ ترجمة ديوان باقي الشاعر المشهور التركي (المتوفى عام ١٦٠٠ في استانبول) ولأشك أن هامر أجاد في معرفته لغة التركية وكان أكثر أنسابها منه بالعربية، ولكن أسلوب الشعراء الأتراك في القرنين السادس عشر والسابع عشر يمتاز بمشكلاته حتى أنه يصعب فهمه وحل رموزه على الأتراك أنفسهم. وقال هامر في مقدمته لهذه الترجمة أنه بعد أن طوى منطقة البروج في ساء الأدب التركي وجد هذا الشاعر القطب الأعلى والكوكب الأزهى، مع أنه لا ينكر أن القارئ الغربي قد يستغرب المبالغات الموجودة في أشعار «باقي» والتلاعب بالألفاظ لتشابهة في هذه الصنعة.

بعد أن تناول ماصرو هامر «أزهار الجنة» وغارها هذه من المشرق (كلنا وصف بعضهم هذا الكتاب) اشتغل المستشرق الذي لم تأخذه كيلولة ولا كسالة بترجمة الشعر المتصوف الفارسي وكلشن رازي للشبستري (المتوفى سنة ١٤١٧) أحد ممثلي أفكار ابن عربي في إيران. ولم يكن بالوسع في ذلك الزمن تحقيق ترجمة صحيحة لأثار المتصوفة لأن المتابع المهمة لتأريخ هذه الحركة الروحية والوسائل القديمة الموثوقة كانت لاتزال محبولة إلى حد بعيد. ولذلك حكم أيضا بالفشل على ترجمة أخرى نشرها هامر في حيز التصوف وهي ترجمة منظومة (١) للتائية الكبرى لابن الفارض التي طبعت مع منها العربي في أبي شكل سنة ١٨٥٤ بمناسبة العيد الثوري للمعهد الشرق في فيينا. فقال ه. ل. فلايشر H. L. Fleischer وهو أشهر المستشرقين في أوروبا بعد وفاة استاذة ده سامي في هذا التأليف واصفا إياه بكل احتياط:



من كتاب: سيات الصلاة، سنة ١٨٤٢.

الشاعر المستشرق الكبير من استفادة جويته من ترجمة هامر لديوان الحافظ قائلا للعالم النمساوي:

«إن آثاركم من التأليف يصعبكم لا تكتفون من تذكرو كل ما كتبتم. فلعمركم لم تتركوا عند مطالعة كتاب جويته كم من السطور والمصارع قد اقتبسها هذا الشيخ عن كتابكم والحافظ» كلمة بكلمة...

أما هامر فلم يعجبه طريقة جويته في تفريره للحافظ وطعن على الشاعر لأجل أشعاره الجديدة في الطرز الغربي- الشرق، وفضل على ديوان جويته الأشعار التي غناها شاعران المائتان اخوان، أحدهما ريوكرت المذكور وأخبرها الكونت بلاتن، لأن ريوكرت المعبري حفظ الأسلوب الشرق بتمامه حتى أنه كان يطبق لأول مرة في تأريخ الأدب الألماني شكل القول فقلده صديقه بلاتن في هذا الأسلوب البديع وعرفا بذلك عامة القراء في ألمانيا على اسم الحافظ الشيرازي والأسلوب الشعري الشرق.

وعندما رأى هامر ثمار ترجمته هذه للشاعر الفارسي في

## Die vierte Tageszeit.

Der Mittag.

Die Dinsucht.

## Ich flüchte zu Gott!

Wohndorfer.

1. Ich flüchte mich zu dem Herrn der Menschen, zu dem König der Menschen, zu dem Gott der Menschen vor dem Bösen des Glasflüsters, des Bodenverfalls, der verurteilt die Bestie der Menschen, ich flüchte mich vor dem Bösen des Bösen aus der Menschen.

2. O mein Gott! ich flüchte mich zu Dir vor dem Bösen, wenn die Flüchte schwächer gehen, vor dem Bösen der Tageszeiten, vor dem Bösen, das die Flüchte schwächen.

3. Ich flüchte mich zu Deinem Angesicht, dem göttlichen, zu Deinen Worten, dem vollkommenen, vor dem Bösen, das Du bei den Schwachen füllst.

4. Ich flüchte mich zu den Worten Gottes der vollkommenen, wider die der Gerechtigen und der Heiligen flüchte vormals, vor dem Bösen, das niederstürzt von Himmel und Erden, vor dem Bösen der Stunden der Nacht und Tag.

5. Ich flüchte mich zu Dir vor dem Bösen der

من كتاب: ميقات الصلاة، سنة ١٨٤٢.

نحن تاريخ الشعر الفارسي ... حقا ان لدينا الآن اساسا يستطيع ان نبني عليه الآداب الفارسية بصورة بارعة واضحة وشاملة ...

كان كتاب هامر هذا اجابة لرغبة العلماء الادياب الالمان في ادراك مقاصد الفنون الجميلة والآداب في العالم باسمه يحملها أساساً للثقافة الأوروبية الحديثة، فكانت الحركة الرومانتيكية (في حوالى سنة ١٨٠٠) في ألمانيا وسائر بلدان الغرب قد أبقت الليل الى حضارة الشرق والرفية في التعمق في درس هذه الحضارات القديمة الفنية، اى حضارة والشرق الاكبر المعتبر اذ ذاك موطن الثقافة ومنتب الأديان ومنبع كل ما هو كبير وجليل في تاريخ نبي البشر. واذا بهامر يقدم لمواطنيه متخفيات من ادب هذا والشرق الاسطوري ووسم لم ما يشبه رسماً تخطيطياً لتطور الآداب الفارسية من ابتداء الى القرن السابع عشر. وكان حب الالمان للايرانيين حديثا في ذلك الوقت لان علماء اللغة قد اطلما على تجانوس اللتين الالمانية والفارسية ولاشك ان

واننا لانرى في هذه الترجمة الملحقة الا طلائع فجر لا يكتفى لأكثر من ايضاح المعالم العامة والمقاييس الكبرى للعبة الصوفية المحيرة، بينما لا يزال قسم كبير من التفاصيل غارقا في حجب الضيق او في غياهب الظلام الدامس: ومع ذلك فان من تمنحه السهولة في العقد التاسع من حياته للترجمة بالشهرة القوية على اختراق عالم الظلمات بحثا وراء منابع الحياة كالاسكندر الشاب، فانه يستحق ان يقال على جراته الطليعية، دون ان تمس حقوق العلم، الاعتبار والتقدير حتى وإن لم يأخذ الخضر بيده ويوصله الى هدفه ...

اما العالم الانكليزي ر. ا. نيكولسون R. A. Nicholson الاخصائي الكبير في الابحاث عن التصوف فمهرسة ١٩٢٣ عن هذه الترجمة قائلا بايجاز: «لقد كان من سوء حظ تاليف ابن الفارض أن يكون هامر مترجما لها»

وقال هذا المؤلف نفسه في طريقة هامر في الترجمة الشعرية للقصائد العربية أنها ما كانت الا عبارة عن اقتباس كلمتين او ثلاثة من كل بيت وحشو الباقي بالمانى الى تخاطر في باله في تلك اللحظة ... وتشبه الحادة نيكولسون هذه النقد الذي كان قد نشره العلامة فلايشير السابق ذكره عنلما نشر المستشرق النمساوي ترجمته لاطوارق الذهب للزخمشري في مستهل سنة ١٨٤٥ فنشر فلايشير في عين السنة تصحيحا لهذا الكتاب مع ترجمة جديلة ناقلا فيها بلا تردد اخطاء هامر وحقايقه، وظن هامر ان هذا النقد الشديد من نتائج ظلم فلايشير وقسوته وان مقصده والاساءة الى المترجم فقط: ولذلك لم يزل يقاتل العالم المتبحر الالمانى بالقلم وهماه في ترجمة رباعي للشاعر التركي «نجى» في القصص لان معنى اسم «فلايشير» هو «قصص» ويصفه في هذا الشعر في لباس قصاص ظلم قاتل يقوم بجرح كل من دناءه وبسفه كماله ...

لم يكتف هامر بترجمة دواوين الشعراء المشهورين فحسب بل كان هدفه الاعلى ان يمرض الادب الشرق بكامله لاهل اوروبا. ولذلك جمع ماجمع من المعلومات واستخلص منها الاخبار المهمة عن تاريخ الادب الاسلامي فآلف فيه كتابا ورسائل، واحسن ما صنفت في هذا المضمار هو تاريخ الادب الفارسي Geschichte der schönen Redekünste Persiens الذى نشر سنة ١٨١٨، واهله للاستاذ الكبير في حيز الاستشراق، ميسترد ه. سامي. واستفاد جويته من هذا المؤلف واعترف بقيمته قائلا:

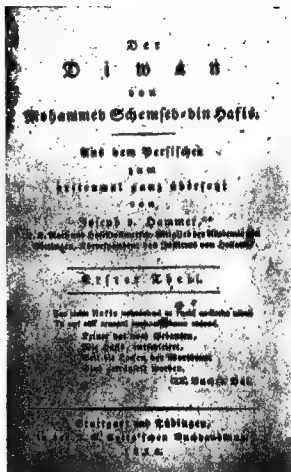
«... هذا التصنيف الذى ليس له مثيل، الذى ينقل لنا

مولانا جلال الدين الرومي (١٢٠٧-١٢٧٣). ثم في القرن الرابع عشر نرى الحافظ الشيرازي (المتوفى تقريبا سنة ١٣٨٩) الذي لا نكفله في صنعة الغزل وفي طرافة الافادة وحسن البلاغة. اما في القرن الخامس عشر فقد جمع مولانا عبدالرحمن جامي (المتوفى عام ١٤٩٥) في آثاره كل ماسبق من القرنين، اقصوصة كانت ام غزلا، حكاية كانت ام شعرا متصوفا. وترجم هاجر منابه الفارسية بلا نقد، كما عر عليها، وترجم ايضا كثيرا من ابيات هولاء الشعراء، ورغم بعض اخطائه فان هذا الكتاب مازال يحفظ بقيمته الى الآن لان هاجر اوضح في مقدمته اسلوب الشعر الفارسي واهم التباير والرموز والاعاءات التي يستعملها الشعراء والتي لا يد من درسها لمن اراد فهم الادب الشرقي.

وبعد ان نشر هاجر هذا التاريخ بعشرين سنة، قام بتأريخ الشعر النثائي ببارية عجلات، تشتمل على اسماء ٢٢٠٠ شاعر ولا صبيان العالم الذي اتي على نفسه التعب والمعجز التي سنة ١٨٤٩ التي عشرة محاضرة بين فيها تطور الادب العربي ونشر من هذه المحاضرات في رسالة له، ونستدل من اسلوب بيانه انه الآن قديمهجر الإيرانيين واخذ بفضل عليهم العرب كل تقصيل. قال:

وان الإيراني حقق صوت الطبيعة لأنه مملأه بالفلو  
واوراق الورد ينيّا تمكن الطبيعة من قلب الشاعر العربي  
مرسلة من اعاق صده صدى يلوى في اغلال الصحراء.  
ولما توفي هاجر سنة ١٨٥٦ كان قد اكل سبعة مجلدات ضخمة جدا لتاريخ الادب العربي الذي قصد منه جمع كل المعلومات التي كان العرب قد جمعوها عن آدابهم. وما يبحث على الاسف انه لا يستطيع احد الآن مطالعة هذه المؤلفات الهائلة لانها تفقد الى التريب، وما زاد في صعوبة الفهم ان هاجر على عادته ترجم الايات باجمعا نظما، وان اعجبنا اجتهاد المؤلف الذي قد فاق الثمانين من عمره فلا يمكننا ان نعرف لهذا التاريخ الادبي قيمة علمية او شعرية...

وكان هاجر طول حياته يربط في اعتداد مجموعات شعرية من تأليف الشعراء الشرقيين، وكان قد ابتدأ بهذا الطرز في رسالته المقدم ذكرها وشيرين التي يحكي فيها اسطورة الملكة شيرين وعشق فرهاد البناء استنادا الى اشعار شفي فارسية وتركية. ومثال اخر هو المجموعة المسماة بعطر الورد (Rosenöl) وهي مشتملة على حكايات واخبار من بلاد الاسلام، وزد على هذا متخينات من القاموس الفارسي وفرهنگ شعوري تحت عنوان واطواق الجواهر لابي



عنوان ترجمة ديوان حافظ الشيرازي، ليوف فين هاجر. شتريجات سنة ١٨١٢.

هذه المناسبة ايقظت اهتمام الناطقين بالالمانية بتأريخ اقربايم البعيدين.

اما «تاريخ الادب الفارسي» هاجر فهو، كما قال المؤلف، وثمرة مطالعة خمسين مثويا وديوانا ذات أكثر من مليون بيت. قسم الكتاب سبعة فصول مبدئيا من زمان فردوسي الطوسي (المتوفى حوالي سنة ١٠٢٠) الأستاذ الاول للنظم الفارسي، وعدد هاجر الشعراء السبعة الكبار الذين وجدهم في هذه القرون، وهم فردوسي، ثم انوري (المتوفى سنة ١١٧٠) الذي اشتهر بالقصيدة الملحية، وعن الزمان نظامي (المتوفى عام ١٢٠٩) الذي بلغ نهاية الجبال في اقاصيصه الشعرية الرومانتيكية التي قلدها في العصور القادمة شعراء عديدين في ايران وتركيا والهندوستان. وفي القرن الثالث عشر نجد سعدى الشيرازي (المتوفى سنة ١٢٩٢)، مؤلف اشعار وحكايات مليحة، منها «كلستان» المشهور، وكان معاصره المتصوف الكبير



وان كان القارئ الصابر قد تابع تعدد آثار هاملر الاديبة الى الحد الذى وصلنا اليه فلا شك ان تأخذته الحيرة تجاه هذا الجلد وهذا الاجتهاد، ولعله يظن ان هذا الانتاج سيكنى حياة رجل بل بضعة رجال. ولكنه سيزداد دهشة وتعباً اذا دأب على متابعة فعالية هاملر في سائر ميادين العلم، لان العالم المتساوى كان مشغولاً لا بالاداب الشرقية فحسب بل بتاريخ الشرق على العموم، وقد نشر مؤلفاته الاول في هذا المضمار عند اقامته في استانبول حيث حصل على كثير من الوثائق القيمة لتاريخ الدولة العثمانية، والى نتيجة لذلك التحصيل كتابا عن دستور الدولة العثمانية وسياساتها *Des Osmanischen Reiches Staatsverfassung* سنة ١٨١٦. وبعد ذلك بسنتين، في ١٨١٨ نجده ينشر وتاريخ الحشاشيين الذى اهداه للمؤرخ الشهير. فون ميولر *von Müller* الذى لفت انتباهه الى مسائل تاريخية عندما كان هاملر في عصفوان الشباب. وظن هاملر ان تاريخ الحشاشيين وسيفتح باباً الى معادن التاريخ الاسلامى المجهولة. ولكن القارئ العصري لا يرى فيه الا تجربة ضعيفة لا يفيها وقائع كثيرة التشاكل لم يمكن في ذلك الزمن ايضاحها لتفصيل المتابع وقطع البحوث وعدم توفر الوسائل العلمية. وهاملر حق في وصفه وضعية المؤرخ الباحث عن اى موضوع في تاريخ الاسلام حيث يقول:

«ان المؤرخ ليشاهد امام ناظره سطوة ممالك الدنيا العظيمة وقد انصبت اشعاعاً في نقطة واحدة الى جانب قوة كل من الدول المتعددة وقد توزعت في الف شعاع، وانه ليرى السر الاسطورية لأقدم الممالك الى جانب ادق التواريخ، لاحدتها، كما يبدو امامه عهد الجاهلية قبل بعث الرسول، وايام المعرفة والهداية بعده، كل ذلك الى جانب معجزات الفرس، وبعطولات العرب، وروح المغول المدمرة التى اجتاحت اطراف العالم، وحكمة العثمانيين في اقامة دولتهم وتقدمها...»

ولما كان هاملر طالباً في المعهد الشرقى أخذ بمطالعة «كشف الظنون» لحاجي خليفة الاديبي التركي (المتوفى ١٦٥٧) وكرر مطالعة هذا الكتاب مراراً ثم اخاف على المعلومات التى حصلها من الكاتب التركى المتبحر ماجمعه من الوثائق الرسمية والمخطوطات فكذب «تاريخ الدولة العثمانية» وهو عشرة مجلدات، ولكنه صنف ايضاً خلاصة ذات اربعة مجلدات لهذا التأليف العظيم الذى مازال ذا قيمة واهمية الى الآن لانه يحوى على اخبار لا توجد في مؤلفات اخرى بيد ان أسلوبه صعب جداً، كثير التشبيهات يشبه أسلوب المؤرخين العثمانيين. ومع ذلك فقد بدى في

حركة العقل براحة القلب» (سنة ١٨٣٦). يحتم هاملر هذه المجموعة بقصدينى «الرجل الشيخ عند مولده الخمسين» و «الشيخ في الثالثة والستين» جامعاً فيها اقوال الشعراء في الشيخوخة ووصفهم للسنن وشكاياتهم منه.

ولم يتورع هاملر عن ولوج حفل التمثيل المسرحى، وأول موضوع وجده لاحقاً للمسرح الاثالى هو «جعفر او سقوط البرامكة» (كتب سنة ١٨٠٧، وطبع في عام ١٨١٣) وكان لتاريخ البرامكة شهرة خاصة في اوروبا منذ اوائل القرن الثامن عشر وقد كان الف بعض المؤلفين مأس في قضاه جعفر وعباس، اخت هارون الرشيد (منهم م. كلينجر *M. Klinger* سنة ١٧٨٢)، ولتانهات اخبار المسرحية المذكورة الى سامع جريته وغب في تحقيق اثر هاملر هذا وكان قد قال لصديق لها قبل ذلك:

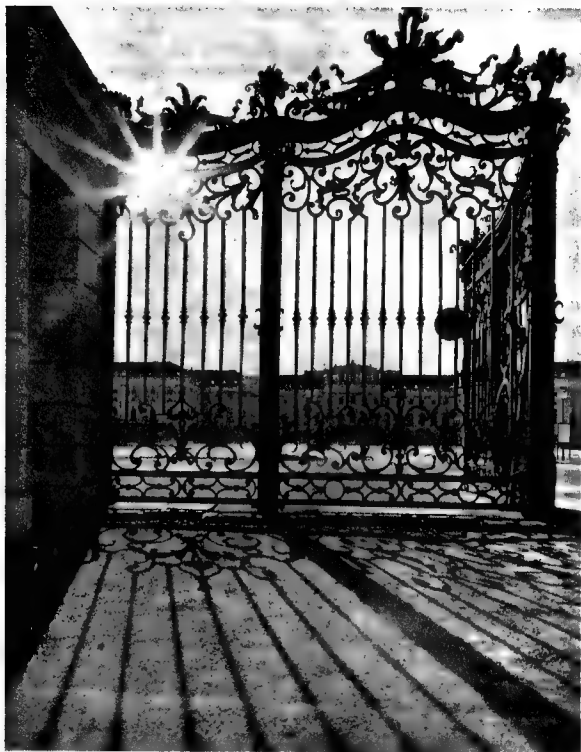
«والى اتلف لمشاهدة «البرامكة»، وليست هذه هى المرة الاولى التى تتملك فيها شعور المرء حالة استثنائية فى نفسه مضطراً لان يعبر عن هذه الحالة المقددة والغامضة بأسلوب التمثيلية او المسرحية. فاذا نظرنا الى هذا العمل بأكله من هذه الوجهة الاخيرة ظهر لنا انه عمل بلون جنوى، ومع ذلك فان الرجل قد نقل اليها شيئاً لم يستطع التعبير عنه بالاسلوب القصصى او بالاسلوب الاحاديث والى لا بد غطى خطأ كبيراً اذا لم تكن لهذه المسرحية قيمة لا بأس بها من هذه الناحية..»

نخيل هاملر تصنيف كثير من المآسى الشرقية ولكنه لم ينشر منها الا واحدة بعد نشر «جعفر» وهى «عمد او محاصرة مكة» (١٨٢٣). اراد المؤلف منها الرد على المساة المشهورة للفيلسوف الفرنسى فولتر *Voltaire* (١٦٩٤-١٧٧٤) الذى كان قد صور محمداً الرسول في شكل خائن منافق تاهب التقاليد الغربية القديمة وهاهما من وراء تلك المسرحية المعجوم على الاديان باجمعها لا على الاسلام وحده. اما هاملر لمحاول في هذه المسرحية الدخاخ عن محمد ونواياه وان لم يوفق من المحاظ القنى الجمال.

وفضلاً عن هاتين المآسيتين نجد هاملر يكتب (وذلك ايضاً في عام ١٨٢٣) ثلاث مسرحيات خفيفة، مواضيعها مأخوذة من الادب الهندى والفارسى والتركى *Memnona* (Dreiklang).

ولكى يتحقق هدفه في عقد الصلة بين الشرق والغرب لم يكتب هاملر بترجمة اشعار شرقية الى الالمانية بل قام ايضاً بترجمة افكار الامبراطور الرومانى ماركوس اوريليوس (المتوفى سنة ١٨٠) الى الفارسية ليستفيد أهل الشرق من نواتج من الحكمة الغربية (سنة ١٨٣١).





فيينا : الحديقة الكبيرة لمتن شونبرون Schönbrunn (التي بنى ماى ١٦٩٤ و ١٧٧٥). كصور : هاينس رونالتيك، ووكازاروك، نيمار.

لألمانيا بطبع واصدار جليلد لهذا التأريخ سنة ١٩٦٣. وفي الفترة نفسها جمع هامر سير الخلفاء والأمراء والملوك الكبار ونشر حسن منها في «أبواب الصور لحكام المسلمين الكبار في القرون السبعة الأولى للهجرة» Gemäldesaal يعالج فيه مفصلا سير الملوك المشهورين في بلاد الاسلام، مبتدئا بسيرة الرسول إلى أن ختم كتابه (وهو ٢ مجلداً، نشر بين العامين ١٨٣٧ و ١٨٣٩) بسيرة فلاوون للمصري. ولكنه كف عن معالجة تاريخ الاسلام بأسره معتقاً «أن عروق الذهب والكنوز الخفية في تاريخ العرب والفرس والأتراك العثمانية والتتر ليست معروفة معرفة كافية والذهب الخام الذي يحتويه هذه الكنوز لم يجر عليه لحد الآن عمليات الغزلة والتصفية بشكل يدعى إلى الراحة ولم تفصل الجواهر الثمينة بعد من التربة الملتصقة بها ولم يصفى بعد جيداً بحيث يمكن أن يؤلف منها الآن عمل في تاريخي عظيم».

ومع ذلك نجح هامر على تأليف تأريخ للأولاد مؤنكه سبط جنكز خان الذين اشتهروا باسم «السلالة الذهبية» في التبت في جنوب روسيا؛ وسبب هذا المؤلف الذي صفه هامر اجابة لسابقة علمية اقامها الاكاديمية الامبراطورية الروسية مناقشات طويلة ومعارضات قبيحة بين هامر وزملائه الروس اللذين رفضوا الكتاب تماماً ولم يعتبروه جديراً بالاعتراف الموعود. ولم تمنح تلك النتيجة الجزئية العالم التساموي من ان يكتب رسائل اخرى في تأريخ الأتراك والتتر، منها تاريخ الأيلخانيين في ايران (١٨٤٢) وتاريخ ملوك القريم (١٨٥٦). وترجم ايضا تأريخ وصف المورخ الفارسي المشهور بصعوبة أسلوبه الزهر المسجع. هذا والكتب المذكورة كلها لا تستحق الذكر الا لأنها شاهدة على اجتهاد هامر الذي لم يتم بمشكلات التتو ولا بانتفاء وجود المصادر الكافية لاضافة ظلمات هذه الادوار التاريخية غير المعروفة بل كتب ماكتب كأن القلم يحرق اصابعه وكان لا يضعف وتها في تنظيم مؤلفاته أو في تصحيحها ولم يقبل أي نقد لطريقته العلمية.

إن ماذكرناه من الكتب حتى الآن هي الكتب الكبيرة الحجم، ولكن هامر ألف علاقة ضئيلة غير معلومة في مسائل مختلفة، في البيرة وفي الموسيقى الشرقية، في دين ميتراس الأيراني وفي القربان الرياني، ولم يحمل تاريخ وطنه النمساوي ولا الادب الاوروي في منشوراته التي تكون في الواقع مكتبة خاصة ذات مئات الرسائل .... ادعى هامر انه لم يعرف الطموح ولا الغيرة الشخصية وانه لا سبب لقمائته العظيمة الا الهمة العليا وحسب العلم. وقال اخرون انه كان يجب المناقشات والتضارح حتى أن هذه

الوصاف غير المحمودة اقتلته كثيرا من اصلقاته. ومثال مشهور لهذه الغيرة هو مناقشته مع تلميذه ريوكرت السابق ذكره حول تلفظ بعض الكلمات الفارسية، وايضا لان ريوكرت قد وفق في ترجمة باعثة الحيرة لمقامات الحريري؛ وان كان هامر قبل هذه الترجمة الشعرية المسجعة لأول وهلة بيد السرور ونظم فيها رباعيا معبرا عن تمنيه الخالص بان هذا الكتاب سيطلع بالذهب على البردى، الا انه قام بعد مدة بانتقاد نفس الترجمة ويتوجبه اشد الوان الملامة للتبرج العفري مدحيا انه نفسه ابدع الاسلوب المسجع في الأدب الألماني وان ريوكرت غير معنى الكلمات والتعابير لاجل مقاصد جمالية ...

ولكن علينا ان نعرف ان هامر كان يمد مواطنيه وتلاميذه كل حين اذا ارادوا درس الشرقيات والتحصيل على معلومات في مواضيع شرقية. كما قال في رباعي له، مشيراً الى معنى اسمه هامر وهو «مطرقة»:

Ich bin genennet Jussuf Hammer,  
Doch heisse 'ich nicht für alle gleich:  
Den Freunden Jussuf in der Kammer;  
Die Feinde trifft des Hammers Streich.

وسميت يوسف ذا المطرقة

ولكن اسمي ليس سواء:

في الدار بين الاجبة يوسف

لكن على الخصم نهوى المطرقة.

واجاد احد المستشرقين الألمان وهو آلهارد Ahlwardt (١٨٢٨-١٩٠٩) في مقالته عن خلف الأحمر حيث يصف ترجمة هامر لقصيدة هذا الشاعر كثمرة من آثار خياله، لما اعترف بمحسوبة هامر قائلاً:

«كان هدفه أن يفهم الشرق من جميع نواحيه. وأن يقود العالم الاوروي لادراك الشرق كما انطبع في عقله. هذا يفسر لنا سر نشاطه القذ والبافع اللبالي لاقتباسه المعارف والسعي الى اطلاع الغير على المعلومات وهذا سبب انتاجه الخصب لكتب كبيرة وسبب كله وعمله المتواصل دون كلل طالما كان في حيز النهار».

ومع كل اخطائه اللغوية والنحوية، ومع ان أكثر مؤلفاته العلمية لم تُر الا فقد المستشرقين الشديد، فانه يجب على القارئ الاعتراف انه لا يوجد مستشرق في تأريخ الثقافة الألمانية أثر في ادب عصره تأثر هامر الذي وفق الى الهام شاعرنا الأكبر بفناء اشعاره الخالدة في ديوانه الغربي- الشرق.

وقد ضربت حكومة النمسا ساما تذكاريا لهامر، منحوتاً عليه إنه وصل بين آسيا وأوروبا

# أبحاث هاينريش بارت

(١٨٢١ - ١٨٦٥)

بقلم: الأستاذ فيلكس فرانكه

ولد هاينريش بارت البحالة والرحالة الألماني عام ١٨٢١، وتوفي عام ١٨٦٥، وقد نشرت دار نشر فرانس شتاينر بفسبادن في عام ١٩٦٧ كتاباً تذكاريًا لمناسبة مرور مائة سنة على وفاته. ومع أن بارت كان يكثر من التجول والترحال في الأناضول وأوروبا الشرقية والبنوبية وقد ألف عن رحلاته ما ألف من الكتب والمقالات، فسياحته الأكثر شهرة هي الرحلة التي قام بها في أفريقيا بين عامي ١٨٤٩ و ١٨٥٥، والتي جمع في أثناءها معلومات كثيرة حول تاريخ أهل أفريقيا الشمالية والمركزية وعاداتهم وتقاليدهم كما أنه جمع الأخبار الجغرافية والمتعلقة بالعلوم الطبيعية على العموم وهذا أول كتاب ألف في أوروبا حول هذه المنطقة غير المعروفة.

ونظن أن اكتشافات بارت في أفريقيا وملاحظاته في حضارة السكان المسلمين في منطقة تشاد والنيجر مهمة جداً في يومنا هذا حينما نشاهد الاسلام في أفريقيا ينتشر ويزداد قوة. لذلك نود أن نقدم لقرائنا ورقة من تاريخ الاكتشافات الألمانية في أفريقيا الغربية والشرقية.

وعلى القارئ ألا ينسى أن كلمة «السودان» كانت تستعمل في زمان بارت لتشير إلى المنطقة المركزية في أفريقيا، أي ما يلى تشاد حتى مملكة نيجيريا غرباً ومالى شمالاً، ولم تطلق أبداً على السودان الذى نعرفه اليوم!

عن كتاب: Heinrich Barth. Ein Forscher in Afrika. Leben · Werk · Leistung. Herausgegeben von Heinrich Schiffers. Franz Steiner Verlag, Wiesbaden 1967.

حميه، المستشرق المعروف والمعاصر لبارت، إدوارد ويليام لين Edward William Lane، فقد قام صهر بارت، شوبرت Schubert، بكتابة سيرة حياة حميه بارت. وفيها علنا خيراً مختصراً مفاده أن بارت كان قد درس مدة أربعة أشهر على يدى استاذ للاستشرق في لندن، فاننا لا نعرف شيئاً أكثر من ذلك عن دراسته الشرقية. وكان بارت على صلة بعدد من المستشرقين: كجون نيكولسون John Nicholson في برث Penrith، وبلاو Blau ورافس Ralfs. ولا نعرف كان قد تعرف أيضاً على لين Lane في انكلترا. وكان بارت قد قرأ كتابه وعادات وتقاليده المصريين الحديثين «Manners and Customs of the Modern Egyptians» الذى كتبه بعد أن أقام عامين في مصر، كما أشار إليه واقتطف منه في كتابه «رحلات في أفريقيا» "Reisen in

عندما جاب هاينريش بارت Heinrich Barth في منتصف القرن الماضى ربوع السودان وراح يستكشف بقاعه، لم تكن هذه البلاد الواسعة معروفة جيداً في أوروبا ولأثار إعجابها القديم والحديث ولأوضاعها الاجتماعية والثقافية المعقدة. وكان علم اللغات الشرقية لا يزال حقلًا علميًا غريبًا، كما استطاع بارت أن يعتمد في حالات قليلة جداً على أبحاث ودراسات تمهيدية سابقة. فقبل بارت كان الرحالون قد اخترقوا أفريقيا حتى أواسطها. ولكن بارت يضيف عليهم جميعاً كمال حق. فقد جمع ما بين البحث النظرى والعملى على أحسن وجه.

١ - سيرته

ولا نعرف الشيء الكثير عن دراسات بارت الشرقية. فكما كتب ستانلى لين-بول Stanley Lane-Poole عن حياة



تصوير هاينريش بارت Heinrich Barth

من كتاب:

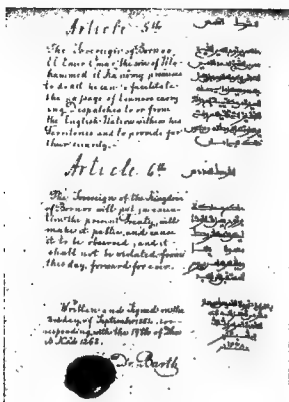
Frühe Wege zum Herzen Afrikas  
Turris-Verlag, Darmstadt, 1969

يكون أكثر ملامعة لمناخ البلاد، كما يبدو في نظر أهل البلاد أكثر حشمة من ملابس الأوروبيين. وبél تبلو بعض التصرفات في حياة الأوروبيين اليومية عملاً مشيناً في نظر المسلمين، بحيث أن الرحالة المنفرد الذي لا حول له ولا قوة والذي يسعى إلى النجاح في مشروع لا يخلو من النبل، سيكون بعيداً عن الحكمة إذا رفض التكيف بهذا الخصوص لمشاعر أهل البلاد وأعرافهم ... ومن الجهة الأخرى فإن بعض عادات المسلمين مليئة بالورع الحقيقي، بحيث اتق اعتمد أن الرحالة المسيحي يستطيع أن يتكيف بأرائها دون أن يؤثر بذلك على خلقه المسيحي بأي شكل من الأشكال.

أما ما يتعلق بدراسات بارت الشرقية، فقد كان، بوجه عام، وعلى ما يبدو، عصياً. وكانت اللغة العربية بالنسبة له وسيلة للتعرف على البلاد وأهلها. ولو استخدم اللغة العربية الفصحى في السودان لما استطاع التهام مع أهل البلاد، حيث أن السكان المسلمين لم يكونوا يتمتعون بوجه عام بمستوى ثقافي رفيع. ولذا فقد كان عليه أن يتعلم اللهجة العامية للوصول إلى غايته. وكان يوسع

"Afrika" ويتشابه الباحثان كثيراً في موقفهما الذي يتناول على احترام الحضارات الغربية عليهما. وفي مقدمة كتاب لين المذكور، يقول المؤلف (ص. ٢٢): «لقد عاشرت المسلمين من جميع طبقات المجتمع بوجه خاص: فكنت أعيش كما يعيشون وأتكيف لعاداتهم العامة؛ ولكني أجتهد بالفرنسي ويحتلون من أي تحفظ تجاهي في كل موضوع، فقد كنت أظهر موافقتي لم في الرأي كلما سمع ضميري بذلك، وكنت، في أغلب الحالات الأخرى، أتحاشي التعبير عن مخالفتي في الرأي، كما أتحاشي القيام بأي عمل من شأنه أن يثير اشترازم؛ فكنت امتنع عن تناول الطعام الذي يحرمه دينهم، وعن احتساء الخمر، وما شابه ذلك؛ كما كنت أجنب العادات التي لا تروق لم كاستعمال السكاكين والشوكات أثناء تناول الطعام».

وبطريقة مشابهة لذلك تحدث بارت في مقدمته (ص. ٢٢٩) وما تلاها، فيقول إنه يرى أن من «القطنة أن أتكيف في الملابس والأموال الأخرى لعادات أهل البلاد، وذلك بارتدائي زيًا نصفه عربي ونصفه سواني،



مقد رابع عليه هانريش بارت مع ملك بورنو Borno في ٣ سبتمبر ١٨٥٢.

من كتاب:  
Frühe Wege zum Herzen Afrikas  
Turris-Verlag, Darmstadt, 1969

والإيصالات التي كتبها بارت بالعربية لا تخلو أحياناً من أخطاء تقني وقواعد اللغة العربية. ولكن بارت كان على أي حال قادراً على قراءة كتابات وملاحظات الجغرافيين والمؤرخين العرب وكذلك المخطوطات التي ذكرها، كزيين الوراق<sup>(١)</sup>، وتاريخ السودان<sup>(٢)</sup>، والاتفاق المسور<sup>(٣)</sup> مثلاً، قراءة فاحصة نقادة وتمكناً من تقييمها لأغراض أبحاثه الخاصة - وهذا مجهود لا يجوز الإستهانة به. وهناك عدد قليل من الرحالة العلماء الذين يستطيعون أن يقيرونها لأغراض الاستكشاف والتدكر في هذا المجال بوجه خاص المشرق ماكس فريهر فين أوبنهايم Max Freiherr von Oppenheim الذي عين عام ١٨٩٤ رئيساً لبعثة استكشافية إلى بحيرة تشاد، والذي أشاد في كتابه «رابع ومنطقة تشاد»

بارت التفاهم بدين جهد بالعربية. وبمناسبة مثوله بين يدي السلطان عبد القادر في ميسينا، يكتب بارت<sup>(٤)</sup>:  
«ألقيت كلمتي بالعربية، بينا راجح صديق الأعزى صمو يترجم حديثي إلى لغة البغري كلمة كلمة، كما كان يطبق لإعانة بين حين وآخر، كلما بدا له أنني استخدمت تعابير قوية جداً». أما هذه التعابير القوية جداً فهي على ما يبدو اصطلاحات لغوية من العربية الفصحى، ممزوجة باللغة العامية، كانت تبدو مثيرة جداً لترجمه.

وبالإضافة إلى العربية كان بارت يتحدث كذلك لغات التوليه والماسوا<sup>(٥)</sup> والكانوري<sup>(٦)</sup>. ورغم محبته الكبيرة لتعلم اللغات فإنه لم يتم بنشر التصوص العربية التي جمعها وإنما كلف المستشرقين المذكورين أعلاه بذلك. وبطبيعة الحال فإن تصحيحات بارت لهذه الترجمات التي كلف بها غيره لم تكن صحيحة دائماً؛ كما أن الوثائق

(١) R. I. A., ٤٤، ١٨٨.

(٢) R. I. A., ٤٤، ٢٠٢.

(٣) R. I. A., ٤٤، ١٨٨.

(٤) Reisen in Afrika (R. I. A.), المجلد ٣، ص ٣٧٠.

(٥) R. I. A., ٤٤، ٤٤١.

(٦) R. I. A., ٢، ٢٥٨.

"Rabeh und das Tschadgebiet" (Berlin 1902) بأعمال بارت واكتشافاته<sup>(٧)</sup>.

لقد قام بارت بتصحيح كثير من التصورات الخاطئة عن السودان. ولم يستند من أبحاثه واكتشافاته حقلاً الجغرافيا والتأولوجيا فحسب، وإنما أقاد الاستشراق من ذلك بنفس القدر. فلم يبحث أحد من قبله تاريخ الإسلام في السودان كما فعل هو. ولكن كتابه «رحلات في أفريقيا» لا يعتبر مصدراً لا ينضب بالنسبة للمؤرخ فحسب، بل وكذلك بالنسبة لعلماء اللغة بين المستشرقين. ولو اعتبرنا الأمر من وجهة نظر البحث العلمي الحديث فإن لدينا اليوم، وخاصة في علم اللغة، معرفة تفصيلية أكثر دقة. وقد زادت المصادر الجديدة المكتشفة في عشرات السنين التالية من معرفتنا هذه. ومن الجبهة الأخرى، لا بد أن تأخذ بنظر الاعتبار أن بارت أراد نتيجة الإلحاح الشديد من جميع الجهات أن ينشر كتابه «رحلات في أفريقيا» في أسرع وقت ممكن — فقد طبع عمله المكون من خمسة مجلدات بعد عودته بعامين، بل إن النسخة الإنجليزية من مؤلفه ظهرت قبل ذلك. ولذا فإن بعض الأمور التي تستحق اهتماماً أكبر لا تظهر إلا في المراسم.

ليس الغرض من هذه الدراسة سد الثغرات الموجودة في تفاصيل بارت بطريقة منظمة، ولا تصحيح هذه التفاصيل حيثما يبدو ذلك ضرورياً. إذ يجب أن ينظر إلى عمل بارت أولاً من زاوية عصره، وإذ إن غير المجلى قياس هذا المؤلف بقياس غير القياس التاريخي. وسأقتصر فيما يلي على معالجة الحقائق التي يعتبر استكشافهما على يدى بارت ذا أهمية قصوى بالنسبة للاستشراق، وأخى بهما: تاريخ الإسلام، وانتشار اللغة العربية في السودان.

## ٢ — الدراسات الخاصة بالإسلام والمسلمين في السودان

عند ذكر كلمة الإسلام، يجب أن نميز هنا أمرين مختلفين: الإسلام كدافع تاريخي سياسي، والإسلام كنظام ديني. ومنذ بدايته الأولى انظم الإسلام بصفة قوية بالحياة الدنيا. فلم يكن الدين الجديد مجرد «صراط مستقيم» يسير عليه المؤمن بهقة وأمان إلى سعادة الآخرة وجنة الخلد فحسب، وإنما تعهد بالاهتمام بحياة المؤمنين الدنيوية ونظم علاقاتهم ومعيشتهم الاجتماعية بنظم وقوانين

(٧) لقد ألفت البعة الاستكشافية لأسباب تكتيكية وسياسية؛ غير أن الكتاب يعتمد على أخبار الراسيين إلى أفريقيا الوسطى الميزجيين في مصر.

دقيقة. وكانت المجتمعات الإسلامية الفتية منظمة تنظيماً شديداً، كما أنها شكلت، بالنسبة للخارج على الأقل، جبهة موحدة — وصارت بذلك سلاحاً قوياً تجاه شعوب كانت وهي في ذروة تطورها متأسكة تماسكاً ضعيفاً بفعل تقاليد قديمة، مما أدى إلى انهيارها أمام موجة الفتح الإسلامي.

وتحت الفتوحات الإسلامية بصورة عاصفة في شبلى أفريقيا التي اعتنقت دين الفاتحين بسرعة. وبلغ سلطان الفاطميين في القرن الماشر من فلسطين حتى المغرب الأقصى. أما في اتجاه الجنوب، نحو قلب أفريقيا، فقد كان تقدم الإسلام أبطأ بكثير. وظلت ممالك سونغاي وغانا وكام القديمة — كما ظلت غيرها أيضاً — في مأمن من التغيرات السياسية الجارية في شبلى أفريقيا، تحمياً صغار يصعب اختراقها. غير أن التجار والرحالة خلفوا شيئاً من الاتصال منذ القرن التاسع بين العرب في الشبلى والسكان السود في داخل القارة الأفريقية. ولكن الغزوات الحربية لم تبدأ إلا بظهور المرابطين. وكان هؤلاء من البربر القاطنين في الصحراء الكبرى من قبائل اللمتونه، التي انحلت توريد من عتف غزواتهم الحربية باسم الجهاد في سبيل الله وتحمت راية الدين الجديد. وأقام هؤلاء على امتداد الحدود الجنوبية للبحار التي فتحوها لدين الإسلام حصوناً وروابطاً<sup>(٨)</sup> عسكرية، كانوا يتدربون فيها تدريجاً دينياً وعسكرياً، وكانت تخضعهم كتوابع ينطلقون منها في غزواتهم للبلاد المجاورة.

وحتى أيام حياة بارت كان بعض العرب في هذه البقاع يتفاجئون بكونهم من نسل المرابطين، ويذكر بارت نفسه كيف أنه قابل عربياً زعم أنه سليل بربر اللمتونه المذكورين<sup>(٩)</sup>: «... وبعد ذلك قابلتنا فئة أخرى من المسافرين، كان بينهم رجل لمثني، وهو مغربي، مزيج من دم عربي وبربري من قبيلة اللمتونه القديمة، التي، بعد أن كانت في الماضي تشكل العنصر الرئيسي للمرابطين الأقبوا، استولت الآن في مجموعات صغيرة على شاطئ المحيط الأطلسي».

ويثيرنا بارت كذلك أن سلالة هذه القبيلة البربرية تعيش منفصلة عن بقية السكان، في أماكن سكنية خاصة. ويبلغ بارت أثناء زكوبه في الصحراء أحد «المرابطين» ويقول حول ذلك<sup>(١٠)</sup>: «وكان قد قطعنا ميلين في هذا

(٨) جمع (رابط) وهذا هو أصل تسميتهم.

(٩) R. L. A. ١، ٢٣٦.

(١٠) R. L. A. ١، ٣٥٢-٣٥٣.

الوادي عندما نزلنا في مكان فسيح مكشوف غامط بأشجار الأيسكا الخضراء. وكان يقع في الجانب الآخر من تين طرح عوده، وهي قرية المرابطين أو الأيسلمين، وهي تمتد في صف طويل على امتداد الهضاب المنخفضة عند بداية السلسلة الجبلية. وتآكلت القرية من حولى المائة منزل، وهي في الغالب أكواخ بنيت من الأصحاب وصعف التخييل، بينما لم يبق إلا القليل منها من الحجر. ورغم صغرها، إلا أن القرية هامة بالنسبة للمواصلات بين شمال أفريقيا ووسطها، تلك المواصلات التي لا تم إلا بحجة اعتبار أولئك الرجال العلماء للمتنبئين وذلك بأمان يثير الدهشة إذا ما اعتبرنا الطبيعة الوحشية للصومالية التي يمتاز بها سكان هذه البقاع... ورغم أن الأيسلمين يسمون أنفسهم «أقبياء ورعين»، إلا أنهم لم يجرؤوا أنفسهم من حاجات هذا العالم، بل على العكس من ذلك، فهم يحافظون على حياتهم ووجودهم بطموحهم، ومكائدهم وتصرفاتهم العامة بحيث يمارسون تأثيراً هاماً على أوضاع البلاد.

وفي مكان آخر يصف بارت خلف المرابطين المرعفين أولئك على الشكل التالي<sup>(١١)</sup>: «وكانت ثياب اغلب الرجال يضيء كذلك، ولكن أكثر صفة مميزة لم كانت أن كثيراً منهم كانوا يرتدون شعورهم في جداول طويلة. وهذه علامة على أنهم من الأيسلمين، أو المرابطين (أى الأولياء)، وهي صفة يذهبها لأنفسهم رغم عاداتهم البعيدة عن الصرامة والزمت. ورغم أنه لا ملوسة لهم، إلا أنهم فخورون بتنصيبهم معلماً في مسجدهم الذي لا حاجة به أن يكون فخماً عظيماً».

ولكن لنعد من النسل إلى المرابطين الاصليين في القرن العاشر الذين خضعت لنزولهم وما تلاها من غزوات بمالك سونغاي وغانا وكانم القديمة. واحتقن رعايا هذه الممالك الولائية العبيدة الجبلية - رسمياً على أى حال - سواء أتم ذلك بالاختيار أم بالقسر بالانتهازية. وتحصل على خير حولى ذلك في تاريخ البربر<sup>(١٢)</sup> لابن خلدون<sup>(١٣)</sup>. ويبحث بارت باهتمام وعناية كبيرين التاريخ المتحرك للممالك القديمة في السودان والثبت جداول إيجابية أدرجت فيها الأحداث التاريخية في السودان الغربي من أول أخبار المصادر التاريخية حتى العصر الحاضر بشكل واضح شامل. المصادر: واستخدم بارت كمصادر لتاريخ السودان القديم أعمال المؤرخين والجغرافيين العرب بالقدر الذي كانت

منشورة فيه في عصره. وهي مؤلفات ابن حوقل<sup>(١٤)</sup>، والبكري<sup>(١٥)</sup>، والإدريسي<sup>(١٦)</sup>، وابن بطوطة<sup>(١٧)</sup>، وابن سعيد<sup>(١٨)</sup>، والوزان الزياتي<sup>(١٩)</sup>.

وللى جانب هذه الأعمال المؤرخية فقد استخدم بارت كمصادر له مؤلفات وحولى القرن الرابع عشر<sup>(٢٠)</sup> إلا أنه لا يذكر المؤلفين ولا عنوان الكتب مع الأسف.

إن إبحاث بارت في تاريخ السودان ذات قيمة لا تقدر لأنها تعتمد إلى حد بعيد على مصادر مخطوطة لم تنشر بعد وكانت مجهولة في أوروبا تقريباً. وقد قام بارت بفحص النصوص ومقارنتها وبالتدقيق في صحة معلومات الجغرافيين العرب بتقديم افتراضات وتعليقات وتصويبات حيثما اعتقد بوجود تناقض أو اختلاف في المعلومات. أما هذه المخطوطات فهي ما سبق وذكرناه: «تاريخ السودان» و«تاريخ الزوقات» يجمع بعض مالى من الأبيات<sup>(٢١)</sup>، و«الاتفاق المسور في تاريخ بلاد تكرر»<sup>(٢٢)</sup>.

ولم تنص لبارت أثناء رحلته في أفريقيا إمكانية دراسة المخطوطات في جميع نقاطها. ولو أخذنا بنظر الاعتبار الظروف الصعبة التي أحاطت به لتمكن من لقاء النظر على هذه المخطوطات لدهشنا لاقتطافه منها وتقييمها بهذا التفصيل والوسع. وهنا ما يفسر أيضاً الأخطاء التي وقع فيها بارت بسبب إصراره في الاطلاع على المخطوطات، وهي الأخطاء التي ستعرض لها فيما بعد.

«لتاريخ السودان» - يكتب بارت فيما يكتب حول هذا المؤلف<sup>(٢٣)</sup>: «قبل سفرى في مناطق النيجر لم تكن تعرف أية معلومات تتعلق بتاريخ هذه البقاع الشسعة الهامة، باستثناء بعض الأوضاع المتفرقة القليلة التي جمعها الجغرافيون الانجليزى الرفيع العلم والحاذ النقد ويليام ديسبوروكولى William Desborough Cooley بكثير من النبوغ مما

(١٢) المتوفى في ١١٠٦/٨٠٨ - تاريخ الأدب العرب GAL، ٢٢، ٢٤٢.  
(١٣) القرن حولى ٩٩٧.  
(١٤) القرن ١١٨٧/١١٩٤، GAL، SI، ٨٧٥.  
(١٥) ١١٥٤/٥٤٨، GAL، XI، ٤٧٨.  
(١٦) القرن ١٣٧٩/٧٧٩، GAL، XII، ٢٥٦.  
(١٧) كما ورد في أعمال ابن خلدون المتوفى ١٣٣١/٧٣٢، GAL، II، ٤٤٤ وعند ابن خلدون؛ وعند القرطبي المتوفى ١١٤٢/٨٤٥، GAL، ٣٨، II.  
(١٨) المروف: «دول أفريقيا»؛ القرن حولى ١٥٥٠، GAL، II، ٧١٠؛ ويبحث بارت كثيراً في كتاب: «Description del P. Africa».

(٢٠) R. I. A.، I، ١٥.  
(٢١) قام بلشر C. E. J. Whittington في لندن عام ١٩٥١.  
(٢٢) R. I. A.، IV، ٤٤٤ وما تلاها.

(١١) R. I. A.، I، ٥٩٩.  
(١٢) نفس مصطلح من الترجمة القرطبية: Histoire des Berbères، Paris 1927، II، 110.

أوجزه واستفاه استاذي ومعلمي الممتاز كارل ريسر Karl Ritter من البكري، وتاريخ ابن خلدون، ورواية ليو الغامضة المشوشة عن الإيشيا الكبير ومن تلميح موجز جداً عن احتلال ملوأي أحمد الذهبي لتبوكو وجارو بما أوردته بعض الكتاب الاسيان<sup>(١٢)</sup>. ولكنني كنت محظوظاً جداً إذ سنحت لي فرصة الاطلاع على تاريخ مملكة سونرهأي الكامل ابتداء من أول آثار الوثائق التاريخية المسجلة حتى عام ١٦٤٠ من تاريخنا الميلادي. ولكن الظروف حالت لسوء الحظ دون حصولي على نسخة كاملة من هذه المخطوطة التي تشكل مجلداً من حجم رباعي ضخم، وكان يصعب قطع خلال الأيام القليلة التي اتحت لي للاطلاع على هذا المؤلف أثناء إقامتي في غاندر أن اقتطف نصوصاً قصيرة من فصول الكتاب التي بدت لي الأكثر أهمية من الناحيتين التاريخية والجغرافية.

وكما تذكر المعلومات الاجامية التي يدل بها حياه بلاد النيجر فان سجلات سونرهأي السنوية هذه قد ألغها رجل كبير المنصب اسمه أحمد بابا تحت عنوان: «تاريخ السودان»، كما يذكر اسم هذا الرجل في الكتاب بصيغة الغائب فقط. ويبدو وكأن يداً أخرى سجلت معلومات إضافية في الكتاب، ولكنني لا أستطيع الإدلاء برأي أكيد حول هذا، حيث لم يتسع الوقت لي لقراءة القسم الأخير من المؤلف بما يستحق من انتباه وعناية.

وفي مكان آخر يكتب بارت حول «تاريخ السودان»<sup>(١٣)</sup>:

وقد وجه انتباهي إلى هذا المؤلف التاريخي في بادئ الأمر صديق عبد القادر في سوكوتو ولكن دون أن يتمكن من اشباع فضولي. والآن امضيت ثلاثة أو أربعة أيام وأنا استمتع باقتطاف المعلومات والمقاطع التاريخية الهامة من هذا المؤلف، بحيث حصلت على فكرة جديدة تماماً حول التطور التاريخي للمناطق الممتدة على النيجر الأوسط، التي انجذب إليها بحوالي وكشفت أسفاري القباب عنها وأثارت في أعجب اهتمام حي. فقد أيقظ الكتاب أمام عيني وبخطوط واضحة جلية سطوة مملكة سونرهأي السابقة التي لم أكن أعرف شيئاً عنها في السابق، ولم أسف لنشئ أسنى لعدم توفر الوقت الكافي لدى لنسخ المخطوط بكامله، بحيث اكتفيت باقتطاف المقاطع التي بدت لي الأهم من الناحية الجغرافية والتاريخية دون أن أتمكن من اعارة الاهتمام الكافي للارتباط الخارجي بين هذه المقاطع.<sup>(١٤)</sup>

أما مؤلف هذا الكتاب فليس أحمد بابا<sup>(١٥)</sup>، كما اعتقد باوت خطأ<sup>(١٦)</sup>، وإنما تلميذه السعدي من تمبوكتو<sup>(١٧)</sup>. ويحتوي الكتاب اختياراً هامة عن شعوب السودان، السنغائي، والميللي والطوارق<sup>(١٨)</sup>.

تريين التورقيلت:— إن مؤلف هذا العمل هو عبد الله<sup>(١٩)</sup>، أخ غير شقيق للمصلح الكبير عياني بن فيديو. وبعد وفاة هذا عام ١٨١٧ واث عبد الله المناطق الغربية لمملكة فويليه. وتريين الوراقات هو موجز لتاريخ مناطق فويليه هذه. وعندما مكث بارت في ربيع عام ١٨٥٣ في سوكوتو وقعت بين يديه مخطوطة لهذا المؤلف. ويكتب حول ذلك<sup>(٢٠)</sup>: «وخلال هذه الفترة كلها كنت اقضي أوقات فراغي بقراءة نصوص مخطوط اتاح لي أول اطلاع على تاريخ الجزء الغربي من مناطق فلاني هذه. أما المؤلف فهو عبد الله، أخو عياني، للمصلح، الذي حصل على الجزء الغربي من المنطقة المتشعبة كتصيب له. ومع أن الكتاب<sup>(٢١)</sup>، الذي عنوانه «تريين الوراقات»، يحتوي بالإضافة إلى مادة دينية كثيرة، على بعض المعلومات التاريخية الهامة، إلا أنه لم يكن مطلقاً لأرواء ظمئي الشديد إلى المعرفة. وخلالاً لهذا القول، فإن المؤلف موجز تاريخي يعالج تاريخ مملكة القول سوكوتو منذ عام ١٧٨٤، بينما لا تلمح المادة البيئية فيه، كما يقول Brass<sup>(٢٢)</sup>، إلا دوراً ثانوياً مع الأسف.

**الاتصال الميسور:** — إن هذا المؤلف التاريخي الذي كتبه محمد ييللو، أحد أبناء عياني بن فيديو، كان قد نشر بصورة مقتطعات على يد A. V. Salame مع ترجمة انجليزية في كتاب Denham-Clapperton: «قصص الرحلات والاكتشافات في شالي ووسط أفريقيا، لنلد، ١٨٢٦، كملحق على الصفحة ١٦٦.

(١٦) المصدر به ١٦٦/١٦٦ - GAL، II، ٤٦٧ وما بعدها.  
(١٧) راجع: بيكر: Becker, Zur Geschichte des östlichen Sudan, Der Islam I, 106.

(١٨) ذيل التيجاج.  
(١٩) به أن نشر المخطوط على شكل مقتطعات، كما سبق وذكرنا، قام O. Houdas بالتعاون مع E. Benoit بنشر المجلد بكامله عام ١٨٩٨ (Paris, Publ. de l'Ecole des langues or. viv. مع ترجمته الفرنسية: Documents arab. rel. à l'histoire du Soudan II, ١٨٩٨، راجع ذلك GAL، II، ٤٦٨.

(٢٠) القري عام ١٨٢٩ - GAL، VII، ٨٩٤.  
(٢١) GAL، IV، ١٨٨.

(٢٢) قلن Brass A. المخطوطتين الموجودين في مكتبة خاصة ثم نشر وترجم أجزاء مقتطعة منها في مجلة Der Islam المجلد ١٠، الصفحات ٧٣-١ (١٩٢٠).

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٠.

(١٢) Cooley, Negroland of the Arabs, 1841.

(١٣) R. I. A., IV, ٢٠٢.

(١٤) المكان نفسه.



"Narrative of travels and discoveries in Northern and Central-Africa".

وقد اتبعت لبارت الفرصة في سؤكوتو أيضا لدراسة المؤلف بكامله. وهو يكسب حوله<sup>(٢١)</sup>: «بكثير من الجهد سمعت إلى الحصول على كتاب ييلو وعنوانه: «الإففاق الميسور في فتح بلاد التكرورو» وهو الكتاب الذي أوصاني به بكثير من التوكيد صديق القتيه عبد القادر في كتناء؛ ولكنه لم يصل إلى إلا قبل مفادتي المدينة يرضة أيام. وعندها وجدت أن القسم الأكبر من محتوياته الذي يحمل أهمية تاريخية أو جغرافية ينطبق على الوثائق التي أحضرها الكاتبين كلايرتون من رحلته الأولى والتي قام السيد سلام بترجمة جزء منها كملحن لقصة تلك الرحلة الهامة على الدوام».

ومن المخطوطات العربية فإن «تاريخ السودان» يعتبر أهمها جميعاً كصنعة لتاريخ شعوب السودان كما أن بارت قد اهتم بمعالجتها بتفصيل خاص.

واعتاداً على مؤلفات الجغرافيين والمؤرخين العرب تمكن بارت بوجه عام من تحديد موعد ومكان انتشار الإسلام في السودان على وجه الدقة. فشهد القرن التاسع ثبت أن الإسلام قد تنفصل في بعض مناطق السودان. ولم يتوقف تنفصل الإسلام في السودان حتى بعد ألف عام من هنا التاريخ. وتاريخ السودان زاخر بالحروب التقليدية والاضطرابات التي كانت تشتمل بشراة التعصب الديني. ويوجه عام يمكن القول بأن الإسلام اصطلمح معه تغيرات واضطرابات سياسية. ويصور بارت آخر ثورة دينية كبيرة أصبح شاهداً لتأثيراتها الثورية: وهي حركة عبان بن فودي الإصلاحية<sup>(٢٢)</sup>.

لقد أدى مطلب الجهاد في الإسلام إلى عيش سكان السودان الوثنيين في اضطراب دائم. وتؤيد انطباعات بارت، الذي عاش بين القسمين من السكان، هذا الرأي. وقد أيد الإسلام إقامة دول على أسس سياسية واجتماعية موحدة. إلا أن سكان السودان الوثنيين كانوا مقسمين إلى قبائل وعشائر صغيرة، كانت متخاصمة فيما بينها في الغالب بحيث لم تكن قادرة على مقاومة المسلمين. وكان هذا هو الموقف عندما ثارت قبلته في بداية القرن الماضي. ولكن قبل أن تتناول تاريخ السودان في القرن التاسع عشر، نود أن نذكر شيئاً حول التاريخ القديم كما سجل في تواريخ المؤلفين العرب.

(٢١) R. L. A., IV, ١٨٨.

(٢٢) R. L. A., IV, ١٥٢ وما بعدها.

ومن أقدم الممالك الإسلامية في السودان مملكة البورنو. ومن سجل بورنو التاريخي عرف بارت<sup>(٢٣)</sup>، أن أول ملك لهذه المملكة اعتنق الإسلام كان هوميه (أو أوميه)، ابن عبد الجليل. وقد حكم في الأعوام ما بين ١٠٨٦/٤٧٩ و١٠٩٧/٤٩٠. وباغتائه الإسلام قد أسس أسرة مملكة جديدة. وقد وجد بارت هذه الملاحظة عند الجغرافيين العربيين<sup>(٢٤)</sup>: «وكان أول ملوكهم الذي اعتنق الإسلام محمد بن جبل<sup>(٢٥)</sup> بن عبد الله بن عبان بن محمود بن أبي...، وهم يزعمون أنهم من سلالة سيف بن ذي يزن». ولما فقد افترض بارت — على خطأ طبعاً، كما يقول بيكر<sup>(٢٦)</sup> — أنه حدث اختلاط هنا بين أول سيف في الإسلام وملك بلالا الأول<sup>(٢٧)</sup>. والأغلب أن يكون محمد بن جبل هو هوميه (أو أوميه) بن عبد الجليل. ووفق ذلك فن التناقض أن يكون اسم والد أول ملك اعتنق الإسلام اسماً إسلامياً هو عبد الجليل.

وإن مملكة كانت، وهي في الأصل جزء من مملكة بورنو، كان لها كذلك منذ القدم سكان كثيرون كانوا مسلمين في الغالب<sup>(٢٨)</sup>.

ومن أقدم الممالك القديمة أيضاً مملكة سونغهاي حيث أن الكبرى يتحدث عن تقاليدھا الإسلامية<sup>(٢٩)</sup>. وحسب تاريخ السودان للسعدى فإن تاريخ الإسلام في مملكة سونغهاي يعود إلى بداية القرن الرابع الهجري/الحادي عشر الميلادي.

وقد تسرب الإسلام إلى السودان من اتجاهات مختلفة: فبالنسبة لغانا نقله المرابطون من قبيلة اللموتونه وغيرها من قبائل البربر<sup>(٣٠)</sup> من الشمال. وفي الممالك القديمة حول بحيرة تشاد يعمل كثيراً أن يكون الإسلام قد جاء من الشرق من نفس الطريق التي جاء منها البلو القادمين من جنوبي شبه الجزيرة العربية، كما جاء فيما بعد عبر مصر أيضاً من خلال طرق التجارة. وكانت الطريق إلى مكة تمر بمصر. وكما يذكر ابن خلدون<sup>(٣١)</sup> فإن مقق غانا اتخذ عام ١٣٩٣/٧٩٦ طريق الحج التي مرت بمصر

(٢٣) نفس المصدر، II، ٣٠٩.

(٢٤) Der Islam, Hamaker, specim. catalog. p. 206؛ راجع

(٢٥) ١٧١.

(٢٦) تل جبل... كذلك بارت II، ٢٨٩.

(٢٧) Der Islam، I، ١٧١.

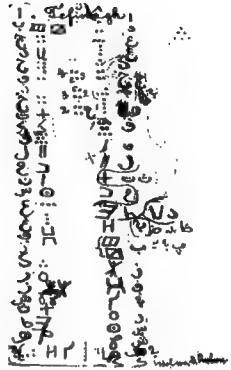
(٢٨) راجع بارت II، ٣٠٩.

(٢٩) Ibn Khaldoun, Histoire des Berbères II, 109, ١٥٩.

(٣٠) بارت، ١٧١، ١٤١٧.

(٣١) Ibn Khaldoun, Histoire des Berbères II, 6٤.

(٣٢) نفس المرجع ص (١١٠).



شريعة المدينة وماسينيا Mafneia، مركز الحكيمة في مملكة باريس، عام ١١٨٥٢ ◀  
 حل اليسار صورة تخطيطية كما رسمها بارت في يومياته ١١٨٥٢ على اليمين نسخة  
 مصممة مطبوعة منها كما نشرت في كتاب بارت حول سياحته.  
 حروف Toffinaght الطوارق في الصحراء الرملية كما رسمها هانزس بارت في يومياته  
 وقائسها بالحروف البربرية. وهذه اليوميات عطفة الآن في باريس.

إذ أن من دخل في الدين الاسلامي لا يمكن أن يتخذ  
 أو يصبح عبداً. وقد جلب الاسلام معه مستوى معيشياً  
 رفيعاً بحيث كان من هذه الناحية أيضاً جديراً باعتناقه.  
 وهناك امظة على أن سيرة بعض الرجال الشيعيين  
 بالقديسين اكسبت الدين الجديد كثيراً من الأنصار.  
 وكانت باغرى قبل القرن الحادى عشر المجرى/السابع  
 عشر الميلادى منطقة وثنية تماماً. وكما يقول بارت(١٧)  
 فإن انتشار الإسلام هنا تم بوجه خاص بفضل وشيخ  
 من شيوخ القبلا وقديس من ييد دبرى (قرية على مسافة  
 ٩ أميال شرقى ماسينيا) كان له، رغم انفراده وعزله،  
 تأثير كبير جداً في إدخال الإسلام إلى هذه البقاع.

وسيد الفضل في نشر الإسلام في مناطق واسعة إلى محمد  
 بن عبد الكريم بن مرحيل(١٨). ويسميه بارت رسول بلاد

قبل بلوغ مكة. وكانت هذه الطريق نفسها طريق الحج  
 المألوفة على زمن بارت أيضاً كما يؤكد لنا في كتابه.  
 وهكذا فبفضل فريضة الحج الدينية قامت بين السودان  
 ومصر صلة وتبادل دائمين لم يساعد على تطوير التجارة  
 بين البلدين فحسب، بل وأثر تأثيراً كبيراً على المستوى  
 الفكرى والثقافى لشعوب السودان الإسلامية. ونذكر  
 هذه الصلة القديمة بمصر، كما يذكر بارت(١٩)، من وضع  
 مدينة كوكو Gbgo، عاصمة سونغهاى، التى وكانت في المهدود  
 الماضية تتألف من حين منفصلين، أحدهما لميلة الأوثان  
 (على الشاطئ الغربى أو شاطئ كوربا) والحقى الملكى  
 أو الإسلامى (على الشاطئ الشرقى، باتجاه مصر، المكان  
 الذى جاء منه الاسلام وما صاحبه من مدينة)(٢٠).

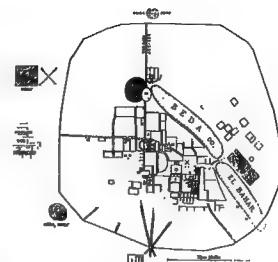
ولم ينتشر الاسلام في السودان بالثار والسيف.. بل  
 كثيراً ما كان من الأنفع لأهل البلاد أن يتحقروا الاسلام؛

(١٧) R. I. A., III, ٣٨٧.

(١٨) المرجع ١٥٣٢/٩٤٠.

(١٩) R. I. A., V, ٢١٨.

(٢٠) نفس المصدر، ص (٢٣٤).



- Plan der Stadt Khartoum.
1. Die Stadt, in dem Bild links, ist mit einem hohen Wall umgeben.
  2. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  3. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  4. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  5. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  6. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  7. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  8. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  9. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  10. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  11. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  12. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  13. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  14. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  15. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  16. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  17. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  18. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  19. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.
  20. Der Fildel, der Fildel, befindet sich in der Mitte.

الزنج الوسطى (١٩). وكان صليحاً للوسطى، من اعظم عباقرة الكتاب العرب واكبرهم تنوعاً في حقل الثقافة (٢٠). ويكتب بارت (٢١) أنه اطلع في تمبوكتو على رسالة طويلة من ابن مرجني يبالغ فيها مسائل دينية. ومن المؤسف ان بارت لا يقيدها بالزيد عن محتويات هذه الرسالة التي يقول إن لها أهمية بالغة بالنسبة لتاريخ الاسلام في السودان.

وكان ابن مرجني هو الذي أثر على ابراهيم مكي، ملك كاسينا، لاعتناق الاسلام (٢٢). وبعد ذلك بقليل دخل ملك وادى الاسلام أيضا (٢٣). وتنتهي مصادر بارت الأدبية مع «تاريخ السودان» عام ١٦٥٥. ولم يكن يعرف المصادر التالية التي يذكرها

A. Brass (٢٤). وكان على بارت أن يعتمد بمخصوص تاريخ السودان الحديث على الروايات الشفهية والانطباعات الشخصية. وتشهد في نهاية القرن الثامن عشر حركات وثورات دينية خطيرة النتائج. فبينما لاقى الاسلام في دولة لوكونه استقبالا قاتراً ومضطحيًا (٢٥)، أشعل الدين الجديد بين القبيلة في كوير (٢٦) وأداماوا (٢٧) تمصباً شديداً ملتهباً. وبعد مرور فترة قصيرة على بدء الحركة الوهابية الرشيدة في جنوبي الجزيرة العربية، هبت القبيلة، وعلمهم متأثرون بالاحداث الحارية في جنوبي الجزيرة العربية (٢٨). ولم يكن قد مضى على دخول الاسلام زمناً طويلاً حتى بدأوا

Der Islam X. (٢٤)  
 (٢٥) III, R. I. A. ٢٧٠.  
 (٢٦) نفس المرجع، IV, ٢٥٨.  
 (٢٧) نفس المرجع، V, ٦٢٤.  
 (٢٨) Hitti, History of the Arabs p. 741.

(١٩) IV, R. I. A. ٦٣٦.  
 (٢٠) ١٤٤٥/٨٤٩ - ١٥٠٥/٩١١, GAL, II, ١٤٢ وما بعدها.  
 (٢١) II, R. I. A. ٨٣ (ملاحظة ٢).  
 (٢٢) نفس المصدر، II, ٨٣.  
 (٢٣) نفس المصدر، III, ٨٥٠ وما بعدها.

وعند وصف فثاين يقول بارت: «لقد ظهرت أرى محتشم وذلك بارتقاء مربية من القماش القطنى المخطط حول أردافهما. ولا شك أن ذلك جرى بتأثير الإسلام»<sup>(٧٣)</sup>. وتعود هذه العادة فعلاً إلى تعليم إسلامى يوجب «على المكلف سرعته»<sup>(٧٤)</sup>.

### ٣- دراسات حول اللغة العربية فى السودان

لقد كان الإسلام واللغة العربية دوماً متصلين اتصالاً لا يمكن فهم أحدهما. وبما أن القرآن لا يجوز ترجمته إلى أية لغة أخرى - خوفاً من الله وكذلك حفاظاً لطهارة التفسير تجاه كلام الله المنزل - فقد أصبح إلزاماً على كل مسلم مؤمن أن يتعلم العربية إلى درجة تمكنه من فهم القرآن أو تلاوته على الأقل. ويكتب بارت عن القرآن<sup>(٧٥)</sup>: «من الموصوف أن إقامتى القصيرة لم تمكنى من مراقبة مستوى الثقافة بين هؤلاء المسلمين الثاينين، ومع ذلك فقد وجدت أثناء سفرى أن قراءة القرآن وبعض الكتب الرئيسية للإسلام<sup>(٧٦)</sup> ومعرفة جيدة للغة العربية المكتوبة منتشرة بين حلية القوم بينهم. وبطبيعة الحال فلا توجد مدارس هنا، ولكنه يوجد فى القرى الأكبر رجل فقير يتجه الشباب الذين يسعون للحصول على مزيد من المعرفة أكثر من مجرد ترداد بعض الصلوات، يتجهون إليه للقراءة والدرس على يديه، وكلما كان الانقراض إلى كتب أخرى أكبر كلما ازدادت حيوية استيلاء الكتاب المتيسر بين أيديهم بطبيعة الحال، ذلك الكتاب الذى يأخذ عليهم آلاهم بلغته الشعرية العظيمة».

وفى تمبوكتو اتبحت لبارت الفرصة لحضور تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام<sup>(٧٧)</sup>: «وخلال جزء من النهار قرأ الشيخ على تلاميذه مقاطع من حديث البخارى<sup>(٧٨)</sup>، بينما راح ابنه الصغير سيدى محمد يكرر دروسه من القرآن بصوت جهورى، وخلال المساء راح التلاميذ يجودون عدة سور من القرآن الكريم بصوت موسيقى حتى ساعات الليل المتأخرة».

وتحتوى ملاحظات بارت على إشارات هامة حول انتشار اللغة العربية آنذاك والتجديد المحلى للهجات المختلفة. وفى بعض مناطق السودان التى تكون غالبية سكانها

بنشرو بأذلين فى سبيل ذلك أقصى الجهد، حتى شنوا فيها بعد، عندما قويت شكيتهم، حروباً دينية دموية، فى سبيل ذلك. وكان الرجل الذى يرمي القريله، والذى فتح عهد مملكة للقريله، والذى اعتبره انصاره نبياً وخصومه مستبداً خفياً، هو المصلح عثمان بن فوديو<sup>(٧٩)</sup>. وقد أيد أسخوه عبد الله<sup>(٨٠)</sup> سياسته بمضجوع وثقان زالدين، واستمر ابنه محمد يبالو على تلك السياسة ولبت دعائهما بتطرف أشد واعتنف. وبعد أن قتل محمد ليو الإسلام المجدد المصلح إلى قبائل القريله التى تقطن على ضفاف النيجر الأعلى<sup>(٨١)</sup>، أصبح القريله بوجه عام طلائع المجاهدين فى سبيل الإسلام<sup>(٨٢)</sup>.

وقد شهد بارت هذه الأحداث وتأثيرها بصورة مباشرة، ولذا فإن كتابه (رحلات فى أفريقيا) "Reisen in Afrika" يعتبر مصدراً لا يقدر بثمن بالنسبة لتاريخ الإسلام الحديث فى السودان أيضاً. وكما كتبت روايات البكرى والوزان الزياتى (ليو أريكانوس)<sup>(٨٣)</sup> فإن للإسلام فى السودان جلوساً عميقة جداً فى بعض أجزائه ولكنها ليست عميقة. وكما ورد فى كتاب بارت أيضاً<sup>(٨٤)</sup>، فقد كان الإسلام فى عهده أيضاً تقليداً ظاهرياً فى بعض اللوجوء، ظلت العادات والصناعات الوثنية كاملة خفية. وهناك حاجة إلى مثل كتاب فيلهارز *Welhausen* «بقايا الوثنية العربية» *Reste Arabischen Heidentums* بمالغ المؤلف فى السودان. ويقدم بارت هنا عدداً كبيراً من الملاحظات تقع مهمة تسيقها وإيضاحها وتسترها على حائق المستشرقين. ونذكر فى هذا المجال مثلاً يشير إلى ضرورة إعزاء بعض ملاحظات بارت إلى أسبابها الدينية الشيولوجية الحقيقية: يوضح بارت بمثل<sup>(٨٥)</sup> وغرابة مبالغة سكان الصحراء المتحمدين هؤلاء فى اعتبار الحشمة الإسلامية. طعد التبول يتصلون على مسافة كبيرة من الطريق ويحسبون القرفصاء إلى الجانب ويغفرون جعراً صغيراً فى الأرض. «والحقيقة أن ليس فى الأمر حشمة ولا مبالغة وإنما التقييد بالتأبع مطلب إسلامى قديم يقول بأن مجلس المرء والقضاء حاجاته فلا يقضيا قائماً»<sup>(٨٦)</sup>.

(٧٣) ١٧٩٤-١٨١٧، R.L.A., IV ٢١٧ وما تلاها، GAL، ٨٩٤، ٨٩٤.

(٧٤) ١٨٢٩، R.L.A., IV ٢٥٨.

(٧٥) للس المرجع، II، ٢٠٨-٢٠٩.

(٧٦) للس المرجع، IV، ٤٢٤.

(٧٧) للس المرجع، II، ١٥١، III، ١٣٣، III، ٣٦٥.

(٧٨) R.L.A., I، ٢٩١، ملاحظة.

(٧٩) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، للقرام، ١٢٩٣/١٣٥٥، تم المبادات، ص (٢٥).

(٧٢) R.L.A., II، ٢٧٥/٢٧٦.

(٧٣) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، تم المبادات، ص (١١١).

(٧٤) R.L.A., II، ١١١/١١٢.

(٧٥) للس المرجع، IV، ٥٢٢.

(٧٦) ١٩٤-١٨١٠/٢٥٦، GAL، ١٥٧ وما تلاها.

معلمي السودان، وتحول كلمة «العقل» إلى "Lakal" والأخبار تصبح في لغة الماوسا "labar"، وفي لغة سونغهاي "laabar" (٨٢).

وهناك فئة متكاملة من الوجهة اللغوية بين عرب السودان وهي الشوا Schua، سكان بورنو العرب، ويكتب بارت (٨٤): «إن لهجته العربية متميزة جداً، فبينما تتخذ لنفسها صفة الصفء الأكثر بالقياس إلى اللهجة الشعبية الفاسدة في المغرب وذلك بالمحافظة على صيغ الأفعال الكثيرة، إلا أن لها طابعاً يلفت الانتباه في بادئ الأمر بالتشكيل الحاد للكلمات واستخدام عبارة «كوتش، كوتش» بمعنى «على الإطلاق» بصورة دائمة — وكذلك كلمة «يركتك» — بحيث يفسرون هذه العبارات خلف كل ثلاث كلمات بصورة تثير الضحك».

وتزداد معرفتنا لسكان السودان العرب في ذلك الزمن بوجه خاص بما نشره بارت من الشعر بالنص العربي مع الترجمة الألمانية في المجلد الرابع من كتابه «رحلات في إفريقيا» (٨٥). أما هذا الشعر قصيدتان لصديقه الشيخ البكاى، والقصيدة الأولى من بحر الخفيف، والثانية من بحر الطويل وكلاهما من بحور الشعر العربي القديم. ولا تعتمد القصيدتان الرثمان على فن الشعر العربي القديم من الناحية الشكلية فحسب، بل ومن ناحية الموضوع والأسلوب أيضاً — وهذا دليل على مدى تملك هؤلاء العرب الموزعين في الخارج بقضاياهم الثقافية وتراثهم الأدبي. وكانت درجة الثقافة بين العرب هنا متباينة بطبيعة الحال؛ ويذكر بارت (٨٦) كيف أن إحدى القصيدتين القيت بين يدي شيخ تمكلا وأتباعه ومدى التجاوب والصدى الذي حققته القصيدة لديهم رغم أنه لا يمكن أن يحكم عليها إلا من كان متمكناً من اللغة العربية، بينما لم يفهم القسم الأكبر من القوم كلمة واحدة منها.

لقد كان بارت غريباً حارفاً بالشعر العربي. ويتم أسلوبه الخاص عن ذلك. فبعد زيارته إلى أغاديس يصنف صورة هذه المدينة بما يلي (٨٧): «كانت العقبان تنظر بألم وشراسة من فتحات الأسوار الهوائية المحيطة بالمكان؛ وكأكان يلوفاها كانت تمانى من الافتقار إلى الطعام، لأنه، بعد أن خرج عدد كبير من سكان المدينة مع

من المسلمين استحوالت اللغة العربية إلى لغة عامة باستثناء استخدام اللغة القصيدة للأغراض الدينية. وفيما يتعلق بلهجة سكان أكادس يكتب بارت (٨٨): «إن التعامل مع البربر قد مارس تأثيراً كبيراً، بحيث افضلت من لغتهم كلمات كثيرة واندمجت في التمايز المحلية هنا، بينما يبدو أن العربية لم يكن لها تأثير كبير، فيها عدد اسماء العدد المحلية التي اخضعت ابتداء من «أربعة» فما فوق. ويظهر استخدام اسماء العدد العربية في بعض اللهجات المحلية مدى تأثير التجار العرب والدور الذي لعبوه في انتشار اللغة العربية. ويكتب بارت (٨٩) حول الكانورى، ولقد تخلوا عن كلماتهم المحلية التي تعني «مات» وهي «يرو» واخذوا يستخدمون الكلمة العربية فيه. (٩٠)

ومن الكلمات العربية التي نقلها تجار العرب المسافرون «ذراع» (٩١) و«خلق» (٩٢) و«دع» (٩٣) وغيرها من التمايز التي تمثل وسائل الدفع والمقايسة.

وباعتناق الإسلام فقد ازداد اهتمام القبيلة بالعربية. ويقول بارت (٩٤) إن بعضهم كان يفهم اللغة العربية المكتوبة جيداً. ولكنهم لم يكونوا قادرين على التحدث بها. ويكتب بارت الكلمات العربية في الغالب بالحروف الألمانية مما يساعدنا على الحصول على فكرة تقريبية عن الخصائص الصوتية للهجات العربية في السودان على عهد بارت. وحسب ذلك فقد كانت ثقافة العربية (ق) تلفظ كحرف (ك) أوجم غير المطبقة بالألمانية (٩٥)، بما يشبه لفظ «لو» بالجزيرة العربية. ومن الموصوف أن بارت لم يكن دقيقاً عند كتابة الكلمات بالحروف الألمانية في بعض الحالات.

ومن الأمثلة الموجودة في كتاب بارت ندرج خاصة مميزة من خصائص اللهجات العربية في السودان، وهي دمج (ال) التعريف مع الاسم المعروف بطريقة تسقط فيها الألف (ا) وتصبح اللام (ل) الحرف الأول للكلمة المعرفة. وهذا ما يحدث بالنسبة لقبيلة «الانصار» مثلاً التي تدعى لانسار Linsara. (٩٦) ويحدث الشيء نفسه كذلك بالنسبة لكلمة "Lecol" لول (٩٧). وهو اسم شخص عند

(٩٢) R. L. A. II, ٤٥٨.

(٩٣) R. L. A. IV, ٦٣، للاشارة.

(٩٤) نقلاً.

(٩٥) ذراع؛ نفس المرجع، II, ٥٣٦.

(٩٦) خلج، ج (علكان)؛ نفس المرجع، III, ٣٣٨.

(٩٧) نفس المرجع، IV, ٢٩٢.

(٩٨) نفس المرجع، II, ٥١٧.

(٩٩) نفس المرجع، IV, ٥٥٤.

(١٠٠) الانصار.

(٨٢) الأول

(٨٣) راجع Vincent Monteil, L'Islam Noir, ص ٢٢٧.

(٨٤) R. L. A. III, ١٢٥.

(٨٥) ص (٥٨٨) وما تلاها.

(٨٦) R. L. A. V, ٣٠٦.

(٨٧) نفس المرجع، I, ٤٩١.

«أم البركة» (III, 52) «أبو ديج» (شجرة ذات ثمر يشبه  
المشمش — III, 313)  
«البان» (Benzoin, III, 329)  
«المريب» (Tamarinde — III, 400)  
«حب الملوك» (III, 400) «المست» (Zen Mays).

لقد عرضنا حتى الآن مساهمة بارت في الدراسات الشرقية  
بإيجاز. ومن هذه الأمثلة بذكر المرء مدى معرفته الواسعة  
في مختلف حقول علم الاستشراق الذي كان لا يزال ناشئاً  
في ذلك الزمن. وبغض النظر عن بعض الاستثناءات  
فإن الاستشراق لم يزل ما يستحقه من اهتمام حتى الآن.  
ولعله كان ينبغي عن نفسه يتواضع صفة «المستشرق» كما كان  
يعتقد بأنه لا يصح أن يعتبر عالماً طبيعياً أو عالماً فلكياً (١٠).  
وفي الحقيقة فإنه يستحق هذه الصفة، وإن كان من الصعب  
تصنيفه داخل نظام علمي معين دون غيره. فقد كان  
بارت يمثل ذلك النوع من العلماء الذين لا يقسمون العلم  
إلى حقول خاصة وإنما يضعون العلم كله دوماً أمام  
أعينهم وقيمون الصلات بالأنظمة العلمية الأخرى — لقد  
كان عالماً كلياً متعدد المعارف (Polyhistor)، كما كان  
يعرفه عهد الرومانتيكية.

وكما هو الحال بالنسبة لكل علم، فإن الاستشراق مهدد  
كذلك بخطر الأحكام والآنزول عن بقية الأنظمة  
والحقول العلمية. فالسودان، مثلاً، ظل، بغض النظر عن  
التاريخ العربي، فترة طويلة على هامش الدراسات والأبحاث  
الاستشراقية. وحاول بارت منذ ذلك الحين مواجهة هذه  
العزلة، وذلك بنقله للأبحاث الاستشراقية من حدود الشرق  
إلى قارة جديدة، إلى عالم جديد، يحتاج إلى مزيد  
من التقصي والاستكشاف. ويجب أن تنطلق الأبحاث  
المقبلة في هذا المجال من عمل بارت العظيم (١١).

٤ — ملاحظات حول ما اقتطفه هاينرش بارت  
من مخطوطات المؤرخين العرب ودونه  
في كتاب يومياته

في أحد كتب يوميات الباحث هاينرش بارت الموجود حالياً  
في المكتبة الوطنية في باريس توجد بعض الصفحات  
المكتوبة باللغة العربية.

وتحتوي مقتطفات من كتابي «تاريخ السودان» لعبد الرحمن

الجيش، أصبح نصيبها من نفايات الطعام البري لحولاء  
السكان قليلاً يسيراً. ومن المحتمل كذلك أن بعض العقبان  
تبعث سكان المدينة؛ إذ أن هذه الحيوانات تدرك، عندما  
ترى جيشاً من الرجال المسلحين يخرجون إلى القتال،  
أنه سيكون لها من فئات الطعام هناك ما ستقتات به.  
وهذه صورة معروفة من الشعر الجاهلي، وحين يقرأها  
المرء لا يسعه إلا أن يذكر بيتاً من قصيدة مشهورة للشاعر  
الجاهلي الثابتة الدياني (١٨):

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم  
عصائب طير تهتدي بمصائب

لقد كان أدب سكان السودان من العرب أوسع وأغنى  
 مما تيسر لبارت الاطلاع عليه. ولم تحصل في أوروبا  
على معرفة دقيقة حول هذا الأدب إلا عندما وقعت  
مخطوطات ثمينة عام ١٨٩٤ بأيدي قوات الكولونيل  
وليفيا بعد اجتراح آرشينارد Archinard. وقد أصبحت هذه  
المجموعة الكبيرة اليوم ملكاً للمكتبة الوطنية في باريس.  
ويوجد بين هذه المخطوطات عدد من المؤلفات للمصلح  
عُثمان بن لوديوي، وابنه محمد بيلاو، وأخيه غير الشقيق  
عبد الله بن محمد والأمير الحاج عمر. وفي مقال نشره  
Georges Vajda بعنوان: «مساهمة في معرفة الأدب العربي  
في إفريقيا الغربية» (١٩) «Contribution à la connais-  
sance de la littérature arabe en Afrique Occi-  
dentale». أورد قائمة وشرحاً موجزاً لمخطوطات المؤلفين  
الذكوريين العربية الموجودة ضمن المجموعة.

وأخيراً فإننا نود أن نشير إلى التعابير الاختصاصية العربية  
الكثيرة من دنيا النبات في السودان والمنشرة في جميع  
فصول كتاب بارت. ومن يهتم بالنبات يعلم النباتات  
والعقاقير عند العرب سيجد معلومات قيمة في كتاب بارت.  
واود أن أذكر هنا بعض هذه الأسماء فقط: «الدوم»  
"Dum" (Cucifera Thebaica—Thebanpalm; I, 419);  
«الحسكيت» (Pennisetum distichum — "Chaskanit"  
I, 427)

«الهد» (I, 591) «حب البريز» (Erdnuss — II, 463)  
«الجاوى» (Benzoc-Gummi — II, 595)  
«بوركة» (Panicum colonum — III, 52)  
«شجرة الجمل» (Avena Forskalii — II, 52)

(١٨) حاش في النصف الثاني من القرن السادس — I, ٢٢.  
Journal de la Société des Africanistes, Paris, Tome XX, (١٩)  
Fascicle I, 229—237.

XVIII, I, R. I. A. (١٠)  
Becker, Der Islam, I, 177 راجع بيكر (١١)

بن عبد الله بن عمران بن حامر السعدي<sup>(١١)</sup> وكتاب «تزيين الورقات» لعبد الله بن يحيى بن قويدو. وبالمقارنة بكتابات عربية أخرى من خط بارت (كتابات هوداس و Houdas) فإننا لا نرى جلالاً للشك بأن المخطوطات من الكتابين المذكورين كتبت بخط بارت نفسه.

وتبلغ مساحة الصفحات المكتوبة ١٥ سم × ٨,٨ سم. أما الخط فهو مغربي. وتحتوي الصفحة الواحدة من النسخة المقتولة عن تاريخ السودان معدل ٣٦ سطراً، ومن النسخة المقتولة عن تزيين الورقات معدل ٢٨ سطراً.

وكان بارت يهدف إلى نشر هذه المقاطع من المخطوطين الغربيين بأسرع وقت ممكن في أوروبا، دون الانتظار حتى انتهاء رحلته الاستكشافية التي استغرقت عدة أعوام في أفريقيا الوسطى. وكان يرغبون المخطوطين بكاملهما بعد عودته. ولكنه لم يتمكن من ذلك لسوء الحظ، ومن المقطعين اللذين نسخهما على عجل في كتاب يومياته، لم ينشر، على حد علمي، إلا تاريخ السودان للسعدي. وقد أعطى بارت المقطع العربي المنسوخ إلى المستشرق G. Reiser، الذي نقله إلى الألمانية ونشره في المجلد التاسع من مجلة جمعية المستشرقين الألمانية Zeitschrift der Morgenländischen Gesellschaft<sup>(١٢)</sup>. وقد نشر الكتائبان الغربيان بكاملهما فيما بعد: تاريخ السودان، نشر O. Houdas بمبادرة E. Benoist<sup>(١٣)</sup>، وتزيين الورقات، نشر A. Bruns<sup>(١٤)</sup>.

لقد نالت الأبحاث الأفريقية بمقدار متساو بالنسبة للجغرافيا والمؤرخ والمستشرق، نالت دافماً جديداً بفضل أبحاث ونشاط بارت. وبينما ظلت صورة أفريقيا التاريخية حتى الآن على الشكل الذي بدت فيه في الأعمال التاريخية الكبيرة لابن خلدون وابن بطوطة وليو أفريكانوس، على سبيل المثال، فقد أدى «تاريخ السودان» إلى التعريف بفترات أخرى من تاريخ أفريقيا. ورغم أن بارت جاء بمقتطفات فقط، ولكنها كانت كافية لإعطاء دفحات جديدة للأبحاث الأفريقية ما زالت تتغذى عليها حتى اليوم.

<sup>(١٢)</sup> بركلان GAL, II, ١١٧.  
<sup>(١٣)</sup> „Beiträge zur Geschichte und Geographie des Sudan. Eingewandt von Dr. Barth,“ p. 518—594.  
<sup>(١٤)</sup> Paris 1898, Publications de l'Ecole des Langues Orientales Vivantes, Documents Arabes Relatifs à l'Histoire du Soudan, 326.  
<sup>(١٥)</sup> Der Islam, 1920, X, 1—73: Eine nette Quelle zur Geschichte des Reiches Sokoto.

ليس لمخطوطي بارت الذين وجدنا من جديد قيمة تاريخية فحسب: وإنما يقدمان سلسلة من المعلومات الثمينة والإضافات لإزاء المخطوطين اللذين اعتمد عليهما Houdas و Bruns فيما نشرهما. فالمخطوطان اللذان استخدماه بارت من جهة والآخران اللذان اعتمد عليهما Houdas و Bruns من جهة أخرى جاما من مصدري مختلفين. وبما يؤسف له أنه لا يارت ولا هوداس يعطيان مزيداً من التفاصيل عن أصل المخطوطات. أما المخطوطان اللذان اعتمد عليهما Bruns لكتابه المنشور فيعود أصلهما إلى حملة Frobenius الاستكشافية (١٥) وبمجموعة المنشورات السري Meier من لايبزغ (١٦). وتتفق بعض الافتراضات التي قدمها Bruns مع طريقة القراءة التي قدمها بارت فيما نسخه، بحيث تبدو هذه متعددة على أصل أفضل. وبعض الاختلافات في نص بارت هي أخطاء وقع فيها بارت بسبب السجلة الشديدة التي كان ينسخ بها، وبسبب الظروف الصعب الذي كان خاضعاً له أثناء ذلك.

يضم ما اقتطفه بارت من تاريخ السودان ٢٢ صفحة من كتاب يومياته، ثم يتوقف في منتصف الكتاب تماماً<sup>(١٧)</sup>. ويكتب بارت في نهاية عظمه في يومياته: «إنه غطيت بكثير من المعرفة المتخصصة»، إلا أنه يضيف عند اتصاله بالرقص<sup>(١٨)</sup>: «ولقد كانت رواية أنهار مملكة سوناري هذه محزنة بالنسبة لي إلى درجة توقفت عندها عن مواصلة النسخ».

وبما يؤخذ على ما نسخه بارت أنه كان يقطع في بعض المواضع دون ارتباط كاف. فكان يتوقف في وسط الجملة ثم يواصل النسخ من جديد، حيث كان الأمر يبدو له أكثر نفعاً وجدياً، دون أن يترك ما يشير إلى انتقاله من موضع إلى آخر. وبسبب جهله بالنص الكامل فقد كان يرقص مضطراً إلى تقديم ترجمة ناقصة جداً، كان يرصف الجمل في بعض المواضع دون أي ارتباط أو تسلسل.

أما مقطع بارت من كتاب تزيين الورقات فيضم ما يزيد على السبع صفحات من كتاب يومياته. ويبدو هنا مزيد من الدقة في الاختصاص، كما أن الخط أوضح منه في تاريخ السودان. وقد وضع هنا، كما وضع هناك أيضاً، خطأ تحت الأسماء العلم.

وتختلف المخطوطات التي اعتمد عليها بارت وبراس في بعض الأسماء بسبب كتابة الأسماء غير العربية بالحروف

<sup>(١٦)</sup> طبعة Houdas، ص ١٥٨، سطر ١٢.  
<sup>(١٧)</sup> DX، 594، ملاحظة 147.



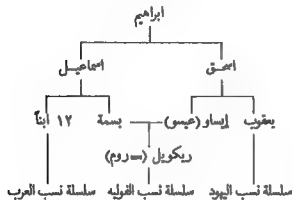
تمريئة من «كانو» Kano (نيجريا) ◀

تمريئة من «كانو» Kano (نيجريا)





لقد جعل المؤرخون العرب منذ القدم البطارقة اى ابراهيم واسماعيل على رأس تاريخ النسب العربي. ويظهر المثل أن القولية أيضاً اختلفت مع الإسلام عادة اشتقاق نسبهم من نظام النسب العربي التقليدى وذلك بخلاف سلسلة نسب وحمية.



وكما تظهر شجرة النسب، فإن تاريخ النسب العربي يمثل في القسم الاساسى منه التقاليد اليهودية الى استقى منها. واسم نسمة العربي (٢) الولاد عند بارت قد يكون محالاً لاسم نسمة اليهودى، حيث أن نقطة الباء قد تكون جعلت للثلاث خطأ. وقد يكون اسم عيس (٢) لى بارت كتابة خطأ ليس (Bassu).

وبالنسبة للمكان الذى جاء فيه وكان الروم اصفره فهناك ما يشبه ذلك لدى هشام بن محمد الكلبي (المثنى) عام ٨١٩ أو ٨٢١ ميلادية) وهو من ثقافة التاريخ والأنساب العربية القديمة. وقد أشار لها كتاب الأغاني لابي فرج الاصبهاني (المثنى ٩٦٧ ميلادية)، في المجلد ١٢، ص ١٥٠. فهناك يجرى الحديث عن رجلين، قيس بن حاصم، وعمر بن الاهم، كان الواحد منهما يهيم الآخر أمام النبي محمد بأنه ليس من أصل عربي. وهزم عمرو بن الاهم أنه (أى قيس) المحضر من صلب الروم؛ فقد كان أحمره. وفي هذا المثل يتضح التقليد اليهودى كأصل استندت عليه الحادثة: ففي كتاب التوراة باب ٢٥، جاء أن عيسو كان عمراً منذ الولادة. وبما أن أسماء الأولاد السامية تتغير كثيراً فمن الممكن اعتبار الأحمر والأصفر كتيمة لونية متأللة.

ترجمة: محمد على حشيشو

اللاتينية. فصول ج (E) يحلى في خطوط بارت بحرف (ق) العربي، وفي خطوط F و M اللتين استخدماه براس بحرف (غ) العربي (قوبر- غوبر). وفي كل من خطوط بارت و براس فإن النص يخلو من أبيات الشعر العربية المكتوبة بين فصول الكتاب، وكذلك من الشروح الخاصة بها. وفي مكان واحد فقط ينقل بارت شرحاً لأبيات لم يفسخها، ربما بسبب بعض الأسماء الجغرافية.

ويظهر النصان العربيان لدى براس من صفحة ٢٤ إلى ٢٦ بينما يظهران لدى بارت في نهاية المقطع. ويخلص بارت، باستثناء بعض المواضع، من المقاطع العربية التي نشرها براس على الصفحات ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣. وهي تشتمل في الغالب على معلومات حول تاريخ الإسلام في هذه الأجزاء من السودان وكانت بالنسبة لبارت، كما لاحظ هو، قليلة الأهمية.

وتبدأ خطوط بارت بتاريخ لب للقولية غير معروف حتى الآن يحل من روم، ابن إيساو، جد القولية الأصلي. ثم تنزل ذلك ملاحظات طريقة عن لغة القولية. وأقدم فيها يلى النص الذى لا يحويه خطوط F و M ولا (M)، أقدم بصورة مطابقة للأصل:

هم ثورديب الذين جاؤا من فوت وهم فيما نسع هم اخوان جميع الفلانيين ولغة الفلانيين. لنهم لأن حقبة بن عامر المجاهد الذى فتح بلاد الغرب زمان عمرو بن العاصي جد (٢) مصر وصل اليهم وهم قبيلة من قبائل الروم فأسلم ملكهم من غير قتال وتزوج حقبة ابنة ملكهم اسمها بيج مع غود الفلانيين جميعاً هذا ما تواتر عندنا واخذنا عن ثقافة الذين يخرجون من بلاد فوت اعنى العلماء فتكلموا بلغة أمهم ولم يعلموا لغة أبيهم فقللة من يتكلمه هناك في ذلك الوقت .... والأقرب أنهم تعلموا بلغة أمهم وليست لتورديب لغة أصلية غير تلك اللغة والله اعلم وتعلمت (٢) ان الروم هو بن عيس بن اسحق بن ابرهم عليهما السلام وامه نسمة بنت اسماعيل عليه السلام قال ذو النيسين في كتابه التنوير: ولد اسماعيل عليه السلام اثني عشر رجلاً وامراًة واحدة عن اولاده نشر الله العرب كلها فلما حضرته الوفاة اوصى الى اخيه اسحق ان يزوج ابنته نسمة من الميصر فزوجها منه فولدت له الروم وكان الروم اصغر فسميت بنوه بنا الاصفر....

# فريدريش روكرت

(١٧٨٨ - ١٨٦٦)

بقلم : الأستاذة أنكا ماري شيمل

وكان هذا الرأي جديداً مثيراً لمناقشات عنيفة بين اساتذة اللغة، ولكن العالم الشاب لم يرحب مدلولاً على اعتقاده هذا حتى انه بعد ذلك بسنوات طويلة أفاد برأيه في ان الروح الألمانية وحدها هي التي تمكن من استيعاب خزان الآداب الأجنبية طرأ، دون ان تضيق مع ذلك خصائصها اللغوية، مطها في ذلك مثل تقبل المرأة البلورية للالوان والأشكال بلا تضييق، ثم إذ بها تعكسها عكسا تاما بينما لا تزال بلورا صافيا ...

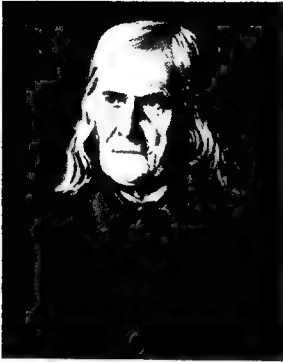
لم يجب روكرت الحياة الجامعية ولا التدريس ولذلك ترك جامعة يينا وعاش كشافح حر، وكان ذلك في زمان حروب الاستقلال في ألمانيا، فنظم قصائد دعى فيها قومه لمقاومة نابليون وما زالت بعض هذه الأشعار مشهورة حتى يومنا هذا نظرا لما تلخر به من حب الشاعر لوطنه ونفوره من المظلم الأجنبي ... وفي تلك الفترة قام روكرت بتأليف للمسرحيات، مستملا بعض مواضيعها من الأساطير الشرقية او حكايات ألف ليلة وليلة، ومع أنه كان لا يميل على الاطلاق تأليف الروايات التمثيلية، لاسيما وأنها كانت تخرج من بين يديه خالية من الحياة فقيرة إلى القيم الجمالية، فانه لم يرحب التأليف في هذا اللون الأدبي طويلا حيث دعى فيه ما دعى، فن مسرحية دعاها «نابليون» الى موضوعات مأخوذة عن التوراة والتاريخ الألماني. وكانت آخر تجربة له في مجال التمثيلية ملهمة عن التاريخ الأدنى القديم ...

سافر روكرت الشاب على عادة معاصريه الى ايطاليا حيث اقام هناك لمدة من الزمان ولكنه لم يكن شغوفا بهذه المملكة كما أننا لا نعرف في كتبه على آثار هذه السياسة الا في أشعار معدودة. ولكنه عند عودته الى الشلال زار مدينة فينا التي عاش فيها «يوسف فين هامر» - بورجستال - أستاذ اللغات الشرقية، وكان روكرت قد عزم على الالتحاق بالأكاديمية الاستشرافية في فينا، عندما أشرف على التاسعة عشرة من

توفي الشاعر المستشرق فريدريش روكرت Friedrich Rückert منذ قرن واحد، او على وجه التحديد في ٣١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٦٦. والحق اننا لسنا ندري أكانت عبقرية أكبر في مجال الشعر ام في مضمار اللغات الشرقية، ولعله مما يمت على الأسف ان هذا العالم القل لم يحظ بتقدير مواطنيه فما زال الشعب الألماني يجهل حتى الآن الكثير من أعماله في حقل الاستشراق، خاصة وأنه كان ذا باع طويل في ترجمة الآداب الشرقية الى الألمانية حتى أنه ليس من اليسير حصر كل ما ألف من أشعار وما ترجم من أعمال. ولقد أميل الشعب الألماني في القرن التاسع عشر على قراءة وترديد أشعار روكرت التي يجد فيها الأسرة؛ ومن اشهرها بعض الأبيات العلية التي كان يترنم بها الأطفال في ألمانيا الى يومنا هذا؛ كما ان لروكرت انتاج غزير من الأشعار الغرامية التي ألهم بعضها الموسيقار الموهوب «شوبرت» مما دفعه الى تصنيف ألمان لها. وعلى الرغم من ذلك لم يلوك الجمهور أن شاعره المصوب كان في الوقت نفسه مترجما عبقرى الإلهاب، بل أن يوجد مثله على مر العصور. ورغم كل هذا فأحيانا ما كان روكرت يشكو حاله بقوله :

لا يثير النفوس ما أوحى به أكمة الشعر...  
ولا يلفت العلماء الى ما ألقت في مضمار اللغات ...

ولد فريدريش روكرت سنة ١٧٨٨ من عائلة حاكم في مدينة «شفابنهورت» في شبالى بأفاريا، وكثيراً ما وصف في أشعاره البر والحقول والبساتين والغابات التي كان يلهو ويمس فيها وهو طفل. وعندما شب درس اليونانية واللاتينية في جامعة هايدلبرج وينا ودافع عن أطروحة في اللغات القديمة وفلسفة اللغة التي تقدم بها سنة ١٨١١؛ وقد انتهى في هذا البحث العلمي الى ان اللغة الألمانية تشتمل على إمكانيات سائر اللغات بأجمعها فتشكل بذلك اللغة المثلى التي في إمكانها ان تبنى خصائص كافة الألسن.



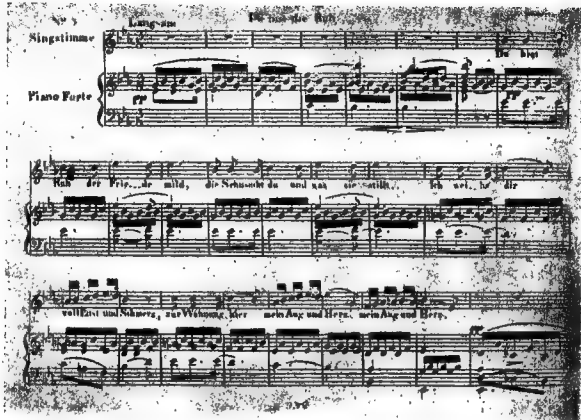
فريدرش روكرت في غريف عمره.



الشاعر فريدرش روكرت في شبابه  
لقد تم شكرنا لبيت حفيد روكرت، السيدة باربارا شوكس Barbara Schöck  
في كرفنار التي قسمت لنا هذه الصورة التي لم يسبق لشرا.

ولا كان دنطه كشاعر حر وعالم مستقل لم يكف لسد نفقات عائلته فقد اضطر لأن يبحث عن وظيفة معلم في مدرسة أو مدرّس جامعي على الرغم من أنه كان يكره تلقين اللروس. وبعد مدة عينته جامعة دارلاينجن في بافاريا الشمالية أستاذا للغات الشرقية مع أن بعض أعضاء ذلك المعهد العلمي كانوا قد رفضوا تعيين رجل اشتهر كشاعر ولم ينشر مؤلفا ما في قفه اللغة ولا في تاريخ الشرق ... ظل روكرت في هذا المنصب الى أن دعاه الملك البروسي الى جامعة برلين سنة ١٨٤١، وكان جد سعيدا باقامته في مدينة دارلاينجن وسط كتبه وبين عائلته، وقد ترجم في هذه السنوات قسما كبيرا من الأشعار العربية المشهورة، ومنها اشعار الحماسة لأي تمام بكاملها فضلا عن ترجماته عن الآداب الهندية والفارسية، وقد نظم آلاف الأشعار التي تلوح حول مجاربه اللغائية وبستانه الذي كان مغرما به وكل ما حدث في عائلته التي كان متغاليا في حبها (توجد له أكثر من مائة قصيدة قرضها في رثاء طفلين من أبنائه) كما نشر قصائد وحكايات منظومة استمد مواضيعها من كتب التاريخ الإسلامي. وقد جمع روكرت

عمره، ورد طلبه آنذاك لتجاوز السن القانوني للقبول. وهنا يتعلم روكرت أصول العربية والفارسية في أسابيع قليلة على يدي الأستاذ هامر - بورجستال الذي أهداه قبل مفارقتها شاتما وبضعة كتب. من هنا تبدأ حياة روكرت الفعلية التي تجمع بين فنون الشعر وعلوم اللغة .. وهكذا أقام العالم عدة سنوات في مدينة صغيرة مكبا على نسخ ما جاءه من الكتب والمخطوطات الشرقية والاقتباس عنها؛ فقد كان فقيرا لا يستطيع اتباع هذه الكتب الاستشرافية كلها، ومع أنه كان يشكركونه «ممزولا عن اسواق العلوم الشرقية» فقد وضع في تلك الفترة أساسا متينا لأفكاره المستقبلية، ولم يكف بنسخ الكتب بغاية الاجتهاد فحسب بل أضاف الى المتون ملاحظاته الشخصية وصحح أخطاءها كما ترجم ما استحسنته من كل المتون التي قرأها. وصاغ بقلمه أشعارا على نمط أسلوب الشاعر المتصوف مولانا جلال الدين الرومي، وأخرى تعكس روح المحافظ الشيوازي، وأخذ يترجم القسم الأكبر من القرآن الكريم؛ وعندما نشر «سيفسّر ده سامو» مقامات الحريري سنة ١٨٢٢ ترجمها روكرت ترجمة رائعة قريبة من الاعجاز ...



لغيد كلاته من تأليف الشاعر فريدريش روكرت (من ديوانه «بريد للشرق») وتلحين الموسيقى فرانس شويرت (المعنى عام ١٨٧٨)

التامل والملايا لام، والبربرية، والأناثوية، والقشندية،  
والسورية، والأرامائية والحبيشية، والقبطية ...  
وقد حكى احد ابناء روكرت أن أباه قد تعلم نحو الخمسين  
لغة. كما تلتين من مذكرات أولاده ومن أشعاره هو أن  
هذا العملاق كان إذا أراد درس لغة ما كرس لها نفسه  
لمدة لا تزيد على الستة أو الثمانية أسابيع بحيث لا يلفت  
في تلك الفترة الى أى لغة أخرى ويظل هكذا حتى يفهمها  
ويدرسها ويترجم عنها. وقد حدث ولده أن قسا  
سأله في شهر تموز (يوليو) أن يدرسه اللغة التاميلية - وهي  
من اللغات الهندية الجنوبية الصعبة - وكان الأستاذ يجهلها،  
ولكنه وعد الرجل أنه سوف يعلمه اللغة المذكورة في  
تشرين الثاني... ولم يوجد عند روكرت سوى انجيل  
مكتوب بالتاميلية ويضع ملاحظات قديمة لسانج اوروبى ..  
ووصف هو في شعر له كيف اجتهد بدراسة هذه اللغة  
«بسم الله» بحثا عن اسم «الله» الذى لا شك انه موجود  
في الانجيل، وبعد أن عثر على الاسم الذى سهل عليه فهم  
كل ما حوله في الفن من «السماوات والأرض» ... وهكذا

منها مجموعتين تحكيان على حكايات وأشعار حول الأحداث  
المهمة في تاريخ الاسلام، وعلى أجزاء من بعض رسائل  
الفلسفة والتصوف مصاغة كلها في لباس أشعار ألمانية  
رقيقة. ومن اطلع على هاتين المجموعتين الشعريتين وعنوانهما:

Sieben Bücher morgenländischer Sagen  
und Geschichten;  
Erbauliches und Beschauliches aus  
dem Morgenlande

وجد فيها مضمونا قويا في أبهى شكل وأبدع تصوير.  
كانت مكتبة روكرت شاملة على كتب في لغات بلا عدد،  
وقد وصفها الشاعر نفسه قائلا إنها تحوى مؤلفات باللغات  
التالية:-

اليونانية والألمانية واللاتينية والعقيلية والرومانية والقارسية  
والسانسكرينية والتركية والعربية ...

وزد على ذلك مراجع أخرى بالعبرية والكردية والأرمينية  
والبنشتر والقارسية القديمة، ولغات جنوبي الهندستان مثل



لودفيج ريختر : قصر ماينبرج . Schloss Mainberg.  
 كثيراً ما كان روكرت يزور أهل هذا القصر القريب من موطنه.

لفكر السادة المثقلين على أرنست فريديش روكرت ، بمدينة شفايفورت وسطية فرت بها تصريحا لنا بنشر هذه الصورة.

راجيا ان يمتنع الطلاب عن الاشتراك في الدروس بعد أن جعل موعده قبل طلوع الشمس.  
 وكان لدى روكرت خاصية أخرى ألا وهي أنه لم يبن بأشكال الكلمات على ما ينبغي بل كان يقرأ بعضها ملحنا في التلفظ بها ، وكان في شيخوته قد نسي النطق الصحيح لعدد من الكلمات مع أنه كان يحفظها عن ظهر قلب  
 ومجيد كتابتها. ذلك أنه لم يسافر قط إلى بلاد الشرق ولم يشاهد رجلا من العرب أو الفرس أو الهنود طوال عمره ، وكان تعلمه قاصرا على الكتب وحدها ... وأهم روكرت بالدراسات اللغوية المقارنة كما هم بتأليف كتاب عن النحو المقارن للغات السامية حتى أنه قد نجاسر على المقارنة بين اللغات السامية والإنلوجرمانية إلا أنه لم ينشر محصول بحثه ولم نر نحن مشر المستشرقين في هذه الأبحاث فائدة علمية ، بل نعتبرها ثمارا لشطحات الخيال الرومانتيكي.  
 اما روكرت فكان هدفه الأعلى من هذه البحوث غير علمي وهو البرهنة على أن اللغات كلها فروع من أصل واحد وأنه من عرف الكثير منها وجد مفتاحا إلى قلوب الناس

تلم التأملية واستطاع ان يعلمها في تشرين الثاني ...  
 وكان روكرت كلما درس لغة جديدة عاش فيها حتى أنه كان يتكلم بها في أحلامه على ما وصف هذا الحال في آياته.

ولكنه من الغريب انه لم يكن معلما موهوبا فقد قصر عن فهم ما اعرض لتأملته من المشكلات ، وحكى أحدهم وهو يهاول ده لاجارده أن روكرت لم يكن يدرس على الطريقة المروطة التي تنبع إلى توضيح المسائل من الوجهة اللغوية والنحوية كما كان لا يهتم بفقه اللغة كعلم مستقل ، ولم يلتزم بطلته كما يبيت للأطفال عند بدء تعلمهم اللسان .. وبذلك كان يأخذ بيد التلميذ إلى قلب اللغة ليتعرف على أسرارها وتوافق العبارات فيها وتشابك الكلمات. وأحيانا كان يترجم الشعر العربي أو الفارسي الذي قرأه على طلبته أرباعا في شكل منظوم .. وسعى روكرت إلى الحد من عدد ساعات محاضراته على قدر الامكان ، حتى أنه أحيانا ما عين ميقات بدء دروسه الجامعية في السادسة صباحا (11)

فأقام وكرت لمدة سبع سنوات، ثم عاد متقاعدًا إلى موطنه البازري عام ١٨٤٨، وعاش هناك وسط كبت في داره المخاطة بالباشيين إلى أن فاضت روحه في ٣١ يناير ١٨٦٦.

قال روكرت واصفاً موهبته الخاصة أنه أحب اللغات في حد ذاتها وأنه يحب ويسر باللغة كلفة؛ ولا نجد في الغرب شاعراً أقرب منه إلى روح الشرق. كما كان له استعداد فائق للتصير عن المفاهيم والمعاني، ومع تبحره في اللغات الشرقية كان ولوعاً باللغة الألمانية التي تعمق فيها حتى ألم باشتقاقها الغائية؛ كما وضع ألفاظاً لكل من الكلمات العربية أو الهندية التي لم يوجد مقابلاً لها بالألمانية. وقال فيه أحد فقهاء اللغة ولو أن اللغة لم تكن موجودة في عصره لصارت لروكرت اليد الطولى في إيجادها وتشكيلها.

ومن الغريب أن روكرت لم يأت بالترجمة المثورة، ولكنه كلما قرأ بيتاً أو قطعة مسجحة ترجمها في الحال نظماً أو ميمياً، ونشر لذلك على تراجمه المنظومة في وسط المتن التحوية. وهو يطلق على ذلك بقوله :

وإن صنعة الترجمة هي أن ترى كيف تبدل أرواح المعاني في أغواب الكلمات.

وهو لم يعبر عن فكرة واحدة له بشكل مثور بل اعترف قائلاً :  
وإن الدنيا ليست عندي إلا مادة للشعر ...

وكان فكره وشعره شيئاً واحداً، فلم يفكر إلا وهو ينظم حتى وصف أبسط أحداث حياته في شكل رشيقي، ومن ذلك أنه ألف ٣٨ قصيدة في حدث غير هام ألا وهو سقوط الثلج في أحد أيام نيسان وهو أمر نادر الحدوث في ألمانيا ...

ومن أقواله : «إن الدنيا تنعكس في بلور الشعر وتنبج به»، ولذلك لم يرحب بترجم أبياته إلى أن انتقل إلى رحمة الله.

ومن الطبيعي أن هذه الغنائية غير المحدودة انتجت أحياناً عديدة لا قيمة لها، وكثيراً ما ترجم هذا المستشرق النحل بيتاً واحداً مرتين أو أكثر يعنى ذلك يسخر من نفسه بقوله :

... وإن ولد أشتامرى

هو عدم المحافظة

وأما هي النسيان ...

وكانت موهبه الشعرية مشابة لموهبة شعراء الشرق إذ كان يجب اللعب اللفظي كما كان يرى

وأن اللغة في بدايتها كانت لعباً بالكلمات والمعاني

فدعنا نلعب نحن أيضاً بها ...

## Ermutigung zur Uebersetzung der Hainfe

(1822)

Die Worte in allen ihren Tungen  
ist dem Gewebten eine Sprache nur,  
Die Sprache, die im Gewebten erklingt,  
ist sie verhallt auf der wilden Flur.  
Doch wo sie nun noch sei hervorzuheben,  
denn ihrem Ursprung folgt sie noch die Spur:  
Nad ob sie dumpf im Waldesgrünlein stehet,  
ist sich auch hier des Hainfes Klang.

Die Worte hat hier ein daffiges Leben,  
bei höchsten Gebirgen im zuckenden Schall,  
mit Blitzen und Schallknallen umgeben,  
mit Hainfes Klang gefüllt den Hainfes Schall.  
Weshalb, verleiht ein selbstständiges Leben  
durchs Gedächtnis von Sprache und Hainfes Schall:  
Und in der Schlingengrünlein stehet selbst  
die Spur noch der Hainfes Schall.

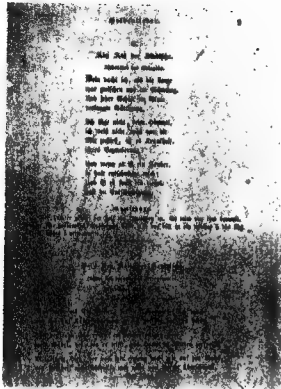
صيفة الله فيها وكرت قصيدة موسية صدر بها ترجمته الألمانية لكتاب الحامسة.

واستطاع ادراك الوحدة الأصلية للشعرية، تلك الوحدة الكامنة تحت ستار اللهجات المختلفة؛ وكان مقتضا بأن اللغات لا تعدو في مختلف أشكالها أن تكون إفصاحاً عن الروح الإلهية المطلقة (الواحدة) التي تنعكس فيها على وجه ثلاثي : في القرب السامي للغات وفي القرب الاندوجرماني وأما القرب الثالث فيشتمل على كل ما تبقى من الألسنة، من الصينية إلى لهجات القوقازيين. ولا شك إن هذه الأفكار لا أساس لها من الواقع ولكنها بنت التخيلات التي كانت سائدة في ذلك العصر في ألمانيا، ومع ذلك فهي تدل على مقصد روكرت الأسسى وهذه الأعلى وهو أن يثبت بواسطة بحثه العلمية وترجمته الشعرية عن اللغات الأجنبية وحدة الإحساس عند كافة الأقسام، وأن يبرهن بذلك على أن المشرق هو هو في الأقاليم السبعة وفي قديم الزمان وحديثه ولذلك كتب عند ترجمته لأشعار «الحامسة» أبياته المعجبة القائلة :

إن الشرقي في اللغات جميعها

لغة واحدة لدى العربيين ...

كل ذلك وهو أستاذ في جامعة إرلانجن. أما في برلين



ذكرتكم والتمنى ينظر بينا  
وقد تهلته من اللقطة الشمع  
فأفكر ما ادرى وإلى لصادق  
أداه عرائ من حياك لم يحتر  
فإن كان مبرحاً فلتدري على المرحى  
وإن كان داه غيرته فلكر الملاح

قال لاهم إن ليس الكفاي

وقالهم في غيلان الموت مشتت  
إذا نأى كل مكروفر متدحفا  
تحتهم في جلاء بالسة  
متفجأ أصاب سواه قراس فالتفتنا  
بغربة لم تكن مري متالسة  
ولا تملكها جيتا ولا فرسا

صيلة من ترجمة روكوت كتاب الحلمة، تحوى حل قصيدتين مريتين حيث يرى القارئ ان المترجم قد وفى كل النطق في مختلفه حل روح النص حتى انه ابدع في محاكاة بحر الهيد في ترجمة.

لم يكن روكوت شاعرا وروائيكيا يلوب في غرام لانهاى  
او يريده الحصول على الكواكب اللرية لينثرها تحت قلقى  
مشوقته بل كانت فني الشعر في اعتقاده لعبا روحانيا  
ظرفا بديما حتى انه يقول في بعض آياته :  
والشاعر مثله كالبهلوان يمشى على حبال الكلام...  
وان هذا الاستعداد الاكروباى هو الذى مكنته من ترجمته  
الناقة الى لا شيه ما في الدنيا بأسرها .  
والآن فلنجمع أطراف فعالية روكوت في حوزة الآداب  
الفارسية والمريية ولنذكر ترجمته من اللغات الهندية وإن  
كان عددها أكبر من ترجمته كلها عن اللغات الإسلامية،  
فهى نمد بالآف. ولا نذكر كملك آياته المأخوذة من ترجمة  
لاتينية للأشعار الصينية القديمة ..  
وصفت روكوت الشعر العربى والفارسى بأنهما مشوقاه  
البحيلتان وفي الحقيقة أنه كان لهما عاشقا صادقا من أول  
حياته الى آخرها إ كان أول ما نشره روكوت في حوزة  
الاستشراف بمجموعة صغيرة سماها «من ديوان مولانا جلال  
الدين الرومي» (١٨١٩) وأدخل في هذه الأشعار النفيسة  
طرز الغزل في الآداب الألمانية، ولم يكن الشعراء الاوروبيون



«تاريخ الآداب القارصية» وكان قد اعطاه لتعليمه هذا أثناء إقامته في فينا. ومع ذلك تمكس أشعار روكرت روح مولانا الروي بكال الصداقة لم تزل تتميز بأجل مرارة في الغرب لأنكار هذا الصنف العظيم وإن كان الكثير من المستشرقين وغيرهم من أهل العلم قد قاموا بترجمة بعض آثاره. وكان روكرت على حق إذ أشار في أول هذه الفزليات إلى معشوق مولانا جلال الدين وهو شمس الدين التبريزي المذكور اسمه في كل من أشعار الروي :

«النور في المشرق، وأنا في المغرب  
مثل جبل ينعكس على ذوقه الضياء  
إنني القمر الأشهب لشمس الجمال  
فاصرف عني النظر، وانظر إلى وجه الشمس ...»

وقد حنى روكرت في الوقت نفسه بأشعار حافظ الشيرازي وكان إذ ذاك تأثير حافظ على شاعرنا جوه قد أتى بثمرة بدئية تمثلت في ديوانه «الغربي - الشرقي». ويصعد المستشرق الشاعر كذلك إلى تأليف رسالة شعرية في هذا الطرز إلا أنه علق أهمية كبرى على انحصار القصائد الجمالية في الأسلوب القارصي حتى أنه قام بتقليد الجناس والحب القفطي وكتب إلى ناشر كتبه قائلا :

«لله من استوعب الروح الموجودة في أشعار جوه والشكل الظاهري في مؤلفي هذا وأضاف إلى هذين الجوهريين الكتلة الجسمانية كما توجد في آثار هاجر عسى أن يستطيع ادراك ماهية الشعر القارصي دين أن يعرف القارصية.»

وكان كتيب روكرت المدعو «ورد شرقية» (صدر سنة ١٨٢١، Östliche Reven) يتحدث على أشعار رائعة البهاء يد أن الشاعر كان يستعمل فيها ألعاب لفظية وقواف غير مألوقة، ورغم ذلك فإن القارئ الألماني لا يستغرب هذا الطرز بل أنه يهيج لحسن الإيقاع وسهولة النغمات، وليس من العجيب أن جوه الذي - مع كل ميله إلى حافظ الشيرازي - لم يستحسن تقليد الغربيين للأشكال الشرقية كان قد أصبح أهل الموسيقى أن يعضوا ألحانا لهذه الأبيات التي تبث على النغماء ... بعد نشر كتابه هذا بأربع سنوات طبع روكرت بعض تراجمه لأرباعيات حافظ، واستنسخ من ديوانه كله، ونظم من عدة أبيات في دفتر المسمى «بهيوات شاعرية» أن الشاعر القريد الإيراني لم يزل صديقه الرواحي حتى في شيخوخته، ولكن لم يكن أحد من زملائه على علم أن روكرت كان قد ترجم قسمًا

غير صغير من ديوان حافظ إلى أن نشر تلميذ له وهو «لاجارده» الآتف ذكره سنة ١٨٧٧ (أي إحدى عشر سنة بعد وفاة أستاذه) ٤٢ من الفزليات ورويا من الرأه إلى الياء و ٢٨ رباعيا كان روكرت قد أعدها إياه سنة ١٨٤٧، وقد عثر الدكتور «كراينبورج» Kreyenborg على بواقي هذه الترجمة يعي ٨٥ شعرا رويها من الألف إلى اللال، ونشرها سنة ١٩٢٦، وتعتبر هذه الترجمة قمة في الصدق والروعة والجمال وليتها جمعت في ديوان واحد بدلًا من كونها الآن متناثرة يصعب العثور عليها في المكتبات ...

كانت عادة روكرت أنه إذا اشتغل بأثار شاعر قام أولًا بنظم شعر مستقل ملهم من أفكار الأديب الشرق ثم تعهد بترجمة حقيقية صادقة لكلمات الأصل وكلًا لروحه. نشاهد هذه العادة أيضًا في معاملته للقروصى الشاعر الجليل الإيراني. كان «لويسدن» أحد المستشرقين الإنكليز قد نشر من الأسطورة المنظومة «شاه نامه» أي كتاب الملوك سنة ١٨١١، ورأى فيها الأديب الألماني «جورس» Göres المادة كاملة عن إحساسه الرومانتيكي فحكى قصص «شاه نامه» في شكل مثبور ونشر كتابه الذي لا قيمة له من الوجهة العلمية سنة ١٨٢٠. أما روكرت فحقق من هذا المؤلف الضخم ذى الستين ألف بيت من الشعر ورغب في نشره، ولكنه قد سبقه في هذا المضمار المستشرق الفرنسي «مول» Mohl إلا أن روكرت قد انتقد هذه الطبعة المليئة بالأخطاء انتقادًا شديدًا، الأمر الذي نستدل من كل تعمقه في هذه المادة، ومن بين تراثه العلمي آلاف الأوراق الحاسوبية على حواش وملاحظات خاصة بأسلوب «شاه نامه» ولغته.

ألف روكرت عند أول اطلاعه على هذا الكتاب ألفصومة منظومة تعالج قتال رستم وسهراب وهي المقطورة الشهيرة في «شاه نامه» حيث يروى فيها الشاعر كيف قاتل الوالد ولده دين أن يعرف أحدهما الآخر. واعتبر روكرت نظمها هذا أحسن شعر ألقه رأى أنه جدير بأن يهدي إلى روح جوه ... لكن القراء الألمان لم يهتموا بهذا المؤلف الحزين، ولم يشعر أحد بأن روكرت في الوقت نفسه قد قام بترجمة كاملة لشاه نامه بأسره ... وظلت هذه الترجمة العظيمة المنظومة التي لا تخلو من فائدة تحموية ولغوية كما أنها ذات روعة جمالية بتقليدها للأسلوب الشعري الألماني القديم غضية وراء أوراق الشاعر حتى أنها لم تطبع إلا بعد ٣٠ سنة من وفاته ...

ولا غرو أن يلتفت روكرت إلى الشاعر الإيراني الذي كان واسع الشهرة حتى في الغرب منذ ثلاثة قرنين وهو الشيخ

سعدى الشيرازى الذى ترجم كتابه المشهور بعنوان «كلستان» (روضة الورد) السائح الألمانى آدم «اوليارويس» سنة ١٦٥٣، والذى قدر شعره الغرب وادبائه أشعاره الأخلاقية غاية التقدير. وكثيرا ما تصادف في أشعار روكرت بعض الاشارات لأفكار الشيخ سعدى لأنه كان يحب التصبى في لباس شعرى... ولكن اشتغاله العلمى يأتنا هذا الأدب لم يبتدىء الا بعد رجوعه من جامعة برلين متقادعا، اى سنة ١٨٤٨ او ١٨٤٩. ولكنه فاته الفرصة لنشر ترجمته وشكى ان مؤلفه الكامل يسره الغبار... وكان من سوء حظله انه كان قد طبع في هذه السنوات عدد من تراجم جديدة جميلة ولو كانت غير علمية لأشعار سعدى ورسائله، اما مترجمات روكرت فظلت مجهولة لم تمثل الطبع الا بعد عام ١٨٩٠، وهى مقطوعات من كلستان، وترجمة منظومة جميلة لنشر «بوستان» وعدد جدير بالذكر من «صاحبنامه» والملاحع والمراثى ودويانه الحافل بالمواشى التاريخية المفيدة، لأن المترجم قد عرف أن القارئ الغربى لا يستطيع فهم الإيماءات والتلميحات دون معرفة الوضع السياسى فى القرن الثالث عشر.

وكان روكرت قد حشر على ديوان مولانا جامى (المتوفى عام ١٤٩٥) سنة ١٨٣١ واستنسخ منه عددا لا يسهان به من الأبيات بعد أن نقل بعض الأساطير الصينية للشاعر المروى فيها قبل. ووجد في أبيات هذا الشاعر ظرافة بديعة وشفافة طريفة تتوافق واستعداده هو، ولذلك نشر ترجمته لها في مجلة جمعية المستشرقين الألمان، ويحس القارئ أنه قد بلغ جهده في تقليد أصعب تشكلات الأسلوب فى إيجاد رموز غير معروفة وتلميحات غير مألوفة، كما صبر عن مقصده في الشعر الذى أضافه الى ترجمته هذه :

«إننى قد اصطلدت غزال المسك الذى علفته الرائحة فى مروج إيران، فأحضره فى زناجير الايقاع الوطنى وسلاسل الألحان المستأنسة لأعرضه هناء.

توجد في تراجم روكرت أبياء شعره فارسىين أخرى، مثل نظائى التى نشر مستشرقنا بعض الايوب من «إسكندرنامه» في شكل منظوم، ثم مقطوعات من آثار فريد الدين عطار، وقصيدة لأنورى، ونسج رباعيات لمرغىام، وهو لم يهمل الشعر الشعبي الفارسى. وكل ما ترجمه قريب من الأصل فى الايقاع وفى الكلمات الا أن الترجمة أحيانا ما كانت تضيف الأصل جمالا وعلوية.

والكتاب الوحيد الذى نقله شاعرنا المبقرى مثورا هو كتاب في علم المعاني، اى دفتر السابع لـ «هفت قلزم» (البحور السبعة) الذى كان قد طبع في لكهنؤ في الهند سنة ١٨٢١، ودعا هامر - بورجستال تلميذه السابق للاشتغال بهذا المصنف المختصر على كل الفنون من البديع والمعميات وما يخص به الشعر الفارسى وبالأخص السبك الهندى من المشكلات اللغوية. وكان هذا العمل متفقا واستعداد روكرت «الأوروبانى» للعب بالألفاظ وصارت ترجمته هذه مع حواشيا والإيضاحات الطويلة مرجعا قويا لكل من أراد فهم البلاغة الفارسية على ما ينبغي. ونشاهد في هذا المصنف أن لوكرت موهبة خاصة لإيضاح مسائل معقدة في أسلوب خفيف مزين بمبارات باسماء وتلميحات فكهة، وإن اطلعنا عليها زاندا أسفا أن روكرت لم يجمع معلوماته الفاتقة في مفاهيم الآداب الشرقية في تصنيف يشتمل على تاريخ الآداب من الوجهة الجمالية.

هذا ما ورثناه في مضمار الآداب الفارسية من فريدرش روكرت الذى لا مثيل له في فن الترجمة المنظومة لا في عصره ولا في أيامنا هذه... أما ترجمته عن اللغة العربية، وإن كان قسم مهم منها يكاد أن يكون مجهولا حتى لدى المتخصصين، فلهى أكل من عمله المذكور أعجب، فإن الترجمة عن الفارسية سهلة على الألمان نسبيا من الترجمة عن العربية.

كان روكرت أثناء دراسته خاصة في أوائل أمره يشتغل بدراسة القرآن الكريم، وقد نشر بعض أبياته في ترجمة جميلة في إحدى المجموعات الأدبية الألمانية سنة ١٨٢٤. وكان يسمى عام ١٨٤٢ الى طبع الترجمة بأسرها ولم يبق في ذلك وهكذا بقيت على حالها حتى نشرها المستشرق «الوجوست مولر» بعد وفاة المترجم بائى وعشرين سنة؛ وقد ذكر في مقدمته أنه لا يوجد في الدنيا من استطاع القيام بترجمة مساوية لتصنيف روكرت هذا، مع أن شاعرنا لم ينقل من كتاب الله بتمامه بل اكتفى بترجمة نحو ثلاثة أرباعه، وحافظ في الصياغة الألمانية على الأسلوب الخاص للقرآن الى حد ما وإن لم يتبع النص الأصل كلمة بكلمة، ويقال بلا مبالاة: أن هذه الترجمة أقرب الى الجمال الإحصائى لألفاظ القرآن من كل التراجم التى صدرت في أوروبا. وبجانب ذلك انتخب الشاعر وضع أبيات وصفت منها أشعارا وأمثالا وأبياتا ألمانية.

صيفة من ضلطة ترجمة روكرت للقرآن (سورة البقرة).  
هى عنقوة في مجلوت مدينة شفايفورت، سقط رأس الشاعر المترجم.



ولكن المراد من «هرة» هنا «صرّة» وهذا معلوم في اللهجات الألمانية القديمة، و gespickt محشو بالسمن هو الحيوان الضيف الذي يحشى قبل ان يشوى ومعناه ايضا «الصرّة المحلوة بالندام»...

وعلى هذا الطرز ترجم شاعرنا المستشرق المقامات كلها الا اربعاً اوجساً، وزاد فيها ملاحظات وحواشيا مأخوذة من المراجع العربية، فستلم من ترجمته هذه كثيراً من عادات العرب ومن أمثالهم المأثورة، وهي في الوقت نفسه مفيدة لمن قصد التعرف في الكليات الألمانية النادرة والعبارات الصائبة والمعميات الغريبة، وإن قرأها وداومت على الاطلاع عليها لتشرح صبرك وانتهس قلبك وسبحان من أنتم على شاعر ألماني بهذه الموهبة الفريدة!

وعندما اطلع «سيفستر» ده سامي» على ترجمة روكرت لصفحه المذكور اثنى عليه عاطرثناء قائلاً :

«يفضلكم صار لا ينبغي على من عرف اللغة الألمانية أن يتعلم العربية كي يتمكن من الإدراك الصحيح لكل ما يوجد من الآثار الشرقية من هذا القرن الأدنى!»

وما يحذر بالذكر أن روكرت في ترجمته كلها انقض الى قواميس جيدة لغات الشرقية، لأنه لم يوجد في ذلك العصر معجم كاف للغة القاصية ولا للعربية، وكان المستشرق مجبوراً على استساخ بعض القواميس الموجودة (كما فعل نفس الشيء بالجلدين الضمخين السانسكرئين...) مضيفاً اليها ما وجده من العبارات والمعاني في أثناء درسه دواوين الشعراء وتواريخ المؤرخين، فيصحب علينا ان نعلم كيف أمكن روكرت على الرغم من كل هذا القسط العلمي إكمال ترجمته الرائعة التي لم يتجرأ على مثلها أحد منا نحن معشر المستشرقين المعاصرين مع طريقة القواميس وكثرة الكتب النحوية في الغرب!

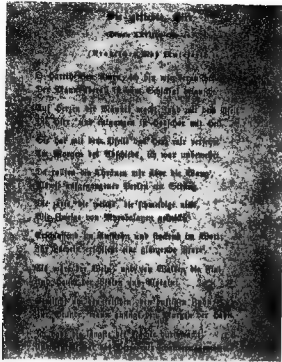
وأضاف روكرت بعد مدة قصيرة جوهراً جديداً الى ذخيرة العلوم وهو ترجمته لحماصة أي تمام. طلب الى ناشر كتبه إصدار هذا الموكب سنة ١٨٣١؛ ثم أراد قبل نشره تحقيق المتن المنشور على يد المستشرق «فرايتاج» Freytag أستاذ اللغات الشرقية في جامعة بين، ولذلك تأخر نشر هذا التصنيف الى أن لاحت له الفرصة لطبعه عام ١٨٤٦. وصف هامر - بورجستال هذه الترجمة في تقريره «كوليد عملاق مولود من الاجتهاد الإستشراق وآفة الشعر الألمانية» وتعرف أنه لا يسجل على قارئ غير واثق على أصول الرؤية تفجير هذه الأشعار الألمانية مع أنها كانت (او قل بالاحرى: لأنها كانت) امينة النقل للأصل العربي أمانة كاملة، لم يهمل الترجم فيها تشبيها غريباً ولا يحل

وفي الفترة نفسها لفت روكرت اهتمامه الى مقامات الحريري التي نشرها «سيفستر» ده سامي» في باريس عام ١٨٢٢. وكل ناظر بالضاد يعلم أن هذا المصنف من نوادر الآداب العربية التي لم يسبقها يراخ شاعر مثله، وأنه شبيه بغزوة مشتمعة من الألفاظ، إذ لم ينسج على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله. وكان المستشرق الفلمنكي «جوليس» (المتوفى ١٦٦٧) قد اشتغل لأول مرة بهذه المقامات، وكذلك نشر «ألبرت شولتسن» في جامعة ليدن مقامة أخرى، وترجم يوهان يعقوب رايسكه المقامة السادسة والعشرين عام ١٧٣٧. ثم نجد ترجمة للمقامة الثامنة بقلم «الكونت رزويسكي» والمقامة الثانية عشر بقلم الدكتور «بيساني» وكلاهما نشر في مجلة «معادن الشرق» في فينا. ولكن لم يكن لهذه التجارب قيمة علمية لأن مؤلفيها لم يستندوا الى متن عربي يوثق به. لذلك اهتم الأستاذ «سيفستر» ده سامي» الفرنسي بنشر النص الصحيح مستفيداً من غلطوات شق بين المتن المطبوع في كالكونا بين عامي ١٨٠٩ و ١٨١٤. وصدر منه سنة ١٨٢٢ بعد أن أخذ مواطن الأستاذ الكبير «كوسين» ده برسه فال» على عاتقه إصدار المقامات في طبعة جديدة عام ١٨١٨. وبعد هذا التحقيق العلمي الذي يتجوى على ٦٦٦ صفحة وهو مزود بحواشٍ عديدة مرجحاً معترف به.

أما روكرت فكان إذ ذلك يعيش متروياً في قريته البافارية حيث اشترى هذا الكتاب الثمين على رغم ثمنه المائل ويطوره هو المدقق ... وبعد عامين تجرأ على نشر ثمانى مقامات في ترجمة ألمانية تعد في مرتبة الإعجاز: قلدها أجناس الجناس والتجنيس من جناس لاحق وجناس زائد وتجنيس الإشارة وسافظ على ألعاب الألفاظ وعلى العبارات الشاذة، وإن أصاب في متن الحريري عبارات لا يمكن نقلها الى الألمانية كلمة بكلمة فقد أبدع هو في لغتنا الألمانية ما يشبه المعنى الاصيل ويظهر من الفنون ما يحير العقول، ويسلم كل من أجاد التساين العربي والألماني أن المقامات الألمانية أكثر صنعة وأبدع من أصلها العربي ... فلنعطى مثالا لطريقة روكرت في ترجمته: في المقامة الطيبية حيث يبالغ الحريري مسائل فقهية كل منها مهم مزدوج المعنى اشترح روكرت مثلها في الألمانية، مثل :

Is ein Gelddieb, wer eine Katze stahl? — Ja, eine gespickte zumal.

ومقابل ذلك بالعربية : «هل يعتبر سارق هرة سارق مال؟ — أجل، وبالأخصه إن كانت الهرة محشوة بالسمن».



وحيه قصيد قلوب الرجال  
واقالت - منها ابن عمرو حزين  
ومنى بهم اسباب القواد-  
خلة الرحيل ظم الصبر  
فاسبل - دسنى كفض الجمان  
او القدر رقتي لكتشيد  
بترجمة - رخصة - ريد  
كفرشوبة البان - كشتل  
فقد اقيام قطع الكلا  
م كتنش من ذي غروب غير  
كان - الملم - وموتب لتمام  
ودع الخواص - وفتر - القشر  
يمتل به بتر - اياها  
اما طرب - الطائر كمتحير  
فبت - اكله - ليل - كسا  
م والقش - من عشية - كمتحير

صيفة من ترجمة لإحدى قصائد امرؤ القيس مرقا بما الأصل العربي لهذه القصيدة، وكان المترجم قد ابدع في محاكاة بحر الخفاف في ترجمته الالامية.

لم يحصل روكوت لترجمته هذه التي تشتمل على نحو ألف قصيدة وقطعة ما كان يتوقعه من مدح زملائه ولا من ثناء البلج الصغير من القراء لأن الموضوع كان خشنا غير مألوف لم يتلقوه الا من جد في قراءته وصبر على مطالعته. ولما تدرى متى قام روكوت بترجمة الأمثال العربية الألف والستائة التي ظلت غير مطبوعة حتى الآن، وليس من العلوم كلكل متى اشتغل بترجمة بضع المقات التي نشرت سنة ١٨٧٧ في مذكرات تلميذه ولاجاردة، ومن الممكن ان تكون قد طوحت قبل عام ١٨٤٧ حين زاره تلميذه المذكور. فن بينها معلقة طرقة ومعلقة عمرو، وهناك ايضا ترجمة عبقرية لمعلقة زهير. ولو سأل القارئ الصابر هل من مزيد؟ قلنا ان ابيه قصيدة وبانت سعادة المشورة لكعب بن زهير في ترجمة الأستاذ الكبير، ترجمة تليق بجله القصيدة الموثرة. وبين أوراق الشاعر المستشرق قصيدة أخرى اشتهرت في الشرق والغرب مما وصي في ترجمتها الكثير من المستشرقين الألمان في القرن الماضي منهم كوسه جارتن Kosgarten وفاليل Weil وجامر ورويس Rum وغيرهم؛ وهي لامية العرب لشغرى. اما ترجمة روكوت لهذا الشعر العظيم فهي عندنا

عقد الجمل المتشابكة، وأحيانا ما كان يسعى في المحافظة على الوزن العربي فترجم ما بحر البسيط او الطويل او الوافر، او، إن لم يكن ذلك مستطاعا لأسباب جمالية، نبى وزنا قريبا من البحر الأصلي. وزاد ذلك في صعوبة فهم الأشعار، اما القارئ الألماني غير الشخصف فرما يأخذ المجاب يراؤه تلك الأسماء الغريبة وصفات الخيل وأنساب الإبل ... أما المستشرق فيصاب بالحيرة والعجب لهذه الترجمة القريدة التي علق روكوت عليها من الحواشي ما يمكن جملة موسوعة خاصة لتاريخ العرب وآدابهم في القرن الأولى للهجرة. وما كان مقصد المترجم من هذا المصنف الشامل على عجلين ضخمين الا القيا بالبرهان القاطع على أن سكان العالم بأسره متشابهون في الفضائل والمم المالية، وقصد الشاعر أن يعرض أمام شعبه الألماني صورة من الأفكار والأحاسيس التي كان للشعب العربي يميز بها قبل ألف سنة أو أكثر، وهي الشق والحساسة والحلم وإكرام الضيف ... وغير من هذه هلا في شعر تمهيدى لترجمته يبر فيه عن عقيدته في أن الشعر في كافة اللغات لسان واحد منشأ الحقيق لجنة قبل ان تفرق الألوام وتخطط الألسنة ...

أنه لفت اهتمامه الى آثار عمر بن أبي ربيعة وأحضر  
ترجمة لأبياته الغرامية، (ما زالت بدورها غير كاملة ولا  
مطبوعة) ولم يهمل قصة عنترة بن شداد ...

وعسى ان يفهم القارئ سمة عبقرية روكرت من هذه  
الأسطر القليلة التي لم يترك فيها ما فضل في حوزة اللغات  
الهندية وهي آلاف من الصفح من السانسكرتية واللغات  
الشعبية الهندية او الصينية او ترجمته لأجزاء من التوراة.

توفى روكرت وهو يقارب الثمانين من عمره، وكان يبلغ  
منه التعب والارهاق حدا بلغنا بعد حياة حافلة أطفا فيها  
جنوة يمه وأحرق فحمة ليله في العمل، على ما قاله  
زهير :

شمتت تكاليف الحياة ومن بعض  
ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

Ich bin der Lebensmühsal geworden satt, und wer  
Gelebt hat achtzig Jahre, o glaub mir, satt wird der!

اشتاق الى الراحة الأبدية والى الرجوع الى بلاد الحب  
الأزلى الذى لم يشك أبدا في وجوده، وهكذا عاد شاعرنا  
الى منشأ اللغات السهاوى والى منبع الشعر السرىدى ...

أحسن ما كتبه في حوزة الشعر العربى القديم، ولا أنظر  
أن أحدا فاقه في وصفه للكتاب الجلفمة، وإن كانت  
ترجمته للمقطعات كلها جميلة وشيقة وأحيانا ما كانت أحسن  
من الأصل، وكأنها كانت في الأصل شعرا ألمانيا لأحد  
فحول الكتاب. ولكن لم تنشر هذه القصائد الا بعد وفاته  
هنا المستشرق بكثير، ولم يرهو منها في شكل مطبوع  
الا واحدة ألا وهي ترجمته لديوان امرؤ القيس الى  
نشرت سنة ١٨٤٣ عندما كان روكرت استاذًا في برلين  
واستاد في إحصائه من الفن المطبوع ومن خطوطه  
محفوظة في مكتبة مدينة جوتا، وألحق بترجمته هذه الحواشى  
للأعوذة من كتاب الأغاني وتاريخ أبي الفداء، ونسج  
مرة أخرى لسهولة ترجمته وعلوية أسلوبه في نقل هذه  
الأشعار، وكل هذه التراجم من الشعر العربى القديم وهي  
التي لا يشق لها غبار. زد على هذا كله أن مستشرقنا  
الشاعر ترجم ماترجم من الأشعار الموجودة في كتب  
المؤرخين العرب مثلا الأبيات المروية في وفيات الأعيان  
لابن خلكان (وهي لم تنشر كذلك بل ما زالت محفوظة  
بخطه الصغير المظموس ضمن تركته العلمية وهي في  
انتظار من يرفع عنها ستار النسيان) والأشعار في الجمجمة  
للنونية بقلم العالم الألماني وكوسه جازنر، ومن الطبعي

Sagt meinen Brüdern, die mich Toten sehen:  
Ich bin nicht dieser Tote, den ihr seht.  
Ich bin der Vogel, und der Käfig das,  
Dem ich entfloß und der nun öde steht.  
Ich bin der Schatz, und mein Verschloß ist hin  
In Staub, da auf nun die Verklärung geht.  
Ich danke Gott, daß er mich frei gemacht  
Und meine Wohnung hat zu sich erhöht!

أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه  
أنا لست بهذا الميت الذي ترونه

كل الاخوان ذوي سبيل  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه  
انا لست بهذا الميت الذي ترونه

ترجمة روكرت لشعر عربي، محفوظة في سبيلات مدينة شفاينفورت التي  
صرحت لنا بنشر هذا الشعر الذي لم يسبق نشره.

# عن ترجمة فريدریش روکرت لمقامات الحریری

DIE BEIDEN GULDEN

القائمة الذهبية

Mich hielt mit frohen Genossen — ein tranter Kreis umschlossen, — von welchem eingeschlossen war Geselligkeit — und Gefälligkeit — und ausgeschlossen Mißhelligkeit, — Und während wir nun die Fäden der Reden hin und wider spielten — und im Schwanken der Gedanken uns unterhielten — mit Gedichten — und Berichten — und Geschichten; — trat herein ein Mann mit gebrechlichem Mantel — und schwächlichem Wandel, — der den einen Fuß schleifte — und auf einen Stab sich steifte; — der sprach: O ihr köstlichen Steine der Schreine! — o ihr tröstlichen Scheine der Reine! — Froh gehen euch auf die Tage — und unter ohne Klage! — Freundlich weck' euch der Frühchein, — und lieblich schmeck' euch der Frühwein! — Seht einen Mann, der einst besessen — Haus und Hof, Esser und Essen, — Weiden und Weidende, — Kleider und zu Kleidende; — Gabe, zu schenken, — Labe, zu tranken, — Äcker und Äste, — Feste und Gäste. — Doch es stob der Sturm des Leides, — und es grub der Wurm des Neides, — und der Einfall der Unfälle, — brach über des Glückes Schwelle; — bis mein Hof leer ward — und dünne mein Heer ward, — mein Brunnen erschöpft, — mein Wipfel geköpft, — mein Lager staubig, — mein Barthaar straubig, — mein Gesinde murrend, — meine Hunde knurrend; — im Stalle kein Rossegestampf, — in der Halle kein Feuerdampf; — daß mir der Neider — ward zum Mitleider, — und der Schadenfroh — vor meinem Schaden floh. — In des Unglücks Klammer, — in der Armut Jammer — ward unser Schuh die Schwiel' am Fuß — und unsre Speise der Verdruß. — Wir schnürten knapp den Leib zusammen, — um zu ersticken des Hungers Flammen. — Ausging uns des Stolzes Befederung, — und wir wohnten in der Niederung. — Statt Rose blutig zu spornen, — gingen wir uns wund auf Dornen. — Der Tod bleibt unsre Zuflucht vor Bedrängnis; — wir klagen an das säumende Ver-

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ تَنَظَّمَتْنِي وَأَعْدَانًا لِي نَادٍ • لَمْ يَخْبُ فِيهِ مُنَادٍ • وَلَا كَبَا قَدْحُ زُنَادٍ • وَلَا ذَكَّتْ نَارُ حِتَادٍ • فَيِنَّمَا نَحْنُ نَتَجَادِبُ أَطْرَافَ الْأَنَاشِيدِ • وَتَتَوَارِدُ طَرَفُ الْأَسَانِيدِ • إِذْ وَكَّفَ بِنَا شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ • وَفِي مِثْبَيْتِهِ قَزَلٌ • قَالَ يَا أَعْيَابُ الْأَخَالِ • وَبِشَالِ الْعَشَائِرِ • عِمَا صَبَاحًا • وَأُنْعِمُوا أَمْطِيحًا • وَأَنْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ ذَا نَدَى • وَنَدَى • وَجَدَّ • وَجَدَّ • وَغَارِ وَغَرَى • وَمَقَارِ وَغَرَى • لَمَّا زَالَ بِهِ قَطِيبُ الْخَطِيبِ • وَحَرْبُ الْكَرِيبِ • وَزَرَّ شَرَّ الْحَسَدِ • وَاتَّيَابُ الثُّوبِ السُّودِ • حَتَّى صَكِرَتِ الرَّاحَةُ • وَفَرَعَتِ السَّاحَةُ • وَظَارَ الْمَنَبَعُ • وَبَا الرِّبْعُ • وَالْقَوَى كَالْجَمْعِ • وَأَقْصَى الْكُفْجِ • وَتَحَالَاتِ الْحَالِ • وَأَعْوَكُ الْعِيَالِ • وَخَلَّتِ الْمَرْبِطُ • وَرَجِمَ الْغَايِطُ • وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالْمَهَامِيطُ • وَرَبَّى لَنَا الْحَسِيدُ وَلِشَامَتُ • وَآلُ بَنِي الدَّهْرِ الْمَوْفِعُ • وَالْقَفَرُ الْمُدْبِعُ • إِلَى أَنْ أَحَدَنَا الْوَجَى • وَأَغْتَدَيْنَا الْفَجَا • وَاسْتَبَطْنَا الْجَوَى • وَطَوَيْنَا الْأَحْشَاءَ عَلَى الطَّيْرِ • وَاسْتَحْضَيْنَا السُّهَادَ • وَاسْتَبَطْنَا الْوَهَادَ • وَاسْتَوَطْنَا الْقَتَادَ • وَتَنَاسَبْنَا الْكَتَادَ • وَاسْتَبَطْنَا الْحَيْنَ الْمُشْجَاعَ • وَاسْتَبَطْنَا الْيَوْمَ الْمُتَّاحَ • فَهَلْ مِنْ حُرِّاسٍ • أَوْ مَسَحِ مَوَاسٍ • فَوَالَّذِي اسْتَعْرِجَنِي مِنْ قَبْلَةِ • لَكَدْ أَمْسَيْتُ أَمَّا

hängnis. — Oder ist hier ein Beirätiger, — Menschenfreundlicher, Guttätiger — der einen Kraftlosen, Haftlosen stütze, — ein Tröpflein der Milde auf einen Saftlosen sprütze? — Bei dem, der mich hat entsprossen lassen von Kneile! — der den Mangel gab mir zu theile! — ich habe nicht, wo ich die Nacht verweile. —

Hareth ben Hemmam spricht: Um seine Notdurft zu letzen — und zugleich seinen Witz auf eine Probe zu setzen, — nahm ich ein Goldstück und wies es — und sagte: Dein ist dieses, — wenn du uns in Versen sein Lob lässtest hören. — Und auf der Stelle ließ er sprudeln seine Brunnenröhren:

Gesegnet sei der Gelbe mit dem lichten Rand,  
Der wie die Sonne wandelt über Meer und Land,  
In jeder Stadt daheim, zu Haus an jedem  
Strand,  
Gegrüßt mit Ehrfurcht, wo sein Name wird  
genannt.  
Er geht als wie ein edler Gast von Hand zu Hand  
Empfangen überall mit Lust, mit Leid entandt.  
Er schlichtet jedes menschliche Geschäft ge-  
wandt,  
In jeder Schwierigkeit ist ihm ein Rat bekannt.  
Er pocht umsonst nicht an die taube Felsenwand,  
Und etwas fühlt für ihn ein Herz, das nichts  
empfangt.  
Er ist der Zauberer, dem sich keine Schlang'  
entwand,  
Der Schöne, welchem keine Schönheit wider-  
stand,  
Der Held, der ohne Schwertstreich Helden  
überwand;  
Der Schwachen Kräfte gibt und Tüchtern  
Verstand,  
Und Selbstvertrauen einflößet, das mit Stolz  
ernannt.  
Wer ihn zum Freund hat, ist dem Fürsten an-  
verwandt,  
Wenngleich sein Stammbaum auf gemeinem  
Boden stand.  
Der trifft des Wunsches Ziel, dem er den Bogen  
spannt.  
Er ist des Königs Kron' und seiner Herrschaft  
Pfand,  
Er ist der Erde Kern, und alles sonst ist Tand.

Und wie er war am Ende, — streckt er seine Hand  
nach der Spende — und rief: Wer verspricht, muß  
segnen; — die Wolke, die donnert, muß regnen. —  
Da gab ich ihm das Goldstück hin und sprach:

عَيْلَةً • لَا أُمْلِكُ بَيْتَ لَيْلَةٍ • قَالَ الْحَارِثُ بْنُ  
هَمَامٍ فَأَوَيْتُ لِمَقَاتِيرِهِ • وَلَوَيْتُ إِلَى اسْتِنَابِ فَقِيرِهِ •  
فَأَبْرَزْتُ دِينَارًا • وَقُلْتُ لَهُ أَجْتَابًا • إِنَّ مَدْحَتَهُ نَظْمًا  
• فَهُوَ لَكَ حَتْمًا • فَأَنْبَرَى يُنْشِدُ فِي الْحَالِ • مِنْ  
غَيْرِ اتِّحَالِ :

أَكْرِمَ بِهِ أَصْفَرَ رَأَيْتُ صَبْرَتَهُ  
جَوَابَ أَفَاقٍ تَرَامَتْ سَفَرَتَهُ  
مَأْوَرَةً مَسْتَعْتَهُ وَشَهْرَتَهُ  
قَدْ أَوَيْتُ سِرَ الْغَنِيِّ أَسِيرَتَهُ  
وَقَارَيْتُ نَجْجَحَ السَّامِعِي خَطَرَتَهُ  
وَحَبَّبْتُ إِلَى الْأَلَامِ غُرَّتَهُ  
كَأَنَّمَا مِنَ الْقُلُوبِ نَغْرَتَهُ  
بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوَاتَهُ صُرَّتَهُ  
وَلَنْ قَالَتْ أَوْ تَوَانَتْ عِزَّتَهُ  
يَا حَبْلًا لِنَارِهِ وَتَصَرَّتَهُ  
وَحَبْلًا مَخْنَأَهُ وَتَصَرَّتَهُ  
كَمْ أَمِيرٍ بِهِ اسْتَقْبَتْ إِمْرَتَهُ  
وَتُغْرِفُ لَوْلَا دَامَتْ حَسْرَتَهُ  
وَجَبَّشَ هَمَّ هَزَمَتَهُ كَرَّتَهُ  
وَبَدَّرَ تِمَّ أَنْزَلَتَهُ بَدَّرَتَهُ  
وَمُسْتَشِيطَ تَنَكَّلَتِي جَمَرَتَهُ  
أَسَرَ نَجْوَاهُ فَكَانَتْ شِرَّتَهُ  
وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتَهُ أَمْرَتَهُ  
أَنْقَذَهُ حَتَّى صَبَّتْ مَسَرَّتَهُ  
وَحَقَّ مَوَلَى إِبْدَعَتَهُ فِطْرَتَهُ  
لَوْلَا أَلْقَى لَقَلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتَهُ

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ • بَعْدَ مَا أَنْشَدَهُ • وَقَالَ أَنْجَزَ  
حُرًّا مَا وَعَدَ • وَسَحَّ خَالٌ إِذْ رَعَدَ • فَتَنَبَّأْتُ  
الْدِينَارَ إِلَيْهِ • وَقُلْتُ خَلَّدَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ •



Sei es dir zum Gewinn! — Er schob es in seinen Mund — und sprach: Gott erhalte mir's gesund! — Daun macht' er sich auf, von dannen zu wanken, — mit Grüßen und Danken. — Doch der Duft des Geistes, den er verstreute — berauschte mich so, daß ich nicht Aufwand scheute. — Ein zweites Goldstück nahm ich aus der Tasche — und sprach: Da huschel — Dieses ist dein, wenn du nach seinem Adel — uns nun auch hören lässest seinen Tadel. — Da ließ er auf der Stelle — noch einmal rauschen die Welle:

Verflucht der Heuchler mit dem doppelten Gesicht,  
Dem kalten Herzen und dem Lächeln, das besticht.  
Er zielt sich wie ein Liebchen, und wer liebt es nicht?  
Und wie Verliebte schmachtet er, der Bösewicht.  
Er stammt vom Abgrund, aus den Finsternissen dicht,  
Doch überstrahlt sein falscher Schein der Sonne Licht;  
Die Wahrheit dringt nicht durch das Trugnetz, das er slicht.  
Er gibt der Welt in allem Bösen Unterricht,  
Lehrt, wie man falsche Eide schwört und Treue bricht.  
Er ist, um den man streitet, tobt und kämpft und sicht,  
Er ist, der aus des Richters Mund dein Urteil spricht,  
Um den der Dieb die Hand verliert am Hochgericht.  
Für ihn verkauft man seinen Glauben, seine Pflicht,  
Für ihn erkauf der Schlechte sich ein Lobgedicht.  
Er ist, um den das Herz aus Furcht dem Geizigen bricht;  
Er ist, um den des Neides Blick den Reichen sticht.  
Das schlimmste ist: Wer ihn bewahrt, dem nutzt er nicht;  
Und wer ihn nutzt, der tut dadurch auf ihn Verzicht.  
Darum verachtet ihn ein edler Mann und spricht:  
Du Taugenichts, hinweg von meinem Angesicht!

Ich rief: Gott müsse deinen edlen Mund vergulden! — Doch er rief: Versprechen macht Schulden; — und ich gab ihm den zweiten Gulden — und sprach: Verwend' ihn zum Erwerb von Gottes Hulden! — Er schob ihn mit Dankgeflüster — in

فَوْصَمَهُ فِي فِيهِ • وَقَالَ بَارِكْ أَلَمْ فِيهِ • ثُمَّ شَمَّرَ  
لِلْإِنْفَاءِ • بَعْدَ تَوْفِيَةِ الْآثَاءِ • فَتَنَّتْ لِي مِنْ  
فُكَايَتِهِ تَشْفِئُ غَرَامَ • سَهَلَتْ عَلَيَّ أَتْنَانِي أَغْتَرَامَ •  
فَتَجَرَّدْتُ دِينَارًا آخَرَ • وَقُلْتُ لَهُ هَلْ لَكَ فِي أَنْ  
تَكْدُمَ • ثُمَّ تَصْنُمَ • فَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا • وَشَدَا  
عَجَلًا:

تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَادِمٍ مُمَادِقٍ  
أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَالْتَأْفِقِ  
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لَيْسَ الرَامِقِ  
زَيْنَةُ مَعْلُوقٍ وَلَوْ فِي حَاشِقِ  
وَحُبُّهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ  
يَدْعُو إِلَى آتِيكَابِ سَخَطِ الْخَالِقِ  
لَوْلَا لَمْ تُقَطَّعْ يَمِينُ سَارِقِ  
وَلَا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَاسِقِ  
وَلَا أَشْمَأَزَّ بِأَخْلٍ مِنْ طَارِقِ  
وَلَا شَكَا الْمَطْلُوبُ مَطْلَ الْعَاقِقِ  
وَلَا اسْتَعْيِدَ مِنْ حَسْبٍ رَاشِقِ  
وَشَرَّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَالِقِ  
أَنْ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ فِي الْمَضَائِقِ  
إِلَّا إِذَا فَرَّ فِرَارَ الْآبِقِ  
وَأَمَّا لَيْنٌ يُقَدِّفُهُ مِنْ حَالِقِ  
وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ نَجْوَى الْوَالِقِ  
قَالَ لَهُ قَوْلٌ كَالْحَقِّ الصَادِقِ  
لَا رَأْيَ فِي وَصْلِكَ لِي فَضَارِقِ

فَقُلْتُ لَهُ مَا أَغْزَرَ وَبَلَّكَ • قَالَ وَالْشَّرُّ أَمْلَكَ •  
فَتَنَقَّحْتُ بِالْبَيْتَارِ الثَّانِي • وَقُلْتُ لَهُ عَوَّدَهُمَا بِالْثَانِي •  
فَأَلْقَاهُ فِي قِمِيهِ • وَقَرَنَهُ بِتَوَامِيهِ • وَأَنْكَفَأَ بِحَمْدِ  
مُغْلَاهِ • وَبِمَدْحِ الْبَادِي وَنَدَاهِ •

den Mund zu seinem Geschwister — und hinkte ab am Stabe, preisend Geber und Gabe. — Hareth ben Hammam spricht: Mir sagte das Herz, es sei Abu Seid — und seine Lahmheit ein angelegtes Kleid. — Ich hielt ihn an und rief: Bei Gottes Gnadel — dein Witz verriet dich; warum gehst du nicht grade? — Er sprach: Und bist du der Hareth? — so bleibe mir ewig schwarz gehaaret, — der Lust gepaaret, — den Frohen und Edlen gescharet! — Ich sprach: Ich bin der Hareth ben Hemmam; — wie geht es mit dir und deinem Kram? — Er sprach: Bald frisch, bald lahm; — ich segle mit zweierlei Winden, — gelinden und ungelinden. — Ich sprach: Du solltest dich schämen, — Zuflucht zu einem Gebrechen zu nehmen. — Da verfinsterten sich seine Mienen — und er sprach: Laß dir dienen!

Ich hinke, doch nicht aus Vergnügen am Hinken  
Ich hink', um zu essen, ich hink', um zu trinken.  
Ich hinke, wo Sterne der Hoffnung mir winken,  
Ich hinke, wo Gulden entgegen mir blinken.  
Was man nicht erliegen kann, muß man er-  
hinken,  
Viel besser ist hinken, als völlig versinken.  
Die Schrift sagt: Es ist keine Sünde, zu hinken.

#### AUS DEM DIWAN DES IMRULQAIS

Eine Wolke mit gedehntem Schoß,  
Erdaufgangend, stand sie still und goß,  
Ließ den Zeltpflock sichtbar, wenn sie nachließ,  
Und bedeckte' ihn, wenn sie reichlich floß.  
Und Eidechsen sahst du, kund'ge, leichte,  
Mit den Tatzen rudern bodenlos.  
Büsche ragten aus der Flut wie Köpfe,  
Abgehau'ne, die ein Schleir' umfloß.  
Doch dem Regen folgt ein Guß, ein voller  
Platzender, der rauschend niederschloß;  
Den ein Ost ausmelkte, bis mit neuem  
Schwall dazu kam eines Westes Stoß.  
Und ein Meer ward, das kein roites Strombett  
Chaims, Ghofafs und Jassors mehr umschloß.  
Morgens vor des Sturmes Nasen ritt ich  
Her auf schlanken, derbem, sehn'gen Raß.

قال الحارث بن همام فجاجي قلبي بأنه أبو زيد  
وأن تعارجه لكبد . فاستعدته وقلت له قد  
عرفت بوشيك . فاستقيم في مشيك . فقال إن  
كنت ابن همام . فحيت ياكرام . وحييت بين  
كيرام . فقلت أنا الحارث . فكيف حالك والحادث  
فقال ألقب في الحالين بموسم وضاء . وألقب  
مع الرمين زعزع وضاء . فقلت كيف آدعت  
الفرز . وما مثلك من هرل . فاستمر بضره  
الذي كان تجلي . ثم أشد حين ولي :

تعارجت لا رغبة في العرج  
ولكن لا فزع باب العرج  
والقي حبل على خرابي  
واسلك مسلك من قد مرج  
فإن لسي القوم قلت أهدرو  
فكنس على أعترج من حرج

#### من ديوان امرؤ القيس

ديمة ملاء فيها ولف  
طبق الأرض حمري وقد  
فقرى الود إذا ما اشجلت  
وولايه إذا ما تمكبر  
وترى الضب خفيها ماهر  
ثانيا برثته ما ينفر  
وترى الشجر في رثتها  
كرؤوس قطعت فيها خمر  
ساعة ثم انتحاهم رابل  
ساقط الاكاث واه منهبر  
راح حمريه الصبا ثم انتحى  
فيه شويب جنب منفر  
لج حتى ضاق آذيه  
عرض نجم فظاف فيسر  
قد غدا يبعلي في انه  
لاحق الإطلين محبوك ممر

# أرْنِسْت تَرَامْبْ

(١٨٢٨ - ١٨٨٥)

بقلم : الأستاذة أنّا ماري شِمْل

أرسل إلى جامعة توبينغن Tübingen. ولما اتفقت رغبته وميله، حينذاك، مع رغبة والديه وميلهما في أن يصبح الإبن قسيساً، التحق أرْنِسْت بكلية اللاهوت المعروفة بـ«شيفت» Stift. ولقد كانت تلك الكلية تتمتع بشهرة واسعة، إذ كانت مركز الإشعاع الثقافي، والمحل الروحي للمذهب البروتستانتي في ذلك الجزء من البلاد. ومن نافلة القول أن نذكر هنا، أنه ولعدة عقود سبقت التحاق صاحبنا بتلك الكلية، قطع، كان كل من الفيلسوف الكبير هيغل Hegel والشاعر الملمم هولدرلين Hölderlin يتخطان فيها. ونظراً لتعلق العهريه باللاهوت، شرع أرْنِسْت بدراسته، علماً بأنه كان قد اتقن اللاتينية واليونانية قبل عيه إلى هذه الكلية. راح بعد ذلك يدرس السكسكربتية واللغات السامية على يد كل من البروفسور روت Roth والبروفسور إرفالد Ewald.

يبد أن عملية القمع والازهاق، التي مارستها حكومات الولايات الألمانية المختلفة ضد «دعاة الحرية» عام ١٨٤٨، أدت إلى زج الكثيرين من المثقفين، اساتذة وطلاباً، في السجن. فقد انخرطت الطليعة المثقفة في هذه الحركة منذ عام ١٨٣٠ محاولة العمل على تغيير الأوضاع الألمانية، هادفة توحيد البلاد التي راحت تقسم حينها إلى ممالك، وإيالات، ومقاطعات صغيرة. وهكذا لما ان حلت سنة ١٨٤٨ حتى تكللت الجهود بأول اجتماع لمجلس الأمة الألماني. إلا أنه صراعاً ما انقلبت الحكومة ورحلت تقيم بحركة قمع واسعة ضد «دعاة الحرية»، وانطلقت تروج بأتباعها في السجن. لم يستثنى أرْنِسْت، بطبيعة الحال، من بين هؤلاء فالتى به في السجن لفترة من الزمن، انقطع خلالها عن الدراسة، لم يلبث حتى استأنفها وعمل على إنهاؤها بعد الإفراج عنه.

توجه العلامة الشاب، بعد أن أتم فترة وجيزة في بازل Basel إلى لندن. ولما كان قد حصل هناك على وظيفة مساعد أمين مكتبة في «مركز الهند الشرقية» East India Home، فقد تسنت له من خلال عمله هذا فرصة إثراء ثقافته بقضايا اللغات الهندية الحية وآدابها. ولم يفكر أرْنِسْت

تحفل الحركة الألمانية للدراسات الشرقية بأعلام كبار يعتبر أرْنِسْت ترومب أحد أقطابهم. لقد برع هذا العلامة في العديد من اللغات، وخلف آثاراً لم تقتصر في مضمونها على العربية وغيرها من اللغات السامية، بل شملت إلى جانب ذلك العديد من اللغات الأخرى. فترك لنا، فيما ترك، دراسات وافرة في لغات الهند الحية، أو هي، وبعبير أكثر دقة، لغات ذلك الجزء من شبه القارة الهندية الذي يعرف اليوم بباكستان الغربية. ولعل في إعادة نشر كتابين، من مجموعة مؤلفاته مؤخرًا، أحدهما في نحو لغة الباشو Pascho والآخر في نحو اللغة السنمية، ما يدل على قيمة هذين المرجعين للدارس تلك اللغتين بالتقى الصعوبة. بل وعسى أن يكون في ذلك إشارة إلى عدم ظهور ما يجاريهما جودة وإصالة على الرغم من مرور قرن من الزمان ونيف على نشرهما لأول مرة.

ويجد المرء، في حياة المترجم له، تفاصيل وطرائف هي غاية في الغرابة. ولد أرْنِسْت في اليوم الثالث عشر من شهر آذار لسنة ثمان وعشرين وثمانمائة وألف للميلاد، في قرية ايلسفلد Ibsfeld في مقاطعة Württemberg الشمالية، لأب مزراع آمنه التجارة. وأتم الوسط الذي نشأ فيه على وجه العموم بالعوز والفاقة. لم يكن ذلك حال قريته فحسب، بل حال القرى والمناطق المجاورة أيضاً، مما حدا بقطاع كبير من السكان إلى الهجرة سعيًا وراء الرزق. هذا وما زالت جماعات منهم تقطن جنوب روسيا، بلاد القوقاز على وجه التحديد، وما برحت فئة تعيش في ولاية تكساس الأمريكية حتى يومنا هذا. واتمكت في شخصية أرْنِسْت سميتان، امتاز بهما سكان جنوب غرب ألمانيا عمومًا منذ عدة قرون، ألا وهما ميعة الجلد وصفة القنوى. ولعل السجية الأخيرة قد نشأت وتطورت عن اعتناقم للمذهب اللوثري والتي كانت تبلغ بهم حد التزم أحياناً. بدأ أرْنِسْت حياته الدراسية في الرابعة من عمره. وظهرت بوادر ولعه الشديد باللغات واهتمامه بها، أول ما ظهرت، حين انبرى يحلل لغة بعض شجر كان قد صادفهم. بعد أن أنهى مرحلة الدراسة الثانوية، في سن السابعة عشر،



بالرجوع الى ألمانيا في تلك الأثناء، وذلك نظراً لما كانت تبث عليه الحالة السياسية فيها من الشعور بالقلق واليأس. وما أن عرضت عليه والجمعية الكنسية للتبشير Church Mission Society أمر الذهاب الى الهند للقيام بتأليف معاجم وكتب تحوّل لغاتها المحلية، حتى استجاب غير متردد. وقد شجعه على ذلك الوعد ليل قطعته الحكومة البريطانية على نفسها بنشر كل ما يقوم بتأليفه. ولا ريب بأن مثل هذا العرض ومثل ذلك الوعد ليل على المكافأة التي بلغها أرنست في ذلك العهد المبكر من حياته.

تختلف الروايات حول تاريخ ارتحاله لأول مرة الى الهند. بيد أن سنة ١٨٥٤ هي أكثر السنوات قبولا لدينا. نزل بادي الأمر مدينة بمباي Bombay. توجه بعدها الى كراتشي Karachi حيث مكث فيها عدة شهور. وفي مدة تدعو إلى قصرها الى العجب، أثقن أرنست اللغة السندية، تلك اللغة التي تتميز بالصعوبة المتناهية. كما أثقن في الوثق عينه اللغة الفارسية. وسرعان ما طبقت شهرته أفاق الأوساط السندية والبريطانية. فنحه القشتيون Alphonston حاكم بومباي بلبق مواطن شرف، كما رسم قسيساً للكنيسة الانجليكانية وذلك احتراماً بفضلها، إذ أنه قام وقتذاك بترجمة «كتاب المراسم الدينية العامة» Common Prayer Book من الانجليزية الى الفارسية. الا أن الحال لم يلبث على ما هو عليه طويلاً، إذ راح أرنست يعاني من صعوبات الطقس هناك، ودبت فيه علة خطيرة، فلما المألوا، فقل على أثرها الى بيت المقدس، بفلسطين، للمعالجة. أقام أثناء وجوده في هذه المدينة بصحبة علم رائد من أعلام الإستشراق في القرن الماضي الا وهو المتصل الألماني في ذلك الحين هناك جورج روزن Georg Rosen (اللى قام بترجمة مجلدين من عمل جلال الدين الروي والتفوي للمنوى الى الألمانية لأول مرة). كما انكب يعمل على تعميق درايته باللغة العربية. هذا وقد أتيح له هناك التعرف على شابة طريفة هي باولين لندر Pauline Lander والتي راحته تشاركه حياته الزوجية منذ شهر تشرين الأول لسنة ١٨٥٦.

عاد أرنست، بعد قضاء فترة النقاهة وشهر السبل، قافلاً الى كراتشي تصحبه عروسه. وهناك وفي شهر أيلول من العام التالي الزواج (١٨٥٧)، من البوى عليهما بمولود ذكر، بيد أن الأم الشابة لم تلبث سوى ثلاثة أيام عقيبت الميلاد حتى فارقت الحياة. وربما كان طقس كراتشي الرديء وراء هذا الحادث الأليم، أو صاه

أن يكون أيضاً، القزع والتور العصى اللذان ألما بها مئة وصول أبناء الثورة والاضطرابات العسكرية في الهند الشالية، وعلى أثر ذلك لم يجد صاحبنا مخرجاً لاحتة سوى السفر الى أوروبا يسمى لتوفير ظروف ملائمة للوليد. لم يمض عليه في سبيل ذلك طويلاً، إذ وافته فرصة التعرف على آتسة تنحدر من أسرة كريمة، من مدينة شتوتغرت Stuttgart فتزوج منها، وكان قد بلغ من العمر ثلاثين عاماً.

قل أرنست وعروسه الجديدة عائدتين الى كراتشي. ثم قصدا من هناك هدفهما المرسوم ألا وهو بيشاور Peshawar بالقرب من الحدود الأفغانية. كانت رحتهما هذه عبارة عن مغامرة شاقّة كادت أن تؤدي بحياتهما. فلقد كان عليهما ان يسيرا خلال ذلك، لمدة ثلاثة وعشرين يوماً، في نهر «انديس» (او نهر السند) Indus. وان يركبا، ولثلاثة أيام، حربة تجرها الجمالوس، الى لاهور Lahore ثم أنهما قد تقالا على حفلة تناوب حملها لثان وعشرون من الخدم الى ان وصلا بيشاور قاطعين بذلك خمسمائة كيلومتراً.

استقبل البريطانيون، والسكان المحليون، الباثان Pathan، صاحبنا وزوجه استقبالا حاراً. وانبرى أرنست، في الحال يدوس لغة الباشو Pashto، والتي لا تقل صعوبة عن اللغة السندية بشئ، فأتقنها بسرعة مذهلة بل إنه راح يمارس الوض والإرشاد بها بأنرب فرصة ممكنة. وعلى الرغم من معاودة اصاحته بين الفترة والاخرى بمسمى الف، لم يأل جهداً في محاولته البحث عن لغة حية جديدة. فما ان أتبعته له فرصة لقاء ثلاثة أشخاص من أهالي «كافرستان» حتى تعلق بهم واعتبرهم «عينات مثله لدراسة لغة أهالي تلك المنطقة». (لقد تغير اسم منطقتهم من كافرستان الى نورستان فيما بعد). انبرى صاحبنا بمى لم الظروف للملاحة ويعمل على اغرائهم بالبقاء عنده مدة كافية تقس له خلالها دراسة لغتهم. ووصف لنا أرنست الموقف فيقول: «ولقد كنت أحفظ بهم ثلاث أو أربع ساعات كل يوم، مقدما لهم بين الفترة والاخرى وجبات من الحلوى علما على تسليمهم كى لا ينفذ صبرهم». ويضيف قائلاً: «إن ظنه قد خاب» فيما يتعلق بمظهرهم. فقد توسم فيهم امتشاق القوام وبياض الوجه وملاحة، فوجدهم ذاكنى البشرة، «زغم الحمرة التي راحته تكسو وجوههم والتي إن عادت الى أمر قائما عادت الى النحر للمتح الذي راحها بمحسونه». وحرى بنا أن نغير هنا، إلى ان توسم أرنست ما توسمه ارتكر على ما كان يشيع

الا بضميريات تقليدية أثبتت مقارنتها بالنصوص المختلفة تناقضها وضادها، بل أنهم قد حجزوا، في كثير من المناسبات، عن تقديم أى شرح أو تفسير». فلم يجد بلداً حينها من التمويل على نفسه فراح يعد بطاقات مفهومة للكليات والقواعد النحوية القديمة ويقوم بدراستها وتمحيصها. كل ذلك بطبيعة الحال يهدف التحكّن من دراسة واستيعاب ذلك الكتاب المقدس، والذي يزيد حجمه على حجم القرآن الكريم بمئة أضعاف. هذا ولطه من الطريف أن تذكر، في هذه العجالة، بأن السيك لم يأبوا لعمل أرنست لا ولم يقدره حق قدره، بل وعلى النقيض من ذلك فأنهم ما انفكوا يذكرون «سوء التصرف والإهم الكبير الذي كان يرتكبه بالتدخين بحضرة الكتاب المقدس»! غير أن السلطات في لاهور، ولا عجب، قد قدرت تلك الجهود حق قدرها. وعلى البريطانيين قسارى جهدهم لإقناعه بالبقاء.

لقد تكبد أرنست في تحليل خطوط كتاب السيك المقدس جهداً أعياها وأضعف عينه، فلم يقو على البقاء في تلك البلاد. فلهذه الأسباب الصحية وبسبب حنينه إلى الوطن، الذي راح يتأجج، قفل أرنست عائداً إلى ألمانيا في سنة ١٨٧٢. وهناك عمل على إنجاز ترجمة الكتاب، ألف الذكري، فنشر في مجلد ضخم عام ١٨٧٧. كما ألحقه بعدة دراسات عن ديانة السيك.

لم يباح أمل الحصول على كرسى الأستاذية في جامعة توبينغن محيلة صاحبنا. ولعل ما جاء في رسالة له مؤرخة في ١٨٧٣/١/٢٤ ما يعكس المرارة التي كان يعانيها وهو ما زال في سن الخامسة والأربعين، فهو يقول: «ولما كنت أعلم بأن الجهود كلها تبذل في سبيل إظهارى أمام الملأ بالعجز، فسأرفق بطلب استخدائى قائمة بالولفات التي تمت طباعتها؛ كتل كتاب قواعد السندية وكتاب قواعد الأفغانية ... الخ؛ رغم مخالفة ذلك لطبيعتي».

بعد أن عمل أرنست كمحاضر Privatdozent في قسم اللغات السامية في جامعة توبينغن، ولفترة قصيرة، في أواخر العام المذكور سالفاً، انتقل إلى جامعة ميونخ ليشغل كرسى الأستاذية في قسم اللغات السامية فيها. وأمل وقدك أن يتمكن من القيام بأعمال نافعة في كل من اللغة العربية والآشورية وسواهما. وهكذا قد نشر، أثناء وجوده في ميونخ، ومقدمة لدراسة قواعد اللغة العربية. كما حقق وترجم وأجرى عليه محمد بن داود إلى الألمانية، وكان ذلك

بين الناس من أن أهل «نورستان» ينحدرون من اليونانيين الذين صاحبوا الإسكندر الأكبر حين قدم هذه البلاد. ثم انطلق بعد ذلك يدرس لغة البراهوي Brahui، تلك اللغة التي تتكلمها أقلية تعيش في «بلوشستان» ولقد نشر بحثاً قيماً في هذه اللغة عام ١٨٨٠. (ليس لهذه اللغة صلة بالإيرانية أو بلغات شمال الهند، كما هو الحال بالنسبة للباشتو والسندى، ولكنها تتصل بلغات جنوب الهند الغير آرية). كما أنه درس لغة ونحو كل من «الكشميري» و«النيبالي». هذا ولا زال كتابه في نحو اللغة الأخيرة مخطوطة.

أضطر أرنست، على أثر معاودة المرض له، إلى مفاداة بيشاور، بما خلقت القوعة والأسى في النفوس. ولما عادت له صحته، صكف في شترنجارت Stuttgart يدرس المواد التي كان قد جمعها خلال وجوده في الباكستان. كان ذلك ما بين سنتي ١٨٦٠-١٨٦٣. ثم أخذ يعمل قسيساً في قرية فولينغن Pfullingen، التي تقع على مقربة من القرية التي شهدت مسقط رأسه، ما بين عامي ١٨٦٤-١٨٧٠. هذا ولم يتوقف خلال ذلك عن متابعة بحثه العلمي بل راح ينشر الكتب والمقالات العلمية، باللغتين الألمانية والإنجليزية. لم يكن أمر تعيين صاحبنا كأستاذ للغات الشرقية في جامعة توبينغن Tübingen التي نال منها درجة الدكتوراه، بمستعجلاً، بيد أنه ولا كان شريط الذكريات في أذهان زملائه في تلك الجامعة، ما انفك يسجل نشاط أرنست السيامي خلال ثورة ١٨٤٨، لهذا السبب بل ولأسباب أخرى نجدها، فقد حيل دون بلوغه ذلك الهدف. فبقي هذا العلامة الأوربي، علامة اللغات السامية واللغات الهندية الحية، يعمل قسيساً في تلك الأبرشية المتواضعة. ومع ذلك فيمكن القول بأن أرنست، ورغم كل الصعوبات، قد نم خلال تلك الفترة، بحياة عائلية هنيئة.

وفي عام ١٨٧٠ عادت الحكومة البريطانية تعرب عن اهتمامها ببحرته، فطلبت منه العودة إلى الهند ليقيم بترجمة كتاب السيك المقدس وأدى غرانت، Adi Granth نظرًا لما تتمتع به تلك الديانة من أهمية سياسية في حياة الهند. وما أن شرع في مهمته الجديدة حتى أدرك استحالة الاضطلاع بها دونما مساعدة من متكلمي تلك اللغة، ففى لغة معقدة عريضة. التفت إلى جهايلة السيك فينشد امدادهم له، بمفهمهم ولكن ظنه سرعان ما خاب منهم، على حد قوله فلم يستطيعوا أن يروني



إلا أن نوافقه على ذلك، إذ إن هذه المقبرة، والتي تبلغ مساحتها عدة أميال مربعة، عبارة عن آية في جبال الهندسة المعمارية الإسلامية وكثر رائع من كنوزها، بنيت أضرحتها ما بين عامي ١٥٠٠-١٧٥٠).

يعتبر «كتاب القرامنة السندية» باكورة إنتاج أرنست في هذه اللغة. وقد استعمل الحروف العربية والسفسكرية في كتابته. ولا نتخذ أن هذا الكتاب قد نال تقدير أهل السند، وذلك لما يتضمنه من نصوص في اللاهوت المسيحي. فهو قد كتبه أصلاً ليستعمله المبشرين الذين يرغبون في اللهاج إلى تلك الديار.

نشر بعد ذلك مقالات عديدة في «قواعد اللغة السندية». راجح يقارن في هذه المقالات اللغة السندية باللغات الحية الأخرى التي تطورت من البراكريت.

وفي أواخر عام ١٨٧٢ نشر كتابه الهام «قواعد اللغة السندية» والذي ألحقت الحاجة إليه، فأعيد طبعه مؤخرًا. ولما كان أرنست قد عاش البيئة السندية بأبعادها المختلفة، وعاش الناس على اختلاف مستوياتهم، فقد تبنى له التعرف على آدابهم الشعبية، وبالذات أغانيهم واساطيرهم. وتخفضت معرفته وجهوده في هذا المجال عن التي عشر مجلد، ما يربح شظوية، لتلك الآداب. ويعتقد أرنست، كما يعتقد الرحالة البريطاني الشهير السير ريتشارد برتون Richard Burton، بأن السندية تملك أكبر مجموعة شعرية شعبية أصيلة بين لغات الهند، وإن حادي العيس في لغات الصحراء، والزواج المكوم الذي راجح يقف وراء غمراه، ذلك الخرافات الذي إن هو إلا غصن شجرة أغنى طرفه، ليحفظنا عن ظهر قلب أبياتا وأبيات من ذلك الشعر، يشداها بين الفينة والأخرى عملاً على قطع ساعات النهار. إن استعمار وشيوع هذا النوع من الأدب الشعبي بين هؤلاء الناس، حتى يومنا هذا، ومنذ جهود هي غاية في القدم، أمر مساعد عليه تجوال أولئك المنشدين والشعراء القبليين عبر البلاد. إلا أن أرنست نفسه، لم يستغف قصائد ذلك التراث الماهل. فهو يقول، «إن الناس لا يحسنون سوى ترداد القوافي والتلاعب بالكلمات حتى ولو كان ذلك على حساب الإتقان المنطقي للأبيات»! هذا ولم يمت في حياته أمراً كما مقت ذلك التراث «الجاهل» الملعن الذي جاء في أعمال المفكرين اللبنيين من أمثال غلوم محمد هاشم، الذي ما عنمت شهرة ترجمته لأجزاء من القرآن الكريم إلى اللغة السندية ولأول مرة، في مطلع القرن الثامن عشر، تم

المعاشات الدينية، إلى أوروبا. هذا وقد تمخضت تلك التجربة من عدة مقالات تعالج الأبعاد المختلفة لتلك اللغة كتبها ما بين عامي ١٨٧٨-١٨٨١.

يبد أنه، ولما كان لكل أهل كتاب، ولكل طاقة حدود، لم يعد بمقدور أرنست أن يتحمل المزيد. فدراسة لغات شبه القارة الهندية العريضة، وقضاء رده من الزمان يصارع صعوبات المناخ أثناء إقامته للقطعة فيها، ودأبه الخثيث على دراسة لغات أخرى كالعربية التي تصف بتعقيدها وصعوبتها... كل ذلك عمل على إرهاق قوى صاحبنا وإصعابه صحته. فلم تلبث حياته، التي قرأت وتفحصت الآلاف العديدة من الصفحات المختلفة، بما كتبه بين ثنائياها من ضامض الخطوط ومقدها، لم تلبث هاتان البنيان حتى تردت في حمة جميع الظلمة، فخرج للمسكين من نعمة البصر ورحم من القدرة على القراءة والكتابة، عدته وعنده في الحياة. هذا ولم تفتأ الطامة الكبرى أن حلت حين راحت تلك الظلمة الدامسة ترحف إلى عقله الجبار فتشله. وينتقل، على أثر ذلك، إلى أحد المستشفيات بمضيقها أياماً حزينة حتى يوافيه الأجل المحتتم. وهكذا يعود أرنست، بعد تطوافه الكبير في عالم اللغات، وبعد حياة لم يكن للإستقرار فيها مكان، يعود إلى دار الخلود، إلى منزل السلام الدائم يوم عيد الفصح المجيد الذي وُلِق في الخامس من شهر نيسان لعام خمس وعشرين وثمانماية وألف للميلاد، بالثامن من العمر سبع وخمسين سنة.

إننا اليوم لنقف عاجزين عن الإحاطة بكل ما خلفه هذا المستشرق الكبير من آثار، وذلك لفرارته وتعدد جواربه. لقد اهتم باللغات كلغات، وليس كأدباء، وراح يسير غور قطاع هام في علم هذه اللغات، ألا وهو علم شبه القارة الهندية، فبهد طريقه ومهد سبيله أمام الملاحقين من العلماء والذين راحوا يقفون آثاره ويتبعون خطاه.

ونحن إن حاولنا استعراض جزء من أعمال هذا القوى العظيم، فإنه يمكن القول بادئ ذي بدء، إن عشقه للسندية وتعلقه بها قد فاق تعلقه ولهم بسواها من اللغات الحية. لقد انطلق، كما تشير كتاباته، يتجسس آثارها في طول البلاد وعرضها. فهو يذكر، مثلاً، هضبة مكي Makki Hill التي تقع بالقرب من العاصمة القديمة للسند، والتي تبعد مسافة ستين ميلاً عن كراتشي قاللاً: «ولعل المآبد والأضرحة في هضبة مكي أروع ما يمكن مشاهدته من الآثار في بلاد السند والهند. (ونحن هنا لا يسعنا



الأساط السندية. إنه كلغوى رفض تكرار استعمال الألفاظ العربية والفارسية في هذه النصوص. إلا أن معادته كانت تبلغ الذروة حين كان يصنف قصائد سنديّة خالصة.

ويعتبر تحقيق الأعمال الشعرية لشاه عبد اللطيف، الإنجاز الرئيسى لأرنست في حقل الدراسات السندية. وإن أعماله للمتصوف الكبير وشاعر القرن الثامن عشر ما زالت تستهوى أئمة الناس في مختلف بقاع تلك الديار. ولقد اختار صاحبنا بادئ ذي بدئ إحدى حكايات هذا العمل المضحك، ألا وهي حكاية «سورات»، وراح يقدم للقارئ الأمانى تحليلاً لما، نشرته إحدى المجلات العلمية الألمانية. هذا ويقتى أمر اختياره لهذه الحكاية بالذات، والتي هي أقل أجزاء مجموعة «الرسائل» Risaalo بهجة، كما إن نصها قد تشوه وتقطعت أوصاله بما يصعب علينا فهمه. ثم إنه وكسوطه لتحقيق هذا العمل، والذي اكتملت طباعته في ليزريك عام ١٨٦٦، فقد ترجم «سورات» إلى الألمانية. وكان ذلك في سنة ١٨٦٧. ولقد استعمل أرنست، في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الطباعة، الحروف الهجائية العربية بعد أن أجرى تعديلات طفيفة عليها. غير إن استعمال هذه الحروف بما أجراه عليها أرنست من تعديلات، اتفقت وفهمه القوي، ليجعل أمر قراءة السندية أكثر صعوبة على القارئ السندى المعاصر، علماً بأن حروف الهجاء العربية كان قد شاع استعمالها رسمياً منذ عام ١٨٥٢ في البلاد. ومع هذا فالتفت مع أرنست «بأن للمرء الذى يجهل في قراءة أعمال شاه عبد اللطيف (في أى صورة كانت) سيجد جزمه متعة يحظى بها بقراءة النصوص الجميلة المنشورة في كل مكان. إنه إن الطريف أن نجد أرنست هنا، وقد أحرب عن استمراره لشعر شاه عبد اللطيف. فهو في مناسبات أخرى راح يسم ويصدر الأحكام بأن التناقض والتتابع المخطو من صفات شعر السند. كما أنه اعتقد جازئاً بأن ظاهرة التصوف إن هي إلا تشويه لحقيقة الإسلام الحنيف متأثراً بموامل هندية!

وإذا ما كان لأرنست الحق كل الحق بأن يقول كل ما يريد، فإن ذلك لا يعنى بحال إن نواقضه على كل ما يقول. فما لا ريب فيه لدينا، هو أنه في أحكامه لم يخرج عن منطق ونظرة أولئك المبشرين البروتستانتين الضيقة، والذين كانوا يرغبون عن أى شكل من أشكال التصوف. فكيف بكون الحال إذن حين راحوا يصنفونه وقد تطور إلى أشكال وأنماط شعرية حملة بالرمزية،

في ذلك الجزء الشرقى من ديار الإسلام؟ يضاف إلى هذا حقيقة أن الألفام بتاريخ ظاهرة التصوف أمر لم يكن شائعاً في عهد صاحبنا. لا ولم يكن استخراج ودراسة المصادر الأولية قد جرى بعد. وما كان قد حقق حتى عهده لم يكن يمت إلى المصادر المتضمنة من تاريخ التصوف بصفة، بما حال دون الدعاية بأراء الكثيرين من أعلام التصوف الأولين؛ أمثال الجنيد وثابعه، كما حال دون التمكن من سبر غور التجربة الصوفية. وثمة حقيقة يجب ألا تنيب عن باننا ألا وهي عدم تبحر أرنست نفسه في دراسة القرآن الكريم أو تمكنه من إدراك معانيه. فهذه الأسباب مجتمعة كفيلة بأن تبرر لصاحبنا عجزه وترديه في مرارة الحيرة كلما كان يصنف أية قرآنية أو نصاً شعرياً تكشفه الاستعارات والشبكات القرآنية. ولم يقف عجزه عند فهم القرآن الكريم فحسب بل امتد إلى آحيان كثيرة إلى الأحاديث النبوية الشريفة الشائعة، هذا إن لم نذكر عجزه عن فهم كتاب «مثنوى» لجلال الدين الرومي.

وكتاب ونحو اللغة السندية، والذي سبق ذكره، يعتبر خاتمة ثمرات أرنست في مجال اللغة السندية. ويضاهي هذا العمل كتابه «نحو الباشتو» الذى تم نشره في سنة ١٨٧٣، والذي يشكل نموذجاً حياً لتعليق أرنست الثاقبة، وقدرته على فهم أدق دقائق نحو اللغة. هذا على الرغم من ربطه للباشتو باللغات الهندية لا بالإيرانية، وهي فكرة مردودة، عفى عنها الزمان.

وثمة حقيقة تدعو للأسف الشديد ألا وهي أن عددًا من دراساته في لغات بعض قبائل جبال الهملايا ما زال مخطوطاً ولم يخرج إلى حيز الطبع بعد. ينسحب هذا القول أيضاً على بحثه في نحو اللغة النيبالية. كما أنى لعل ثقة من أنه لو عرفت له، فرصة إخراج ذلك البحث، الذى أحرب، في إحدى رسائله، من رغبته الأكيدة بالكتابة فيه، في اللهجة الإيرانية، لحظنا بأنهم من الطرافة والقيمة بكان كبير، ولشكل مدخلا طياً لدراسة لفظ اللغة الفارسية، كيف لا وهو الذى كان قد أنقضا في لهجتها الإيرانية والمختدة عن طريق المارسة. كما قام بتلويصها، في صيف عام ١٨٧٣، في جامعة توينغتن. كما لم تكن للملاحظات التى أبدتها، وتلك علامة اللغة الفارسية خردسكو Ghodasكو حول لفظ هذه اللغة ثلث قبولاً أو قناعة لديه. وكان أرنست قد أحرب، في نفس الرسالة، أيضاً عن رغبته في متابعة دراسة نحو لغة البراكريت

الوسيلة، أو المندى القديم، تلك الدراسة التي كانت ستغطي منطقة شمال الهند في العصور الوسطى. وهو عمل لم يضطلع به أحد بعد، رغم مرور مئة عام على محاولة أرنست.

ولا يفوتنا، قبل أن نختم هذه الترجمة العاجلة لحياة أرنست ترومب الأكاديمية، من أن نذكر أن الجهود التي بذلها، في السنوات الأخيرة من حياته، في دراسة اللغة الألبانية، لم تثمر عن نتائج فيها من إبداع وإصالة البحث ما تعودناه منه وما كان من شأن لغات الهند الحية، في منطقة باكستان الغربية على وجه التحديد.

لا ريب بأن مجال الترجمة الكاملة لحياة هذا المستشرق الكبير، والعرض التقليد الشامل لأعماله، هو غير هذا. فلقد احصر هدفنا هنا في تقديم عرض سريع يتسنى من خلاله للقارئ المهتم التعرف وتكوين فكرة عاجلة عن أبعاد هذا العلامة المبدع، والانتسان المسقول. لقد

تفوق أرنست ترومب كعلامة لغة، ولقد زهد وتواضع في حياته كإنسان. كان يفضل عزلة العلم عن مخالطة الناس. هذا ولعل فيما كتبه يوم كان في ميونخ، وفي سنة ١٨٧٥ على وجه التحديد، ما يوضح لنا موقفه هذا، فهو يقول: «وحتى هنا، في ميونخ لا أخرج إلى الناس ولا أخلط بأحد، وأنا في الوقت أو القدرة العقلية لمثل ذلك...». إن من عرف عالمنا الكبير عن كتب ليؤكد لنا خصلة الخير فيه وشكامة التواضع، فهو لم يغتر بعلومه لا ولم يتردد في مساعدة المحتاج. لقد قام أحساسه بالمسؤولية أصلا على أساس من حياته الدينية وقوة إيمانه الروحي، ومن وجها راج بصرف. إن طبقات المثقفين في السند إن تسمى، ما حيت، فضل هذا العلامة، تماما كما لن نفسى المتلوس فضل علامة الهندية الألمانى ماكس مولر Max Müller، فالهما يعد فضل سبق في تعريف الغرب على كنوز تراث تلك الديار. ترجمة: احمد شركس



#### ZUHAIR SPRACH:

*Ich sah das blinde Schicksal umtasten nach dem Fang,  
Wen's greift, der stirbt, und wen es verfehlt,  
der altert lang.  
Wer sich nicht in die Leute vielfältig schrien kann,  
Den wird ein Huf hier treten, und beißen dort ein Zahn.  
Wer seine Elter bezaubert mit Huld, der mehret sie,  
Und wer nicht Tadel scheuet, entgeht dem Tadel nie.  
Wer in die Fremde wandert, verliert den Freund zu Haus,  
Und wer sich nicht auszeichnet, den zeichnet niemand aus.*

قال زهير:

رأيت المنايا تخط عشواء من لعب  
تُحِثُّه، ومن تخطف يعمر فيهرم  
ومن لا يصانع في أمور كثيرة  
يفرس بأنياب، ويوطأ بمناسم  
ومن يجعل المعروف من دون عرضه  
يفره، ومن لا يثق الشتم يشتم  
ومن يترب يحسب علواً صديقه  
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

DEUTSCH VON FRIEDRICH RÜCKERT

# الرحّالون الألمان إلى البلاد العربيّة

بقلم : الأستاذ محمد علي حشيشو

فصّب، بل وكذلك على ما قدموه من معلومات جديدة تماماً، واكتشافات جغرافية والتولوجية بالغة الأهمية بالنسبة لأجزاء كبيرة من اليمن والحجاز وشرقي الأردن. وقبل الخوض في موضوع أولئك الرحّالين الثلاثة، رأينا من المجدى ذكر مقلمة موجزة عن حركة الرحلات الألمانية إلى الشرق الأدنى مع استعراض نماذج منها حتى رحلة نيبورني النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

كان الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والبلاد الواقعة عليه، وما تدعوهما اليوم بالشرق الأدنى، مناطق ذات جاذبية خاصة لدى قلماء الرحّالين والحوالة من الإغريق والرومان. فكان من مفاسر الرحلة المتقلد الطموح أن يتمكن من زيارة مصر ومشاهدة آثارها الماثلة، ومن الترف إلى النيل الخالد وسر فيضانه الصفي المميز. ولكن باهيار العالم الروماني أمام غزوات البرابرة من الشمال والشرق، وبانتشار نظام الاقطاع في أوروبا،

إن للرحلات التي قام بها الأوروبيون في بلاد الشرق، ولما قصوه عن مشاهدتهم فيها أثراً بالغاً في تاريخ الإستشراق، ودوراً لا يستهان به في إيقاظ الرغبة في مشاهدة تلك البلاد وداسة كل ما يتعلق بتاريخها وحضاراتها. وللألمان من هذه الرحلات وما كتب عنها نصيب يستحق أن يذكر كبرقة جديدة في تاريخ الإستشراق الألماني. وستعرض في هذه المقالة إلى ذكر ثلاثة رحّالين ألمان، أو ناطقين بالألمانية، زاروا البلاد العربية في القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي فتحت باب الاتصال بين أوروبا والشرق الأدنى، وبدأت بحملة نابليون إلى مصر وسوريا، تلك الحملة التي كشفت النقاب عن أسرار كثيرة كانت مجهولة عن مصر وبلاد العرب. أما أولئك الرحّالين فهم : كلستن نيبور، وألريش زيتسن، ويوهان لودفيج بوركهاردت. ولا تقوم شهرتهم على غرابة التجارب والمجازفات التي مروا بها

ونشوء الإسلام وفتوحاته في شمال أفريقيا وفي الشرق. بدأ عهد جديد في حركة الرحلات من أوروبا إلى الشرق الأدنى. ومع أن الاقطاع خلق عراقيل كثيرة في سبيل التنقل الحُر، إلا أن المسيحية ساعدت على تنشيط السفر وتوسيع حركة التجول. إذ أن الدوافع الدينية التي أدت بالأتقياء إلى زيارة الأماكن المقدسة المنتشرة في الشرق الأدنى والبلاد المقترنة بتاريخ الكتاب المقدس هي التي سادت حركة الأسفار الأوروبية إلى الشرق في القرون الوسطى. فبينما كان الرحالة الوثني سائحاً فضولياً، كان سائح القرون الوسطى في الغالب حاجباً إلى بيت المقدس وبلاد الأنجيل. ولذا فإن مذكرات الحجاج إلى فلسطين هي أقدم ما خلفه لنا الرحالون الأوروبيون من آثار غسوطية عن الشرق الأدنى في أوائل العهد الإسلامي. وقد ظل سيل الأوروبيين يتدفق على سوريا وفلسطين في القرن التاسع الميلادي حتى نهاية القرن الحادي عشر، عندما انتقل الحكم إلى أيدي السلاجقة فأغلطوا بضييق الخناق على الحجاج المسيحيين، مما أدى فيما بعد بطريق غير مباشر إلى شن الحملات الصليبية المختلفة. ويضيق بنا المجال هنا لو قمنا بتعداد الحجاج الألمان الذين أمروا الأراضي المقدسة قبل الحملات الصليبية وأثناءها. ولكن القارئ يستطيع الرجوع إلى المؤلفات المختصة التي تتناول هذا الأمر.

وتعشياً مع روح العهد الصليبي والقرون الوسطى فإن روايات رحلات تلك الفترة لا تخجل شيئاً من الدخول في الإسلام وترى بالغيرة على الأراضي المقدسة والحول عليها من عبث الأيدي المادية المسيحية. ومع ذلك فإن الرغز من التشابه في لجة تلك الروايات الأولى إلا أنها ذات قيمة خاصة حيث أنها تقدم معلومات أساسية قيمة عن التاريخ الحضاري للشرق الأدنى في تلك العهود المبكرة، كما أنها تختلف باختلاف شخصيات الكتاب ووجهات النظر التي انطلقوا منها. فهناك مثلاً الرحلة التي قام بها عام ١٢١١ أحد كبار رجال الدين واسمه فيلبراند غين أولدنبرغ على رأس بعثة دبلوماسية من الامبراطور الألماني أوتو الرابع إلى ملك القدس الأرض ليوبغصوص الورثة على عرش القدس. فالجانب وصف مدن سوريا وفلسطين وكل من الأماكن المقدسة بالتفصيل يندى أولدنبرغ إلى جانب مهمته الدبلوماسية اهتماماً خاصاً بدراسة الشئون العسكرية في الشرق، مما يتضح من وصلته الدقيق، القريد من نوعه في تلك الفترة،

(١) انظر إلى الرابع في نهاية المقالة.

التحصينات العسكرية في سوريا. فتدثه صور، أقوى قلعة للصليبيين آنذاك، تحصيناتها سواء من البحر أم من البر، خلافاً لصيدا التي كان الألمان قد دمروها في حملة عام ١١٩٧ وأبادوا حصنها شر زيادة. واشتد اصحاب أولدنبرغ ورفاقه عندما شاهدوا قصرًا في بيروت، أرضه مبلطة بالمرمر وجدرانها مغطاة بالرسوم الرائعة، وحداقته غناء تنسبها الترافير. وكانت القدس بأيدى المسلمين آنذاك؛ ورغم أنه كان يسمح للنصارى بزيارة كنيسة القيامة والأماكن المقدسة بصحبة رسول سلطاني كان يأخذ ضريبة عن كل شخص، إلا أن أولدنبرغ لم يستطع أن ينجي استيائه وشعوره بالذلة والخضوع تجاه هذا الحال. وكانت خاتمة حجه زيارة إلى نهر الأردن عبر نيساب وأرخا حيث شوهت كنيسة دمرة في المكان الذي قام يوحنا بتعميد السيد المسيح فيه. وعندما أراد الحجاج الاستحمام بماء الأردن، أثاروا بذلك غضبة البلو المحيطين بهم الذين راحوا يمحرون الماء ويقلعونها بالحجارة.

هذه رحلة يمكن أن تكون نموذجاً للعديد من الرحلات أثناء حكم الصليبيين في سوريا وفلسطين. ولكن عندما عاد المسلمون فاستعادوا البلاد قلت بطبيعة الحال حركة الأسفار الأوروبية في المنطقة طيلة قرن كامل. فلما أطل القرن الرابع عشر، وتغير موقف الحكام المسلمين وأصبحت أكثر تسامحاً تجاه الحجاج المسيحيين عاد سبيل الرحالين يتدفق إلى البلاد المقدسة من جديد. ومن أطرف هذه الرحلات تلك التي قام بها فيلهلم فون بولدنزيله، من مدينة مندن بوسفاليا، تكفيراً عن نذر قطعه على نفسه وتقرباً من الرب، والتي صورها في رواية ممتمة للغاية تفوق بما تتنازه من دقة الوصف وقوة الملاحظة كثيراً من قصص الرحلات المعاصرة لها.

بدأ بولدنزيله مع مرافقيه رحلته عام ١٣٣٢ من إيطاليا إلى آسيا الصغرى حيث تترف على ساحلها وحلى جزر الأرنتيل الهامة ثم وصل ليلة عيد الميلاد إلى صور التي وجدها ميثاء في حراسة المسلمين، وجميع تحصيناتها المسيحية مدمرة تدميراً تاماً. وكانت خطته أن يزور مصر أولاً، ثم يعود إلى الأراضي المقدسة. ولذا فقد عبر الصحراء من غزة إلى القاهرة على ظهر الجمال في سبعة أيام. وفي رواية الرحلة يستمر رحلته في وصف مصر وتاريخها القديم ويليها الخالد، «نهر القردوس»، الذي يغضب البلاد كل عام ويصب بالقرب من الاسكندرية. ولذا فالامطار نادرة في مصر، الغنية بالحيوانات والنباتات

الغربية. ويذكر أنه رأى في القاهرة ثلاثة أفيال حية يصف شكلا وخراطيمها وأنيابها بلقة، كما أنه شاهد زرافة بلغ عنقها من الطول بحيث أنها كانت تلهم طعامها من سطح أحد البيوت المرفعة. ولكن أكثر ما أدهشه في القاهرة الأماكن التي ينفس فيها البيض بالطرق الاصطناعية. ويدهش صاحبنا لنظر الأهرام التي شاهد عليها كتابات كثيرة بلغات غخلفة. وقال له بسطاء الناس إن القراصة كانوا يستخدمونها كخزانات للموت، ولكنه اقتنع بعدم إمكان صلاحيتها لذلك، إذ وجد باطنها عند انحداره إليه مليئا بالحجارة. وتمكن بولدنزيلة في القاهرة من مقابلة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي أسبغ عليه حماية خاصة وسلمه إذناً (فرمان) يوصي جميع رعاياه به خيراً، ويسمح له بزيارة الأماكن المقدسة، وفيه مع مرافقيه من دفع أية رسوم عن ذلك. وهكذا استطاع رحالته أن يتنقل مع حاشيته في ربوع بلاد المسلمين بأمان وأطمئنان أكثر منها في بلاد النصرانية، على حد قوله. فكان في كل مكان يصل إليه يبرز إذن السلطان، فيقف المسلمون ويقبلون التوقيع ويضعونه على جباههم احتراماً، ثم يأمرهم باحضار الطعام والشراب وتقديم الحراس والمرافقين. وكانت هذه التسهيلات حقاً أمراً نادراً لم يكن رحالة القرون الوسطى ليحلم به.

وفي مسيرة ثلاثة عشر يوماً وصل بولدنزيلة سوريا. وفيها جذب البو انهامه، فيصفهم بأنهم قوم رحل يقطعون الخيام ويحملون التروس والراحم ويمطون الجمال ولا يعبأون كثيراً بالسلطان ولا بتوقيعه، وإن بوصهم لو انحسروا أن يحفظوا مصر وسوريا معاً. وعند بلوغ القدس لوحظ الجفاف الذي يحيط بالبلدية، فكانت مشكلة الماء تحل بخزانات يجمع فيها ماء المطر وينقل بكتاة من الحبرون إلى المدينة. ورأى بولدنزيلة أن المسلمين كانوا يتزعمون احاديثهم عند دخول قبة الصخرة، حيث كان يقوم معبد سليمان، وأنهم كانوا يقبلون الأرض مرات عديدة (فاصداً الركوع)، وكان يتنقح الدخول إلى المسجد أيضاً لولا منع ذلك على التصاري. وحوّل بولدنزيلة في القدس أيضاً بعتاية خاصة، حتى إن أمير المدينة ترك له مفاتيح كنيسة القيامة حيث أقام رجال الدين من حاشيته القلداس، وتناوب بعض أتباعه القربان المقدس. وبعد انتهاء القلداس رفع اثنين من رفاقه إلى مرتبة القروسية، وهذه أول إشارة إلى بدء التقليد في منح لقب قروسية القبر المقدس. وراعى الأمير العربي هذه المراسم حتى أنه لم يكن يسمح

لأحد بدخول الكنيسة دون موافقة بولدنزيلة. إن ما كتبه رحالته هنا عن فلسطين ومنها يفيض بال عاطفة الدينية بسبب ما كانت تثيره هذه الأماكن المقدسة بقصص العهد الجديد في نفسه من أحاسيس، سواء في يسان أم أريحا أم غور الأردن أم الناصرة. وعندما وصل وفاقه دمشق أدهشته المدينة بموقعها الجليل ونشاط حركتها وكثرة سكانها. ويصف الحركة التجارية المزدهرة فيها ويذكر القوافل القادمة من بغداد والمند والحملة بالحجارة الكريمة وأصناف الحرير والتوابل والعلطور، والمتجهة بهذه السلع غرباً إلى موافى البحر الأبيض السورية. وهو يشهد في روايته على براعة الصناعات اليدوية الفنية في دمشق، كما يشير بالتأني إلى مهارة أطباها. واجتاز بولدنزيلة جبال لبنان حتى بلغ الساحل بعد ركوب ثلاثة أيام. وقد آثاره مناظر لبنان الساحرة وأصابه العجب لوفرة خيراته وتنوع ثرواته الزراعية، فأراضيها حسنة الفلاحة وجبالها غنية بالنبات، تكسوها أشجار الأرز والصنوبر، وأغلب سكانه من المولدة الذين، على حد قوله، ينتظرون الحملة الصليبية التالية لخاربة المسلمين إلى جانب الفرنجة. ومن بيروت ركب بولدنزيلة وحاشيته متن البحر وعاد أدراجه إلى أوروبا.

لقد أثارت قصة بولدنزيلة منذ صلبورها اهتماماً شديداً. فقد كانت شخصية الرحالة مثيرة في غربتها وتنوع جولاتها. وفي روايته أيضاً تتجرجح العاطفة الدينية الجياشة امتزاجاً عجيباً بفضول المؤلف وحبه للمغامرة وإتباعه لمشاهدة عالم جديد غريب. وقد بلغ من قوة تأثير أسلوبه الوصفي أن السير جون مانديفيل، الرحالة الإنجليزي الوسيط الذي تفرق التساؤلات حول حقيقة شخصيته، نقل أجزاء كبيرة من قصته نقلاً حرفياً وأدجها في روايته المتنازع عليها حتى اليوم، التي ظلت أكثر من قرن كامل أحب قصة أسفار في العالم الغربي إطلاقاً. وقد توفي القارس الرحالة بولدنزيلة عام ١٣٣٩ في كولونيا، قبل أن يتمكن من تحقيق تصميمه على دخول نظام الرهبنة.

ومن تأثر برؤية بولدنزيلة واستند إلى ماورد فيها من معلومات عن الشرق الأدنى حاج وستفيل آخر هولندي فيون زويدهام، كان قد قضى خمسة أعوام متتالية في الشرق وزار بيت المقدس عام ١٣٣٦. وقد كتب هذا روايته باللاتينية ثم ترجمت إلى الألمانية وطبعت عام ١٤٦٨. ولم تكن غايته أن يعطي وصفاً مفصلاً لأسفاره وإنما قصد أن يكون كتابه على نسق دليل سياحي يعطي الحجاج

تعليمات وإرشادات مفيدة حول كيفية الاستعداد للرحلة، وأفضل الطرق، ووصف البلاد الواقعة عليها. وقد اشتهر كتابه حتى اعتبر أفضل مرجع سياحي للبلاد المقلمة في القرن الرابع عشر.

وفي عام ١٤٨٣ قامت جماعة من الألمان برأسها زعيم ديني من ماينتر يدعى برنارد فون برايدنباخ بالهجرة إلى الأراضي المقلمة تكفيراً عن الذنوب مع رحلة طويلة في ربيع الشرق طبعاً تفصيلها عام ١٤٨٦ باللاتينية في كتاب اجتاحت شهرته جميع أوروبا آنذاك<sup>(٢)</sup>. وكانت جماعته تتألف من نيلين شابين هما الفارس فيليب فون بيكن والكونت يوهان فون زولز، بالإضافة إلى اثني عشر فارساً وبارونا آخرين، والرسام ايرهاردت رويشتش، الفنان بالنقوش الخشبية، وخمسة قسس ورهبان، ورحالة خبير هو فيليكس فايري، مع عدد من المترجمين والحلم والطهارة والاتباع. وبعد الاستعدادات الواسعة، كان من السير على افراد هذه المجموعة الكبيرة أن يبدأوا الرحلة الشاقة سوية دفعة واحدة. لذا فقد انقسموا إلى فئات غادرت ألمانيا في مواعيد مختلفة واتفقت على اللقاء في البندقية. ثم اقلت سفينتهم من البندقية، وبعد رحلة في البحر المتوسط دامت عدة أسابيع وصلوا يافا في أول تموز (يوليوس)، ثم فرض أهل المدينة عليهم حولا صمياً لمدة اسبوع، سمح لهم بعده بالسفر إلى القدس. وبعد الزيارات التقليدية إلى كنيسة القيامة وبيت لحم ويسان ونهر الاردن، انقسمت الجماعة ثانية إلى عدة فئات عاد أغلبها إلى يافا، بينما اتجه برايدنباخ واثنا من رفاقه إلى دير القديسة كاترين في جبل سيناء، ومنه انحدروا إلى البحر الأحمر حتى وصلوه في الثالث من تشرين الأول (اكتوبر). وفي القاهرة حصل لهم حادث غريب، فقد ظنهم بعض تجار الرقيق عبيداً فارين، فقبض هؤلاء عليهم وأرادوا بيعهم لولا أنهم نجحوا في مقابلة السلطان الأشرف قايتباي، سلطان مصر، الذي أمر بالافراج عنهم. وفي القاهرة كذلك أدهشهم «معجزة» فقس البيض بوضعه في روث الحيوانات الحار داخل افران خاصة. وهذا أمر غلط يذكره الرحالين الأوروبيون باستمرار حتى أواخر القرن الثامن عشر. ثم انتقلت جماعتنا هذه منحدرة نهر النيل عبر رشيد إلى الاسكندرية حيث مات الكونت فون زولز الشاب من وعضاء السفر وعشاء الرحال. وفي الثامن من كانون الثاني (يناير) عام ١٤٨٤ وصل برايدنباخ البندقية.

إن الكتاب الذي يضم قصة هذه الرحلة لا يحتوي على تسجيل وصفي دقيق لمراحلها مع صور من رسم رويشتش فحسب، وإنما يقدم وصفاً مفصلاً للأرض المقدسة وتعليقات وملاحظات طريفة عن عادات وتقاليدها، مع ترجمة لحياة النبي محمد وعصره لتشريع الاسلامي وقاموس موجز للكلمات والتعابير اليومية العربية بالإضافة إلى إرشادات متنوعة للحجاج، ونصائح عملية لانتقاء ومعالجة الامراض المحلية. وقد نالت الرسوم التي حفرها رويشتش شهرة وأهمياً أكثر من النص المخطوط، فهناك خريطة مفصلة للأراضي المقلمة وصور للحيوانات المختلفة كوحيد القرن والزرافة والتمساح وقرد هائل لم يستطع الرحالون أن يعرفوا اسمه. وهناك رسوم أخرى توضح الأزياء التركية والعربية واليهودية واليونانية والسريانية والمندية. كما أن صورة رويشتش المحفورة بالخشب التي تمثل كنيسة القيامة هي أول صورة مطبوعة لهذه الكنيسة اطلاقاً. وقد احرز الكتاب نجاحاً كبيراً عند صدوره حتى ترجم إلى الألمانية والإنجليزية ولغات أخرى. واستخدمه واستند اليه عدد كبير من الرحالين الأوروبيين فيما بعد، واستقى عدد من الرسامين للمرتبين مواضيعهم من رسومه. ويذكر لامبرت<sup>(٣)</sup> أنه عندما فتح قبر برايدنباخ في كاتدرائية ماينتر عام ١٥٨٢ وجدت جثته مخفولة على أحسن حال بفضل مواد التحنيط التي كان قد احضرها معه من الاسكندرية إلى ألمانيا.

وقبل أن نختم ذكر هذه المجموعة من رحالي القرن الوسطى نود أن نضيف إليها رحلة نيل ألماني ظلت قصته موضع تساؤل وشك حتى اليوم، رغم صدق ودقة مقاطع كثيرة منها. أما هذا الرحالة فهو آرئولد فون هارف، نيل من يولش بالقرب من كولونيا، قام برحلة لمدة ثلاثة اعوام كتب قصتها بلهجة الراين الأسفل واكسبت شهرة كبيرة. غادر فون هارف كولونيا عام ١٤٩٦ بدافع زيارة الأماكن المقلمة، ولكن الحماس اللغوي ليس وحده هو الذي حفزه إلى السفر والتجوال، بل إن حبه للاكتشاف والبحث والتفتيح كان له نصيب كبير في ذلك أيضاً. وبعد أن وصل إلى البندقية أبحر إلى الاسكندرية ومضى إلى القاهرة، ومن ثم إلى جبل سيناء. وهو يودنا أن نصدق بأنه قطع شرق شبه الجزيرة العربية كله إلى عدن، وأنه أبحر إلى سيلان حيث زار الهند ومدغشقر وجزيرة سقطرة،

(٢) انظر ال المراجع.

(٣) انظر ال المراجع في نهاية المقالة.

وتسلق جبال القمر واكتشف منابع النيل، وأنه اتبع عبره حتى عاد إلى القاهرة ثانية. ويؤمّر بعد ذلك أنه عاد إلى أوروبا عبر فلسطين وسوريا وتركيا. وفيون هارف، ككثير من رحّال القرن الوسطى، يمكن أن يصدق في أجزاء من أقاليمه ولكن ليس في كل ما يرويّه. قصصه تخون على الكثير من الخرافات وحوش البحار السجّية والجنّيات المهاريات. وهناك أحد أحوالين: فاما أن نرفض منامه فيون هارف عبر شرق الجزيرة العربية، وأن نفترض انه مضى من مصر إلى فلسطين رأساً، ولكنه فضل ابتكار قصة رحلة خيالية تعيده إلى مكان يمكنه، ابتداء منه، أن يسرد حقائق جديرة بالتصديق. أما الاحتمال الثاني فهو أن نصفق زيارته للجزيرة العربية، وفي هذه الحالة لابد لنا من الافتراض بأنه عند بلوغه عدن عاد إلى مصر عن طريق لم يذكرها في رويته، مفضلأ أن يتّبع طريقاً أطول، بحيث أنه لم يصف إلى رحلته شيئاً جديداً فحسب، بل أنشأ جزءاً منها في الوقت نفسه أيضاً. ولأسباب فصلها يكتسبهم في مقال له حول أوائل الرحلات إلى الجزيرة العربية<sup>(٤)</sup> يميل للمرء إلى تصديق الاحتمال الأول، والقول بأن فيون هارف لم يزر الجزيرة العربية ولا الهند ولا أعالى النيل. فالى جانب أسماء مدن لا وجود لها في الجزيرة العربية، فإن وصفه لمكة غريب يثبت على الرية الشديدة في صفته. فبالرغم من سفره علانية كصهراني، يؤمّر فيون هارف أنه وافق الحج مع عدد من النصاري واليهود حتى بلغوا مشارف المدينة. وإنه لمن المستبعد جداً أن يسمح لغير المسلم بمرافقة الحجاج بعد الاحرام، فكيف بمشاهدة مكة إطلاقاً. ويبدو فيون هارف أن يقننا بأن مكة «مدينة خصبة تحيط بها الحدائق الغناء ذات النّار الطّيرة النّادرة» وأنه كان يجرى إلى جانبها «نهر كبير جميل» يصب في البحر الأحمر. أما المسجد، على حدّ زعمه، فلى ارتفاع يفوق أى مسجد آخر في العالم. ويؤمّر رحالتنا أنه تقدم وجماحه إلى الكعبة «الواقعة في نهاية الجهة الشرقية من ساحة المسجد وحيث يقوم ضريح النبي». ويمكن الاعتقاد بأن فيون هارف كان قد سمع أو قرأ وصفاً للمدينة المنورة وغيرها من مدن الجزيرة العربية، فاختلط الأمر عليه، وجعل ذلك وصفاً لمكة. ولكن رغم أجزاء رويته المشكوك في صحتها، إلا أنه، حيث يصف أماكن زيارها بالفعل، يثبت أنه عميق المعرفة دقيق الملاحظة خيطق بالثقافة. وباحتكاكه بأهل مصر وفلسطين من التجار وباجتماعه بالألمان الذين رأهم متشرقي

(٤) ذكر مقالته مع المراجع.

في كل مكان على اختلاف منهم، فقد جمع فيون هارف معلومات لا يستهان بها عن الشرق الأدنى، بحيث أن وصفه لحياة القاهرة وشاغلها وأوجه نشاطها وتفاصيل ما كتب عن مصر يفوق كل ما رواه معاصروه. ونذكر من رويته بكل دقة أحوال الطرق والسفر في أوروبا والشرق في تلك الآونة. إذ يولى فيون هارف اهتماماً خاصاً بطرق السياحة ويخرج في كتابه كل ما يحتاج إليه المسافر من كلمات وعبارات شائعة وأرقام بلغات البلاد التي يمر بها. كما أنه أولى عناية خاصة بالرسم التي تبين الملابس والأزياء الوطنية المختلفة.

من كل ما تقدم نذكر أن الدافع للذهبي الذي اشتد بانتشار الإسلام ظل حتى القرن الخامس عشر هو السائد في حركة سياحة الأوروبيين، بما فيهم الألمان، إلى منطقة الشرق الأدنى. وحتى ذلك الحين ظلت معرفة الأوروبيين عن بلاد العرب مقصورة على سواحل سوريا والأراضي المقدسة ومصر، كما أن طرق السفر البحرية والبرية ظلت إلى حد بعيد هي نفسها، تطرق دون تغيير اساسي عبر الأجيال. ولكن نتيجة لاكتشاف الطريق البحري إلى الهند حول أفريقيا في القرن الخامس عشر، والاحتكاك بمراكز تجارة الهند والشرق الأقصى الفنية، فقد أخذت الدول البحرية الأوروبية في التنافس على سيادة المنطقة، فقامت مستعمرات برتغالية، وأحفظها الإنجليزية وهولندية وفرنسية في الهند وما حولها، ولعب الدافع التجاري دوره في زيادة أهمية البحر الأحمر وبلاد الشرق الأدنى كجسور موصلة بين أوروبا والهند. وبرزت أهمية سواحل الجزيرة العربية جميعاً في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وأصبحت موضع تنافس شديد بين القوى الأوروبية لأهميتها بالنسبة للتجارة وحماية السفن والطرق التجارية. وكان جميع الأوروبيين الذين ارتادوا سواحل الجزيرة العربية أو اختبروها خلال هذين القرنين إما مسلمين ارتدوا عن المسيحية، أو غزاة أو رسلاً متنكرين كانوا يحملون أثياب هامة إلى أوروبا، أو بحارين انتشلوا من سفن عسمة، أو أسرى معارك بحرية. ونظراً لعجز الألمان آنذاك عن اللحوض في ذلك المعرك التجاري، فإنه لم يكن لهم نصيب يذكر مما كتبه أولئك الرحّالين الأوروبيين المغامرين أمثال فارتيا وألفونسو دالبوكيك والإنجليزى ومدثنين والفرنسيين باربيرودى لاغريلويتير عن الجزيرة العربية من روايات ومذكرات كان لها التأثير، رغم ضحالة محتواها العلمي، في إثارة الفضول لمعرفة المزيد عن هذه البلاد وكشف

النقاب عن جغرافيتها ومدنها وسكانها وتاريخها الطبيعي. وإذا حرم الألمان من أي نصيب تجارى في المحيط الهندي والبحر العربي، إلا أنه كتب لواحد منهم أن يكون الراكب في تأليف أول كتاب علمي عن اليمن والساحل الغربي للجزيرة العربية في أوروبا، وأن يكون العضو الوحيد الذي يبقى على قيد الحياة من بعثة استكشافية علمية هي الأولى من نوعها إلى بلاد العرب، ليقوم بتسجيل هذه الرحلة. وليصبح كتابه حجر الأساس الذي يبقى عليه كل من احببه من رحالين ومكتشفين أوروبيين في ربوع شبه الجزيرة العربية.

في منتصف القرن الثامن عشر اقترح استاذ اللغة العبرية في جامعة جوتينجن الألمانية ومستشار البلاط الدانمركي آنذاك ميشائيلس على ملك الدانمارك فريدريك الخامس إيفاد بعثة علمية إلى شبه جزيرة العرب للقيام بأبحاث جغرافية واخرى تتعلق بالكتاب المقدس. واختير أعضاء البعثة كل حسب اختصاصه بحيث يتم التمايز فيما بينهم جميعاً دون رئاسة أحد منهم. أما أعضاء البعثة فكانوا: بيتر فورسكال، عالم نباتي، وكريستيان كرامر، جراح وعالم حيوان، وفريدريك فون هالز، عالم لغوي ومستشرق، وجورج فيلهلم باورفاندين، رسام وفنان، وشامد سويدي يدعى برغ غرن، وأخيراً كارستن نيور، مهتمس الماني ولد عام ١٧٣٣ بالقرب من هانوفر، ودروس المساحة والرياضيات في جامعة جوتينجن، وشاهد القدر أن يكون الوحيد الذي يبقى على قيد الحياة من أعضاء البعثة، وحاد بمفرده ليكتب التفاصيل لبقاء عن رفاقه الرحالين.

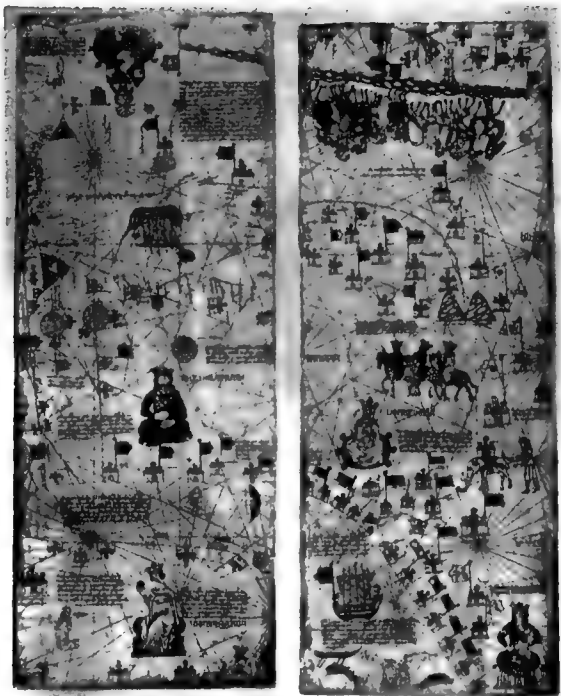
غادرت البعثة كوبنهاجن عام ١٧٦١ وانجهت إلى القسطنطينية ومنها إلى الاسكندرية فالقاهرة. ثم أبحرت من السويس على البحر الأحمر عابرة يافع حتى بلغت جدة. وكانت الرحلة لا تخلو من الخطر بسبب الصخور المرجانية والتضاريس الكثيرة وازدحام السفينة بالمسافرين. وسجل نيور أن التحصينات القديمة التي بنيت في جدة لمقاومة البرتغاليين كانت مدمرة، وكانت يوت جدة معظمها من الخشب ويضل الماء إليها على ظهور الجمال من خزانات على التلال المجاورة. ولم يكن ميناء البلدة أكثر من سوق تجارية بين الهند ومصر، يسيطر عليها الانجليز. وبعد انتظار شهرين في جدة، حيث عمل الرحالون الأوروبيون بكثير من اللد والتساهل، ظهر في الميناء مركب متجه إلى الحديدة، فاستقلوه رغم صغر حجمه وغبطة شكله. وبعد ستة عشر يوماً بلغوا لها، وكان حاكمها رجلاً مهيباً، مستقبلاً، حسن الطباع. وأثنى الرحالين عن

حاكم لها غابهم من استكشاف اليمن - وأخبروه أن وجههم غام حيث سيلتقون بسفينة انجليزية إلى الهند. كانت لها بلدة فيها عدد قليل من البيوت الحجرية. أما أغلبها فقد بنى بالطين، بينما نمت الأشجار الكثيفة على سفوحها. وكان أقرب مكان لماء الشرب يبعد ثلاثة أميال عن البلدة البائسة في ميانها. والتي تمشي بالدرجة الأولى على تجارة القهوة. وكانت بلدة بيت الفقيه المركز الداخل لتجارة القهوة في طريقها من جبال اليمن إلى لها والحديدة وغما. وكانت الحديدة ذات مرفأ صغير أفضل بقليل من مرفأ لها. أما غما فكانت الميناء الرئيسي لتجار القهوة القادمين من مصر وسوريا وإيران وشمال أفريقيا.

وعندما زار أعضاء البعثة بيت الفقيه استقبلهم الحاكم المحلي بكرم وود. وسمح لهم بالتنقل في كل مكان، فالتقوا هناك بعدد من المثقفين العرب الذين لم يكن منظر الأوروبيين أمراً غريباً عنهم. ومن بيت الفقيه قاموا بجولات عديدة عبر اليمن، فزاروا تمز وصنماء والقرى الجبلية، ووجدوا أن السياحة في اليمن أقل خطراً منها في أي بلد آخر. ولتجنب الصوص واستبعاد الشكوك اتخذ نيور زى رجل فقير بسيط وامضى حماراً وراح يحول في ربوع تامة حتى تعرف إلى جميع بقاعها. وفي المرتضعات الداخلية اكتشف مزارع القهوة، حيث كانت الصخور البركانية تستخدم كجدران دافعة لمزارع القهوة التي جعلت شرفات مدرجة. ورغم ثروة البلاد بزراعة القهوة، إلا أن هذا المنتج الزراعي كان عاجزاً عن كفاية كثير من القرى التي كانت تضمحل تحت وطأة الفقر وسوء الحال، والتي كانت اللدة تشكل الطعام الرئيسي لسكانها.

وفي غما اسيتت معاملة رحالينا في بادئ الأمر، ثم أحسن اليهم بعد أن نجح كرامر في معالجة حاكم المدينة. ويصف نيور بغارة غا التي يخجركها الانجليز، كما يذكر الامتيازات التي كانت تمنحها لهم سلطات الجمارك والمكوس خلافاً لغيرهم من التجار العرب والأتراك والهنود. وخلال فترة إقامتهم في غما فجعوا بموت فون هالز بعد مرض شديد ثم دفن في مقبرة الأوروبيين هناك. ثم غادرت الجماعة غما تلبية لطلب الإمام بالثلث بين يديه في صنماء، وفي منتصف الطريق مات فورسكال بعد مرض شديد أيضاً، بحيث خسرت البعثة بهاتين الضميتين أفضل مستشرق وأربع نباتي بينهم. ولما وصل الرحالين صنماء استقبلهم الامام بالترحاب والود. ويصف نيور القاعة الكبيرة ذات السقوف المقوسة حيث كان الأمير يجلس





الخريطة الخامسة في «الأطلس الثلاثون» لفرانسيسكو دي كريكسكو في مدينة بلما على جزيرة مايوركا الإسبانية عام ١٣٧٥.  
 Sabat-Vorlag, Berlin. نشر دار نشر ماغولي لتصميمها لنا بنشر هذه اللوحة.

هذه الحملة الاستكشافية وحده. وقد حاول بنجاح كبير أن يسجل الاكتشافات التي قام بها جميع افراد البعثة، لا مغامراته وحدها فقط، لا بل إن قصته تكاد تخلو من أى طابع شخصي يتعلق بذاته هو، ويمكن اعتبار كتابه خلاصة نتائج هذه البعثة وتنصرف فيه اعمال جميع اعضائها، رغم أن البعثة انتهت قبل موعدها المرسوم ولم تحقق كل المهمات التي كان ملك الداغارك قد حددتها لها.

وكجميع كتب رحلات القرن الثامن عشر، فإن رواية نييور حافلة بكل ما يمكن تسجيله من ملاحظات ومعلومات كانت تعتبر ذات أهمية لإنسان ذلك القرن، الذي يدعي بحق عصر الفتح العقلي. فيحتوى كتابه على وصف كل ما يمكن أن تقع عليه عين أوروبي متعطش للمعرفة، كما أنه يحاول الجواب على كل ما يدور برأسه من أسئلة : فمن وصف عام لمصر ومدينتي وسكانها وتجارها، مع تفاصيل ممتعة عن آلات الري والفلاحة والطواحين وعصارات الزيت وأفران تفتيقس البيض، إلى وصف حياة أهل مصر وأزيائهم ومبازلهم ولهموم في ساعات الفراغ، إلى وصف عام لموانئ الجزيرة العربية وحركة تجارتها النشطة، وبحث مناخها وجغرافيتها وسكانها، وتعليقات عن الدين الإسلامي ومذاهبه وتاريخ العرب والحاضرة والبلد وعاداتهم وتقاليدهم. ولكن ما يميز كتاب نييور عن أمثاله من كتب الرحلات في عصره أن الصفة الغالبة في أسلوبه هي روح البحث العلمي المخرج من التحيز والحكم المسبق، فمقله المترن، وتفكيره الهادئ الذي لا يعرف التفرغ لم يؤديه به إلى التسرع في إصدار أحكام سطحية حول البلاد وسكانها. ولعل لأهله الرقيب الألماني، والغاية العلمية من رحلته الفضل في خلوصه من «الروح الامبريالية» التي تميز الكتب الأوروبية الأخرى عند الحديث عن العرب وسكان بلاد الشرق الأدنى. فهو لم يعتبر نفسه قطعاً أسى من أولئك الذين جاء ليعرس أساطيرهم، بل كان ينظر حوله بين الفيلسوف الذي يرى الكل من خلال الجزء، ويدرك الأمر الأسامي من الحدث المارض. وكانت الصفات الانسانية العامة هي التي تجلب اهتمامه، وروح الانصاف هي التي تميل عليه أحكامه، كما أنه لم يكن متأثراً بيوم التفوق الأوروبي المنتصرى بحيث يحرمه ذلك من الشعور بالوجه تجاه شعب شرقى. ولذا فقد تكيف لتقاليد اليمن فوراً، دون أن يخطئ على ياله أن في ذلك أى مس لكرامته ولسمعة بلاده؛

متربها على الوسائل الوفيرة، وعليه ثياب خضراء فاخرة مشحمة باللحلب. وبعد تقبيل يديه وأطراف ثوبه، اخبره الرحالون بأنهم في طريقهم إلى الهند وأنهم مروا ببلاده ليقتلوا وصف ثروتها ورفائها وأمنها إلى ابنة بلادهم. وعندها سمع لهم الامام بالبقاء ما شاءوا. ولكنهم لم يكتفوا أكثر من عشرة أيام حاولوا أن يجمعوا فيها أكثر ما يمكن من معلومات عن المدينة وما جاورها. ويذكر نييور أن صنعاء كانت محاطة بسور من الطابوق وأنه بنيت اقنية في الجبل الجاور لنقل المياه الوفيرة إليها. وكان في المدينة سبع بوابات، اثنا عشر حماماً وعدة قصور فخمة. وكان السكان أقل عدداً مما كان مظهر المدينة يتم عليه لأول وهلة، إذ كانت الحدائق تغطي معظم مساحتها المترامية الأطراف. وبني بعض البيوت بالحجارة، بينما بني معظمها بالطابوق الخفيف بجمرة الشمس. ولم تكن الانخشاف المستخدمة في التجارة وفيرة بل كانت تجلب من مكان يبعد بمقدار رحلة لثلاثة أيام من صنعاء. ولكن القواكه كانت وفيرة. فمن الاعتاب وحدها كان يوجد عشرون صنفاً بحيث كانت تصدر كميات كبيرة من الزبيب. ويصف نييور كثيراً من مظاهر المدينة الاجتماعية بحيث قدم في ذلك معلومات جديدة تماماً بالنسبة لإنهاء عصره، كوصفه لعادات أهل البلد وحياتهم اليومية واصحاب الحرف اليدوية الذين كانوا يعملون في الطرق العامة، وخانات المسافرين والتجار، والحمائم العامة، ومازالت الصورة الزاهية التي رسمها نييور لصنعاء تتمتع بالقارئ حتى اليوم.

وعندما غادرت الجماعة صنعاء بحث الامام لكل من افرادها بمجموعة من الملابس الوطنية كهدية منه، كما جهزم برسالة إلى حاكم شأ ليندهم بعض المال. ويذكر نييور أن الامام كان من السخاء والجلود تجاه الثرياء بحيث كان الأثراك كثيراً ما يستقلون طيب معدنه فيمكنون الشهور الطويلة في صنعاء يستمعون وينفقون على حسابيه. ونحت وطأة شمس آب مرض نييور وكرامر وبازونفايند في طريقهم إلى شأ. وسين غادروها وانجهروا إلى الهند ماتت بازونفايند وبرغ غرن أثناء الطريق، وفي يوبى مات كرامر بعد بضعة شهور. وهكذا فقد فرض مناخ اليمن الحار صيرته على أرواح الجميع باستثناء نييور الذي ظل أربعة عشر شهراً في يوبى عاد بعدها إلى أوروبا عبر مسقط وخليج البصرة والرافق وسوريا. وكان من نصيب نييور، الذي قاوم حتى النهاية. وأبدى نشاطاً وهمة وقوة إحمال لاحد لها خلال الرحلة كلها، أن يكتب قصة

وانحنى لامام اليمن وقبل يديه كماله لا يقل في بلاده  
قدراً عن الملك فريدريك في المانمارك .

لقد ظل كتاب نييور لأكثر من قرن ونصف قاعدة  
ونموذجاً أصيلاً لكل من يريد أن يعرف شيئاً عن بلاد  
العرب، ومرجعاً لكل رحلة جاب الجزيرة العربية بعده.  
وإن ميزته العظيمة كمرجع علمي تعود بالدرجة الأولى  
إلى شدة نييور في ضبط نفسه وكبح جماحها. وإن هذه  
الموضوعية التي تميز كتابه تملأ القارئ كذلك بالثقة في صدق  
ودقة ملاحظات المؤلف وتعليقاته. وقد ثبت صدق هذه  
الملاحظات أمام امتحان الأجيال القادمة من الرحالين  
بحيث يجار القارئ في أيهما يتتبع أكثر : الثقة والصدق  
في وصف ما رآه نييور بعينه، أم التمهيص والصحة في  
ذكر ما جمعه سماعاً أثناء تحركاته الشخصية عن البقاع  
التي لم يتمكن من زيارتها بنفسه. فقد كانت مهمته  
أن يجر ملكه ومواطنيه عن الجزيرة العربية كلها، وليس  
عن اليمن وحدها فقط. وإذا كان ملماً بأهم المؤلفات  
العربية والأوروبية عن جغرافية الجزيرة العربية، فقد كان  
حريصاً على سؤال كل من كان يصادفه من العارفين  
وجمع كل ما كان يسمعه من أقوال المسلمين المثقفين  
في ألحانات والمقاهي والأسواق العامة من جملة حتى  
صنعاء. وكان يقرأ ويحصى ويدرس حتى ينهي إلى القول  
الأكثر صدقاً والأرب من الحقيقة؛ وإن ذلك القسم  
من كتابه الذي يتناول فيه بقاع الجزيرة التي لم يزرها  
بنفسه هو الأكثر قيمة، حتى يمكن القول بأنه قدم  
أوروبا من مرتبة التخمين إلى مرتبة المعرفة عن شبه  
الجزيرة العربية .

أما أهم ما سجله نييور بعد تمحيص وتحقيق فهي الحركة  
اليهابية بعد أن أدرك يبعد نظره خطورتها وطاقاتها النامية  
في الجزيرة العربية. ولو اعتبرنا ملاحظاته عن الاسلام  
عموماً لوجدناها تميل إلى الانحائية أكثر من التجريح.  
فقد أدرك أن المبادئ الأساسية والأركان الأصلية للاسلام  
ليست عدائية بطبيعتها، وأن المسلمين عموماً لا يضطهدون  
أتباع الأديان السبائية الأخرى إلا إذا شعروا في ذلك  
بتهديد مباشر لهم. وصرح أن النبي دعا إلى الاعتان بدينين  
أكثر بساطة في الأصل مما أضاف إليه المفسرون والمؤولون  
فيا بعد من بدع وتعقيدات. وفي الكلام عن الحركة  
اليهابية يقول :

«منذ حين من الزمن نشأت حركة دينية جلييلة ...  
أشعلت نورة في أرجاء شبه الجزيرة العربية، ومن المحتمل

فيا بعد أن يزداد نفوذها في البلاد ... فقد علم عبد الوهاب  
أن الله وحده هو الخالق بالمبادأة والنعاء، كخالف الكون  
وسيد العالم ... واعتبر محمداً وعيسى المسيح وموسى  
وغيرهم من الأنبياء عند الله مجرد عظماء يمكن قراءة  
سيرهم وتواريخهم مع التصحيح، وأدرك أن يكون أى كتاب  
قد كتب بالوحي الإلهي، أو أنزل من السماء على يد  
جبرئيل ... إن دين عبد الوهاب الجديد يستحق إذن  
أن يتبر اصلحاً للدين الحملى، مبدلاً لإياه إلى بساطته  
الأصلية. ولعله ذهب في ذلك إلى أبعد مما فعله غيره  
من المصلحين ... »

ورغم أن نييور لم يتعرض إلى ذكر كل معود من الدرعية،  
الذين ناصروا المصلح الذي وكتب لم أن يعلوا دوراً  
تاريخياً كبيراً، إلا أن ما ذكره عن اليهابية في أوائل  
عهدنا وعن سيرة البشر بها محمد بن عبد الوهاب  
موضوعي وصائب إلى حد بعيد .

لقد صدر كتاب نييور «رحلات خلال جزيرة العرب»  
بالألمانية عام ١٧٧٢ ثم ترجم إلى الفرنسية والإنجليزية  
وظل المرجع الوحيد عن اليمن والجزيرة العربية الأكثر  
في نصف قرن. أما نييور نفسه فقد عاد عام ١٧٦٦  
وقبول بما يستشفه من تكريم علمي واجتماعي وأصبح  
عضواً لمند كبير من الجمعيات العلمية حتى مات عام  
١٨١٥.

منذ صدور كتاب نييور عام ١٧٧٢ حدثت أمور كثيرة  
في منطقة الشرق الأدنى مما زاد من فضول الأوروبيين  
لزيارة هذه البقاع وصعرة المزيد عن قلب الجزيرة العربية.  
فقد تحققت نبوءة نييور بشأن حركة الوهابيين التي أدخلت  
تحتاج أرجاء الجزيرة العربية. ولا يتسع المقام هنا لسرد  
الوقائع التاريخية التي حدثت في المنطقة حتى بداية القرن  
التاسع عشر بالتفصيل، ولكن يكفي القول بأن هبة  
اليهابيين واستيلائهم على مكة ثم تدخل الأتراك وحيلة  
نابليون في مصر وانتصار محمد علي على ممالك مصر،  
كل ذلك ساعد على مضاعفة اهتمام أوروبا بالشرق  
الأدنى. وقد جاب عدد لا يستهان به من الأوروبيين  
بلاد العرب في المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر  
وكتبوا قصص رحلات لا تخلو من الأهمية، ولكن رحلة  
ألمانياً جريئاً جمع بين العلم والمغامرة يجلب اهتماماً بوجه  
خاص، إذ يشكل حلقة الوصل بين نييور المحدث الأمين،  
ويوركيهارت الفقيه المتبحر في علوم الدين الإسلامي واللغة  
العربية، وكاشف الثقاب عن مكة والمدنية. أما هذا  
الرحلة فهو أولرشر ياسبر زيتسن.

العلمي، فهي زاخرة بالمعلومات القيمة في حقول الحيوان والنبات والتلين والزراعة والجغرافيا والتاريخ القديم. وقام عدد من العلماء باصدار مذكراته بعد موته بعدة (أعوام<sup>٥</sup>). وهكذا فإن للمسألة التي حرمت أوروبا من اكتشافات عظيمة الأهمية ومن ثمرة أبحاث هذا العالم الجريء المغامر في الحجاز واليمن قد حرمت كذلك من بعض الشهرة التي كتب لها أن تكون من نصيب رحلة من أصل سويسرى عريق.

ولد يوهان لودفيج بوركهارت عام ١٧٨٤ في لوزان ودرس منذ عام ١٨٠٠ في لايبزغ، ومنذ ١٨٠٤ في جوتنجن. ولما رفض الخدمة تحت راية نابليون فقد سافر عام ١٨٠٦ إلى إنجلترا ودرس اللغة العربية والعلوم الطبيعية في لندن وكامبردج بتعمق ومثابرة. استمداً للقيام برحلة إلى الشرق وأواسط أفريقيا بتكليف من الجمعية الأفريقية البريطانية. وفي ١٤ شباط (فبراير) عام ١٨٠٩ أبحر إلى مالطة ومنها إلى حلب متذكراً كاتجر مسلم هندي باسم الشيخ إبراهيم بن عبد الله. ليستطيع بذلك تبرير أية لكنه أجنبية قد تلاحظ في نطقه العربي. واستغل اقامته في سوريا (مابين حلب ودمشق) في التبحر في دراسة لغة وتاريخ وجغرافية بلاد العرب والإسلام. وكان يقنع ساليه من السوريين إذا طلبوا إليه أن يتكلم بالأمثلة بالتحديث بالأكاديمية السورية التي تمتاز بالأصوات الحلقية. غير أنه تمكن أثناء اقامته في سوريا من اتقان العربية والتحدث بها بطلاقة ونطقها على الوجه الصحيح، ومن التضلع في اصطلا، حتى أن بعض فقهاء حلب كانوا يستمعون بمعرفته أحياناً على تفسير بعض النصوص والمسائل المعقدة. وسافر بوركهارت خلال الفترة ما بين ١٨١٠ و ١٨١٢ إلى لبنان وحوارن وشرق الأردن، وأهم كثيراً بما شاهده من آثار وكتابات من عهد تراجان وماركوس أوريليوس. وأثناء طريقه إلى القاهرة في منتصف عام ١٨١٢ اكتشف آثار البراء القديمة بما أذاع شهرته بين علماء الآثار في كل مكان في العالم. وكانت خطة بوركهارت أن يبدأ رحلته الاستكشافية الأفريقية من مصر فيلتحق بقافلة إلى فزان، وبعدها يواصل رحلته لاكتشاف منابع النيجر. وبينما كان ينتظر القافلة في القاهرة، تمكن من مقابلة محمد علي باشا، الذي أعجب بشخصيته وبعلمه، وأمهده بتوصيات للقيام برحلة إلى التوبه. وإذ اعتبر هناك جاسوساً لباشا مصر فقد منع من مواصلة رحلته، فالتحق بقافلة كانت تسير كل عام

(٥) ذكر الكتاب مع المراجع.

ولد زيتسن عام ١٧٦٧ في قرية صوفينغردن في شمال ألمانيا ودرس في جامعة جوتنجن الطب والعلوم الطبيعية والمنظمة وساهم منذ حطائه منه بنشاط علمي كبير بحيث اشتهر اسمه في أوروبا بفضل مقالاته العلمية في حقول الحيوان والنبات والاقتصاد. وتوجت جهوده العلمية عام ١٧٩٥ بتعيينه عضواً في جمعية الأبحاث الطبيعية في برلين وغيينا. ونظراً لصلاته الوثيقة بأهم علماء الفلك والطبيعة والجغرافيين والرحالين فقد صمم على القيام برحلة إلى الشرق وأفريقيا يقطع فيها الشرق الأدنى حتى يصل أفريقيا الغربية لاكتشاف منابع النيجر. وتمهد التدفق غوتا بحماس برعاية رحلته وتأمين كل ما يحتاج إليه من آلات فلكية وجغرافية. وفي ١٣ حزيران (يونيو) عام ١٨٠٢ غادر زيتسن منطقة يفر إلى غوتا ثم فيينا. وعبر البلقان إلى القسطنطينية حيث مكث فيها ستة شهور. وبعد جولة في جزر الأرشipel في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨٠٣ إلى حلب وسكت فيها عاماً ونصف العام ليتعلم العربية. ثم سافر إلى دمشق وسكت فيها وقتاً طويلاً وعبر جبال لبنان، ومر بصور، ثم انغدر إلى القدس ووصلها في ٧ نيسان (أبريل) عام ١٨٠٦. وتجهل في ارجاء فلسطين ثم انحدر بعد عام إلى منطقة البراء وعبر صحراء سيناء واجازت السويس إلى القاهرة. وهنا مكث من مائس عام ١٨٠٧ حتى آذار (مارس) ١٨٠٩. وبعد جولة إلى الفيوم عاد إلى السويس وأبحر منها إلى جدة، ومضى منها إلى مكة التي بلغها في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨٠٩ وبقي فيها مدة ليرسم خطة دقيقة للكمية. وبعد الحج زار زيتسن صنعاء وعلد. ثم أجه من الساحل إلى مرتفعات اليمن مع عدد من الجمال متذكراً كطليب شرق باسم الحج موسى. ولكنه قتل بالقرب من قمز ولم يعرف القاتل ولا سبب القتل حتى الآن. ولكن الغالب أنه لم يقتل طمعاً في أمواله وقافلته وإنما بايزاز من إمام صنعاء الذي شك بحقيقة إسلامه والغرض من رحلته. وعلى أي حال فقد سبق لزيتسن أن مر بامتحان دقيق على أيدي الوهابيين في مكة وأثار الشكوك حوله هناك، وكان خطوه أنه سافر عبر الطريق نفسه. وكان زيتسن أثناء رحلته قد بحث بدة غخطوطات وقطع أثرية إلى غوتا وهي تشكل المخطوطات الأساسية للمتصح الشرق هناك، كما أنه كان قد بحث برسائل وأبحاث نشرت في عدة مجلات معاصرة. ولكن أغلب مذكراته وكتابه وحجابه قلقت، ولم ينفذ منها إلا ما كان قد أرسله إلى أوروبا. ومن هذه المذكرات يتضح مدى اهتمام زيتسن باستخدام رحلته لأغراض البحث

ut in eis erudiret israelam et ut consuetudinem haberent prestandi rē.  
Sic fortassis id ipsum non incongrue dici potest in proposito ut scilicet  
et saracenos dimittat dñs vel in flagellum vel exercitui populi pprii  
m. Sed ego nichil temere diffinens id doctoribus relinquo. Hoc vnu  
scio psalmista testante quia iudicia dei absissus multa rē. Quis autem  
nouit sensum dñi aut quis consiliarius eius fuit. Apostolus etiā elar  
mat. S altitudo diuinarū sapientie et scientie dei q̄ incomprensibilia  
sunt iudicia eius et inuestigabiles vie eius. Et tantū de Saracenis.



Saraceni lingua et littera videntur Arabica hic inferius subimpressa.

Dal	Dal	Ech	Had	Bim	Ted	Te	Be	Alaph
>	>	>	>	>	>	>	>	J
Ayn	Dad	Ta	Dad	Sad	Sad	Sad	Sad	Es
Ɔ	D	D	6	6	6	6	6	J
hehe	Nun	Mym	lam	lam	cap	fab	ffa	Sad
6	6	6	J	J	J	J	J	6
volpula	me	me	me	me	me	me	me	me
me	me	me	me	me	me	me	me	me

ذات بيوت حجرية مرتفعة، وجدران تختلف الإصهار  
لشدة يابضها، وتحصينات مهمة، ومدفع كبير وبضعة  
أشجار نخيل، وصحراء جرداء تحيط بها من كل جانب.  
وكانت جلة قد اضمحلت تحت حكم الوهابيين بسبب  
ضعف مواسم الحج، وخوف التجار من إرسال بضائعهم  
إلى بلاد يعوزها الاستقرار. أما سكان البلدة فكانوا خطيئا  
من العرب الحجازيين الاقحاح، واليمنيين والحجازية  
والمصريين والسوريين والأتراك والمندى وأهل الملايو.  
وكان كثير من هؤلاء من يتزوج من الجوارى الحبشيات.  
وكانت جلة ميناء الجزيرة العربية ومصر، وسوق البضائع  
المندية وظهر اليمن. وكان مدى رخاء البلدة يتوقف كليا  
على نشاط تجارتها. ولم ترق فيها صناعة بناء السفن لافتقارها  
إلى الأخشاب اللازمة. ولم تكن حرفها لتتجاوز الحاجات  
المحلية كالخياطة وصناعة النعال. ويعتمد بوركهات وصفه  
المفصل لبلدة بالتبني التالي :

وعندما ستضمحل سلطة الأتراك في الحجاز، وهذا  
ما سيحدث عندما تقطع موارد مصر عن التدفق على ذلك  
البلد بفضل حكم قدير مستقر كحكم محمد علي لمصر،  
فسياخذ العرب بأطروم الشخصفوع الذي يتقبلونه مرعفين  
نجاه قاهرهم، ومن المحتمل أن ينشئ حكم العثمانيين  
في الحجاز بعد مشاهد كثيرة من سلك الدماء.

ثم واصل بوركهات رحلته من جلة إلى الطائف، حيث  
كان محمد علي قد أقام مقراً لقيادة جيشه، وعبير الطريق  
فوق سلسلة من التلال والصخور الجرداء تتخللها الوديان  
الخصبة. وكجدة، فقد كانت الطائف قد انهارت كذلك  
تحت حكم الوهابيين، فبذت غرائب تكاد تكون مهجورة،  
بينما كانت في السابق سوق القوة اليمنية عبر الطريق البري.  
وكانت تمتد فوق سهل رملي تحيطه تلال منخفضة تنتشر  
على سفوحها البساتين وحقول الحنطة والشعير تروها  
الجدالو المنحولة من المرتفعات.

وفي الطائف استطاع بوركهات، بفضل تبحره في اصول  
الدين والفقه الإسلامي وقواعد اللغة العربية وعلوم القرآن  
والتفسير أن يزيل كل شك حول حقيقة اسلامه بعد أن  
اجتاز امتحاناً صعباً أمام قاضي مكة الذي كان موجوداً  
في الطائف آنذاك. ولا تتخلل مقابلاته مع محمد علي في  
الطائف، وما كان يلور بينهما من أحداث، من أهمية  
تاريخية ومن طرائق في القاء أضواء على جوانب من دهاء  
ذلك الحاكم الكبير وطريقة تفكيره السياسي.

وغادر بوركهات الطائف في بداية أيلول (سبتمبر) متجهاً  
إلى مكة حتى وصلها بعد رحلة يومين في جو عاصف.

من الصعيد عبر الصحراء النوية إلى مبيدنى وستار. وفي  
مبيدنى تحول مع قافلة أخرى عبر طريق لم يطررها  
أوروبي بعد، ثم يبربر إلى سواكن، على البحر الأحمر،  
ومنها أبحر إلى جدة.

وهنا لا بد من ذكر عرض موجز لما حدث في الجزيرة  
العربية من تطورات على يد الوهابيين وبسببهم منذ غادر  
نيورالين حتى دخول بوركهات الحجاز. فحين مات ابن  
سعود عام ١٧٦٥ الذي كان قد ناصر محمد بن عبد الوهاب،  
واستطاع بسيفه وعشيرته أن ينشر الفكرة الجديدة ويوطد  
أركانها، كان الوهابيون يسيطرون على جميع أرجاء نجد.  
وواصل ابنه عبد العزيز مهمة أبيه فهدم مكة، وبث  
بابنه سعود إلى خليج البصرة فأكسح الكويت، ثم اجتاحت  
كربلاء وهدد حلود بغداد. وفي عام ١٨٠٣ دخل  
الوهابيون مكة ولكن أهلها قتلوا رجال حاميتهم فيها بعد  
سجن. وباعت محاولة الوهابيين في الاستيلاء على المدينة وجدة  
بالفشل. ولكن بعد مقتل عبد العزيز في العام نفسه جلد  
ابنه سعود المجرم على الحجاز فاستولى على المدينة المنورة  
عام ١٨٠٤ وعلى مكة عام ١٨٠٦ وعلى جدة بعد ذلك  
بقليل. وفي الأعوام التالية تخطى غزاة الوهابيين حدود  
الجزيرة العربية فهاجموا النجف ودمشق إلى قاصبتهم بنجاح.  
وفي عام ١٨١١ كانت امبراطورية الوهابيين تمتد من حلب  
شمالاً حتى المحيط الهندي، ومن خليج البصرة والعراق  
شرقاً حتى البحر الأحمر. وبلغ ذعر الحكومة العثمانية حداً  
بعيداً، حتى حث محمد علي باشا والحث عليه مراراً  
في القضاء على نفوذ الوهابيين. وأرسل محمد علي ابنه  
طوسون على رأس جيش لم يستطع الصمود في بادئ الأمر،  
ولكنه تمكن بعد تعزيزه من استرجاع المدينة عام ١٨١٢،  
ومكة عام ١٨١٣. ورغم قيام محمد علي بنقشه بقيادة  
جيش مصر في اواخر عام ١٨١٣، إلا أنه أصيب بضائر  
جسيمة، غير أن المقادير شامت أن تضرب الوهابيين بموت  
قائدكم سعود في أول مايس عام ١٨١٤، أي قبل دخول  
بوركهات إلى جدة بشهرين. وبعد أربعة أعوام تم  
القضاء على الامبراطورية الوهابية الأولى عام ١٨١٨ عندما  
اعتقل ابن سعود وخليفته عبد الله علي يد ابراهيم باشا  
وتم اعدامه في القسطنطينية.

وهكذا فقد كان من حسن طالع بوركهات، وما ساعد  
على تحقيق زيارته إلى مكة والمدينة أن وافى المدينة سعود  
قبل دخوله جدة بشهرين، وأن كان محمد علي، للمحضر  
للمسامح، الذي سبق أن قابله في القاهرة موجوداً في  
الطائف آنذاك. ولم ير بوركهات في جلة أكثر من بلدة

وفي مكة قام قبل كل شيء بفرائضه الدينية داخل بيت الحرام. وحضر مراسم الحج على جبل عرفات. وأمضى ليلته في مسجد المزدلفة وأشارك في مراسم الرجم والتضحية في وادي منى. وأطلق موكبا الحج السورى والمصرى مدلين إعلاناً بفتح يوم الحج وأيلاناً بموعد الصلاة. ومن قمة عرفات أشرف بوركهات على السهل الممتد دونه واستطاع أن يعد حولى الثلاثة آلاف خيمة. القان منها للمركبين السورى والمصرى والمرافى محمد على وجنوده وألف لعرب الحجاز. أما أغلب الجموع فقد كان بدو خيام. وعندما خيم الليل حملت آلاف المشاعل، ورفع أربعة وعشرون منها أمام باشا مصر، محمد على، وظلها أمام باشا دمشق، سليمان. وأطلقت المدافع والصواريخ في السماء وراحت الفرق الموسيقية تزف، وانتقلت جموع الحجاج في هرج صاخب إلى المزدلفة. وبعد خطبة الامام أدى الحجاج فريضة صلاة العيد ثم اتفلقا إلى وادى منى. إن وصف بوركهات لتفاصيل الطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة وزيارة العمرة وعرفات وادى منى وملاحظاته عن مكة وعموماً وأهلها ومنظهم وعاداتهم ونفسياتهم وتجارتهم ادى واتم ما كتب إطلاقاً حتى أنه لم يترك شيئاً جديداً يوصف لمن جاء بعده من الأوروبيين إلى بيت الحرام. ومن ملاحظاته المهمة أيضاً وصف قوافل الحج المختلفة وطرق تحركاتها، واحمها الموكبان السورى والمصرى، وتليهما قوافل حجاج إيران التي تمر ببغداد ثم يتصل قسم منها بالموكب السورى وقسم يواصل السفر عن طريق البصرة، وقوافل شالي أفريقيا التي تمر بتونس وطرابلس ثم تلتحق بالموكب المصرى.

بعد القيام بما تبقى من الفرائض في وادى منى وفي مكة سافر بوركهات في كانون الثاني (يناير) عام ١٨١٥ إلى المدينة المنورة وزار شريح الرسول. ولكنه أصيب في المدينة بحمى اطرحته الفراش. ولما تحسنت صحته قليلا انحدر إلى ينبع ومنها إلى القاهرة حيث انتشل بمراجعة مذكراته وأتمامها لنقلها إلى الجمعية الأفريقية، وفي الوقت نفسه أخذ ينظر قافلة فران طويلا ليرافقها ويواصل رحلته إلى أفريقيا. ولكن قواه التي انهكها المرض خاتته، ففاضت روحه في الوقت الذي كانت القافلة قد استعنت فيه للسفر في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨١٧. ودفن في المقبرة الإسلامية بعد أن أقيمت له جنازة خليقة بابرهم بن عبد الله، الحلاج الذى الروع، والسلامة الضايغ.

وكالرحالة نيور، فان بوركهات عالج جزءاً محدوداً،

ولكن هاماً في الوقت نفسه، من شبه الجزيرة العربية. إذ أن المنطقة التي استكشفها نيور كانت هامة بالنسبة للأوروبيين بسبب شهرتها المريعة بالتجارة والخصب. ولكن المناطق التي استكشفها بوركهات في الحجاز كانت لا تزال سراً عميقاً مهماً. ولم تكن علاقتها بالتجارة بمقدار ارتباطها بتعاليم ومراسم دين غريب عن الأوروبيين. مثير للدهشة بقوة وثباته. وهكذا فقد غادر بوركهات الحجاز وهو يحمل معه أدق تفاصيل سجلت قط عن الكعبة ومراسم الحج وتجارة الحجاز وسكانها. وكان اهتمامه الرئيسى مركزاً على دراسة العرب، بلوهم وحضرم. وتحليل مجتمعهم وطابعهم وتعاليمهم الدينية. ورغم أنه لم يساهم كثيراً في توسيع المعارف الجغرافية الدقيقة عن الحجاز إلا أنه قدم دراسة مفصلة واسعة عن المدن الرئيسية مكة والطائف وجدة. ومن هذه المراكز راح يتحرى بدقة نيور وتحميصه عن كل ما يتعلق بالجانب الغربى من قلب الجزيرة العربية وتكوينه السكانى، بحيث قدم معلومات جديدة شيقة عن قبائل هذه البقاع وتعدادها وعاداتها وأسلحتها ونظم معيشتها ومناطق استيطانها وغيولها وجملها.

ويتبر بوركهات البدو من أنبل الشعوب التي عرفها. وهم، رغم كل أخطائهم، أرفع من الأوروبيين في كثير من الصفات، كما أنهم أرق من الأتراك في كل اعتبار. وقد يحزن السلب والهب، غير أنهم يوضون عن ذلك بفصائل أخرى، أما الأتراك، في نظره، فيشركون في صفات البدوى السيئة ولا يهتمون إلى جانبها بأية صفة حسنة. والبدوى يجب الحرية بطبعه، وقد جعله هذا الحب يفضل خيامه في الصحراء على حياة الاستقرار للناعمة. والقبائل البدوى، رغم نزاعاتها القبلية، إلا أنها جميعاً تتمتع بكبرياء قومية تجمع بينها، كما انضج منها استيائها لانتصارات محمد على وألمها لأية خصاصة تصيبها على أيدي قوات أجنبية. ويرى بوركهات أن من أرق صفات الخلق البدوى عطفه وسعفه وإحسانه وسلوكه المسلم عندما لا تثار كبرياؤه وتجرح كرامته.

لقد أبدت الجمعية الأفريقية البريطانية اهتماماً كبيراً بما كتبه بوركهات من مذكرات وملاحظات وتعليقات أثناء سفره فنشرت على التوالى جميع كتبه الموضحة في نهاية هذه المقالة. وقد كتب بوركهات جميع مؤلفاته بلغة إنجليزية سليمة تمتاز بالأسلوب الرفيع، رغم أنه لم يبدأ في تعلمها إلا في الخامسة والعشرين، ورغم أنه كان يسجل مذكراته سراً وعلى عجل تحت عيائه أو خلف جملته،

التعصب والخرافة. ولقد رسم أوائل الرحالين صورة غامضة غريبة للشرق الأدنى، فرأى من جاء بعدهم يصححونها ويضيفون إليها حجراً بعد حجر، حتى أصبحت أقرب إلى الحقيقة. وإذا ترك أمر دراسة الشرق وحضارته وتاريخه وأديانه للعلماء المتخصصين في فروع الاستشراق المختلفة، فيمكن للرحالين المتصفين عمومًا، والألمان الذين كتبوا بصلدهم خصوصاً، فخر المساهمة في إزالة كثير من سوء الفهم والتفرض والتعصب، فالمعرفة الصحيحة تزيد الخوف والملاء، وتقيم أسساً جديدة للتأمل والصلابة.

خوفاً من اكتشاف أمره وإثارة شكوك مراقبيه في حله وترحاله. وقد خلف بوركهارت في وصيته كل ما جمعه من مخطوطات عربية تبلغ الثمانمائة مجلد بجامعة كامبردج، التي بدأ فيها دروسه العربية الأولى.

•

من كل ما سبق نلاحظ أهمية الدور الذي لعبه الرحالين الألمان، أو الناطقون بالألمانية، منذ العهد المبكر حتى أوائل عصرنا الحاضر، في تطوير الاستشراق في أوروبا، وجعله موضوعاً دراسياً خاضعاً للبحث العلمي بدلاً من

### مراجع البحث

من أم الكتب التي تبحث في سير الحجاج الأولين إلى الأراضي المقدسة التالية:

H. von Wissmann, Arabien. Dokumente zur Entdeckungsgeschichte. Stuttgart 1965.

Lahrkamp, Helmüt: Nordwestdeutsche Orientreisen und Jerusalemwallfahrten im Spiegel der Pilgerberichte. (Oriens Christianus, Bd. 40, 1956).

Rießer: Jerusalem-pilger und Kreuzfahrer aus Bayern. (Forschungen zur deutschen Geschichte, Bd. 18, Göttingen, 1878).

Röhrich, R.: Die Deutschen im Heiligen Lande, Innsbruck, 1911.

Tobler, Titus: Bibliographia geographica Palaestinae, zunächst kritische Übersicht gedruckter und ungedruckter Beschreibungen der Reisen ins Heilige Land. Leipzig, 1867.

وبالنسبة لرحلة إريدينباخ، انظر:

Lambert, R. S.: The Fortunate Traveller, London, 1950: وكتابه باللاتينية: Breidenbach, B. von: Peregrinationes in Montem Syon, 1486.

وبخصوص فون هارف انظر:

Beckingham, C. F.: Some Early Travels in Arabia: (The Journal of the Royal Asiatic Society, 1949).

وكتابه ثيريمتون:

Die Pilgerfahrt des Ritters Arnold von Harff von Cöln durch Italien, Syrien, Ägypten, Arabien, Aethiopien, Nubien, Palästina, die Türkei, Frankreich und Spanien, wie er sie in den Jahren 1496 bis 1499 vollendet, be-

schrieben und durch Zeichnungen erläutert hat, herausgegeben v. Dr. E. v. Groot, Cöln, 1860.

أما بلان نيرد وزيجن وبوركهارت فانظر:

Hogarth, D. G.: The Penetration of Arabia, London, 1804.

Kierman, R. H.: The Unveiling of Arabia, The Story of Arabian Travel and Discovery, London, 1937.

Fireme, Jacqueline: À la découverte de l'Arabie. Paris, 1958.

وقد صدرت كتبهم التالية:

Niebuhr, K.: Beschreibung von Arabien, 1772.

— Reisebeschreibung von Arabien und andern umliegenden Ländern, 2 Bde., 1774—78.

— Reisen durch Syrien und Palästina, 1837.

انظر أيضاً:

Thorikl Hansen: Reisen nach Arabien. Die Geschichte der königlich-dänischen Jemen-Expedition. Hamburg 1965.

Ulrich Jasper Seetzen's Reisen durch Syrien, Palästina, Phönizien, die Transjordan-Länder, Arabia Petris und Unter-Ägypten, Herausgeber: P. Kruse, Berlin, 1834—59.

Burckhardt, J. L.: Travels in Nubia, 1819.

— Travels in Syria and the Holy Land, 1822.

— Travels in Arabia, 1829.

— Notes on the Bedouins and Wahabys, 1830.

— Arabian Proverbs, 1831.



## الأبحاث العربية الجنوبية :

# إدوارد غلازر

(١٨٥٥ - ١٩٠٥)

بقلم: الأستاذ ماريّا هوفنر

العربي وأوجه حياتها الثقافية. وفيما يتعلق بأقدم العصور خاصة نعرف وثائق قليلة نسبياً، وهي في الغالب لا تحتوي على تفاصيل كثيرة. ولكنها تزداد عدداً في الأزمنة التالية وتصبح أكثر إحصائياً وتقدم عدة تفصيلات في غاية الأهمية. ومع ذلك فإننا لا نعرف دوماً إلا على مقاطع متفرقة لأبد من جهد جهيد لإتمامها والربط فيما بينها؛ وكثيراً ما نكره على الاكتفاء والتوقف عند نقاط قلقة غير أكيدة.

وقامت في الجنوب العربي قبل الإسلام ممالك أربع : سبأ وقحان ومعين وحضرموت. وكانت أقدم هذه الممالك وأطولها بقاء مملكة سبأ. وكان شكل الدولة في بادئ الأمر ثيوقراطياً، أي أنه البلاد كان في الوقت نفسه ملكها؛ وكان ناليه اللذينى يلقب بالكرب. وفيما بعد، أي ابتداء من ٤٠٠ ق.م. فصاعداً، نجد في سبأ مملكة دينوية؛ ومع ذلك فقد ظلت الصلة بالدين إلى عهد متأخرة وثيقة جداً. وكان على المملكة السبئية خلال عهد طويل أن تخوض معارك حامية وخاصة مع الدول الأخرى في الجنوب العربي، وكان الخطر يهدد وجودها أكثر من مرة. ولم تتحقق وحدة مجتوع بقاع الجنوب العربي القديمة إلا حوالي ٣٠٠ ميلادية وذلك تحت سيادة ملك واحد هو شمر بهرحش الثالث. وفي عام ٥٢٥ ميلادية فقدت هذه المملكة استقلالها وخضعت أولاً للسيادة الأثيوبية، وفيما بعد للسيادة الفارسية، إلى أن تم فتح هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية أيضاً تحت راية الإسلام في القرن السابع.

ومع أننا نستطيع أن نحدد نهاية استقلال الجنوب العربي زمنياً، إلا أن وجهات النظر تختلف اختلافاً كبيراً إلى حد ما فيما يتعلق بتحديد التسلسل التاريخي. ويعود هذا بالدرجة الأولى إلى طبيعة النقوش التي كانت - وخاصة في العهد

تشير عبارة «الجنوب العربي» في الحقل العلمي إلى جزء صغير نسبياً من شبه الجزيرة العربية، وهو ما يدعى اليوم باليمن وحضرموت. وقد نشأت في هذه البقاع قبل ظهور النبي محمد بزمن طويل حضارة رائدة ما زالت شواهدنا - إلى حد ما على الأقل - بادية للعيان حتى اليوم. فهناك خرائب أسوار عظيمة وحصون ومعابد وقنوات للري تشير جميعها إلى مقدرة تكنولوجية عالية وإحساس فني دقيق جداً كان يجمع بهما سكان الجنوب العربي القدماء، كما تشير إلى المستوى الذي بلغوه من الثروة والرفاه. ويتحدث عن ذلك الكتاب المقدس والمؤرخون اليونانيون والرومانيون الذين كانوا يعلقين على تلك البقاع اسم «بلاد العرب السعيدة». أما مصدر تلك الثروة فكانت التجارة. إذ كانت السلع القادمة من الشرق، من الهند والصين، والمتخفة إلى مصر وبلاد حوض البحر الأبيض المتوسط، تمر، خاصة في الأزمنة القديمة، «بطريق البخور» التي كانت تبدأ من مينائي عدن وقنا وتتحرق شبه الجزيرة العربية كلها إلى الشمال. واشتهرت تلك الطرق التجارية بهذا الاسم بسبب السلع التي كانت تنتج في الجنوب العربي نفسه وتصدر بكميات كبيرة كالبخور وغيره من الأثواب.

ويمكن الإطلاع على الأوضاع السياسية والثقافية للجنوب العربي القديم من النقوش الحجرية العديدة التي انتهت إليها. فهي الوثائق الكتابية الوحيدة المتبقية من عهود الحضارة الرفيعة القديمة والتي يعود أصلها إلى البلاد نفسها بحيث تكون بهذه الصفة أكثر قيمة وأعظم أهمية من جميع ما انتهى إليها من روايات المؤلفين اليونانيين والرومانيين والعرب المتأخرين. ورمز عدد هذه النقوش الكبير - إذ بلغ ما نعرفه منها عدة آلاف - غير أنها لا تعطي صورة خالية من الثغرات عن الدول القديمة في الجنوب

الأقدم - إما لا تحمل تواريخ إطلاقاً أو مؤرخة حسب أعيان حكم ملوك المصور البارزة دين أن تعرف تواريخها المطلقة على وجه التحديد.

لقد قلنا للمقالة بهذه الملومات القليلة لتجلى فكرة تقريبيه عن البقاع والحضارة التي تتناولها دراسات الجنوب العربي بالبحث. ولتتسا نصيب حاسم في استكشاف البلاد التي دحاها استاذ جامعة جوتنجن ميشائيلس في القرن الثامن عشر بحث «إحدى أغرب البلاد»، كما لها نصيب قاطع في حل رموز نقوشها التذكارية وبذلك كشف النقاب عن لغتها وتاريخها وحضارتها؛ لا بل يمكن أن نقول بأن الدراسات السبئية أنشئت هنا كعلم قائم بذاته.

وكان استكشاف الجنوب العربي دوماً ومازالت مجازفة جريئة. إذ أن الظروف المناخية وطبيعة الأرض تفرض على المطالع على المسافرين وذلك حتى اليوم رغم استخدام الطائرة والسيارة لتغلب على المسافات. ويضاف إلى ذلك تيب السكان ورفضهم لكل دخيل أجنبي. كما أن الخلافات الدائمة بين القبائل المختلفة تجعل السفر في غاية الخطورة وتحول دين المضي في اتباع طريق معينة. وإن أم المناطق التي يمكن أن تعطي أغلب أطراف الملومات عن الأوضاع القديمة هي بالذات الأصعب بلوغاً للمسافر. ولزاد كل ذلك يزداد إصجابنا بشجاعة وصمود وتفصيحية الرواد الأوائل في استكشاف الجنوب العربي بوجه خاص. وأول نمسوى بين هؤلاء الرجال الذين لا يهابون الخطر هزغفريد لانيجه Siegfried Xanger. ويعود منبهته إلى تشيكوسلوفاكيا الحالية التي كانت آنذاك جزءاً من المملكة النمساوية - المجرية. ولد لانيجه عام ١٨٥٧ في ميرن Mähren ودرس في فيينا من جملة ما درس اللغات الشرقية وهي خاصة باللغة العربية. ومكنه وجود بعض العرب السوريين من الترن على التحدث بالعربية أيضاً. ورغب أنه كان يعيش تحت ظروف خارجية صعبة إلا أنه تمسك بجاهد ومقاومة شديدين بدراسته التي كانت آنذاك لا تبث بكثير أمل في النجاح المادي. وفي الثاني والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٨٨١ بدأ رحلته إلى الجنوب العربي. وكان قد حصل على إعانات مادية من عدة جهات بحيث كان حسن العدة من هذه الناحية. وبعد إقامة ستة شهور في سوريا بدأت رحلته الحقيقية خلال شبه الجزيرة العربية. واضطر إلى التحلي عن خطته في بلوغ الجنوب من خلال عبر بسبب ثورة كانت ناشبة في تلك المنطقة. ومضى بالمسبينة إلى الحديدة وانتقل من هناك عبر زران

وضف إلى صنعاء، عاصمة اليمن، التي كانت تحت السيطرة التركية آنذاك. وإذا وصل هناك لم تسمح له السلطات التركية بمواصلة سفره داخل البلاد؛ بل أجبر على العودة إلى الحديدة. وهكذا واصل سفره إلى عدن؛ ومن هناك بعث إلى أوروبا بالرسم التي أنتمها حول رحلته حتى تلك المرحلة وينسخ عن نقوش عربية جنوبية استطاع أن ينقلها هناك، بحيث أمكن بذلك إنقاذها والحفاظ عليها للباحثين فيها بعد. وعلى أثر ذلك بعث قصير لاقى رحلة لانيجه الجريئة نهاية فظيمة مؤلة. إذ بينما كان يحاول اختراق قلب حضرموت متكرراً بزي بدوى، قتله مراقبوه من أهل البلاد. وقيل أنهم أطلقوا عليه الرصاص من سلاحه نفسه بينما كان يصرخ في أحد الأتار.

بعد موت هزغفريد لانيجه المنعج بعين قليل بدأ نمسوى آخر عمله الاستكشافي في الجنوب العربي، ونمي به إدوارد جلانز B. Glaser. وكان هو أيضاً من أهل تشيكوسلوفاكيا الحالية. وولد في دويتش - رست Deutsch-Rust عام ١٨٥٥ وكان عليه أن يقضى اعوام دراسته، كلايخر، في حرمان شديد وشظف من العيش. وبعد انتهاء دراسته الثانوية التحق أولاً بجامعة براغ، ثم انتسب فيها بعد إلى جامعة فيينا حيث حصل على دبلوم في المرصد. وفي فيينا اهتم كذلك بكثير من الاجتهاد بدراسة اللغة العربية، إذ كان قد عزم منذ سنى المدرسة على أن يصبح رحالة استكشافي، واختار فيها بعد شبه الجزيرة العربية خاصة هدفاً له. وكان استاذة في العربية اول الأمر فارموند Wahrmond ثم تلاه داوود هاينريش مولر David Heinrich Möller. وأيقظ الأخير اهتمام جلانز بالجنوب العربي حيث نجح فيها بعد بأعماله الاستكشافية. ولإعداد خبطه على أحسن وجه ممكن توجه إلى مصر وتونس. وعمل هناك معلماً متريلاً ونال في ذلك فرصة إتيان اللغة والمعدات العربية تماماً. ومكنه هذه المعارف الدقيقة بالإضافة إلى شجاعته وبراعته الحارقة في معاينة الناس من بلوغ نجاحاته القريفة في رحلاته وهي نجاحات لم تقفها، لا بل لم تبلغها، أية رحلات استكشافية في الجنوب العربي حتى يومنا هذا.

وقد وقع رحلات جلانز إلى الجنوب العربي في الأعوام ما بين ١٨٨٢ و١٨٩٤. ومن رحلته الأولى التي مولها فيينا وباريس احضر معه ما يقارب ٢٨٠٠ نسخة من النقوش مع أربعة نقوش حجرية أصلية طالبت بها الاكاديمية في باريس مقابل ما أسهمت به بتحويل الرحلة وكان جلانز قد أصيب إصابة شديدة بالحصى بعد وصوله

الحديثة. وحين بلغ صنعاء كان عليه أن يظل هناك عاماً بطوله في انتظار وصول جواز سفر من استانبول، لم يسمح له الحاكم التركي بكونه أن يواصل سفره. ومع مرور الوقت تمكن جلازور من كسب ثقة هذا الرجل بالذات الذي أصبح صديقاً وعضواً في مناسبات تالية. وقام جلازور من صنعاء بثلاث جولات استكشافية تفحص خلالها خرائب ونسخ ما شاهد فيها من نقوش. وعرض حياته أثناء ذلك عدة مرات للخطر ولكنه تمكن من النجاة في كل مرة من دسائس مراقبيه.

وفي العام التالي بعد عودته، أي في ١٨٨٥، بدأ رحلته الثانية إلى الجنوب العربي. ومول رحلته هذه كلها تقريباً من حساباته الخاصة. وهنا أيضاً توجه في بادئ الأمر إلى صنعاء وراح يقبض باحثاً ومستكشفاً المنطقة الممتدة بين صنعاء وعدن. واستطاع هذه المرة أن يجمع عدداً كبيراً جداً من النقوش الحجرية، انقل جزء منها إلى المتحف البريطاني في لندن وجزء إلى برلين حيث باع كذلك ٢٥٠ غطوطاً عربياً. ومن الأرباح التي درتها عليه هذه المواد العلمية تمكن جلازور إلى أكبر حد من تمويل رحلته الثالثة والتابعة لنجاحها خاصاً.

وفي هذه المرة، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨٧، مضى من عدن في رحلة دامت ٤٤ يوماً إلى صنعاء قام فيها بدراسة ورسم ونسخ كل ما بدا له هماً وشيقاً أثناء الطريق. ولكن هذه الحفريات كان العاصمة السبئية القديمة مأرب، التي تقوم على أنقاضها اليوم قرية صغيرة غير هامة، يصعب الوصول إليها كثيراً مع ذلك. ولم يتمكن من قبله إلا الفرنسيان آرنو Arnaud وآلبي Halévy من التغلغل إليها. واستطاع جلازور، متذكراً في زى قلبه عربى وبصحية أصدقائه له من أهل البلاد، أن يبلغ مأرب وأن يجمع هناك خلال ستة أسابيع مواد نفيسة كثيرة. ونسخ عدداً كبيراً من النقوش، منها ما هو مهم جداً، وزار السور اليسوى الكبير بالقرب من مأرب، وهو ما يدعى اليوم بحجر بلقيس، والذي كان في الماضي أهم معبد لإله القمر والمملكة السبئية، وزار كذلك بقايا السد المائل الذي كان يتمتع في الماضي بشهرة عالمية مع ما يتصل به من فتوات للرؤى أحوالت في الماضي السهل الممتد على جانبي وادي ذنه إلى أرض خصبة معطاء. ويعتبر وصف ومقاييس هذه المنشآت وكذلك بقية نتائج أبحاث جلازور في مأرب ذات أهمية لا حد لها حتى اليوم، رغم أعمال الحملة الاستكشافية الفسحة التي قامت بها المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان عام ١٩٥٢. وكان

يوسع جلازور في رحلته الثالثة هذه بالذات أن يقوم بأبحاث وإنجازات أعظم لتحلل الطلي لرواته لم يضطر إلى انتهائها قبل الأوان بسبب افتقاره إلى المال، وما لا يفهم حتى اليوم، رغم أنها حقيقة مرة، أن بلاده رفضت أن تقدم له أي عون مالى. أما قصة رحلته إلى مأرب فقد قام مولر وRhodokanakis N. بنشرها حسب مذكراته عام ١٩١٣ (مجموعة أدوارد جلازور ١: رحلة أدوارد جلازور إلى مأرب).

وفيها بين عام ١٨٩٢ و ١٨٩٤ قام جلازور برحلته الرابعة والأخيرة إلى الجنوب العربي. ومضى هذه المرة أيضاً من عدن إلى صنعاء، ولكنه أجه في طريقه أكثر غرباً عابراً تمز. وكان وضعه في صنعاء كالمقل عملياً، إذ أنه لم يستطع مغادرة المدينة بسبب الثورات في جميع أرجاء البلاد. وعند ذلك وجد لنفسه مخرجاً، وهو أنه علم بعض البدو من طبع الألواح المنشقة على نوع معين من الورق بطرقها عليه بحيث تنشأ صورة مطابقة تماماً للأصل. وهكذا انتشر البدو الذين دربه على ذلك في ضواحي المدينة القريبة والثانية بحثاً عن النقوش واحضروا من أماكن لم يصلها رحالة بعد مواد كثيرة قيمة. وبذلك عرفت لأول مرة النقوش القتبانية بوجه خاص. واشترى متحف تاريخ الفن في فيينا ما جمعه جلازور في هذه الرحلة من نقوش حجرية وغير ذلك من الفناش الأثرية.

مات جلازور عام ١٩٠٨ في ميونخ. ولا يمكن تقدير إنجازاته وعظمته في سبيل العلم كما لم يضيق عليه في ذلك الحقل أحد بعد. وبفضل ما جمعه من كيات هائلة من النقوش والقطع الأثرية ومعلوماته الطبوغرافية الدقيقة ووصفه المسهب التفصيلي للخرائب الأثرية أمكن لأول مرة إنشاء الدراسات السبئية كعلم قائم بذاته. ولم ينته العمل على ما جمعه حتى اليوم بعد، بل هناك كتوز من الآثار ما زالت تنتظر البحث والدراسة والنشر. أما ما خلفه جلازور من تركة علمية واسعة فقد أشرته أكاديمية العلوم في فيينا.

وكانت «بعض الجنوب العربى الاستكشافية» التي اوطنها أكاديمية العلوم في فيينا العمل الطلى التالى الذى قامت به أيضا في الجنوب العربى. وكان أعضاء البعثة د. ه. مولر وأ. سيموني O. Simony وف. كوسمات F. Kosmat. وأ. جان A. Jahn وطبيب، بالإضافة إلى الكونت السويدى لاندبرغ L. Landberg ، الذى سرحان ما انفصل عن الآخرين، وسكريته ج. ف. بوري G.W. Bury. ومع أن البعثة لم تستطع أن تبلغ هدفها الاصلى، وهو



ليكاراوس وديوكا ناكيس

الأكاديمي كمال جغرافي. وأدى به عمله الجامعي فيها بعد إلى الانتقال إلى الصين ومن ثم إلى توينجن بألمانيا، حيث يعيش حتى اليوم كاستاذ متقاعد. وتمت رحلته الأولى بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ وذلك بصحبة لك. رالينز C. Rathjens، وانجها فيها من الحديلة إلى صناعاء، ومن هنا سعى كل منهما إلى استكشاف جهة مختلفة من المنطقة المجاورة. ومع أن الاهتمام الجغرافي احتل مكان الصدارة، إلا أن علمي الآثار والتقوش الحجرية فازا بمعارف ومكاسب غنية بفضل أبحاث العالمين المتعددة الجوانب، كما يحق لهما أن يشهرا بالقيام بأول حضريات أثرية في الجنوب الغربي كان من نتائجها كشف النقاب في حقن عن معبد الإله تالكب.

وقام فون فيسيان بالرحلات الثلاث الباقية في الاعوام ١٩٣١ و ١٩٣٩ و ١٩٥٨ جاعلا حضرموت هدف أبحاثه. واخترق في ذلك مناطق لم تستكشف بعد كما جاء كذلك بنتائج غنية متعددة الوجوه كما في الرحلة الأولى. وكان بصحبة فون فيسيان في هذه الرحلات بالإضافة إلى المولندي د. فان در مولين D. van der Meulen وزوجه الدكتورة ييتينا فون فيسيان وهي سيدة من فيينا، والدكتور فون فاسيلفسكي v. Wasielewski و. لايدلاير A. Leidlmaier، وهو نمسوي أيضا.

إن العالم الأثنولوجي ف. دوستال W. Doetal هو في

استكشاف حضرموت، لامتتاع السلطات عن إعطائهم ترخيصاً بالدخول، إلا أنها اتجهت نحو جزيرة سقطره وفيها بعد انتقلت إلى المكلا، على الساحل الشرق من حضرموت. واعطى هذا التغيير غير المقصود في هدف الرحلة نتائج هامة: فبالإضافة إلى ملاحظات علمية طبيعية وجغرافية سجل ما يدعى بلغات مهرا (المهرية) والشخرية والسوقطرية وهو عمل بالغ الأهمية نظرا لند زوال هذه اللغات المنتشرة في ساحل مهرا وفي الجزر المحيطة. وقام ج. ف. بوري بجمع التقوش العربية الجنوبية تحت رمز SB وهما الحرفان الأولان لعبارة «بمئة الجنوب الغربي» باللغة الألمانية. وقد نشرت جميعها.

وقام فيلهلم هاين Wilhelm Hein كذلك برحلة عام ١٩٠١ جاب فيها كذلك للمناطق الشرقية من حضرموت ومكث بضعة شهور في فشن، أهم قرية في بلاد مهرا، وجمع مراجع لغوية (المهرية والحضرية) ومعلومات احصائية واسعة عن سكان فشن واقع عند عودته ورجلا من حضرموت وآخرين من سوقطرة أن يصطحبوا إلى فيينا، حيث قدما أجل الخدمات كمرجع لغوية وسيطة. وبعد فترة طويلة تلت ذلك رحلات ه. فون فيسيان H. v. Wissmann إلى الجنوب الغربي. ومع أن فون فيسيان ليس نمساويا بالولادة إلا أنه قضى حياته منذ الطفولة في النمسا، كما أن صلته وثيقة بفينا بفضل بداية عمله



إدوارد جلازر

التقدمية وكذلك بأعماله الخاصة بلغات بلاد المهرا أن يبلغ شهرة علمية رفيعة. وفيما يتعلق بالحقل الأخير نذكر كذلك منشورات أ. يان وف. هابن، وخاصة ما قدمه ماكسيمليان بيتر Maximilian Bittner من دراسات نحوية ومجمعية خاصة بالمهيرة والشمخية والسوقطرية وكانت مجموعات النصوص التي نشرها العلماء المذكورون للقاعدة التي استندت عليها هذه الدراسات. ويخلق بيتر بذلك أساساً لأبد لكل عمل قادم في هذا الحقل أن يقوم عليه. كما أن دراساته ذات أهمية كبيرة للعلوم السبئية كواد مقارنة.

أما أم تلامذة مولر واكبر مساعد له فيا بعد فهو نيكولاوس ريدوكاناكيس Nikolaus Rhodokanakis الذي يمكن أن يعتبر بحق كامل المؤسس الحقيقي للدراسات السبئية كعلم مستقل يجب أن يؤخذ بمأخذ الجد. ولد ريدوكاناكيس في الاسكندرية عام ١٨٧٦ وهو من أصل يوناني - وكان أجداده يعيشون في جزيرة خير، واضطروا إلى مغادرتها فراراً من الأتراك - ومنذ نعومة أظفاره ترعرع ريدوكاناكيس في النمسا وامتضى بقية حياته فيها وشعر بانتمائه الكامل لهذه البلاد. ودرس في بادئ الأمر الحقوق غير أنه سرعان ما انكب على دراسة الاستشرق في جامعة فيينا ثم أصبح استاذاً نظامياً عاماً لمدة طويلة في غراتس حيث توفي في نهاية عام ١٩٤٥. ويعد بضعة

الوقت الحاضر آخر نمسوى زار الجنوب العربي، وعلى وجه التحديد حضرموت. وقام بدراسات تتعلق بتاريخ القبائل وبحوث اتنوغرافية عامة لدى كثير من القبائل الناطقة هناك وعنى في ذلك عناية خاصة بقضايا مراحل البداوة الأولى المبكرة.

وكما يتضح مما أوردناه حتى الآن فقد اسهمت النمسا بنصيب كبير في بحث ودراسة مناطق حضارة الجنوب العربي. ولا يقلل عن ذلك ضخامة، إن لم تقل أكثر أهمية وأبعد أثراً، ما قلته العلماء النمسيون من خدمات وأعمال في تقييم النقوش والمؤاد التي جمعها الرحالين المستكشفون تقيماً علمياً دقيقاً. ومن الرحالين انضمام من عمل في هذا الحقل كأعمال جلازر مثلاً، وقد يكون الكثير مما توصل إليه من نتائج باطلا اليوم، أو مشكوكاً بالخيال البعيد عن الحقيقة، إلا أنه أصاب في بعض ما توصل إليه بنظرة عبقرية. ولن تقسو بالحكم على جلازر بسبب «ضطحاته» وحواشيه التي غالباً ما تبدو على جانب من الغربة ولا تمت للموضوع بصلة، إذا ما اعتبرنا كثرة تجارب خيبة الأمل المريرة التي مر بها هذا الرجل المائل الذي كرس كل جهوده وقواه في خدمة الواجب المقدس الضخم الذي اختاره لنفسه. ومن رواد الدراسات السبئية د. ه. مولر. إذ استطاع بعمله على حل ونشر عدد كبير من نقوش الجنوب العربي

الجزيرة العربية، بحيث أصبح في متناول يدينا مرجع مهم، كذلك بالنسبة للدراسات الجنوب العربي.

وقام أحد تلاميذ رودولف كاكيس وهو كارل ملاكر Karl Mlakar بنشر بحث أساسي حول ما يدعى بقوائم الرهائن الإلحائية في معين توصل فيه إلى نتائج هامة في ميدان علم التاريخ، ما زال جزء منها هاماً حتى اليوم رغم جميع التطورات في هذا القطاع بالذات من الأبحاث السبئية. وهو مفتع فيما يقدمه من تفصيلات حول طبيعة ومكانة «الرهائن الإلحائية» في الجنوب العربي، وهم، كما يفسرهم، أشخاص رهنوا لسداد تلور قطعت لإله أولميد. وبما يؤسف له أن العمل الموهي كان يستتوف كثيراً من وقت وجهد ملاكر بحيث لم يتمكن من وضع معلوماته التاريخية والقانونية الفنية في خدمة العلم كما كان يرغب. ثم انتزعه الموت قبل أوانه بكثير.

وكان من حسن حظي أيضاً، أن قتلملت على رودولف كاكيس. وحتى أطروحتي التي تقدمت بها للدكتوراه اقتصت بالفقوش الحجرية، وما زال هذا العلم حتى اليوم الميدان الرئيسي الذي أبحث وأعمل فيه. وبعد نشر ما لم ينشر بعد من نقوش بعثة الجنوب العربي المذكورة سابقاً، والعمل على نقوش حجرية أخرى، قمت بتأليف كتاب في قواعد العربية الجنوبية القديمة التي اعتبرتها لا غنى عنها للبحوث السبئية وكذلك للغات السامية المقارنة. وبعد الانتهاء من طبع الكتاب احترقت جميع نسخه تقريباً عام ١٩٤٣ أثناء غارة جوية على لايزرغ، ولكنه أعيد طبعه فيها بعد استناداً إلى إحدى النسخ القليلة التي أمكن إنقاذها. وكجزء تكميل للكتاب كان قد قرر منذ البداية وضع متتبعات للمطالعة مع مفردات مشروحة وكان على ملاكر أن يقوم بتأليفها. ولكنه لم يتمكن من تحقيق ذلك، فقررت أن يكون هذا العمل مع ملحق وتصحيح جزئي للقواعد على أساس النصوص الجديلة المكتشفة حديثاً جزءاً من برنامجي القادم.

وبدأت في العمل على القواعد في جراتز وبعد الحصول على إجازة التدريس الجامعي انتهيت في فيينا، ودرست العربية الجنوبية القديمة والآشورية في جامعة فيينا بضعة أعوام. وكنت أقطع التدريس عدة مرات أثناء هذه المدة واجهت إلى توينجن للدراسة أهم لغات إثيوبيا السامية على يدى الأستاذ إنزوليان. وبما أنه لم تكن للمدرس الجامعي في النمسا أي إمكانيات معيشية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، فقد بقيت في توينجن، كضييفة في بادئ الأمر، ثم طلبت نقل الأذن بالتدريس إلى هنا ورحلت أحاسر

أبحاث لغوية عربية كرس نفسه بولاء كامل ومثابرة جديدة للدراسات السبئية. وكان يتمتع بموهبة خارقة لذلك، وتمتاز أعماله بنظرة عميقة تترك الشيء الجوهري وبطريقة علمية صارمة. ومن مجموعات نقوش جلازر الويرة اختار أصعبها وقام بنشرها ضارباً مثلاً أعلى بأسلوبه العلمي الدقيق. وإذا استدعت اكتشافات جديدة في النقوش وغيرها من الآثار اليوم تصورياً في بعض وجهاً النظر آنذاك، وخاصة فيما يتعلق بعدد من التفاصيل التاريخية التي لم تعد صحيحة — فإن ذلك لا يقلل شيئاً من خدمات رودولف كاكيس العلمية الجليلة. وقد قام في ميدان الدراسات المعجمية والنحوية كذلك بإنجازات طليعية ناجحة كما فعل كذلك في ميدان دراسة واقع الجنوب العربي. وفي تفسير النصوص المتعلقة بالحقوق القارية باصطلاحاتها الموجزة الغامضة استعان بدراسته الحقلية السابقة ومعرفته الجيدة للأوضاع في مصر أثناء عهد البطالسة، وبترجمة وتفسير هذه النقوش السيرة الفهم تمكن رودولف كاكيس من رسم صورة حية للاقتصاد القاري والزراعي وما يتعلق به بألقى الصلات من ظروف وأوضاع اجتماعية وسياسية عامة كانت سائدة في الجنوب العربي القديم، وهي صورة ما زالت يحفظ بصحتها حتى يومنا هذا.

وكإنسان يتمتع بطيبة قلب كبيرة وبمزاج وثير شديد الحساسية، إلا أن رودولف كاكيس لم يكن ليترك في العلم مجالاً للمهاودة. فهنا كان تجاه نفسه ونجاحه زملائه وتلاميذه أشد ما يكون حزمًا وصرامة. وكان قبل أن يقدم مخطوطاً للطبع، يعيد كتابة بعض الصفحات مرتين وثلاثاً، لأنها لم تكن لتجتاز امتحانه المسير في اليوم التالي، رغم أنها لم تكن تكتب إلا بعد تمحيص وتلخيص طويلين. وليس من السهل قراءة أعمال رودولف كاكيس، إذ أن اصطلاحاته واسلوبه التمييزي تكاد تذكر في كثير من الحالات بنقوش الجنوب العربي. ولكن أعماله محكمة دقيقة كهذه أيضاً، وإذا نزل أمره جهده للدراسات باهتمام وانتباه حقيقيين، لأفاد من ذلك كثيراً.

وعن أغنى الأبحاث السبئية بعدة دراسات كبيرة وعدد كبير من المقالات في المراجع العلمية أيضاً أدولف غرومان Adolf Grolmann فدراسته حول رموز الآلهة والحيوانات الرمزية ما زالت أساساً لبحث ديانة الجنوب العربي القديمة. ومنذ حين قريب نشر العالم الذي بلغ الثمانين من عمره في كتابه «شبه الجزيرة العربية» (المختصر في علم التاريخ القديم ٣/٣) معلوماته الوفيرة عن تاريخ ووضاعة شبه



حجر منحور عليه كتابة، من الين، ملون عليه اسم شخص ...

الطريقة غير المباشرة تفرض على المرء العمل بكثير من الحذر والتفقد الصامد إذا ما أراد أن يتجنب ضلال السبيل واليه في يبلد الوهم الكاذب. ومن السهل أن نترك أيضاً أن النتائج التي ستوصل إليها في ذلك غالباً ما تكون أقل من العمل المبلول. ولكن المهمة في حد ذاتها على جانب كبير من السحر وهي تستحق كل جهد، وإلى لأرجو أن أهتم خطوة أخرى إلى الأمام في طريق البحث في دين الجنوب العربي القديم. وقد جعلت عوناً قيماً لهذا العمل بالملات في نتائج أبحاث فيسمان التاريخية الجغرافية. فهي تعطي أولاً عرضاً لأماكن عدد كبير من المعابد، وبذلك تمكن من تحديد انتشار الآلهة المختلفة، كما أنها تعطي فكرة، وذلك بوجه عام على الأقل، عن التطور التاريخي للدين.

وإلى جانب الاهتمام الذي امتد عبر عدة اعوام بدراسة قضايا الدين العربي الجنوبي القديم، فإن القطاع اللغوي من الدراسات البشئية ظلت وما تزال شغل الشاغل. إذ على هذا الأساس وحده يمكن القيام بعمل مشر في حقل البحث الأخرى. وهذا هو مبني كل تلك بالنسبة لتدريس الجامعي؛ وإلى لأرجو بذلك أن أواصل الرات التمسوي الطيب الثابت في الأبحاث البشئية وأن أسلمه كذلك إلى أيدي الجيل الصاعد.

في أثناء اقامتي التي دامت عدة اعوام في تونينج،

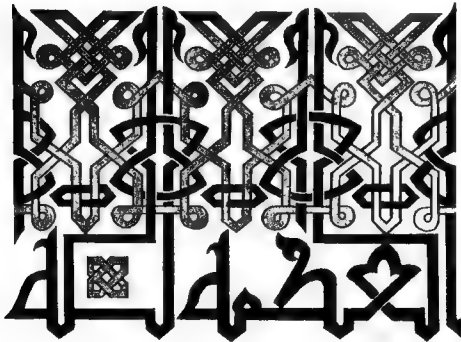
في حقل الاختصاصي في إطار قسم الدراسات الشرقية في الجامعة، إلى أن استدعيت عام ١٩٦٤ إلى جراتر لاحتلال مقعد الدراسات الشرقية الذي خلا هناك. وفي تونينج بدأت بتكليف من أكاديمية العلوم التسمية بنشر ما لم ينشر بعد من علفات جلازر العلمية، وهو عمل مازال مستمراً وسيستغرق بعض الوقت أيضاً. وفوق ذلك فقد أوليت اهتماماً شديداً بأديان ما قبل الاسلام في شبه الجزيرة العربية، حيث تركز اهتمامي بالدرجة الأولى على الجنوب العربي. وبين الآلاف المدينة من النقوش العربية الجنوبية لا يوجد نص واحد يمالج اموراً دينية بالذات، كأن يمتدح مثلاً على اساطير أو مراسم دينية أو ترايل. ويبدو هذا أكثر غرابة عندما تكشف النصوص من الجهة الأخرى بوضوح عن مدى الهمية المركزية التي كان يجمع بها الدين في الحياة العامة والخاصة. ومما تقدمه النقوش من مادة لدراسة الدين القديم إلى جانب يضع نقاط انطلاق قليلة نسبياً، أسماء الآلهة بالدرجة الأولى. وفي هذا العدد التغير من الأسماء كانت المهمة الرئيسية التي تستلج الحل: فرض نظام معين لهذه الأسماء، وادراك كل من الصور الإلهية الكبيرة على اختلاف اشكال ظهورها، والتي يحمل كل منها اسماً خاصاً، وأخيراً محاولة معرفة شيء من طبيعة ووظيفة المسعى من الاسم نفسه. ومن البديهي طبعاً أن مثل هذه

وعرناً لا غنى عنهما، والذي يعتبر تطوراً حاسماً للبحوث السبئية، فقد كرس فون فيسيان نفسه كذلك لعدد من البحوث الهامة الأخرى في هذا العلم، وإننا نرجو أن يزيد الدراسات السبئية غنى بأعمال كثيرة أخرى.

من هذا العرض يتضح بما لا يقبل الشك أن الزعم الذي تضمننا به في بداية المقال حين قلنا بأن انفسا أسهمت في استكشاف ودراسة الجنوب العربي من كل ناحية بنصيب حاسم، إنما هو قول برزناه وأثبتنا صحته كاملاً وبإتمام. وفي ذلك لا يجوز أن ننسى خدمات وأعمال العلماء الآخرين ولا أن نقلل من شأنها. أما السبب في عدم ذكر اسمائهم وتقدير أعمالهم هنا فليس أكثر من أن موضوع هذا المقال اقتصر على الأبحاث النموية للجنوب العربي دون غيرها.

اتاحت لي الفرصة عدة مرات للعمل في تعاون مشعر مع فون فيسيان، كان من نتائجها أيضاً اشتراكنا في تأليف ونشر كتاب : «أبحاث حول الجغرافية التاريخية للجنوب العربي قبل الإسلام». وإلى جانب ذلك قام فون فيسيان برسم خريطة الحفيا بتصديري لمجموعة من النقوش من خلفات جلازر (مجموعة ادوارد جلازر- ١٩٧٠). ومن عمل كان مقررًا في الأصل كتصديق على هذه الخريطة فقط نشأ أخيراً أهم كتاب في الأبحاث السبئية لفون فيسيان وهو : «مجموعة ادوارد جلازر- ٣ : حول تاريخ وجغرافية الجنوب العربي القديم». وفي هذا الكتاب المقتصد الشامل لا يظهر فون فيسيان كجغرافي ومؤرخ متبحر في العلم غنى في الأفكار فحسب، بل إنه خاض بطريقة تثير الدهشة مسائل الدراسات السبئية نفسها على اختلاف أنواعها. وإلى جانب هذا الكتاب الذي أصبح مرجعاً

ترجمة : محمد علي حفيشو



والنمطة له - من مدرسة قرطاي بقرنيا ، تركيا .



# قِيلَهُمَ الْوَرْدُ

(١٨٢٨ - ١٩٠٩)

بقلم : الأستاذ مانفريد أولمان

Gottfried Kosegarten، ناشر ديوان بنى هلمبل. وبعد أن درس من ١٨٤٨ حتى ١٨٤٩ في غوتينغن على هاينريش ايغال (١) Heinrich Ewald نال عام ١٨٥١ في غرايفسفالد درجة الدكتوراة في الفلسفة. وعندما انكب بين ١٨٥٤ و١٨٥٦ على دراسة عدد كبير من المخطوطات العربية ونسخها في مكبات غرنا وباريس وولد معرفته الفذة بالأدب العربي. وإذ عاد من باريس تسلم في مكتبة جامعة غرايفسفالد منصب أمين مكتبة وظل يمارس هذا العمل حتى عام ١٨٦٥. وقد مكنته وظيفته هذه من متابعة أبحاثه ودراساته في حقل اللغة العربية وآدابها دون الحاجة إلى الاهتمام بشئون المدينة اليمينية. وبعد أن حصل عام ١٨٥٧ على درجة الكفاءة للتدريس الجامعي في اللغات الشرقية استلحق عام ١٨٦١ كاستاذ نظائى خلفاً لكوزغارتن. وظل في غرايفسفالد إلى أن وافته المنية في الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٠٩.

ونادراً ما كان لدى الفارث طلاب مستمعين يحكم وضع الجامعة الصغيرة في غرايفسفالد التي لم يزد عدد طلابها المسجلين في منتصف القرن الماضي عن ٢٢٥ طالباً. ولم يكن بدوره ليسعى طامعاً إلى العمل في التعليم الأكاديمي. وقبل أنه لم يكن يشجع الطلاب الذين كانوا يسجلون أنفسهم للدراسة لديه. فقد كان يرد أن يحضض بكل وقته، دين أي عائق، للأدب العربي وخاصة للشعراء العرب. وفي عام ١٨٦١ وضع مشروعه الكبير في تأليف تاريخ للأدب العربي. ويقول في ذلك: «إن الهدف الأسمى الذي كان عظم أنظارى هو وضع تاريخ ذاتي للشعر العربي يقوم الشعر من وجهتي النظر الشعرية والتاريخية الحضارية. وفيه يجب أن تبرز الصورة الكلية للشخصية بسناتها وحيواتها، وعمّا تتأثره من تأثير، وما سبق

كان حقل دراسة اللغة العربية وآدابها لا يزال يفتقر في منتصف القرن الماضي إلى جميع الوسائل المساعدة تقريباً وإلى النصوص المطبوعة والمراجع العلمية. ولذا فقد كان لا بد لهذا الحقل أن يتخذ لنفسه في بادئ الأمر مهمة تأمين الأسس الوضعية اللازمة لبحث اللغوى. وكان بين الذين كرسوا اهتمامهم الكامل لهذا الهدف وساعدوا على تحقيقه بأعمالهم الممتازة المشرق قِيلَهُمَ ألفارث Wilhelm Ahlwardt من غرايفسفالد Greifswald.

أما مدينة غرايفسفالد التي لا تبعد عن جزيرة روفن على الساحل الألماني من بحر البلطيق فخرقة كسقط رأس كاسبار دافيد فريدريش (١) C. D. Friedrich رسام الرومانسية الألمانية الكبير. وللمدينة صغيرة إلا أن جامعتها عريقة في القدم. فقد أسسها الدوق فرائيسلاف فيون بومرن-فولفاست Herzog Wratizlaw von Pommern-Wolgast عام ١٤٥٦. وعمل فيها كاستاذ لتاريخ إرنست موريتز آرندت (٢) Ernst Moritz Arndt، الشاعر الوطني لحروب التحرير. وقد ارتبطت اسرة الفارث كذلك بعمامة غرايفسفالد منذ عدة أجيال. فقد برز بيتر الفارث Peter Ahlwardt المتوفى عام ١٧٩١ كفيلسوف ولاهوتي، بينما قام ابنه كريستيان قِيلَهُمَ ألفارث Christian Wilhelm Ahlwardt المتوفى عام ١٨٣٠ واستاذ الأدب الأغريقى بترجمة أعمال كاليبماخوس (٣) Kallimachos وپندار (٤) Pindar. وقبل وفاته بعامين، في الرابع من يوليو (تموز) عام ١٨٢٨، رزق بأبن سباه تيدودور قِيلَهُمَ، سفسر سيرة حياته بالجماز.

درس قِيلَهُمَ ألفارث اللغات الشرقية في مدينته من ١٨٤٦ حتى ١٨٥٠ على يوهان غوتفريد كوزغارتن (٥) Johann

أن تلقته من قوى دافعة. ويجب أن يكشف أمام القارئ عن مجرى تطور فروع الأدب وسط الحركات السياسية والتقدم أو التخلف الاجتماعي، كتفسير عن الأفكار للحركة الزمن. غير أن الأفكار لم يستطع بطبيعة الحال تحقيق هذا الهدف. فقد كان لا يزال يفقر إلى جميع الشروط اللازمة لذلك، وحتى اليوم يبدو أن الزمن لم يمن بعد لوضع مثل هذا التأريخ الأدبي. ولم يستطع الأفكار أكثر من جمع أحجار بنائية تؤدي إلى هذا الهدف الأممي. إلا أنه زكرك جهوده على نقاط أساسية، فأبدع مؤلفات اعطت حقل اللغة العربية وأدائها دوافع هامة.

وفي بادئ الأمر ظهر كتاب في نظرية الأدب بعنوان: «حول الشعر وفن الترفيه عند العرب»، غوثاً ١٨٥٦، وهو مؤلف تذكاري قدمه بلخامة غرايفسالد بمناسبة الاحتفال بمهرجانها الوثيني لمرور اربعائة عام على تأسيسها. وأراد به أن يشرح مبادئ الشعر العربي لفئات واسعة من المثقفين. وكتبه بلغة تفيض حساساً وعاطفة جياشة. وصمى فيه إلى إظهار المكانة الريعية التي يحظىها الشعر العربي في انظار العرب أنفسهم، وإلى عرض المبادئ والمقاييس التي يعتمد عليها العرب في تحديد قيمة قصائدهم الشعرية. ويحث كل المسائل التي تتعلق بمنهج الشاعر من الطبيعة والبشر والله، كما أراد أن يفسر السبب الذي جعل هذا الشعب الشاعر يصمم عن تطوير الشعر الملحمي أو الدراي. ويمكن السبب، كما يعتقد الأفكار، في الذاتية الفردية عند العرب، وفي «عجزهم عن التخلي عن الروح الفردية بحيث يتمكنون من فهم الأوضاع والأشخاص موضوعياً ووصف ذلك بصورة موضوعية أيضاً». ولم ينشأ الشعر الملحمي لأن القبائل كانت متفرقة متقسمة على بعضها، بحيث لم يتوفر لديها ماضى قوى متحد. ولم ينشأ الشعر الدراي لأن العرب لا يفقه الماضى إلا كجموعة من الحوادث المنفردة، ولا يفهمها فيما تحته من تأثيرات متبادلة، ولأنه لا يستطيع إبداع شخصيات منزوعة من الحياة وعرضها في أداء تمثيلي. إن الذاتية الفردية تعيق الممثل المسرحي عن فن تمصص طابع الشخصية التي يمثلها. ومقابل ذلك فإن الشعر الوجداني الذي يجد فيه الحياة النفسية الباطنية للفرد اكتشافها الكامل قد قطع مراحل واسعة من التطور.

وفي عام ١٨٧٠ نشر الأفكار دواوين شعراء الجاهلية: النابتة الدياني وعنترة وطرفة وزهير وعلمقة وامرئ القيس حسب مراجعة إبي الحجاج الأعلم الششمري. ومع أن هذه الطبعة أصبحت اليوم بحاجة إلى المراجعة والتنقيح،

كما أن طباعات جديدة حلت محلها، إلا أنها ظلت حتى اليوم، وبعد مرور مائة عام على صدورها، الطبعة النموذجية التي مازال المستشرقون الأوروبيون يستخدمونها ويتمثلون عليها. وفي مقدمة طبعة طرح الأفكار مسألة صحة هذه القصائد ومدى أصالتها. وكرر هذه المسألة في كتابه الذي صدر عام ١٨٧٢ «ملاحظات حول صحة الشعر العربي القديم». ويسجل الأفكار هنا التباين في تسلسل الأبيات والاختلاف في أطوال القصائد ونسبة أبيات متشابهة تماماً لعدة شعراء مختلفين والانفجار إلى أي ذكر للكلمة القديمة والطقوس الدينية الوثنية. وينظر ثاقب راح يناقش جميع الاحتمالات التي يمكن أن تكون قد سببت هذا التشويه في التناقل والرواية. فقد تكون هذه القصائد، خلال فترة القرن ونصف القرن التي مرت منذ نظمها وتلويها، قد مرت بتحوير شديد إما بسبب أخطاء في ذاكرة الرواة أو لتزوير متعمد من طرفهم. وفي تشكيكه الخاص في روايات حاد الراوية وخلط الأحمر فان الأفكار يحكم بكثير من الشك والريبة على مدى صحة الشعر الجاهلي وسلامته ككل. ويقول في ذلك: وفي التاريخ القديم، لا بل وأكثر من ذلك في تاريخ الأدب يلعب الجنون وسرعة التصديق وحسب التلقين والسذاجة دوراً يثير القلق، كما أن الشخصيات الاسطورية الفانتازية يسعها تفرغص حولنا وتطاردنا خطوة خطوة. وفي القسم الثاني من كتابه يجمع الأفكار ما بين البناء الحار للأهيام بدراسة الشعر العربي القديم والتحليل من الاستخفاف بما ينطوي عليه ذلك من مشقة وصعوبات. وقد تلاشى نلوه: فحتى اليوم، وبعد مائة عام، يجب أن نتمنى مع الأفكار وأن تنتشل دراسة الشعر من الامهال الذي تعاني منه فترة طويلة وعلى أبدي الغالية. وكان تحذيره مرجعاً إلى طبعة ديوان الثابتة الدياني التي أصدرها هارتويغ ديرنبورغ (٧) Hartwig Derenbourg وطبعة ديوان علمقة لألبرت سوسين (٨) Albert Socin، وقد وصف هذين العملين دون وجل بالفجاجة وعدم التنضوج.

وإلى جانب هذه المؤلفات النظرية والنقدية قام الأفكار بنشر نصوص من الشعر العربي: كالخمريات من ديوان ابي النواس (١٨٦١) والأصمعيات (١٩٠٢) وهي المجموعة الشعرية التي وضعها الأصمعي للأمير الأمين لتتبرينه قليلاً بأعجاء الماضى العربي.

وفي سن الشيخوخة عالج الأفكار أصعب مادة وأجفها في الشعر العربي: فقد نشر ديوان شاعري الرجز، العجاج والزفان (١٩٠٣) ثم ديوان روبة بن العجاج (١٩٠٤).

ولم تكن هنالك أية أعمال سابقة في هذا الموضوع سوى المجموعة الصغيرة التي أصدرها محمد توفيق البكري في القاهرة عام ١٣١٣ هجري بعنوان «كتاب أراجيز العرب» وسوى قصيدة للسلاج طبعها ماكسيميليان بتر (١) Maximilian Bittner في فيينا عام ١٨٩٦. ورثه أعياهه على نسخة حديثة فقط في كل مرة فقد أصدره ألفارت نصاً يستحق الثقة والتقدير، ولم يستطع إصدار ملحقات له إلا النموسى رودلف فاير (١٠) Rudolf Geyer. وحتى اليوم لم يستطع الرجاز أن يجدوا ناشرين جديدين لم: وهذا دليل على الانحياز الخافق الذي حققه ألفارت في هذا المجال. غير أن ألفارت لم يكتب بنشر النص العربي فقد كان قال في عام ١٨٧٢: «إن الشعر نبات وطني مرتبط بالبلاد التي نشأ فيها ويتصغر في نموه على التربة التي أنبتته بنحسب وازدهار بحيث يلو تقويمه وتقديره في أية تربة أخرى مستحيل». وعلى رغم ذلك ترجم الآن ديوان روبة إلى الألمانية (برلين ١٩٠٤)، واختار تفصيلات من عشرة مقاطع وأحد عشر مقطعاً، أى مقلداً الوزن الأصلي تقريباً مع استثناءه في ذلك عن القافية. ويثير في إخلاصه اللغوي دمهشة القارئ، حيث لا يخلص الطابع الشعري العربي للآليات في ذلك. وكلن الأصل فإن الترجمة أيضاً صعبة القراءة، إذ ينتصب ألفارت اللغة تماماً كما فعل الرجاز، فما الذي دفعه إلى هذا التقليد الشعري في الترجمة؟ هل كان يريد تجربة براسته وفنه الكلاسي؟ وهل انتقلت إليه علوى روح رؤيه الجزية الغربية؟ لا شك في هذا، وأكثر من ذلك: أنه تمخى لو أن الشعراء الألمان تفكروا كذلك في هذه القوافي ويبحث يتركبن منها لصالحهم الخاص ما يصلح للتقليد وما لا يجوز اتباعه.»

وبالإضافة إلى أعمال ألفارت حول الشعراء، هناك طبعتان لمعلمين تاريخيين: في عام ١٨٩٠ أصدره كتاب الفخرى في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، صمد بن علي ابن طباطبا المعروف بابن الطنطقي، الذي أهدى أصغابه الشديد بروعة أسلوبه وجماله وإيجازه. وفي عام ١٨٨٢ أصدر نصاً كان قد اكتشفه في مخطوط بدون عنوان أو مؤلف، ملرج تحت رقم: Berlin Petermann II 633 ويتعلق بجزء من فترة حكم الخليفة عبد الملك بن مروان وتحليل ناقب للمضمون أثبت ألفارت أنها كانت المجلد الحادى عشر من كتاب الأنساب والأشراف لأحمد بن يحيى البلاذرى.

إلا أن ألفارت قدم إنجازاً فائق في أهميته جميع ما نشره من مخطوطات: فقد قام بترتيب وفهرسة المخطوطات العربية

للمكتبة الملكية في برلين التي أصبحت فيما بعد المكتبة البروسية الحكومية. وكان في مكتبة برلين سابقاً ما يقارب ٦٠٠٠ مجلد من المخطوطات العربية، أضيف إليها عام ١٨١٧ مجلدات أخرى من ممتلكات القائم بالأعمال البروسى لدى الباب العالي، هاينرش فريدريش بارون فون ديتر. ونمت هذه المجموعة المتواضعة نسبياً نمواً سريعاً في عهد الملك فريدريش فيلهلم الرابع، الذي كان عباً راعياً للفنون والعلوم، كما أهم الامبراطور فلهلم الاول بشراء مخطوطات أخرى. ثم ساهم القنصل البروسى في دمشق يوهان غوتفريد فترشتاين (١١) Johann Gottfried Wetzstein في عام ١٨٥٢ و ١٨٦٢ و ٢١٠٠ مخطوطه، وباع البروسور هاينرش بيترمان (١٢) Heinrich Petermann للمكتبة بين ١٨٥٣ و ١٨٥٧ وكذلك عام ١٨٧٠ ما يزيد على الألف ومائة مجلد، وخلف المستشرق ألويس شبرنغر (١٣) Alois Sprenger عام ١٨٥٧ كذلك ١١٠٠ مجلد، وأبيع عام ١٨٨٤ من شركة بريل في لايدن هولندية ما يزيد على الألف مجلد من مجموعة الكونت لاندبيرغ (١٤) Graf Landberg. وفي عام ١٨٨٧ انتقلت ٢٤٠ مخطوطه Eduard Glaser كان قد احضرها معه ادوارد غلازر (١٥) كان من رحلاته في جنوبي الجزيرة العربية عام ١٨٨٥-١٨٨٦ إلى حوزة المكتبة، وبالإضافة إلى مقتنيات صغيرة أخرى من المخطوطات بلغ مجموع ما في حوزة مكتبة برلين ٦٤٥٠ مجلداً، وهي مجموعة لا تقل في أهميتها عما في امهات المكتبات الأوروبية الأخرى الاقدم عهداً في باريس ولايدن ولندن وأكسفورد، وتضم في محتوياتها جميع فروع الأدب العربي. وقد حصل ألفارت عام ١٨٩٣ على التكليف بترتيب هذه المخطوطات وفهرستها. وقد أثر بأنه كان يكوس لهذا العمل الذي كان يقوم به في منزله في غرايفسالد كل يوم عشر ساعات على الأقل ولمدة عشرين عاماً. واحتاج طبع بيان القهارس وحده إلى اثني عشر عاماً أخرى. وعندما ظهرت المجلدات المشرقة السميكة من القطع الرباعي عام ١٨٩٩ كان ألفارت قد أجزع علا كان فريداً من نوعه في اتساع مولده ودقة ضبطه وذا أهمية راسخة ثابتة بالنسبة لحل دراسة اللغة العربية وآدابها.

لقد كان على ألفارت أن يتخلل عن المشروع الذي خطط له في شبابه: وهو تأليف تاريخ للأدب العربي يمتد الحياة في القوى اللبانية الداخلية للفكر العربي. والآن قد كان قد وضع الأسس التي يمكن أن يقام عليها الميكل الخارجى لتاريخ الأدب العربى على الأقل. وقد

اعترف كارل بروكلمان (١١) Carl Brockelmann بامتنان أنه ما كان بمقدوره أن يكتب مؤلفه وتاريخ الأدب العربي، لولا بيان الفهارس الذي أعده الكفارت.

لقد أصبح لفيلم الكفارت في سكن حزنه واحداً من عظام المستشرقين الألمان المختصين بالعربية. فيقدرته على إثارة

الخيال وتقافته في البحث وحياته في صومعة الدير والتحصين كان يحسد لودعية علمية تليق وكأنها أخذت تلالشي في عصرنا المتحيز للمسعود، رغم أنها يجب أن تظل قبساً مضيقاً عبر كل العصور.

ترجمة: محمد علي حشيشو

#### ملاتصالات الترميم

- (١) كاسير داليف غريدش: وله في غرايفساله في ١٧٧٤ وتوفي في ميمنن في ١٨٤٠. أكبر مثل الرسم الرومانتيكي المناظر الطبيعية في ألمانيا. اشتهر برسم المنظر الطبيعية الخلابة على سائل بحر البلطيق.
- (٢) أوليست مولي آفندت: شاعر ألماني عاش من ١٧٦٩ حتى ١٨٦٠ اشتهر بأشعار الوطنية الحماسية. اشتهل في كتاتيرج والسماطة وناضل بقلمه ضد نابليون ومن أجل وحدة ألمانيا تحت دستور ألماني. عمل عام ١٨٢٠ استاذاً لتاريخ في بين ثم عمل من منصبه من ١٨٢٠-١٨٤٠ بتمه الديمقراطية. أصبح عام ١٨٤٨ نائياً في برلمان فرانكفورت.
- (٣) كاتيلانفوس: شاعر يوناني عاش بين ٣١٠ و ٢٢٨ ق.م. ويعتبر مؤسس لتاريخ الأدب اليوناني.
- (٤) بشار: شاعر ويصنف يوناني عاش بين ٥٢٧ و ٤٤٧ ق.م.
- (٥) ديوان غفرديف كوزفانز: مستشرق ومؤرخ وله في جزيرة روفن Rügen عمل بحر البلطيق عام ١٧٩٣ وتوفي في غرايفساله عام ١٨٦٠. درس اللاتين واللغات القديمة في غرايفساله وأصبح عام ١٨١٧ استاذاً نظامياً للغات الشرقية في جامعة بينا ثم انتقل ليشتل نفس المنفذ في جامعة غرايفساله عام ١٨٢٤. اشتهر بأبحاثه القليلة باللغة العربية وأدائها كأستاذ دراسة من أين بطوطه ونشر مسابقة عربون ككوف (١٨١٩) كما نشر جزيئين من تاريخ القديس (١٨٣١ - ١٨٣٧) وديوان في طلي.
- (٦) هانز أيلاند: لاهوت بروتستانتي ومستشرق وله في هيرنن عام ١٨٠٣ وتوفي فيها عام ١٨٧٥. عمل من ١٨٣١ حتى ١٨٣٧ استاذاً للغات الشرقية في هيرنن. عمل من منصبه لأسباب سياسية ثم انتقل عام ١٨٣٨ استاذاً في قسم الفلسفة في جامعة توبنغن. وبعد خلافات فكرية عاد إلى هيرنن عام ١٨٤٨. واشترك عام ١٨٦٣ في تأسيس الاتحاد البروتستانتي. عمل عام ١٨٦٧ من قسم الفلسفة بسبب لفتاة المادعي الحكومية البروسية. لقد كان أيلاند أحد المعلمين الرئيسيين لمع الفئات السامية وخاصة البربرية في القرن التاسع عشر.

- (٧) هانز ديويديج: مستشرق فرنسي من العائلة الاسرائيلية وله في باريس عام ١٨٤٤ وتوفي فيها عام ١٩٠٨. درس على المستشرق فوفنتن ولاينج. قضى مدة عشرين في هيرنن. وبعد أن عمل في تدريس اللغة العربية في معهد اللغات الشرقية ألقى في باريس من عام ١٨٧٩ استاذاً في المعهد نفسه. أهم أعماله إصدار كتاب التوصل لسيوري (باريس ١٨٨١-١٨٨٩).
- (٨) ألبرت سوين: مستشرق وله في بانك عام ١٨٤٤ وتوفي في لاينج عام ١٨٩٩. درس منذ عام ١٨٦٢ اللغات الشرقية في بانك وبيثف وفوفنتن ولاينج. قضى مدة عشرين من ١٨٦٨ حتى ١٨٧٠ في مصر وسوريا والبرازيل حيث قام بأبحاث عامة حول الهجرات البربرية وسطى السريانية والكردية. أصبح عام ١٨٧٦ استاذاً نظامياً في توبنغن وفي ١٨٩٠ في لاينج. أصدر عام ١٨٦٧ وصفاً مفصلاً عن ألف حدة كتب حول الهجرات البربرية والآرامية الحديثة وكتاباً لقواعد اللغة العربية.
- (٩) ماكسيميليان بتر: مستشرق نمسوي وله في لويوتز عام ١٨٦٩ وتوفي في سوليفين عام ١٩١٨. كان استاذاً للغات الشرقية في جامعة فيينا منذ عام ١٩٠٦ وكذلك في الأكاديمية القنصلية وكان مسؤولاً في أكاديمية

العلوم في فيينا. كان عالماً لغوياً فذاً وقام بنشر خطوطات في عدة لغات شرقية.

(١٠) رودلف فاير: مستشرق نمسوي وله في فيينا في ١٨٦١ وتوفي فيها عام ١٩٢٩. درس اللغات الحديثة في جامعة فيينا في بادئ الأمر ثم تحول إلى اللغات السامية وتفرغ لدراسة اللغة العربية بالذات. أصبح عام ١٩١٥ استاذاً نظامياً للغات السامية ورئيساً للمعهد الشرقي في جامعة فيينا. كان أبحاثه يفرغ به خاصة حول الشعر الجاهلي والبيئة الجاهلية. قام بنشر كتاب القويش للنمسي وديوان أبو بن حجر ورحال ديوان دولة بن السجاء وغير ذلك.

(١١) يوهان غفرديف لوتزشتاين: مستشرق ورسالة بمجلة وله عام ١٨١٥ في لوياليس وتوفي عام ١٩٠٥ في برلين. درس منذ عام ١٨٣٦ اللاهوت في لاينج وبعدما تفرغ للغات الشرقية. وأصل دراسته في أكسفورد وعندها في برلين عام ١٨٤٦ حيث نال ليسانس لدراسة اللغة العربية. أصبح عام ١٨٤٨ تقصلاً بروسيا في دمشق وتوصل إلى عقد اتفاقية صلح بين الحكومة التركية والروس وتمه أمر المسلمين في سوريا عام ١٨٦٠. عمل للاحقته حول حروب بلاد مصر وسوريا في مؤلفات عامة وجب عدة خطوطات من الشرق.

(١٢) هانز يوهان: مستشرق وله عام ١٨٠١ وتوفي عام ١٨٧٦. أصبح عام ١٨٣٧ استاذاً للغات الشرقية في برلين. قام من ١٨٥٢ حتى ١٨٥٥ بإرجاع إلى تركيا وإيران ثم زار فلسطين وسوريا بين ١٨٦٧ و ١٨٦٨. كتب عدة مؤلفات في قواعد اللغات الشرقية كما دون قصة رسالته في كتاب خاص.

(١٣) أليس شيلبر: مستشرق وله عام ١٨١٢ في قرية بيهال التيرول وتوفي عام ١٨٩٣ في هانيلنغ. ذهب عام ١٨٣٦ إلى لندن وعلم ١٨٤٢ إلى ألفت حيث عمل رئيساً للمعهد المالكي في دلي وكالكترا حتى ١٨٥١. وسين عاد إلى أوروبا أصبح استاذاً في بين من ١٨٥٨ حتى ١٨٨١. نشر خطوطات عربية وفارسية عامة كما ألف كتاباً عن حياة الرسول وتلاميذه وآخر من جغرافيا الجزيرة العربية.

(١٤) الكونت لادبرغ: مستشرق سويسري أصبح إيطاليا منذ عام ١٨٨٤. وله عام ١٨٤٨ في غويبورج بالسويد وتوفي عام ١٩٢٤ في ليزا. قام منذ عام ١٨٧٢ بعدة رحلات إلى الشرق لضم المعهد العربية. أصبح بين ١٨٨٨ و ١٨٩٣ تقصلاً عاماً لسويدي والتزوج في القاهرة وترأس عام ١٨٩٨ البعثة العلمية إلى جنوبي الجزيرة العربية التي أوفدها أكاديمية العلوم في فيينا. كتب من اللغة العربية ومجلتها ونشر خطوطات عربية أيضاً.

(١٥) أدولف فلور: مستشرق ألماني وله عام ١٨٥٥ وتوفي عام ١٩٠٨ في ميونيخ قام برحلات في جنوبي الجزيرة العربية عام ١٨٨٣ وكذلك من ١٨٨٥ إلى ١٨٩٤ وجب تقديراً وخطوطات عامة. وكتب من تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها من أقدم العهد حتى عهد الرسول.

(١٦) كاتل بروكلمان: مستشرق متخصص باللغات السامية والتاريخية وله في روستوك عام ١٨٦٨. عمل منذ عام ١٩٠٠ استاذاً للغات الشرقية في برلين وكوفنبرج وهاغ وبراين. اشتهر بأبحاثه السليمة العربية وتاريخ الأدب العربي وكتبه الأخرى من تاريخ اللغات السامية وتاريخ الشعوب الاسلافية وكتب قواعد اللغة العربية.

التلويح بالفتح التلويح ذاك والفتحة المرسمة وتكرر الطائفة  
 فتلويح التلويح حتى نزل الطائفة ثم لفتة لفتة إلى تبديلها  
 إلى متى متى أي التلويح وكذا مئة ولا تكثر برحمة  
 وتلويح تكثر مئة ومئة وسبعة لكون له في  
 قوله وتلويح وتلويح وتلويح إلى التلويح ما عربي فتلويح أحسن  
 أن يتلويحوا بالفتح ثم التلويح من الطائفة وقدم مقدماته  
 فتلويح التلويح على أي فتلويح فتلويح فتلويح إلى متى  
 وأي من أي تكرر التلويح التلويح منسوبة نقل الألف  
 أي وهو التلويح وهو ينسب في التلويح من حسن من يكرر  
 تكرر التلويح

لعل أي التلويح لو غفرت ما أرى  
 من الأثر ما أفيته تتدلى نفسي  
 فلم أرى جيشا قريبا لمج قبلتنا  
 ولم أرى جيشا ولقنا غير ما حرم من الحرام  
 حرمنا لبيت الله نرى مشورة  
 وأخيرة زرع الأولاد في الغرس  
 ولقنا له يوم الظلمة من ربي



# يُولْيُوسٌ قِيلْهَاوزِن

(١٨٤٤ - ١٩١٨)

بقلم: الأستاذ انطوأت شال

وقد كان فلهاوزن سعيلاً بهله التركة فيما بعد، مع راتبه الضئيل عندما أصبح استاذاً خارج الملاك في هاله. لم يكن فلهاوزن طفلاً معجزة على الإطلاق. فقد كان هزلاً متحفظاً، كما أن معلماً كتب في شهادته المدرسية أنه يفترق كل قدر من الخيال. وفي سن الخامسة عشرة انتقل إلى المدرسة الثانوية (الليسيوم) في هانوفر، ولم يكن هناك طفلاً معجزة أيضاً؛ إلى أن بدأ عام ١٨٦٢ دراسة اللاهوت في جوتنجن كما كان ينتظر من ابن القسيس آنذاك. وراح يدرس في البداية دون لذة واهتمام حقيقيين، وكان التأمل اللاهوتي والفلسفي بالنسبة له في سنواته الدراسية الأولى شيئاً مقيتاً ككل ما يفرض بالإكراه. وراح ينتظر الرجل الذي لم يكن قادراً على تعليمه بعض العلم فحسب، بل وقادراً على إرشاده أيضاً. ولم يكن هناك فاقض من أمثال هؤلاء الرجال في جامعة جوتنجن وخاصة في كلية اللاهوت فيها، إلى أن وقع بين يديه في فصلح عام ١٨٦٣ كتاب إيفالد حول تاريخ بني إسرائيل فلاقى في نفسه هوى شديداً حتى أنه حزم على تعلم اللغة العبرية التي لم يكن قد تعلمها حتى ذلك الحين بعد. ويقول في ذلك: «لأنني لم أكن أفهم المشاكل اللاهوتية؛ ولكن ما همني كان إيفالد وكذلك الكتاب المقدس، الذي كنت ملماً بدقائقه بحكم نشأتي». ويكتب فلهاوزن في مكان آخر: «ولقد أقتلني إيفالد، أنا الذي كنت أقابل بالسخرية غالباً آنذاك».

وهكذا فقد كسب هاينرش إيفالد (١٨٠٣ - ١٨٧٥)، الذي أصبح غريب الأطوار في سني عجزه، وأحد كبار جوتنجن السبعة، تعليمًا آخر استطاع بغيرته التي لا تخفى أن يدرك ويستخلص لنفسه ما في تفكير إيفالد

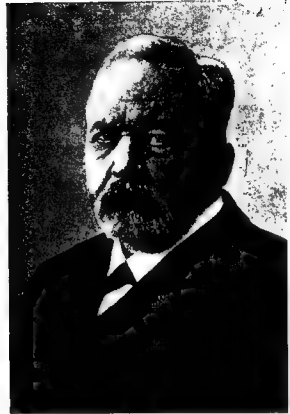
إذا نجراً كاتب هذه السطور، الذي لم يولد في فترة حياة يوليوس فلهاوزن، أن يكتب عن فلهاوزن في هذه المجلة، فإنه لا يفعل ذلك إلا لأنه أتيح له من خلال اتصاله الوثيق المستمر بأستاذه الجامعي خلال اثني عشر عاماً أن يعرف تفاصيل شخصية كثيرة عن سلفه في الوظيفة الجامعية وصديقه الشخصي الحمير<sup>(١)</sup>. وبهذه المعرفة حول شخص فلهاوزن التي انتقلت بالاتصال الإنساني المباشر وبالمعرفة التي تتناول مؤلفاته وأعماله والتي تمت بمواصلة الاطلاع الدائب، لئن سأحاول فيما يلي أن أرسم معلم سيرة يوليوس فلهاوزن كراكد طليعي في ميادين أبحاث الكتاب المقدس والدراسات الإسلامية والعربية.

ولد يوليوس فلهاوزن في السابع عشر من مايو عام ١٨٤٤ في مدينة هاملن في سكسونيا السفلى على نهر الفيزر وكان أبوه قسيساً لتلك البلدة الهانوفرية الريفية بحيث أتيح للابن أن يصرح في اتصال مباشر بالشعب. وقد علق على ذلك مرة بقوله: «لأنني ملين لذلك الوضع بالكثير، وربما بأفضل ما عندي».

وعاش فلهاوزن مع الطليعة هنا كأبناء الريف، فكان يشعر مباشرة وبدون وساطة بتغير فصول السنة، ويستمتع ببده مطاردة الأبقار والأغنام وكأنه حيد بيجج. وكان مزارع عجوز قد أحاط الصبي بجمه ورعايته الشليدين، حتى جاءه ذات يوم وأمره بأنه أعد وصيته ثم قال له بلهجتة الريفية الغامضة: «وقد ذكرتك بشئ فيها أيضاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر رثاء أدوارد شوارتز Eduard Schwartz للفلهاوزن، ص ٢٢٧ من مجموع المؤلفات، المجلد الأول، برلين ١٩٢٨.

(٢) "Da stiehst du ok iu!"



تصوير ويليس فلهاوزن.

عام ١٨٧٧ استلحق فلهاوزن إلى جامعة غرايفسفالد كاستاذ نظائى العهد القديم. وهناك عقد قرانه على الابنة الكبرى للكيمايى لمبرشت Impricht. وظل زواجه السعيد بلحن أطفال. وفي عام ١٨٧٦ جاء اولريش فون فيلاموفيتس Ulrich von Wilamowitz إلى غرايفسفالد، وبذلك حصل على زميل كان في مستواه. وبفضل فيلاموفيتس أثير اهتمامه باللغات الكلاسيكية كواقع مشير. وفي عام ١٨٧٤ نال فلهاوزن درجة الدكتوراه في اللاهوت من جامعة غوتينجن بدراسة حول الفريسيين والسلوسيين. وفي هذا العمل المبكر يتضح أن صورة التاريخ اليهودي قد اتخذت لديه أشكالا معينة خاصة. وبعد ذلك بفترة قصيرة، أى عام ١٨٧٦، بدأت سلسلة الأعمال الكبيرة التي اكتسبت فلهاوزن مكان القيادة في أبحاث العهد القديم والديانة الإسرائيلية. وفي دراسته حول تأليف Hexa-teuch أى التوراة مع كتاب القضاة، فصلت الطبقات الادبية بصورة محددة بعضها عن البعض الآخر. وكان الحديث حول اليهوديين والإيلويين وحول الكتاب الاصلى دائراً منذ زمن طويل، كما أن فرضية أجزاء المخطوط الاصل وما أعقبها من تنمات كانت أمراً مقطوعاً فيه

من عظمة وعق وكلية. وكان لإيفالد لا يظل عالقاً في التفاصيل الجزئية، بل كان همه الرئيسى إدراك الترابط الحيوى والعلاقات الأساسية. ومن إيفالد تعلم فلهاوزن هذا الفن الذى كان يمارسه بالنسبة لأدق المواضيع وأصعبها ببراعة لا تبارى. وبعد إنهاء دراسته اللاهوتية تبحراً فلهاوزن ابتداء من عام ١٨٦٧ على حضور الحلقات الدراسية التي كان إيفالد يقدها عصرًا حول النصوص الشرقية. ثم حدث شقاق بين المعلم وتلميذه حول الاحتجاج الفلنى لعام ١٨٦٦، ضد ضم هانوفر إلى بروسيا. فقد رفض إيفالد بروسيا رفضاً باتاً، بينما رفض فلهاوزن أن يتبعه في ذلك، ولم تنشعب أسباب هذا الشقاق فيما بعد أيضاً بينه وبين معلمه.

وقبل اندلاع الحرب الألمانية الفرنسية في ١٨٧٠/١٨٧١ بولت قصير أنمى فلهاوزن سبى دراسته بالتقدم إلى درجة اليسانسية في التاسع من يوليو (تموز) عام ١٨٧٠. وكشفت اطروحة مبعراً عن مواهبه وكانت تحمل العنوان اللاتينى : De gentibus et familiis Judaeis quae 1. Chron. 2,4 enumerantur أى : «حول القبائل والأسر العبرية، كما جاءت في سفر العدد ٢٤:٢». وفي



بعد حين، لم تسهو دراسة الكتابة المساهية التي أصبحت أكثر شهرة آنذاك بقدر ما استهواه الوجه الآخر للدين يهود وقانونه الذي انتهى أخيراً إلى يسوع المسيح، ونفى بالطرف المقابل: الإسلام كما نشأ في الجزيرة العربية وبالقدر الذي ظل يرتدى قالباً عربياً خالصاً فيه. وحين كان لا يزال في غرايفسالد أتى مرة محاضرة عامة عن محمد. وخلال زيارته إلى إنجلترا باحثاً من ويليام روبرتسون سميت آنذاك اقتبس من مخطوط كتاب المغازي للوالدي أقدم وأرضن رواية متواترة عن محمد في المدينة، كما اقتبس من ابن سعد الوثائق العامة المتعلقة بانتشار الإسلام. وفي فترة حاله وماربورغ، حيث أهتم بالعربية بالدرجة الأولى، نفذت المشاريع والأعمال الأولى لمؤلفاته التالية، أو القسم الأكبر منها في الأقل. وفي غوتينغن أسمى تاريخ الدولة العربية وانهارها (١٩٠٢) وكذلك الشروح والمقالات التي نشأت من الحواشي والتعليقات الخاصة ببحثه المذكور.

ومنذ الآن راح فلهاوزن ينكب بكل قوته وإهتمامه على الشعر العربي والأحاديث والروايات العربية المتواترة. ولم يمض وقت طويل حتى ألم بالأسباب العربية كحدث عربي. ولم يبق عالفاً في شبك الشعر العربي الذي ذهبت عنه موهب ضئيلة له. ومن خلال إهتمامه بالعالم العربي القديم انتقل رأساً إلى صحيرة ونشع آخر دين منزلي في أفق الكتاب المقدس. وحتى قبل ظهور النبي محمد كانت الديانة الوثنية التي تدن بها القبائل العربية والقائمة على تلمذ الألهة في سبيلها إلى الانحلال، وكانت قد بدأت تم يمين ديانة توحيدية غربية بحريديّة، وكان قد ظهر التساؤل حول هدف الوجود على الأقل. وقد ولدت نفس تأثيرات الحضرات العربية الفطرية للمسيحية في الولاياتين الرومانيتين جزيرة العرب ولسطين، ولدت فجأة عملية اختلاز غربية في الدلم العربي، كانت تصميماً للحسن الحياتي يضيّق على نمط الحياة الطبيعية المحتاد بحيث قدمت بذلك عجيبة الاختيار للإسلام. واكتفى فلهاوزن بالتأكد أولاً من تحديد ومعرفة التربة التي نشأ عليها الإسلام وبادراك التناقض بين الديانة الساذجة التقليدية، أي الوثنية، وبين عناصر الدين الجديد.

وبينا نجعل تفاصيل فترة الرسول المكينة تنفر معلومات أكثر حول العمل التنظيمي الذي تطور ونشأ في المدينة: فمن خضم الروايات والأحاديث التي سرعان ما تمت وأصبحت كالأساطير اختار فلهاوزن الروايات المباشرة وخاصة تلك التي اشتملت عليها الوثائق التي كان السباق إلى نشرها

من حيث الأساس. أما فلهاوزن فقد كان أول من قام بأعماله هذه بدراسات تحليلية تستند إلى النص الحلي نفسه. فبغريزة المبقرى كان يستخرج الجوهر الأساسي من المتن، ذلك الجوهر الذي يخضع للبرهان والدليل القاطع، ويترك الباقى، الذي لا يهم كثيراً في الوقت الحاضر، لأولئك الذين يمكنهم الجدل والأناة الكافيين لتحرى أمره. وهكذا تبرز له في الـ Pentateuch أى التوراة الطبقات الكبيرة الثلاث دين أن يصبح للتقسيم شديد الدقة والتشعب بحيث يصبح بذلك غامضاً وباعداً على التشكيك.

إن على أبحاث التاريخ الحقيقية بهما الاسم أن تستند إلى التفاضيل المتواترة التي تتناولها هذه الأبحاث. فإذا ما انتقلت هذه التفاضيل المتواترة التسلسلة بالدرجة الأولى بواسطة تراث أدنى، فإن القضايا والمسائل الأدبية والتاريخية ترتبط بعضها ببعض الآخر وتشابك بحيث يصعب الحل فيما بينها. وإنه لمن أخطر الأشياء على البحث التاريخي أن يظل عالفاً بالمسائل الأدبية. وقد حالت طبيعة فلهاوزن الخاصة الباسطة وراء الحقائق والوثائق دين اتخاذ من نقد الـ Pentateuch أى التوراة (كتب موسى الخمسة) هدفاً نهائياً للبحث والدراسة. إذ لم يكن هدفة تأريخ الأدب ولا نقد الأدب وإنما كان التاريخ نفسه. ويتضح ما أرواه في الحقيقة من عزاز كان كتابه الشهير الذي ظهر عام ١٨٧٨: «تاريخ بني إسرائيل، الجيل الأول» والذي ألقى ونجم فيها بعد بكتاب «مقدمة لتاريخ بني إسرائيل» (١٨٨٣) - (١٨٨٦). وبذلك بحث عالم منمنى ضائعاً بحثاً جديداً. ونحو التوراة من معضلة تاريخية إلى ما كانت عليه قديماً: إلى نهج كهنوتي منبث من الحياة وتلمذة الحياة. وعرض كل ذلك بلغة واضحة شافعة كالبلور غلت من كل صقل لغوى علمى متكلف.

وبعد هذا المؤلف لم يعد فلهاوزن يتوقع أن تستدعيه كلية لاوت لمصنّب الاستاذية، وكان عليه أن يقبل فكرة البقاء في جامعة كانت إمكانات التطور والارتفاع محدودة فيها، والاكتفاء بالمحافظة على الأفضل والأصيل لنفسه. وادى به هذا إلى التخل عن استاذية اللاهوت في غرايفسالد عام ١٨٨٢. وإذ تخلى عن كليته الخاصة، منحه كلية الفلسفة المذكورة الفخرية. وعينه الحكومة استاذاً خارج الملاك لغات السامية في هاله. ولم يسجه الحال هناك، وكان سميلاً حين استدعته بعد ثلاثة أعوام كلية اللاهوت في جامعة ماربورغ ليصبح استاذاً نظامياً فيها. وكانت أعوام ماربورغ في مناح كثيرة أسعد أوقاته أطالافاً. وحين شمت نفس فلهاوزن حق العهد القديم

والتي تظهر كيف توصل النبي إلى إحلال السلام في البلاد بتوجيه طاقات الشعب الفتية المنهضة إلى الخارج بدلا من تضاربها الوحشية ضد الأخرى. وبذلك مهد قلهاوزن من الأمام ومن الخلف الطريق إلى توتى إلى المسألة التاريخية لنشوء الاسلام وصيرورته. ولكنه افضد إلى الطريق الكامل الذي أدى بالعرب بعد وفاة الرسول إلى السيادة على مملكة عالمية لمدة تزيد على القرن. ولحسن الحظ، فقد بدأ تاريخ الطبرى الضخم في الظهور في هذه الأوجام، وقد اقتبست فيه كتب التاريخ القديمة كل على حدة، بحيث أصبح من الممكن متابعة تطور الاحداث والروايات والسير المتواترة. وأدرك قلهاوزن خللا للحكم الذي كان سائداً أن ثروة القصص المتواترة حول الفتحاات الكبيرة الأولى ما هي إلا مظهر خيالي، ولكنها في رواياتها حول نشوء الخلافات للمهنية والفرق الكبيرة تقدم مجموعة وافية من المعلومات الباشرة الأصيلة. ومن دراسة الروايات المتواترة تحت بصورة عضوية فكرة عرض الخلافة الأموية. وكان لتأليب الخلافة في الأسرة الأموية ابتداء من معاوية الداهية حتى الكارثة الختامية للمرية خليفاً باغراء قصاص على سرد هذه الوقائع. ولكن كتابة تأريخ من نوع رفيع يحتاج إلى تقنيية تولد حركة إرفاقية منظمة في المادة التاريخية. ووجد قلهاوزن هذه التقنيية في التور القامم بين الدولة والدين، بين سياسة الحكم إلى ولديها الدولة، والتيوقراطية التي يجمعها الدين. وكانت التناقضات بين عرب الجزيرة ذوى المراس الصعب والذين يصعب اخضاعهم للنظام وبنى جلدهم في سوريا وفيما بين النهرين الذين نشأوا نشأة سياسية وعسكرية بفضل أنباهم الطويل للدولة الرومانية ولكنيسة المسيحية، لقد كانت هذه التناقضات سبباً في انبهار العروبة الحرة الأصيلة أمام استبداد العباسيين الخاضعين لتأثير الأيراني. ورغم أن أمثال هذا العمل قليلة في مكتبنا، إذ يعتبر في حجمه الضخم أروع عرض مملكة للتاريخ السياسي للإسلام حتى انبهار الدولة الأموية، إلا أنه لا يقرؤه إلا القليلون فقط.

ثم انبت فترة ماربورغ السعيدة قبل الموعد الذي كان قلهاوزن يمتناه. فيمد وفاة باول دى لاكارد Paul de Lagarde في ٢٢ ديسمبر ١٨٩١ استدعى قلهاوزن إلى غوتنجن كخلف له، وكان رودلف سمند Rudolf Smend يمثل مقعد الامتاذية لأبحاث العهد القديم في كلية الفلسفة. وفي غوتنجن تحول كتاب ومقدمة في تاريخ بني اسرائيل إلى مؤلف عظيم بعنوان «التاريخ الاسرائيلي واليهودي» (١٨٩٤)، وصلت طبعاته حتى عام

١٩١٤ إلى السابع، وظهر عام ١٩٥٨ في طبعته التاسعة. وبما أن قلهاوزن عرض مؤلفه تحت هذه العبارة: «يهود إلى اسرائيل واسرائيل شعب يهود»، فقد نال عرضه التاريخي بالمفهوم العلمي والفني قوة تعبير لم يبلغه مؤلف قبله في حقل التاريخ القديم.

ويعد إنباها المؤلفات العربية المتخذة قلهاوزن لنفسه مهمة تفسير الأناجيل الثلاثة الأولى، وانكب على عمله حتى انتهى منه بالسرعة التي امتاز بها. وظهرت ترجمات وتفسير أناجيل مرقس ومتي ولوقا بسرعة، الواحدة تلو الأخرى في ١٩٠٣ و ١٩٠٤. وكان من ميزات قلهاوزن أنه لم يعالج الأمر من زاوية اللغة اليونانية الكلاسيكية، التي لم تكن مستفيد كثيراً بالنسبة للعهد الجديد، وإنما جاء الأمر من زاوية اللغات السامية: فما كان آرامياً في التعبير وطريقة التعبير أدركه فوراً بمجرد سماع اليونانية المجردة من المرونة والخالية من قوة التعبير. وقد علمنا على فهم لغة انجيل مرقس فعلا وبوجه خاص وأظهر من خلال ثغرات عديدة أن أقدم رواية متواترة، ليس الشفوية فحسب، بل وكذلك المخطوطة، كانت آرامية الأصل.

ويوجد قلهاوزن في تفسيره للأناجيل الثلاثة الأولى علاقاتها التاريخية بعلم أفكار وأحاسيس العهد القديم. ثم أتبع ذلك بتحليل لكتاب الرؤيا وبمعين حول تاريخ الحواريين. وفي عام ١٩١٤ ظهر التحليل النقدي لتاريخ الحواريين، وكانت حالته الصحية قد عاقبت طبع الكتاب عدة مرات. وفي السابع من يناير عام ١٩١٨ أقبلت المنية يوليوس قلهاوزن من استنشاد حقيق. إذ بلغ حداً لم يمد عنده قادراً على العمل، وبما زاد من شعوره بقسوة ذلك أن فكره ظل صامياً يقطعا حتى النهاية.

لقد كان لأعمال قلهاوزن الخاصة بالتاريخ الاسرائيلي اليهودي أبعاد الأثر. ولكن كاتب سيرته كارل هاينرش بيكر حتى حين يقول عن قلهاوزن: «ولكن ربما كانت عبقرية الانجاز الفردي أقوى في حقل الدراسات العربية. ففي ميدان العهد القديم كان له سابقون، بحيث كانت الاسئلة قد أثبتت هناك، وكانت المشكلة في متناول اليد، رغم أن دخوله الميدان هو الذي أدار صجلة البحث. ويختلف الأمر تماماً بالنسبة لعرشه لتاريخ الخلافة العربية. فهنا شق بقوة لا مثيل لها حتى الآن سبل سير في ادغال

صحيفة من الترجمة الآلية التي قام بها قلهاوزن للبيان المخلصين والتي لم تنشر حتى الآن.  
نشكر الأستاذ أنطون شال لوضعه هذا التصوير تحت تصرفنا.



كان لا يمكن اختراقها، كما بدأ في تحويل أجزاء منها إلى مترجمات منسقة منظمة.<sup>(٧)</sup>

وحق ما قام بفشره من مخطوطات يدل على قدرة الناصر على الحكم التاريخي. ففي الملاحظات السابقة لترجمة الوراقدي<sup>(٨)</sup> يقرن الوراقدي وابن اسحق في بحث مختصر غني بالمضمون والفائدة. وقد يقدم الوراقدي في بعض الحالات المادة الأصلية، ولكن في أغلب الحالات التي يفرق فيها الوراقدي وابن اسحق، يقدم لنا الأخير ما هو أفضل وأكثر أصالة. ومع أغاني الجذلية، التي أصدر فلهاوزن قسمها الأخير بالعربية والترجمة الألمانية عام ١٨٨٤<sup>(٩)</sup>، وذلك تمة للنص الأول الذي أصدره كوزينارتز Kosegarten عام ١٨٥٤، ألحق فلهاوزن تقييماً تاريخياً بالإضافة إلى رسائل محمد والنفقات التي ولدت عليه والتي أصدرها فيها بعد تقسيم ثالث في الكراس الرابع من دراسات أعمال أولية في برلين عام ١٨٨٩. وعلى وجه العموم فليس هناك ما يدعو إلى الشك في أصالة الرسائل الأخيرة. فغالبا موجه إلى قبائل بعيدة لا أهمية لها. وهي لا تمتشئ وروح الرسائل التالية، ولكنها لا تظهر عمداً كشيء حازم لا يبرهن المفاداة، وإنما كسياسي عمل لا ينظر مراكز معتنى الاسلام حسب مبادئ عامة ناجية، وإنما حسب اتفاقات خفيفة تقريبا، وأنه يتفاوض في مطالبه وفي عروضه كثرة وقلة بتفاوت الأشخاص والظروف.

أما كتاب «بقايا الوثائق العربية، مجموعة ومفسرة» (برلين عام ١٨٨٧)، وهو أول عرض تاريخي في حقل دراسات اللغة لفلهاوزن فيتعلق بتاريخ الأديان. وكل ما تملكه تقريباً من أخبار عن الوثائق العربية يعود في مرجعه إلى العهد الاسلامي، بحيث صيغت جميعها بالصيغة الإسلامية. فالوثائق تشبه باظهار الناحية السلبية عندما تتناول أموراً يرفضها الإسلام، بينما تقو باظهار الجوانب الحسنة في الحالات التي ورث الاسلام فيها أموراً وثنية. ويحاول فلهاوزن تطهير الجلود الوثيقة من الجانبين ليتعمق في الاصول

الوثنية الحقيقية؛ وبذلك ينقح الحياة في الآفة والقرابين الوثنية وفي الأعياد والأسواق العربية القديمة، وفي الايمان بالأرواح والسحر. وبذلك يلقى أضواء شديدة على دين بني اسرائيل، ومن الجهة الأخرى يساعد على تفهم ما هو عربي في العهد القديم.

وتعالج دراسته «المدينة قبل الاسلام» (في دراسات وأعمال أولية، الكراس الرابع، القطعة الأولى، برلين ١٨٨٩) كذلك تاريخ ما قبل الاسلام، مؤكداً على الناحية السياسية أكثر من الناحية الدينية. وفي دراسته «مقدمة إلى أوائل تاريخ الاسلام» في دراسات وأعمال أولية، الكراس السادس، برلين ١٨٩٩، يضرخ فلهاوزن للإسلام نفسه. وفي هذه المقدمة يعالج تاريخ الاسلام، باستثناء فترة عهد نفسه، حتى وقتة الحمل (٦٥٦ ميلادي). ومنذ الصفحات الأولى من هذه الدراسة تتضح المشكلة الرئيسية. إذ تتناول الأمر خيطين من الروايات المتواترة الواحد منهما يستبعد الآخر، أحدهما سيف ويمثل الاتجاه العراقي المتحيز، والثاني ابن اسحق، والوراقدي، والمدائني وابن الكلبي ويمثلان اتجاه المدينة القديم الرشيد. وهناك روايتان لرجلي دين مسيحيين معاصرين للأحداث تؤيدان أمانة الاحاديث المدنية بالمقارنة بالأحاديث العراقية. وبالتحقق من تفوق الاحاديث المدنية يتضح العمل الرئيسي لتأريخ هذه الفترة.

وبعد مقالتي «الفرق الدينية السياسية المتعارضة في أوائل عهد الاسلام» و«معارك العرب والروم في عهد الأمويين» اللتين نشرتا في أبحاث وأبناء جمعية جوتنجن للعلوم عام ١٩٠١، توج فلهاوزن أعماله جميعاً بتأليف ذروة إنتاجه في التاريخ الإسلامي وهو: «المملكة العربية وسقوطها» الذي نشر في برلين عام ١٩٠٢، والذي يتناول التاريخ الإسلامي حتى نهاية الخلافة الأموية عام ٧٥٠ ميلادي. وهناك عرض مختصر يتناول المصادر المتوفرة لهذه الفترة وميولها وأهميتها. فأبومهنث يمثل الاتجاه العراقي الكوفي، وهو يميل بسلطانه إلى العراق ضد سوريا، وإلى جانب علي ضد الأمويين، أما أبو معشر والوراقدي فيمثلان الاتجاه العلمي المدني وما يتابعان، حل تقاليد رواية المدينة الفتاة، تاريخ العهد الأموي بموضوعية علمية دون إبداء ميل عاطفي ملموس للأمويين. أما الروايات السورية التي تميل إلى الأمويين فقد اندثرت، ولكن آثاراً منها بقيت محفوظة في التاريخ المسيحي. أما المدائني فقد كان مؤيلاً للمعايين. ويتحسك فلهاوزن في تقييمه للمصادر بهذه الأسس، دون أن يتنخل من حين لآخر عن إصدار حكمه من حيث وجهات النظر الموضوعية. وكما يؤكد كارل هاينريش بيكر

(٧) انظر Carl Heinrich Becker, Julius Wellhausen, *Islamstudien*, Leipzig ١٩٣٢، ص ٤٧٤-٤٨٠.

(٨) *Muhammed in Medina. Das ist Vaki'd's Kitab al Maghasi in verkürzter deutscher Wiedergabe*, herausgegeben von Julius Wellhausen, Berlin, 1882.

(٩) هناك ترجمة ألمانية للنص الأول، موجودة على شكل مخطوط. وقد استعملت في قاسوس اللغة العربية الكلاسيكية، *Wörterbuch der Klassischen Arabischen Sprache*، طبع فيوس الموضوعات من الكراس الأول، فيسند ١٩٥٧. وترى صفحة من المخطوط إلى جانب هذا الكلام.

في رثائه<sup>(٦)</sup>، فإن هذا الكتاب الذي لم يلق اعتباراً يذكر في بادئ الأمر أصبح انجيلاً لا غنى عنه بالنسبة لمؤرخ بواكر العهد الأسلاي<sup>(٧)</sup>.

لقد كانت طبيعة فلهاوزن الأساسية تنقسم بالبساطة. فحين كان يكتب، كان يضع أمام عينيه هدف التعبير عن رأيه بأبسط شكل ممكن، فكان لا يتخلى مع ذلك عن الجلاء والوضوح. وكان يتمتع بطبع مستقل ولا يعرف الخطورة الفكرية. وكان له خصوم كثيرون دون أن يوجد بينهم علوشخص واحد. وأدى صممه إلى عزله دون أن يصبح شديد الارتباب والحساسية. لقد توحدت في يوليوس فلهاوزن ميزات المؤرخ وعالم اللغات، وصفات الجنس الشديد والدقة اللغوية في كل متكامل لا مثيل له. وكان ملماً بجميع تفاصيل الفترة التاريخية التي يبالغها كالأوضاع السياسية فيها، والأحوال الاقتصادية، وطرق المسكن وللمعيشة والغذاء، وأزياء الملابس والرأس، والمسائل الحرفية والمعادن. ولكن هدف أبحاثه ظل دائماً التأكيد على خطوط التطور الكبيرة والرئيسية، واكتشاف العوامل

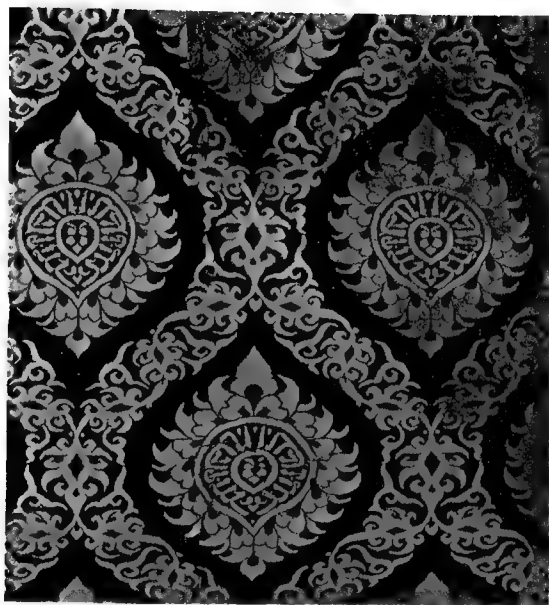
(٦) راجع G. H. Bocher, *Latinstudien*، المجلد الثاني، لايبزغ، ١٩٣٢، ص ١٧٥.

والقوى الرئيسية للتحويل والتطور التاريخيين. وكان يسعى بنجاح إلى إدراك وعرض تضارب القوى الداخلية للحدث التاريخي.

لقد كان أستاذي إرنو ليتمان، الذي استدعى عام ١٩١٤ إلى جامعة جوتنجن كمخلف لفلهاوزن، شديد السعادة بمداقته لأكثر مستشرق في عصره. وكان لا يذكره إلا بأسمى آيات التقدير والأعجاب وكان هو الذي أتى كلمة الجنائز عند تشييع جثمانه<sup>(٨)</sup>. لقد قدر لنيودور تولدكه ويوليوس فلهاوزن أن يرفعا لواء زعامة الاستشراق في ألمانيا دون أى منازع. أما السؤال عن الأعظم بين الاثنين فقد أجاب عليه تولدكه بتواضع رقيق وثقة أكيدة بالنفس حين وصف نفسه بالموهبة، وربما بالموهبة العظيمة، بينما وصف فلهاوزن بالمعبرة نفسها<sup>(٩)</sup>.

(٧) راجع هذه الكلمة الجنائزية مختصرة في مجلة جمعية المستشرقين الألمان ZDMG، المجلد ١٠٦، ١٩٥٦، ص ١٨-٢٢ تحت عنوان Erinnerung an Julius Wellhausen.

(٨) كذلك إرنو ليتمان Enno Littmann في كتابه: نصب الألمان في علوم ودراسات الشرق الأدنى - Der deutsche Beitrag zur Wissenchaft vom Vorderen Orient، شونجسارت وبرلين ١٩١٢، ص ٢٠.



# تِيودُور نُولدِيكِه

(١٨٣٦ - ١٩٣٠)

بقلم: الأستاذ ايتو ليمتات

ولد المستشرق ايتو ليمتات في أولدنبورج في ١٨٧٥/٩/١٦ ودرس في جامعات برلين وهاله وجرايفزاله وستراسبورغ. بدأ حياته التدريسية كمحاضر للغات الشرقية في جامعة برنستون في الولايات المتحدة؛ ثم اشتغل كأستاذ للغات الشرقية في جامعة ستراسبورج عام ١٩٠٦، وفي جامعة جيتنجن عام ١٩١٤، وبين عام ١٩١٦، وأخيراً في توبنجن من ١٩٢١ إلى ١٩٥١. وقد كان عضواً في بعثات الآثار الأمريكية إلى سوريا والحبيشة وآسيا الصغرى؛ كما ترأس البعثة الأثرية الألمانية إلى الحبيشة. ومن أهم مؤلفاته: «حول تفسير النقوش النوبوية (١٩٠٤)»، و«تاريخ الأدب الآثوري (١٩٠٧)»، و«مطبوعات حملة برنستون الاستكشافية إلى الحبيشة في أربعة أجزاء (١٩١٠ - ١٩١٥)»، والكلمات الشرقية في اللغة الألمانية (١٩٢٠ و ١٩٢٤)، وأول ترجمة كاملة لألف ليلة وليلة بالألمانية في ستة أجزاء (١٩٢١ - ١٩٢٨ و ١٩٥٢/١٩٥٤).

والانتباه. وكانت النظرية منذ حداثة سنه تحتل مكان العمل إلى حد بعيد. ولكن هذه النظرية لم تكن وهمية غريبة عن العالم، ولم تكن محدودة الأفق، وبقراءة كتب الرحلات في الشرق ودواصة الآداب الشرقية، تعرف نولدك في سن مبكرة على شعوب الشرق الأدنى أفضل من كثيرين ممن عاشوا الأوهام الطولال هناك. وكان يفتقر إلى الجانب العملي في اللغات أيضاً؛ فلم يتح له إلا تعلم التكلم قليلاً بالتركية في فيينا، كما كان في لايدن يميل التكلم بالهولندية. غير أن اللغات التي كان يتناولها بأبحاثه العلمية كانت أقرب إليه منها إلى أي شخص آخر من زملائه المتخصصين. وفي الخامسة عشرة من عمره اضطر إلى التوقف عن الدراسة مدة أربع عام لأصابته بفقر في الدم. وعندما انكب على دراسة العبرية بمفرده حتى توصل بعدها إلى إصفاه في مادة اللغة العبرية للمسوية، وكانت دراسته الرئيسية في اللدوية تشتمل على اللغات القديمة التي راح يدرسها بتجهد تحت إشراف والده في هاربورج، وكذلك في لنكن، حيث نقل هذا عام ١٨٤٩. وفي خريف عام ١٨٥٣ التحق بجامعة جيتنجن ليصبح مستشرقاً، على حد قول أبيه. أما هو فقد كان ينوي دراسة اللغات القديمة والشرقية، غير أن شخصية الأستاذ إيفالد<sup>(١)</sup> الجبارة، وقد كان صديقاً لوالده، استحوذت عليه كلياً لدراسة الاستراق وحده. وقد ظل مدينة لأستاذه طيلة

رغم الهدوء الذي كان يسود بوجهه عام مجرى حياة المستشرق العظيم تيوودور نولدك، إلا أن مكاسبه العلمية وقوة نفوذه طبعت حقل الاستراق بكامله خلال السنين عاماً الأخيرة<sup>(٢)</sup> بطابع شخصيته المؤثرة، ولولاها لما أمكن تصور أي تطور لهذا العلم.

ولد نولدك في الثاني من آذار (مارس) عام ١٨٣٦ في مدينة هامبورج، حيث كان والده آنذاك عميداً للمعهد الثانوي المتوسط. وقد خلعت المدينة ذكره بتصفية مواطناً فخرياً ويسمى شارع باسمه يوم عيد ميلاده التسعين.

وأُسرة نولدك واسعة الانتشار في شالي غربي ألمانيا، ويعود أصلها عبر عدة قرون إلى أحد وجهاء مدينة هلمسهايم، كان يعيش في بداية القرن السادس عشر. وقد برز من عائلة نولدك هذه عدد كبير من رجال الدين والمعلمين والموظفين. وقد كان العميد نولدك في هاربورج موظفاً أميناً كذلك، وكان بالنسبة لابنه مثالا للثبات في أداء الواجب، كما أيقظ فيه، كعالم للغات القديمة، حب علوم الأوائل، ذلك الحب الذي لازم الابن طيلة حياته. وكان نولدك في مطلع حياته صبيّاً ضيقاً؛ ورغم أنه كان يشترك في الألعاب الرياضية لفتية هاربورج، ويتحلى بلهوتهم، غير أن اشتراكه في ذلك لم يقسم بالحيوية والقرّة الكافية. وقد عوض عما كان يفتقر إليه من حرارة الاختلاط وعن الاحتكاك الشخصي بالبيئة المحيطة به بقوة الملاحظة

حياته، رغم أنه اضطر فهايمد إلى الانفصال عنه شخصياً؛ وقد أدرك أن تأثير إيفاندا الرئيسي كان يكمن في أنه كان كأستاذ يطلب من تلاميذه أكثر بكثير مما يقدرون عليه، بحيث كان بذلك يجبرهم على العمل للشديد والتفكير الحاد. وبالإضافة إلى اللغات السامية فقد ائتكب على دراسة الفارسية والتركية، ثم تعلم السنسكريتية بأشراف الأستاذ بنفائ(١).

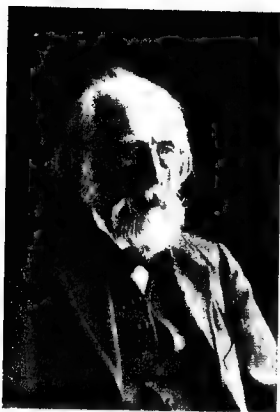
وفي عام ١٨٥٦ ظهر أول مؤلف لتولده. فقد تمكن من الفوز بالمسابقة العلمية للكلية، فطبع مؤلفه واعتبر في الوقت نفسه أطروحة الدكتوراه بحيث نال في اغسطس من العام نفسه هذه الدرجة العلمية. أما عنوان المؤلف باللاتينية فهو: "De origine et compositione Surarum qoranicarum ipinausque Qorani" وترجمته ذلك بالعربية: "حول نشوء وتركيب السور القرآنية". أما تولده نفسه فقد دعا مؤلفه نتائج فية لا يسم بالنضوج، وسر أنه تمكن من تحطيه بامتياز في كتابه "تاريخ القرآن" الذي نشر عام ١٨٦١. وقد كانت الفترة الواقعة بين ١٨٥٦ و ١٨٦١ أعوام ونجمله وترجاله. فقد أجه أولا إلى فيينا للتعرف على مخطوطات المكتبة الملكية هناك، ماراً بمدينة لايزج، حيث زار أستاذ علوم اللغة العربية الشهير فلافير(٢). وكانت تساوره سراً فكرة الانتقال من هناك إلى الشرق، غير أن هذه الرغبة لم تتحقق، وظلما اضطره التدم على عدم تمكنه من التعرف إلى الشرق بنفسه وبأمر عينيه. وفي خريف ١٨٥٧ انتقل إلى لايدن حيث قضى شهراً يهيج في العمل المجد على المخطوطات العربية الموجودة هناك في حلقه من الزملاء المختصين الشباب. وعقد آنذاك أواصر صداقة حميمة مع ميشائيل بان دى خويه(٣)، المستشرق الهولندي العظيم. وفي تلك الأثناء أقامت أكاديمية المخطوطات البارسية مسابقة موضوعها تاريخ القرآن. وكان تولده المرشح المناسب للفوز بهذه المهمة، وبالفعل فانه لم يفوت الفرصة، بل غادر لايدن قبل الموعد الذي كان مقرراً، ليدرس في غوتا وبرلين مخطوطات كانت مهمة بالنسبة لعمله. وفي ربيع ١٨٥٨ جاء برلين وأتم فيها كتابة بحث المسابقة. ثم أجعل المخطوط بالغة اللاتينية إلى باريس، حيث كان قد وصل مخطوطان آخران كتبهما علان معرطان هما: (١) الألفاني شيرنجير(٤) والإيطالي أماري(٥). وما كان من الأكاديمية إلا أن ضاعفت الجائزة ووزعت المبلغ بالتساوي على الفائزين الثلاثة. وهكذا كان الشاب الذي لم يتجاوز سته الاثنين والعشرين عاماً قد حل مسابقتين علميتين، كما فاز في

الثانية على صعيد واحد مع اثنين من رجال العلم البارزين كانوا أكبر منه سناً. وبعد ذلك عمل على إتمام ترجمة ألمانية لكتابه الفاتر أصدرها عام ١٨٦٠، وهي الكتاب الشهير الذي اشرنا إليه سابقاً: "تاريخ القرآن"، وهو أول مؤلفاته العظيمة الكثيرة. وبه دل على طريق البحث العلمي الصحيح في الدراسات القرآنية. وقد أظهر هذا الكتاب مبكراً جميع خصائص طريقة تولده في البحث؛ معرفة شاملة على أساس بحث أمين في جميع التفاصيل، وحكم واضح دقيق يرد كل ما هو مشكوك فيه ويرفض مالا يقبل الاحتمال. وبطبيعة الحال فكان مما لابد منه أن تسبب طريقته هذه تنافراً بينه وبين أستاذه إيفالد، الذي كان رغم علمه وعبقريته، عالياً مسلطاً شديد التعصب والإيمان بنفسه، وهو أستاذه الذي كرس له هذا الكتاب بالذات في كلمة الاهداء. ثم مكث تولده عاماً ونصف العام في برلين كمساعد في المكتبة. وفي هذه الفترة تصادق مع عدد من العلماء والباحثين للمسنين، كان لهم أثر طيب في تربيته بحقول جديدة من العلم والمعرفة. ولكن عندما وجه إليه مدير المكتبة عام ١٨٦٠ طلباً جازراً مس كرامته وحرته الشخصية، حزم بسرعة على الاستقالة وغادر عمله بعد أن وجه رسالة تهنيت بالرجولة إلى رئيسه. وعلى أثر ذلك مضى إلى إيطاليا لمدة أربع عام، وساعده على تحقيق هذه الرحلة عم طيب فني.

وقد كتب عن أعماله وتجاريه وانطباعاته أثناء وأعوام ترعاه بالتفصيل في رسائله إلى أستاذه إيفالد. وفي هذه الرسائل يحفل العلم المكان الأول، ولكنها لا تخلو كذلك من اهتمامه الحيوي بالأحداث العالمية. وفي بداية كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٨٦٠ عاد تولده إلى جوتينجن وأصبح فوراً مساعداً في المكتبة. وفي ربيع ١٨٦١ قدم أطروحة الكفاءة التدريسية الجامعة وأصبح محاضراً خاصاً للغات السامية. ونحلى عن منصبه في المكتبة بعد عام ونصف العام من جديد، إذ كان عمله فيها يمتد كثيراً عن إيمانه ودراساته العلمية. وأهم خلال تلك الفترة بالدرجة الأولى بالشعر العربي وباللغة التركية التي تعمق في دراسة لهجاتها وبرع فيها.

وفي ربيع ١٨٦٤ استدعي إلى جامعة كيل ليخلف الأستاذ ديلمان(٦). وظل هناك أربعة أعوام كأستاذ غير نظامي، ثم أربعة أعوام ونصف العام كأستاذ نظامي عام. وقد كان الاستدعاء إلى كيل، كما اعتقد تولده نفسه، الداعي الأول إلى خصومة لاكاردا(٧)، الذي كان يمشي كأستاذ آنذاك في ظروف بائسة جداً، والذي كان يأمل في الحصول





*For a more complete knowledge of the  
life and work of this great man  
see the book by W. W. R. W. W. W.*

الاستاذ تيجور تولدكه ليل وفاته.

الايان والمعرفة. ولذا فقد هاجم كذلك «العقلانية الضعيفة»  
التي يلبغا إليها حتى مؤمنونا الراشدون أكثر فأكثر.  
إذ إن «عقلانيته» كانت من عيوب قوى، كروحها، التي  
كانت تعمر في جسد ضعيف كجسده.

وأما قيامه بالدراسات الآرامية فقد كان بمحض الصدفة.  
إذ أن مكتبة جامعة كيل، التي كانت لا تملك من الكتب  
الخاصة باللغات والشعوب السامية إلا التزراقليل، حصلت  
من غلطات آدلر (١٢)، الذي توفي عام ١٨٣٤، وهو  
في منصب المشرف الأعلى العام لمقاطعة شليزفيغ-  
هولشتاين، حل عند كبير من المؤلفات الخاصة بالأدب  
السرياني. وكانت هذه الكتب هي النافع إلى اهتمام  
تولدكه الآن بصورة أعمق وأدق باللغة الآرامية. وكما وضع  
الأبحاث القرآنية على قواعد متينة ثابته في كتابة «تاريخ  
القرآن»، فقد وضع الآن الاسس العلمية للدراسة اللغات  
السريانية، والسريانية الحديثة والمتدعية. وظهر

على كرمي الاستاذية في كيل. ولكن تولدكه لم يده  
بماني طويلا من أجل ذلك، فحين أصبح منصب الاستاذ  
إيفالده شاعراً عام ١٨٦٩، ورغم أنه كان يود أن يكون  
خليفة استاذة في منصبه العلمي، إلا أنه كتب إلى جوتنجن  
قائلاً: إنه لا يعرف أحداً يرغب في التخلي من أجله  
عن منصب إيفالده الشاعراً أفضل من لاكارد، الذي يشتره  
واحداً من أتباع المستشرقين وأمن العاملين لحقاً. حقاً،  
لقد كان محزوناً ذلك القدر الذي كان يعد شخصياً أولئك  
العظماء الثلاثة: إيفالده ولاكارد وتولدكه، الواحد منهم  
عن الآخر. ومن المسلم به أن طلباتهم كانت متباينة جداً.  
إذ لم يكن إيفالده ليحتمل أية معارضة، وكان يعتبر الآراء  
التي تختلف عن آرائه وكأنها أخطاء خلقية؛ أما تولدكه  
فكان يؤمن بحق الرأي الحر لكل إنسان، وكان يناقش  
الجميع بتجرد وموضوعية. وبينما كان لاكارد رياضاتيكياً،  
كان تولدكه، كما كان يقول بنفسه، عقلانياً. وكثيراً ما كان  
إيفالده ولاكارد ينساقان بطريقتهما العاطفية إلى إصدار أحكام  
جائرة. أما تولدكه فقد كان في القضايا العلمية مقصداً  
بروح العدل المجردة من العاطفة. وفي الرابع من تشرين  
الأول (أكتوبر) عام ١٨٦٩ بعث برسالة وداعية إلى  
إيفالده، بعد أن سبق لهذا أن تعدى عليه عدة مرات  
بالكلام القاسي. وقد كانت رسالة قصيرة، وجيبة،  
حازمة، وقد أعرب فيها عن امتنانه واحترامه الدائم  
لاستاذة بأسلوب يملك الحواس. وكان تولدكه قبل ذلك  
قد تعرض بالتفصيل إلى وضعه مع إيفالده في رسائل  
إلى صديقه الأبوي فيلزلر (١١)، دين أن يفقد في أي منها  
أسلوبه الواضح وروحه الموضوعية. وكان لاكارد يهاجم  
تولدكه كثيراً في مؤلفاته، هجوماً علمياً وشخصياً. ويختم  
تولدكه دفاعه في وجه هذه الهجمات بالكلمات التالية:  
وأما أن أجب على أتهام بالتحجى المقصود على الحق،  
فهذا ما لا تقبل به كبريائي.

وفي الفترة التي قضها في كيل اهتم تولدكه بالمعهد القديم،  
الذي كان عليه شرحه في محاضراته، كما اهتم باللغة الآرامية  
بالدرجة الأولى. وأصدر آنذاك كتابي: «المؤلفات المختصة  
بالمعهد القديم» و«أبحاث في نقد العهد القديم». وكان  
الأول عرضاً شاملاً، والثاني يشكل الأساس العلمي لذلك.  
ومع أن هذين الكتابين قد أصبحا قديمين في معلوماتهما  
إلى حد ما، وخاصة بفضل مؤلفات فلهارون (١١) الطليعية  
في هذا الحقل، فقد كانا عملين يمتازان في عصرهما  
كأفكارين لإسباغ آيات الفحص على أي علم يخص بشئون  
المعهد القديم. ولم يكن تولدكه يعرف حلاً وسطاً بين

السامية باستثناء اللغة البابلية - الآشورية والتعقش العرية الجنوبية، كما كانت تشتمل كذلك على الفارسية الحديثة والركية. وكان التلاميذ يترجمون، بينما كان يسمح ويقوم بالتعليق والشرح، لغة وعقوى. وكان، كأستاذ إيفالدا، يفرض على تلامذته مطالب عالية، فحصلوا منه أن يكونوا أساءة في أصغر التفاصيل، ولا يفقدوا نظرهم إلى الكل عموماً، وأن يجنبوا النظريات الثقيلة التي لا تصمد أمام النقد ولا تستند إلى الحجة والبرهان. وحين كان أحد التلاميذ يلحن في القراءة أو يخطئ في أحد بحور الشعر أو في الترجمة، كان جسم الأستاذ الصغير الشديد الحركة يهتز بقلق ممتد ووسرة، كما كان، في الحالات الشديدة، احتجاجاً واستنكاراً للحظة الفادحة. وبعد إحاطته على التقاعد ظل ينفذ حلقاته التدريسية مرات عديدة، ويبحث فيها نصوصاً حربية وفارسية صعبة، وكان أفضل تلامذتي الخالصين يشركون في ساعاته التدريسية أيضاً. وقلمنا كان يقوم بإلقاء المحاضرات المنظمة. ورغم السهولة والسلامة التي كانت بهما تصاح له الكلمة المكتوبة، ورغم الحيوية وعق الأثر والبرق الفكرية التي كانت تنصت بها أحيائه - إلا أنه لم يكن يحب إلقاء الخطب العامة. وقد نحلى من المحاضرات المتعلقة بالعهد القديم في ستراسبورج عن قصد، إذ كان الأستاذ القدير إدوارد رويس<sup>(١٤)</sup> يمثل هذه المادة التعليمية خير تمثيل.

وبالإضافة إلى قواعد الآرامية الشرقية والسريانية، فقد ألف نولده في ستراسبورج سلسلة كبيرة من الكتب، وخاصة في حقول الدراسات العرية واللغات السامية المقارنة، والحكايات الخرافية الشرقية، والدراسات الإيرانية. وكان في جوتنجن قد اشتغل على دراسة الشعر العربي القديم. وفي ستراسبورج ألف ترجمات وشروح خمس مقالات وأعطى بذلك مثلاً فريداً من نوعه في وضوح التفسير، لغة ومتناً. ولغرض اللغة في تحديد الحيوانات والنباتات التي وردت في النصوص، كان يستشير علماء الحيوان والنبات. ويبحث حول قواعد اللغة العرية الكلاسيكية كان أول من عالج العرية معالجة جادة من حيث الاعتبار والعرض التاريخي. وتناولت أيضاً أخرى دين وتاريخ عرب الجاهلية حيث ظهرت بوجه خاص أهمية معرفته الثامة للمصادر اللاتينية والإغريقية. فقد كانت هذه عوناً شديداً له في جميع أبحاثه التاريخية، وكذلك في ترجمته لكتاب تاريخي سرياني، وبوجه خاص في كتابه تاريخ القرون والحرب في عصر الساسانيين. مترجم من

كتاب قواعد السريانية الحديثة وهو لا يزال في كمال، بينما ظهر كتابا قواعد السريانية والمندعية أثناء وجوده في ستراسبورج. وتعتبر كتب القواعد الثلاثة مؤلفات طليعية من الدرجة الأولى إطلافاً. ولتأليف الثلاثة قد كان عليه أن يعمل متقياً في مواد اللغة كلها بمنتهى الدقة والعناية. وأدت قواعد السريانية الحديثة بعد فترة جديدة إلى بحث اللغات السامية الحية، التي تحل أهمية كبيرة للحكم على اللغات القديمة. أما قواعد الآرامية الشرقية فقد كونت الأساس لا لفهم الأدب الآرامي الشرق فحسب، بل وكذلك لتضم كثير من مشاكل المقارنات اللغوية السامية. وكان كتاب قواعد السريانية، الذي صدر فيها بعد في طبعة ثانية، وترجم كذلك إلى الإنجليزية، عرضاً ممتازاً لهذه اللغة العظيمة الأهمية بالنسبة للشرق المسيحي. وفي ربيع ١٨٧٢ استدعي نولده إلى الجامعة الألمانية التي انشئت آنذاك حديثاً في ستراسبورج؛ وفي خريف العام نفسه انتقل هناك وظل فيها حتى عام ١٩٢٠. وكان من المفروض أن يستدعي في عام ١٨٧٦ إلى جامعة برلين، ولكن أحد تلاميذه تسبب في عرقلة الاستدعاء وحصل على المنصب لنفسه. ثم رفض طلبات استدعاء إلى جامعات فيينا ولايبزيغ وجوتنجن، حيث كان مركزه في ستراسبورج ثابتاً لجلهور. ومع ذلك فقد أتبع بوجه خاص لاستدعائه إلى جوتنجن، حيث كان المفروض أن يخلط لا كارد. ومنذ عام ١٩٠٦ أصبح نولده على المعاش. وعلمنا دخل الفرنسيون، بعد انكسار ألمانيا، أراضي الأناضول وأكملوا جميع الألمان من ستراسبورج، لم يجرأوا أن يفعلوا ذلك مع هذا العلم الجليل، الذي اشتهر اسمه في جميع أنحاء العالم. فغادر في ربيع ١٩٢٠ المدينة بمحض اختياره ولجأه إلى كارلزروه ليقم مع ابنه هناك. وظل هناك مدة أحد عشر عاماً قضاه في رقة فكرية تامة، إلى أن طارق الحياة على صبيحة يوم عيد الميلاد من عام ١٩٣٠ وهو متكى على كرسيه الشيفونية؛ بعد أن كان في اليوم السابق قد أتم قراءة رواية للأديب كوفراد فريدياند ماير<sup>(١٥)</sup>.

وفي ستراسبورج صلبت كتب نولده الرئيسية. وبفضله أصبحت ستراسبورج مركز الدراسات الشرقية ليس بالنسبة لألمانيا وحدها فحسب، بل وكذلك بالنسبة للعالم أجمع. وقد تمهد ألا يؤسس لنفسه «مدرسة» خاصة؛ ولكن جميع علماء اللغات السامية المعاصرين أصبحوا تلاميذه، سواء أدرسوا على يديه، أم استملوا من كتبه عندهم الطليعية وسلاحهم للبحث والدراسة. وكانت حلقاته التدريسية التي كان يقفها في غرفة عمله تتناول مجموع حقول اللغات

Karlsruhe i. d. 22. August 58.

Lieber junger Herr Doktor!  
Danken Ihnen für die Verbesserung Ihres Schiffs, die ich  
mit großer Freude sehen habe. Die besten Empfehlungen, dass  
Sie es als Lehrbuch haben, sind mir ganz willkommen.  
Freilich es gut wissen nicht bekannt; doch der Gedanke des Titels' auch  
Recht von Wissenschaft, deren Hauptzweck es in der Zeit, wo der Wissenschaft  
Hauptzweck alle Wissenschaft verbindet, die ich nicht vernein, aber  
was sind die Wissenschaften Wissenschaften, wenn nicht Wissenschaft wird.  
Wissenschaft Wissenschaft, aber das Wissenschaften auch die besten  
Fächer der alten Wissenschaften enthalten, die fast sind die Wissenschaft  
angehen. Natürlich ist es nicht, Wissenschaft nicht, die  
Geschichte von der Wissenschaft oder der Wissenschaften Wissenschaften  
zu werden. Es geht es in der alten Wissenschaften aber die  
Teil der Wissenschaften Wissenschaften der Wissenschaften Wissenschaften  
zu werden, Wissenschaften die die Wissenschaften sind die Wissenschaften  
gibt, die Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften  
zu werden, und die die Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften  
Reputation und Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften  
die Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften  
zu werden, Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften Wissenschaften

من رسالة الأستاذ نولوك إلى الدكتور دويتز بارت. (يوجد اسماء نولوك لهذا المخطوط على ص ٢٥).  
شكر الأستاذ بارت في جاسية تورينين لتصرفه هنا بغير هذه الرسالة، ولما افادنا به من معلومات قيمة من تيودور نولوك.

القارسية القديمة نينا ترك الشعر الوجداني الفارسي الحديث  
جائياً بسبب ازدياد معناه.  
وقد كرس نولوك لأبحاثه في اللغات السامية المقارنة  
مؤلفين هما: وأبحاث في علم اللغات السامية وأبحاث  
جديدة في علم اللغات السامية. ويمكن كامل من المادة،  
وبمعرفة اللغات، لم يحصلها من كتب القواعد والقواعد،  
وإنما من المصادر الأولية، عالجه عدداً من المسائل اللغوية  
الهامة، متمسكاً في ذلك دوماً بما هو قائم فعلاً، ومجتنباً

تاريخ الطهري ومرفق بإيضاحات وثبات تفصيلية. وقد  
أدت دراسته للمصادر القارسية إلى قيامه بدراسة الحماسيات  
القومية الإيرانية، التي قرأ من أجلها أسطورة الفردوسي  
المنظومة وشاهنامة الضمخ مرات عديدة، كما أدت أيضاً إلى  
أبحاثه حول اللغة القارسية الوسطى (البهلوية) وأدبها، وهي  
تتميز بالصعوبة الشديدة، وفي هذه الدراسات حصد نهائياً  
وبصورة قاطنة الطابع الحقيقة لهذه اللغة، تماماً كما فعل  
صديقه أنريز (١٥٠). وقد أهتم كذلك بدراسة النقوش



الفرضيات القلقة. وقد ساعد بعدة أبحاث تقليدية ومقالات ومنشورات صغيرة على تطوير المعرفة باللهجات العربية والحشية، وكذلك بالتعويض السامية إلى حد بعيد. وفي حقل القصص الخرافية الشرقية ألف عدداً كبيراً من المقالات والرسائل الكبيرة والصغيرة، أهمها: «بحث حول تاريخ رواية الأسكتند» و«دراسة حول رواية أحقار». وساهم كذلك في إلقاء الضوء على تاريخ قصص ألف ليلة وليلة، أو بعض حكايات هذه المجموعة، كما خاض البحث في مجموعة قصص «كليته ودمنه»، مقنياً طريق انتقالها من الهند عبر إيران والشرق الأدنى إلى الغرب. لقد كان تولده سيد الأسلوب العلمي والأسلوب الشعري معاً. وإن خمسة من كتبه، وهي المؤلفات المختصة بالمعهد القديم الذي ذكرناه سابقاً، و«حياة عمدة»، و«مقالات في التاريخ الفارسي»، و«أبحاث شرقية»، ثم بحث «اللغات السامية»، قد جعلت نتائج دراساته العلمية تراثاً عاماً للعالم المصنف.

وفي عيد ميلاده السبعين كُرس له مؤلف تذكاري بمجلدين، اشترك في تأليف صفحاته الآلاف والمئات من مستشرقين من الحقول العلمية ذات العلاقة بالاستشراق من جميع الدول وأجمعوا في ذلك على مبايسته وتقديره. وفي عيد ميلاده الثمانين سُرّي أن أحمل إليه في ستراسبورج كتاباً تذكاريًا من جميعنا (١٩) مع كلمة إهداء من السيد إرلر (١٢) وصي. وطبع على الكتاب باللغة العربية البيت التالي:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا من بعدنا إلى الآثار  
ولكننا نحن الذين كنا مقربين إليه لا يمكن أن نفكر بمولفاته وأعماله دون الرجل نفسه. فقد كان جميع الذين تعرفوا إليه عن كتب يقدرونه ويولونه أبلغ آيات الاحترام. ففي كمال هناك عالم اللاهوت ليسيس (١٨)، وأستاذ التاريخ القديم فون غوتشميت (١٩). أما بين تلاميذه في ستراسبورج فهناك خصوصاً ي. بارت (٢٠)، الأستاذ السابق في برلين، وبيفان (٢١) الأستاذ الحالي في كامبريدج، وبيترولد (٢٢) وبيرونو (٢٣)، الأستاذان السابقان في هابلبرج، وفريتك (٢٤) الأستاذ السابق في برسلو، وجيورج ياكوب (٢٥)، الأستاذ الحالي في كيل، ورويكانا كيس (٢٦)، الأستاذ الحالي في غراتس، وستوك هرگرويه (٢٧)، الأستاذ الحالي في لايدن، وتوري (٢٨)، الأستاذ الحالي في نيييفش، كونيكيتك بالولايات المتحدة الأمريكية. وكانت تربطه بالعالم دى خويه في لايدن، وجويدى (٢٩) في روم، وجولد-تسيه (٣٠) في بودابست، وراينش (٣١) في فيينا، وج

هوفان (٣٢) في كيل صداقة متينة. وكان كل من تولدته وفلهاوزن يقول عن الآخر إن الآخر أهم منه نفسه بكثير. وكان يتبادل الرأي بنشاط مع إدوارد ماير (٣٣) وإدوارد شفايزر (٣٤). وكان يكرس وقتاً طويلاً للاتصال الخطي مع أصدقائه وزملائه. وكان في مراسلاته أميناً منتظماً. وإنه يشبه الأسطورة الخيالية أن هذا الرجل الخليل الجسم، الذي بلغ عدد منشوراته العلمية ما يقارب السبعمائة بحث، والذي كان يساهم بنصيب فعال في أعمال كليته وجامعته ومصبر وطنه، والذي كان قارئاً صحف نشيط، والذي كان يحضر كل محاضرة وكل تقرير علمي للكتب الجديدة تحضيراً في غاية الدقة والتمحيص والتفصيل كان يجد ربح كل ذلك متسعاً من الوقت لكتابة عدة آلاف من الرسائل. وفي الأعوام الأخيرة من حياته كانت رسائله تبدأ غالباً بالشكوى من ضيقه الجسدي، ولكن سرعان ما كانت تفلو ذلك تعليقات علمية وسياسية فعالة. ولم يكن ذلك ممكناً إلا بأرادته الحديدية في رفض كل ما كان يعوقه عن العمل. وكانت تساعد في ذلك بكل حرص وعناية زوجة المخلصة التي اختطفها يد اللثية منه عام ١٩١٦.

وكثيراً ما كان تولدته يدهو نفسه بالغلطاني؛ ولكنه لم يكن كذلك بالمعنى المألوف لهذه الكلمة. ويمكن أن ندهو بدلا من ذلك مثلاً لفضل الإنسان السليم في الشؤون العلمية؛ أما في المسائل الشخصية فكثيراً ما كان يصبح عاطفياً تماماً. وكان يفر من كل ما هو رومانتيكي وصوفي. ولذا فانه لم يتم كذلك بدراسة التصوف الشرقي، الذي لعب من دون شك دوراً هاماً جداً في الإسلام. وقد رافقه روح الفكاهة حتى آخر أيامه وساعده على التغلب على كثير من المصاعب والمزعجات. وقد كان يوده أن يصبح مؤرخاً للأحداث العالمية، ولذا فقد نحرته السعادة الكبرى حين أظهر له تيودور موسن (٣٥) أضراره بملحه، عندما أقرض تولدته على بعض ما جاء في بحث لموسن حول السياسة الرومانية في الشرق الأدنى.

لقد كان تيودور تولدته يمثل العالم الأثاني من الطرز القديم في ذرى كاله. ومن صفاته أيضاً أنه كان، رغم معرفته الشاملة للحقة بنفسه، متواضعاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى؛ فقد كان يفر من كل جمجمة فارقة وغرور وحب للظهور.

لقد ولى بقلده عهد عظيم من عهود العلم البشري.

ترجمة: محمد علي حشيشو

## تعليقات.....

لمحمد علي حشيش

(١) فريدرش ويلهيلم أريست ليتنر (F.J.A. Wiesner) عالم آثار ولغات قديمة. ولد في أسترلة في شمال ألمانيا في ١٨١١/١٠/١٩ وتوفي في جوتينغن في ١٨٩٢/١٢/١٣. كان من تلامذة الأستاذ ليفاند، ثم مال إلى دراسة اللغات الكلاسيكية والأثار. أصبح منذ عام ١٨٥٤ أستاذاً للآثار واللغات القديمة، وقام برحلات علمية كثيرة ولشر عدة أبحاث تظهر اهتمامه بالبحث بين الآثار القديمة وعلم اللغات الكلاسيكية.

(١١) ويلهيلم ويلهولز (J. Wellhausen) مستشرق وعالم لاهوت بروتستانتي، ولد في هامان في ١٨٤٤/٥/١٧ وتوفي في جوتينغن في ١٩١٨/١/٧. يعتبر أهم عالم يخص بالبعد القديم في القرن التاسع عشر. أصبح أستاذاً لللاهوت في غرايفزاله في ١٨٧٢ واستاذ اللغات الشرقية في هاله عام ١٨٨٢، ثم في ماربورغ عام ١٨٨٥، وفي جوتينغن عام ١٨٩٢. له مؤلفات وأبحاث علمية في اللاهوت وتاريخ العهد القديم. وكستشرق بارز اكتشف في الأناجيل كتاباً ذات أصل آرياني. وكتاباً باللغة العبرية وعلمو الإسلام فقد شرح لفهولزون وبقايا الوثائق العبرية وألف أول تاريخ نقدي لفترة الإسلام الأولى في كتابه «الإنجيلية العبرية» وسقطها كما ألف أيضاً كتاب «الأحزاب الدينية السياسية المعاصرة في ياكوميه الإسلام».

(١٢) يوتوب جوردج كريشيان أدلر (J. G. C. Adler) صانع بين ١٧٥٦ و ١٨٣٤، وأهم بأدلة القرآن والكتاب المقدس.

(١٣) كونراد فريدمان ماير (Conrad Ferdinand Meyer) من أكبر شمرأ صومرا، ولد عام ١٨٢٥ وتوفي في زيوريخ عام ١٨٨٨.

(١٤) ادولف رويس (Edouard Reuss) عالم لاهوتي ألماني ولد في ستراسبورج عام ١٨٠٤ وتوفي فيها عام ١٨٩١. أصبح أستاذاً منذ ١٨٣٤ وكان من أبرز مثل طريقة البحث التاريخي النقدي في علم اللاهوت.

(١٥) فريدرش كارل أندرياس (Friedrich Carl Andreas) مستشرق يخص بالدراسات الإيرانية ولد عام ١٨١٦ في باتفاليا وتوفي عام ١٩٣٠ في جوتينغن. ألف عدة أبحاث حول النقوش الفارسية البستى وسيل الهجرات الإيرانية الحديثة.

(١٦) جمعية العلوم في جوتينغن.

(١٧) لا تعرف هويته.

(١٨) ريشارد أدلبرت ليسيوس (R. A. Lipsius) عالم لاهوت ألماني ولد في جيرا عام ١٨٣٠ وتوفي في بينا عام ١٨٩٢. كان أستاذاً في لينا وكيل وبيننا وعام بأبحاث عامة في تاريخ الفقهات الدينية والفلسفة اللتين وكذلك في تفسير العهد الجديد.

(١٩) ألفريد فون غوتشميد (Alfred von Gutschmid) باحث تاريخي ولد بالقرب من دويسل في ١٨٣١ وتوفي في لوتينغن عام ١٨٨٧. كان أستاذاً منذ ١٨٦٣ في كيل وكولنكسبرج وبيننا وتوتينغن. اخص بدراسة تاريخ الشرق القديم وخاصة لإيران.

(٢٠) يوتوب بارت (Jakob Barth) عالم بلغات السامية من الطائفة الإسرائيلية ولد في كلين بادن عام ١٨٥١ وتوفي في برلين عام ١٩١٤.

(٢١) أنثوني أشلي بيان (Anthony Ashley Bevan) مستشرق وعالم لاهوتي بريطاني اخص بدراسة الكتاب المقدس واللغات السامية ولد عام ١٨٥٩ وتوفي عام ١٩٣٣. (إن كلمة «الحال» في مقالة الأستاذ ليسان تشير إلى أن حديث المقالة بعد وفاة لوكه بقليل، أي في عام ١٩٣١).

(٢٢) كارل كريستيان أريست بتروله (C. C. R. Bezdold) مستشرق وعالم بلغات السامية ولد عام ١٨٥٩ وتوفي في هايلبرج عام ١٩٢٢. أهم خاصة بدراسة اللغة والحضارة اللاهوتية.

(١) انجيس المقال من خطاب تأنيث أثناء الصلاة ليثان عام ١٩٣٠.

(٢) هاينريش ليفاند (H. Ewald)، مستشرق وعالم يخص بالبعد القديم، ولد في جوتينغن في ١٨٠٣/١١/١٦ وتوفي فيها في ١٨٧٥/٥/٤. ظل أستاذاً في جامعة جوتينغن من عام ١٨٣١ إلى ١٨٣٧، ثم انتقل إلى جامعة توتينغن، وعاد إلى جوتينغن ليحالف على اقتصاد عام ١٨٦٧ بسبب معارضة لإقامه بين الولاء لملك بروسيا. وكان مؤلفاً حول اللغة العبرية وتفسير العهد القديم وتاريخ بني إسرائيل أثر بارز علم في الدوائر العلمية المختصة بهذه الحقول.

(٣) تيمودور بنساي (T. Benfey) عالم باللغة السكسكانية وبحث في اللغات والأساطير الشرقية، ولد في لوفان في ١٨٠٩/١/٢٨ وتوفي في جوتينغن في ١٨٨١/٦/٢٦. كان أستاذاً في جامعة جوتينغن وأسس بأبحاث علم النصوص الجرافية المقارنة.

(٤) هانريش لويشت فليششر (H. L. Fleischer) مستشرق دوبر ولد في شاندان في ١٨٠١/٢/٢١ وتوفي في لايبزغ في ١٨٨٨/٢/١٠ حيث حين منذ ١٨٣٥ أستاذاً لغات الشرقية، وبرز كأحد رواد البحث في اللغة العبرية في ألمانيا. ومن أشهر أعماله إصدار تفسير الفصحى في مجلدين، بالإضافة إلى أبحاث كثيرة في اللغة العبرية.

(٥) ميشاليل فان دي غوي (M. J. de Goeje) من أشهر المستشرقين وعلماء العبرية في هولندا. ولد في دوردرب (د فريلست) في ١٨٣٦/٨/١٣ وتوفي في لايدن في ١٩٠٩/٥/١٧ حيث كان أستاذاً لغات الشرقية منذ ١٨٦٦. ومن مؤلفاته الأولى: «مذكرات في تاريخ وجغرافية الشرق». أما أهم أعماله فإصداره لمؤلفات الجغرافية العبرية تحت عنوان: «الكتبة الجغرافية العبرية» في سبع مجلدات، ويعتبر مرجعاً هاماً للجغرافيين العرب ومؤلفاتهم.

(٦) ألويس شينكر (Alois Sprenger) مستشرق ولد في التيرول في ١٨١٣/٩/٣ وتوفي في هاينليرج في ١٨٩٣/١٢/١٩. كلف منذ ١٨٤٣ في ألمه وترأس من ١٨٥٠ إلى ١٨٥٧ المادة الإسلامية العليا في كالكوتا حين من أستاذ لغات الشرقية في برن بسويسرا من ١٨٥٨ حتى ١٨٨١. من أشهر كتبه «سيرة وعبد وتعاليم» و«طقس اليهود والسفر في الشرق» و«جغرافية الجزيرة العربية القديمة».

(٧) ميشال آماري (M. Amari) مؤرخ ومستشرق إيطالي ولد في فالرو في ١٨٠٦/٧/٧ وتوفي في روما في ١٨٨٩/٧/١٦. قفى وقتاً طويلاً من حياته في المنفى من عام ١٨٥٩ إلى إيطاليا وأصبح وزيراً للتعليم من ١٨٦٢ حتى ١٨٦٤. اشتهر بأبحاثه القيمة حول جزيرة صقلية أثناء الحكم العربي.

(٨) ألويس ديلمان (A. Dillmann) مستشرق وعالم لاهوتي بروتستانتي. ولد في ولاية فورتبيرج بألمانيا في ١٨٢٣/٤/٢٥ وتوفي في برلين في ١٨٩٤/٧/٤. حين عام ١٨٥٤ أستاذاً في كولن، وعام ١٨٦٤ في هيسن، وعام ١٨٦٩ في برلين. برز في أبحاث في اللغة الآرامية كما ألف عدة فروع لكتب العهد القديم.

(٩) بايلي أرتين دي لاكار (P. A. de Lagarde) مستشرق وفيلسوف حضاري ولد في برلين في ١٨٢٧/١١/٢٧ وتوفي في جوتينغن في ١٩٢٢/١٢/٢٢. حين منذ عام ١٨٦٩ أستاذاً لغات الشرقية في جوتينغن ومزايا أثره حياً حتى اليوم بفضل شرحه وتحليله لنصوص العهد القديم. اشتهر كذلك بمقالاته الفلسفية التي تتناول اللغة الحضارية والمفاهيم بالروح القوية الرومانتيكية.

(٢٢) رودلف بربلو (R. Brimnow) ولد في الولايات المتحدة من عائلة ألمانية سنة ١٨٥٨؛ ثم أتى بحصول اللغات السامية والعلمانية العربية في ألمانيا؛ حين استأذن في جامعة برلين في الولايات المتحدة عام ١٩١٠، وتوفي هناك سنة ١٩١٧.

(٢٤) زيمسولد فريشكول (Sigmund Fraenkel) مستشرق متخصص باللغات السامية ولد عام ١٨٥٥ وتوفي عام ١٩٠٩. اشغل بوزارة الفن الألمانية وساهم في العمل على تاريخ العبرية.

(٢٥) جيورج ياكوب (Georg Jacob) مستشرق غصص بكتابة التركية وطوّل الإسلام ولد عام ١٨٦٢ في كولنبرغ وتوفي عام ١٩٣٧. أصبح منذ عام ١٩١٢ استاذاً للفن الشرقية في جامعة كيل وأهم خاصة بكتابة التصوف وأصناف الطرق الكابكتانية. وله مؤلف طريف وأهم حول تاريخ مسرح القرائن ونحوه الخيال الفلكل في الشرق والغرب.

(٢٦) نيكولاس رودولف كاكيس (N.Rhodokakis) مستشرق نمسوي ولد عام ١٨٧٦ وتوفي عام ١٩٤٥. أهم بكتابة اللغة العربية وأنها وأصدر ديوان حيد الله بن ليس القويّات مع ترجمة له. وساهم كذلك في دراسة طباطرة جنوب الجزيرة العربية.

(٢٧) كريستيان ستوكهولم (Chr. Soonek Hurgonje) مستشرق هولندي ولد عام ١٨٥٧ وتوفي عام ١٩٣٩ وأهم بالدراسة الأولى بكتابة اللغة الإسلامية. يصير بالكتابة مؤلفه كتابه في الكتابة الألمانية أصبحت إلهاماً وأعماله أسس الدراسات الإسلامية الحديثة حيث أنها قدمت نظرة تاريخية لظهور الدين والتفكير والمفاهيم الإسلامية. ظل استاذاً في لايدن، مركز الاستمرار الهولندي للشرق، من ١٩٠٦ حتى ١٩٢٧.

(٢٨) تشارلز كلر توري (Charles Outler Torrey) مستشرق أمريكي أعرض باللغات السامية ولد عام ١٨٦٣ وعمل استاذاً في جامعة نيل من ١٩٠٠ حتى ١٩٣٧، وتوفي عام ١٩٥٦.

(٢٩) اجنازو جويدى (Ignazio Guidi) مستشرق إيطالي بمستوى تيودور نولدكه ولد عام ١٨٤٤ وتوفي عام ١٩٣٥. قدم إسهاماً هاماً في علم اللغة العربية وساهم في نشر خطابات في التاريخ الإسلامي وعلم اللغة. (٣٠) اجناز جولدزير (L. Goldziher) مستشرق مجري من العائلة الإسرائيلية ولد عام ١٨٥٠ وتوفي في بودابست عام ١٩٢١. بعد أن أتى دراسته في بودابست أقام مدة عام في مصر حيث كان أول أوروبي درس في الأزهر في القاهرة، مركز دراسة الفقه الإسلامي. أصبح عام ١٨٩٤ استاذاً في بودابست. وأهم في بعض الأبحاث المتعلقة بالعبرية، إلا أنه عاد فطرح كلاً للدراسات الإسلامية. وأهم كنه ودراسات علمية يجزئ ويترأس في علم اللغة العربية ومصطلحات في الإسلام والتجارات تفسير القرآن.

(٣١) ليوبولد (Leo Rehnisch) باحث لغوي وعالم بالغة والحضارة المصيرية القديمة ولد في النمسا عام ١٨٣٧ وتوفي في ١٩١٩.

(٣٢) جيورج هوفمان (G. Hoffmann) ولد عام ١٨٤٥ وتوفي عام ١٩٣٣. غلبت نولدكه في منصبه كاستاذ ومستشرق في جامعة كيل.

(٣٣) إدوارد ماير (E. Meyer) مؤرخ عالم بين ١٨٥٥ و ١٩٣٠.

(٣٤) إدوارد شوارتز (E. Schwartz) عالم بالغات الكلاسيكية ولد في كيل عام ١٨٥٨ وتوفي في ميونيخ عام ١٩٤٠. كان استاذاً في

جوتينغن وفرانكفورت وستراسبورج وميونيخ. أهم خاصة بالأدب الإغريقي.

(٣٥) تيودور مومسن (Th. Mommsen) مؤرخ وحقوق كيرولد في ١٨١٧ في كيل لألمانيا وتوفي عام ١٩٠٣ في فرانكفورت. اشترك عام ١٨٤٨

حين كان استاذاً في لايبزج في الحركة الديمقراطية آنذاك ففصل بسبب ذلك. ثم أصبح استاذاً في زيوريخ وبرلين حيث درس التاريخ القديم. أصبح من ١٨٧٣ حتى ١٨٧٩ نائبا ليوبولدا في البرلمان البروسي،

ومن ١٨٨١ حتى ١٨٨٤ عضواً في الرايشتاغ. كان من معاصريه نولدكه وله عدة مؤلفات تاريخية هامة. وحصل عام ١٩٠٢ في جائزة نوبل للأدب.

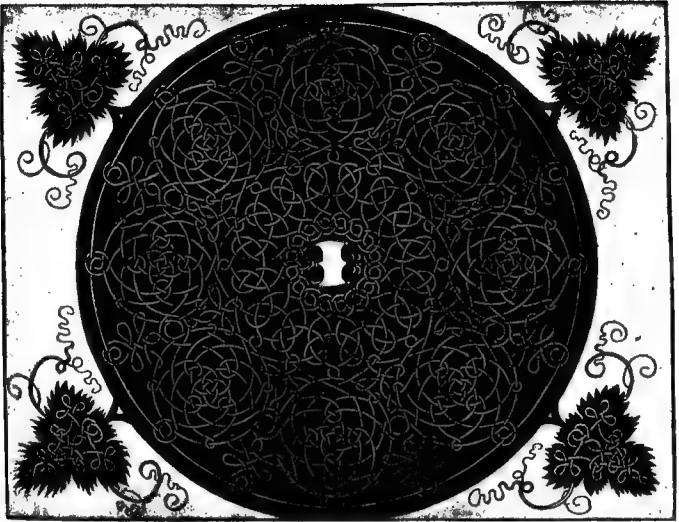
بعد إتمام هذا المقال نلتمنا نص بعض الذكريات للاستاذ الدكتور فولد حسين على عن العلامة نولدكه وسرنا ان نصيف قسما منها الى مقال الاستاذ ليمان.

تيودور نولدكه (٢ مارس ١٨٣٦ - ٢٥ ديسمبر ١٩٣٠)

لن انسى ذكريات يوم وفاته فقد كنت طالبا بجامعة ميونيخ وكنت حديث عهد بألمانيا وجامعاتها، وشاء الله ان ارى وأسمع لى هذا المستشرق العظيم في معهد من اكبر معاهد تلك البلاد، ومن عالم من اشهر رجالات ألمانيا الذين كرسوا حياتهم لخدمة الشرق والشرقيين، ونولدكه لم يكن غريبا على، وأنا الذى شغفت بدراسة الشرق العربى، لغاته وآدابه، حضاراته ودياناته، قديما وحديثا، فكان لزاما على ان اتعرف على آثار هذا العلامة كلما أتيت في فرصة. وقد عرفته في مصر لا عن طريق المصادر الألمانية، فقد كنت اجهل حينذاك تلك اللغة، بل عن طريق مصنفين انجليزيين عالمين، وهما دائرة المعارف البريطانية ودائرة معارف الكتاب المقدس، وذلك لان المستشرقين الانجليز استلوا اليه تحرير معظم المواد المتصلة بالشرق والشرقيين في المرجعين السابقين.

في ذلك اليوم دخل (فريتز هولز) العالم المتواضع والشيخ الذى نيف على السبعين قاعة البحث عابسا مضطربا، لقد كان اليوم عيبا قمطيريا، وما كاد يصل الى مقعده حتى صاح صيحة الحزين الكتيب ومات نولدكه، واستطرد في الحديث عنه وراثته.

مات زعم المستشرقين الذى وان كان في العالم القديم يذكر في الجليل لا ينكر. مات نولدكه الذى رفع لواء الاستشراق عاليا وظل رافعه زهاء نصف قرن، مات ذلك العالم الذى كان اما في فرد واجيالا في شخص. نولدكه هو المستشرق الذى خلق علوما لم تكن معروفة من قبل، وهجم على اعوص المشكلات فحلها لنا ووضع ايلينا على حقيبتها، فهو لم يمت الا بعد ان ترك للعالم اربعة وعشرين سفرا، واكثر من مئمة بحث في الشرق، لغاته وآدابه، تاريخه ودياناته.



البرشت دورره عقدة ثمانية.

.... والآن احب ان اضع بين يدي القارئ صورة تبين سر عظمت هذا العالم وقوته، وهذه الصورة ليست من عمل ريشي او من وحي خيالي بل هي حقيقة مسجلة في مقدمة الطبعة الثانية من الجزء الاول من كتابه في (تاريخ القرآن) الذي نشره (فريدريش شواللي). فقد اوسل ناشر هذا الكتاب الى (نولتكه) عام ١٨٩٨ بخطاب يرغب فيه اليه ان يعيد نشر هذا الكتاب او يقترح عليه عالما آخر يراه اهلا للقيام بهذه المهمة، فاجابه (نولتكه) .... فرفضت انا لاسباب عديدة وذلك لانه لم يكن في استطاعتي ان اعيد نشر هذا الكتاب في ثوبه الجديد الذي قد يرضيني، لذلك اقترحت على الناشر بعد تفكير لم يستغرق زمتا طويلا تلميذتي وصديق الاستاذ (شواللي) الذي اظهر اوتياحه واستعداده لتأدية هذه الرسالة. فقد جعل من هذا الكتاب الذي اقمته منذ نصف قرن سفرا يتفق الى حد ما مع مقتضيات العلمية الحديثة، اقول الى حد ما وذلك لان آثار تهور الشباب لا يمكن معوها جميعها الا باعادة تأليف كتاب جديد، وكثير من المسائل التي كنت اعتقد قليلا او كثيرا بصحتها، تبينت لي فيما بعد انها غير مؤكدة ...»

فؤاد حسنين على



# جيورج ياكوب

(١٨٦٢ - ١٩٣٧)

بقلم : الأستاذة أناماري شمل

الذين اشتغلوا، على ما قال، «بوضع اللغات السامية في عصر الجليده». أما بالنسبة له فكانت نصح هذه الحقيقة : «إن مقياس علم خليق بالحياة يتوقف دوماً على مدى ما يقدمه هذا العلم بطريق غير مباشر من فائدة للمجال العملي أيضاً» — كما كتب عام ١٩١٧.

ولد ياكوب في السادس والعشرين من مايو عام ١٨٦٢ في مدينة كينكر بيرغ Königsberg، ولقد والده في سن مبكرة. والغالب أنه ظل يعيش فيها بعد مع أمه وأنواته دون أن يفكر في الزواج. وبدأ ككثير من معاصريه بدراسة علم اللاهوت والاستشراق، ثم ما لبث أن اتجه بقوة أقوى لدراسة علوم اللغات الألمانية وعلم أخلاق الشعوب بدلاً من اللاهوت. وكان تيودور نولده استاذة في ستراسبورغ، وعلى يدى هاينريش ليبرشت فلايشر، العالم النحوي الكبير، تعمق في دراسة النحو العربي. ثم نال الدكتوراه تحت إشرافه عام ١٨٨٧ بحث رسم معلم اهتماماته المستقبلية وهو: «تجارة العرب الشمالية البلطيقية». وكان قبل ذلك بعام واحد قد نشر مقالة عن السلع التجارية التي كان يشرتها العرب من البلاد الشمالية البلطيقية، وذكر في ذلك يوجه خاص حجر الكهرياء التي كان ذا قيمة كبيرة بالنسبة للعرب. ثم اهتم بدراسة العلاقات بين البلاد العربية وألمانيا في صيغ دائمة التجدد؛ ومن أنحصب أعماله المقالات التي نشرها حول «رواية عربي عن فولدا وشليزفيج وزوست وبادربورن ومدن ألمانية أخرى»، التي نشرت لأول مرة عام ١٨٩٠، ثم وسعت وزيد عليها وأعيد طبعها عدة مرات حتى عام ١٩٢٧، وما زالت حتى اليوم عظمة الأهمية لدراسة الأوضاع الألمانية في العصر الوسيط.

ومن بين هذه الدراسات الشرقية — الغربية أيضاً محاضراته

توفي المستشرق الكبير جيورج ياكوب حيناً بدأت أتعلم العربية. ومع ذلك كانت تربطني به أكثر من علاقة روحية : فعلى يديه نال أستاذي الأول في اللغات الأسلامية، هانس إيلنبرج Hans Ellenberg، درجة الدكتوراه برسالة أعدها عن الفنون والصناعات عند القزويني، وعلى يديه أيضاً نال أستاذي الذي حضرت عليه الدكتوراه، ريشارد هارتمان Richard Hartmann، درجة الأهلية للتدريس في رحاب الجامعة. ومن هنا أستطيع لقضى أن أدون نبذة عن حياة وأعمال هذا المستشرق العالم الذي كان له الفضل الأكبر في شئ آفاق جديدة كل الجدة على مناهج الدراسات الشرقية في ألمانيا حتى مطلع القرن. وإلى لأستند في هذا المقال على دراسة نشرها «إنوليان» في دورية جماعة المستشرقين الألمان بمناسبة ذكرى وفاة صديقه ورفيق علمه.

وحتى نضهم موقف ياكوب لا بد أن نعلم أن الثقافة الاغريقية والرومانية كانت لا تزال للمعيار الحضاري الوحيد المعترف به في ألمانيا حتى أوائل هذا القرن، وكان ماعداه لا يستحق العناية!

كما كان يوجد بين المستشرقين تيار لا يهمل إلا بالأبحاث والدراسات الغربية البحتة، دون التفكير بالمناجزات الحضارية للإسلام (وكما كان يقال وقد كانت عاثثة بالنسبة لهم لا تصدى كونها اسم فاعل مؤث من الفعل الثلاثي عاثر) وكان علماء اللغات السامية يحاولون أكثر فأكثر سبر أغوار طبقات تاريخ اللغات السامية. وتصدى ياكوب لهذين الاتجاهين بكل ما لديه من طاقة؛ لا بل إنه مضى في مقاومته إلى حد نشر مقالة له بعنوان «التعصب الكلاسيكية على نهج حفاري قبور الثقافة الألمانية»، ولم يتورع عن استخدام أقصى العبارات ضد بعض زملائه

حول والعناصر الثقافية الشرقية في الغرب» عام ١٩٠٢، وكذلك كتابه الذي صدر بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، والذي يرجع ويشار إليه أكثر من جميع مؤلفاته الأخرى وهو: «تأثير الشرق على الغرب، وخاصة خلال العصر الوسيط». وعلى هذا الكتاب تستند في كثير أو قليل جميع الأبحاث والمؤلفات التالية التي تعالج موضوع تأثيرات الشرق الحضارية على الغرب.

وبعد أن حصل ياكوب على درجة الدكتوراه في لايبزغ، راح يعمل فترة من الزمن في مكتبة الدولة في برلين، ثم قدم بحث درجة الكفاءة للتدريس في السلك الجامعي في كرايفزفالد تحت إشراف ألفرد، مؤلف التفاهرس الكبيرة الخاصة بالمخطوطات العربية في برلين والعالم الصليبي الممتاز بالشرق العربي القديم وتاريخ اليهود الإسلامية الأولى. وقد يكون من المحتمل أنه اتجه بتأثير من ألفرد إلى دراسة الشعر العربي القديم، وتلا محطه «دراسات للشعراء العرب» عام ١٨٩٣ مؤلف يعتبر أساسياً في ميدانه وهو والحياة البدوية في ضوء الشعر الجاهلي. ويقدم هذا العمل الذي وسع وغير وزيد عليه عدة مرات لوفاً جديداً تماماً في الاستشراق الألماني (ولمّا فقد قام عدد من زملائه بقرضه ونقده بتجريح لا رحمة فيه) إذ حاول ياكوب في هذا البحث لأول مرة أن يستخرج من الشعر الجاهلي معلومات عن طريقة حياة البدو وميئهم. فبالنسبة له، لم يكن الشعر الجاهلي كثرًا للكلمات النادرة والأشكال النحوية الغريبة، وإنما مرآة تنعكس فيها طريقة حياة حلقة حضارية قد تبدو لأول وهلة شديدة الغرابة بالنسبة لنا. وبطريقة مشابهة قام عام ١٩٠٦ بوصف خسارة فارسية مع كل ملحقاتها في العصر الوسيط كما تبدو من خلال أشعار حافظ الغزلية. وحتى إذا أكد اليوم بشكل أقوى على الطابع الثابت الرتيب للشعر الجاهلي بحيث لا يعتبر انكساراً للواقع بالقدر الذي فعله ياكوب، فإن مما لا شك فيه أنه من خلال الوصف والتعبير التي يزرع بها الشعر الجاهلي — بوصف موافد للثيران، والقيام وتوابعها وأثاقها، وأحال قوافل الجمل — يمكن اكتساب عدة تفاصيل قيمة، ذات أهمية قصوى بالنسبة لعلم أخلاق الشعوب. وبعد كتاب «حياة البدو في الجاهلية» عام ١٨٩٧، تلت في فترة متأخرة دراسات عن الشفري الذي حاول ياكوب أن يقلد لاميته بالشعر الألماني — ولكنه بطبيعة الحال لم يلق النجاح الذي حققه وركرت من قبله. ومع ذلك فكثيراً ما كان ياكوب يهتم بنظر قصائد يقلد فيها الشعر الشرق، سواء كان عربياً أم فارسياً أم تركياً.

ومن كرايفزفالد اتبعت لياكوب الفرصة للسفر إلى تركيا، حيث استيقظ اهتمامه بالتركية، وكتب لهذا الاهتمام أن يعطى ثماراً خصبية فيما بعد. وفي عام ١٨٩٦ ذهب كدرس جامعي إلى هاله Halle وأصبح هناك في الوقت نفسه أميناً لمكتبة جمعية المستشرقين الألمانية. وفي عام ١٩٠١ استدعي ليحلل كوسياً جامعياً في إيرلانجن، ثم انتقل عام ١٩١١ إلى كيل حيث بقى يعمل فيها حتى وفاته.

وفي استنبول اتبعت لياكوب فرصة مشاهدة ألعاب الظل أثناء شهر رمضان، وكانت تركيا تمتاز آنذاك بهذه الألعاب. وبدا هذا الفن لياكوب، المعارف الخيرية بالفن المسرحي الأوروبي والمحب الكبير بمسرحيات شيكسبير، ذا صبر خاص، بحيث بدأ يهتم في بحث تاريخ ألعاب الظل، التي فنتته كثيراً، لأنها لم تقتصر على بلد واحد بل شملت الشرق بطوله وعرضه. أما استازة الخاص في هذا الميدان فهو اكتشافه لألعاب ظل للمؤلف المصري ابن دانيال (المتوفى عام ١٣١١)، الذي قدم عام ١٩٠١ أولى المعلومات عنه. وكان يدرس ويفحص المخطوطات القليلة الخاصة بهذا النوع من الأدب بكل دقة وعناية، وكان يعيد الدراسة والتدقيق دوماً، رغم أن المتن كان يحتوي على صعوبات يكاد يكون من المستحيل التغلب عليها. واستطاع عام ١٩١٠ أن يفسر حينات متفرقة من هذه الأعمال وأن يعرف العالم على «طيف الخيال». وفي العام نفسه كتب استناداً إلى ما كانت تحتويه تلك النصوص حول «سوق سنوية مصرية في القرن الثالث عشر». وإذ أدرك ياكوب أن ألعاب الظل أو طيف الخيال في البلاد الإسلامية لا يمكن أن توجد دون تماذج جاءت من الشرق الأقصى، فقد راح يدرس تقاليد الهند والشرق الأقصى في هذا الميدان، وتعلم في سن متقدمة السنسكريتية والصينية، ليتمكن من متابعة دراسة هذا الفن. وكان أول عمل كبير وشامل نجم عن دراساته الطويلة كتابه «تاريخ مسرح ألعاب طيف الخيال في الشرق والغرب» الذي صدر عام ١٩٢٥ في طبعة ثانية موسعة. وبالإشتراك مع بول كاله Paul Kahle استمر على دراسة وبحث أعمال ابن دانيال وسلم في تأليف مقالات لأجلحت. كاله عن ألعاب طيف الخيال العربية، كما أصدر عام ١٩٣٠ مؤلفاً عن ألعاب الظل الهندية.

وكما واجه جيورج ياكوب مسألة مسرح الظل لأول مرة في تركيا، فقد كرس لمسرح الطيف التركي كتاباً خاصاً عرف الألمان فيه لأول مرة على قصص كاراغوز الهزلية الشعبية الخيوية — وهو عمل تابعه هلموت ريتز بطريقة



جورج ياكوب

جورج ياكوب لكل ما هو شعبي — إذ كان أولى من شرح وحلل خطب القصاصين والملاحين الأتراك، ومن صفاته المميزة أنه لم يتردد في الحرب العالمية الأولى، عندما كانت ألمانيا وتركيا محاربان جنياً إلى جنب، لم يتردد في تأليف معجم مساعد لرجال البحرية والمرضات، حيث كان في تلك الأحوال منهمكاً إلى حد بعيد في الدراسات التركية عموماً. ومع ذلك فإنه لم يحمل العريية قطعاً بل إنه كان يحاضر كذلك في مسائل تتعلق بالمعهد القديم.. ومن أعماله الكبيرة أيضاً أحياء المكتبة التركية، وهي تلك المجموعة من النصوص والدراسات الخاصة بتاريخ الإسلام الحضاري والتي تشتمل على أكثر من خمس وعشرين دراسة هامة منذ عام ١٩٠٤. وقد نشرها وحده أولاً، ثم اشترك في ذلك مع المستشرق السويسري رودلف تشودي R. Tschudi. فها بعد، واختيراً معه ومع المستشرق الكيل

نموجية. ولكي يتصور الانسان مدى الجهد المبذول في هذا الانجاز، فلا بد له أن يفكر بأن الدراسات التركية قلما كانت تجد مكاناً لها في حقول العلم في الجامعات الألمانية في مطلع القرن الحالى. وإنه لعمل ياكوب الكبير وامتيازاته الخاص أن يتمكن من إيقاف الاهتمام بتركيا العثمانية وجميع أوجه ثقافتها. وهنا — كما كان الأمر في العريية — اتسع ميدان اهتماماته اتساعاً مذهشاً، فقد كان اهتمامه بالثقافة بالنحو التركي وبضرورة إعداد كتاب مساعد لتدريس اللغة العثمانية، وقد تعلمنا من كتابه المساعد — بين كتب أخرى — قراءة الهارين الأولى باللغة التركية العثمانية. إذ يضم كتابه قصصاً خرافية وأشعاراً صوفية ونماذج باللهجات العامية ونصوصاً كلاسيكية بحيث يقدم للمبتدئ عرضاً جيداً وختارات طريفة من الأدب التركي. وكما هو الحال في كل أعماله فقد ظهر هنا أيضاً حب

قد تأثر بالقوس الإسلامى (كما يظهر مثلاً في مسجد ابن طولون في القاهرة). وإذا لم يعد ياكوب بنفسه إلى تناول هذا الحقل فيها بعد إلا نادراً - وكان خبيراً ممتازاً بالطنافس الفارسية - فقد كان يشجع كثيراً من طلابه على الإهتمام بمسائل الصنعة اليدوية، كما يرد ذكرها وتعرض في المصادر الإسلامية. فقد كان ياكوب نفسه يتمتع بطبيعة فنية قوية، وكان دروساً ناقداً، كما وصفه كارل هاينريش بيكر في مقاله التقديرية الجميلة بمناسبة ذكرى عيد ميلاد ياكوب الخامس والسبعين. وقاده ذلك الميل الفنى كذلك إلى موضوع يتعدى حدود ألعاب الطيف والأساطير - إلى موضوع الأحلام: فدراساته حول الأساطير والأحلام التي صدرت عام ١٩٢٣ - ١٩٢٤ في هانوفر تعطي الدليل على مدى إعجابه لهذا الحقل الجانبي ما بين الواقع الملموس وما فوق العالم الحسى - وكثيراً ما فسر المفكرون والمؤلفون الإسلاميون لعبة طيف الخيال كرمز لعمل اللاهع الخفى، الله، على ما يقول ابن الفارض.

لقد كان كل ما كتبه ياكوب متجهاً إلى الحياة، في جميع مظاهرها وأشكالها المختلفة. وسواء أعالج مؤلفات العرب الجغرافية، أم كتب حول ما نشر حديثاً عن فلسطين، وسواء أدرس النحور الرقى، أم نشر إشعاراً لسلطانين تركيين، وسواء أترجم إشعاراً فارسية إلى الشعر الألمانى، أم استخرج منها معلومات عن الحياة في إيران في العصر الوسيط - كان في كل ذلك يبدى إعجابه الدائم بكل ما هو نابض بالحياة. ومع أنه لم يسافر كثيراً، وكان يستنى شروحه في الغالب من أختباراته الخاصة، إلا أن استعداده الفئري الممتاز كان يعطيه سنداً وقوة كبيرين هنا. وقد دعاه بيكر في مقاله التقديرية المذكورة أعلاه «بلى الفتوة المفرد في ميدان العلم» - رجل لم يكن من السهل دوماً الاتفاق والتعامل معه، إذ كان يحرب عن آرائه في الثالب بنشوة ودون أى مراعاة؛ ولكن بيكر أكد كذلك على أن ياكوب كان يتمتع بمقدرة نادرة على رؤية العلاقات التاريخية الكبيرة وعلى الانغماس في تقشف في استقصاء وبحث التفاصيل بكل جهد وعناية. ولم يشغل الله في العالم الشرقى من الصين عبر الهند إلى البلاد الإسلامية فحسب، بل تناول كذلك دراسة التولكلور والادب الأوروبي؛ ولكي يدمج دراساته جيداً فقد كان يتم كذلك بالعلوم الطبيعية والمسائل المتعلقة بها. وكان يعيد النظر دوماً على دراساته ويعيد العمل عليها، ويكيفها إلى أحدث مستوى علمي، ولكن بما يؤسف له

اللاحق تيودور متزل Th. Menzel، الذي تابع أعمال ياكوب حول المسرح التركي بنجاح كبير. وفي هذه السلسلة ظهر ذلك الكتاب الذي عرف الألمان لأول مرة على إحدى الطرق الإسلامية؛ ونفى به دراسته للطريقة البكتاشية (١٩٠٨). ويعتبر هذا الكتاب عملاً طليعياً حقيقياً، إذ لم يكن أحد يعرف حتى ذلك الحين أى شيء عن تكوين الطرق الإسلامية وتاريخها؛ والبكتاشية بالذات - التي لعبت في تركيا دوراً كبيراً جداً نظراً لارتباطها بالانكشارية - تتمتع بأهمية كبرى في ميدان علم أخلاق الشعوب وكذلك في دراسة تاريخ الأدباء، فقد بقيت فيها عدة عناصر غير إسلامية، كما أنها تحمل معالم شيعية كثيرة. وحتى اليوم يعرف كل تركي القصص الكثيرة التي تدور حول إجابات شيوخ البكتاشية التي تمتاز بحضور البدنية وسرعة التأطير. وبهذا العمل افتتح ياكوب دراسة التصوف الشعبي في الإسلام؛ وإن قيامه بعد ذلك ببضعة أحوام يضم كتاب ريشارد هارتمان البديع «عرض التفشيري للتصوف» إلى المكتبة التركية، يظهر مدى إهتمامه أيضاً بالتعريف بالأسس النظرية للتصوف الإسلامى في قالب واضح سهل القراءة والفهم في أوروبا.

وكما أبدى ياكوب إعجابه منذ دراساته الأولى بالقضايا الموضوعية بينما رفضاً أى رأى لا مرور له حول المسائل الفنية البحتة، فقد جذبته الفن أيضاً بجميع أشكاله - ابتداء من الفن المسرحي، الذي سبق أن ذكرناه أعلاه، حتى فن العازة والبناء. وما لاشك فيه أيضاً أن المنة الفنية الخالصة قد لعبت دوراً هاماً كذلك في انشغاله الطويل بدراسة هياكل ورسوم ألعاب الطيف الصينية. وكان الفن الإسلامى في تلك الأحوام لا يزال ميداناً مجهولاً إلى حد بعيد، بحيث لم يحصل إلا تحت إدارة فيلهلم فون بوده W. v. Bode على مكان في معرض الفنون العام للمتحف برلين. ولم يبدأ التضم الجدي للفن الإسلامى في ألمانيا إلا بعد افتتاح المعرض الكبير لروائع أعمال الفن الإسلامى في ميونيخ عام ١٩١٠. وكان ياكوب أيضاً هو الذي اشتغل في البليان الإيضاحى على الفن السلجوق والفن التركي والفن الإسلامى في الهند - وكان كل من هذه الموضوعات جديداً تماماً ولم يخضع أحد بعد عليها. ولكن هذا العالم الذي لا يعرف الكلل كان قبل ذلك قد نشر، فيما يتعلق بدراساته عن العلاقات الثقافية بين الإسلام وأوروبا، كان قد نشر عام ١٩٠٥ دراسة حول انتقال الأقواس المدببة والأقواس للشبيهة بمخروط الحصان في فن العبارة، ويعتبر أمراً محتملاً أن القوس المدبب النمطي

Vienna 16. 10. 1931

Sehr geehrter Herr

Ihre verehrte Frau, die ich

gerade wieder in Wien über Ihre Arbeit und Ihre  
persönlichen Briefe, persönlich kennen, die ich immer als  
ganz besonders wertvoll. Das Individuelle hat mit mir  
immer so viel Gemeinsamkeit angenommen, daß  
es oft beiderseitig ist; es geschieht zu haben. Ich  
habe Sie auch einmal über Ihre persönliche Arbeit  
für Sie und die deutsche Literatur verfaßt, so daß  
man die größte Ähnlichkeit des deutschen Prose  
und Prosastil erkennen kann. Sie muß begreifen können,  
daß ich diese Ihre letzte Publikation für mich  
kann, was ich sehr schätze; aber dann war  
es nicht möglich. Es ist aber das Beste  
für Ihre deutsche Arbeit persönlich Ihre Frau

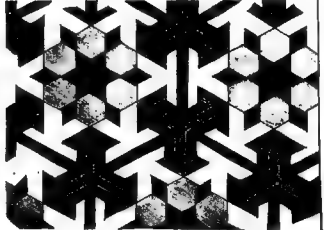
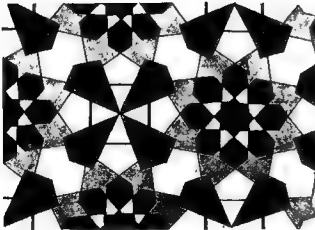
رسالة بحث بها جورج ياكوب إلى الدكتور إرنست ليشنشتاين The Lichtenshtain، وكانت قد بعث إليه بنسخها التي حصلت به على الدكتوراه ومترجمه  
والمنهج في الشعر العربي القديم. وقد علم الرسالة بكل ياكوب المدة على عالم اللغات السامية برودريوس Pratorius (توفي 1927) ملحقاً لها  
بـ ياكوب نفس أعرق في التاريخ.

وقبدا الحكاية الاسطورية صيروتها بنقل تجربة الحلم إلى حالة الوعي».   
 ألا يشبه بذلك الصوفيين الاسلاميين الذين يولون الاحلام دوراً كبيراً والذين كانوا دوماً يشيرون إلى الحد المتأرجح بين العالمين؟ وبهذه الصورة ينطلق دوماً الشاعر التركي كشتري، الذي يرجع إلى غزله في لعب الكاراز غوز منذ زمن طويل لتضير اللعب تفسيراً صوفياً (وكان ياكوب في الحقيقة أول من درس ألعاب الكاراز غوز دراسة علمية)؛ وبهذه الصورة أيضاً ينطق أعظم مغن في التصوف العربي بطريقته الخاصة التي لا يمكن تقليدها، ونغني به ابن الفارض:

فطيف خيال الظل يهدي إليك في  
 كرى الهم ما عنه السناثر شقت  
 ترى صور الأشياء تجلّ عليك من  
 وراء حجاب البس في كل خلقه.

ترجمة: محمد عل حشيش

أنه كان يوزع أغلب نشراته العلمية في آخر منى حياته في عدد محدود من النسخ المطبوعة بالآلة الكاتبة. وكانت صفة الشمول والكلية التي امتاز بها تمتد لتتناول أبعد الميادين وأقصاها، ونشر في جميع أعماله بطابع شخصيته القوية العنيدة. ولقد شق الطريق إلى دراسة الشرق الإسلامى دراسة تمتاز بطابع تاريخي حضارى وكذلك فولكلورى، مكافحاً في ذلك ضد العقيدة اللغوية الضيقة القديمة. وكذلك ضد الانحياز المتحجر في الدراسات السامية في عصره، ويمكن أن نلمس مدى نفوذه وأثره العلمى في مؤلفات كثيرين من أصدقائه وتلاميذه وأعمالهم. ولعله كانت تكن وراء جميع أعماله الرغبة في التضميم العلمى لصيرورة الشعر، أو بعبارة أخرى، تخطين ذلك الحد الذى يفصل بين العلم والفن. فقد كان ذلك الميدان الجانبي الجذاب الكثير. حققت أبحاثه الجاهل. وما أجمل قوله في كتابه «الاساطير والاحلام»: «إن الحلم هو شعر لا واع. والحلم يبدع مسرحية، تظهر فيها شخصيات يفرض عليها أدوارها.



# أوغست فيشر

(١٨٦٥ - ١٩٤٩)

بقلم: الأستاذة أنا ماري شمل

جعل معهدنا الشرقى مركزاً لتدريس لغة اللغة العربية وبالنسبة للنحو العربي، فقد اهتم بمسائل النحو المجرد وكان صاحب علم غزير باحثاً في المشاكل النحوية والنحوية ولاشك أنه استحق أن يدعى زملاؤه أعلم المستشرقين وشيخهم في الغرب كله بعد وفاة أستاذه الفرنسي حتى أننا نمر على ثمار علمه في التصحيحات العديدة التي أضفناها إلى قسم كبير من المصنفات في مجال اللغة العربية وآدابها سواء أكانت قواميس أم كتب تاريخية، ولكنه بما يشتر الأسف أنه مع تأليفه الملاحظات القيمة والمواضع المفيدة التي لاحظها المعد فهو لم يتم بجمع نتائج أبحاثه ومجموع أعماله ملحقه المنظم في كتاب شامل لفقته النحو واللغة العربية، ومع ذلك يعد فلاشر أستاذاً لكبار المستشرقين الأوروبيين في القرن التاسع عشر إذ كان يحضر دروسه الطلاب من الأقاليم البعيدة وأصبح معهد لايبزيغ مثلاً نموذجياً للنحو العربية حسب النهج العلمي في الغرب.

أما أستاذنا أوغوست فيشر فأخذ كثيراً من علمه عن تلميذ لفلاشر يدعى هاينريش ثوربيكه H. Thorbecke الذي توفي في سنة وفاة أستاذه (١٨٨٨): وهكذا عن فيشر فيما بعد في منصب فلاشر في جامعة لايبزيغ وصار أميناً على تراثه العلمي. ولحق أن فيشر كان شبيهاً لأستاذه الكبير في وجهه كثيرة الأمر الذي نستدل عليه من المقال الذي كتبه عن فلاشر سنة ١٩٣٠، وكان هو الآخر يزوج الفلسفة الوضعية للغة في أبحاثه العلمية ويطبق في دروسه طرق البحث التحليلية، فهو لم يقبل صيغة افادة ما إلا بعد التثبت منها علمياً، ولذا كان - رحمه الله - ناعلاً لايزم لكل من أحمل الأصول النحوية والنحوية في التراجم سواء عن العربية أم التركية إلى اللغات الغربية ولم يعرف التسامح مع من كان يقوم ببناء القصور العلمية في الهواء دون أن يقوم أساسها النحوي على صورة لا غبار عليها ...

أذكر بوضوح لقائنا الأول بأوجوست فيشر، وكان ذلك في أحد مؤتمرات المستشرقين الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٢ على وجه التقريب ... شاهدناه وهو الذي عرفنا اسمه منذ بدأنا دروس اللغة العربية، وكان آنذاك شيخ قصير القامة، يقارب الثمانين من عمره، وإن لم تزل عيناه السوداوان تلمعان تحت جبينه العريض المتوج بالشعر الأبيض كلما تحدث فرؤى من الكتب العربية ما روى أو نقد آثار زملائه - وكان شديد النقد لأذع اللسان ... أما نحن - والأطفال في عائلة المستشرقين - فقد كنا نصغي إلى حديثه وكان على رؤوسنا الطر. فطالما تلمعنا من اللغة العربية وآدابها الكثير - بعد إتمامنا دروس قواعد النحو الأولية - من الكتاب الذي نشره الأستاذ فيشر مجدداً فيه ونقحاً لكتاب الأستاذ برونو وبذلك صار يدعى هذا المؤلف بالألمانية:

Brünnow-Fischer, Arabische Chrestomathie aus Prosaschriftstellern,

وعنوانه بالعربية:

وتسهيل التحصيل وهو كتاب علمي يتألف من مجلد غنارة من الكتب العربية ويعد هذا الكتاب من أهم مراجع دراسة اللغة العربية في ألمانيا، فكم من الطلاب اشتغل بحكاياته واستفاد من قاموسه القيم منذ أن صدرت طبعته الأولى سنة ١٩١٣!

لم نكتف في ذلك الوقت بالتسحب لأبحاث هذا الشيخ الجليل المتبحر في النحو العربي بل رأينا فيه خفيلاً روحياً لمؤسس الاشتراق العلمي في أوروبا ألا وهو سيلفستره سامي القرطبي المتوفى عام ١٨٢٨، وكان التلميذ الأشهر لهذا المستشرق الشهير الأستاذ هاينريش ليرخت فلاشر H. L. Fleischer (١٨٠٦ إلى سنة ١٨٨٨) الذي كان أستاذ اللغات الشرقية في جامعة لايبزيغ وهو الذي

لينبرج ١٦/٢/١٩٤٥

## حضرة المستشرقة العالمية الدكتور ا. شيل

عزيزتي وصلني خطابك الزنيق الذي تهنئني فيه بعيد ميلادي  
الثامن وتتمني لي كل سعادة وخير وقد أنصت اليه شعرا  
عربيا وزويت صحيفتيه نزويقا فنيا جيلا. فتقبلته بيد السرور  
وقرائته بلباس الفرح وأعيه بقلب ملوئ بصور وذني لأشكر  
لمحما أبديته نفوس من العطف وما قبلت منه عبارتك  
اللطيفة من حسن الظن بـ.

ورجائي عدم المزاغة في تأخير شكره حيث كانت له  
سوانح قهرية منها تقربه بعض منزله بقبلك منفي أميركا

صهبة من مكتوب لأوجوست فيشر بحث به ال مؤلفة هذا المقال في شهر شباط ١٩٤٥.

ودرت فصلا دراسيا واحداً في مدينة ماربورج على يدي  
ولاوزن الذي ضربني عنه اذ لم استطع ان استريد منه علما،  
ولانه كان يصعد بناء دارا لنفسه مما عاقه عن إعداد الدروس  
لي (فقد كنت تلميذه الوحيد في اللغة العربية). وأحب  
مدينة ماربورج منذ ذلك زمان...

ثم حصل فيشر على درجة الدكتوراه من جامعة هاله سنة  
١٨٨٩، وكان موضوع أطروحته مأخوذاً عن «علم الرجال»  
وقد برهن في هذه الأطروحة على غزارة علمه في اللغة  
العربية، وعلى ان اطلاعه على المصادر التاريخية القديمة  
يستحق كل تقدير وثناء، وشاهد حتى في باكورة تأليفه  
البحث المنقوب عن الحقيقة العلمية المطلقة، فهو لم يدع  
تعبيراً غريباً ولا كلمة مبهمه الا اوصى الى فهمها وإيضاحها  
بكل اجتهاد، مستقيماً بكافة المصادر اللغوية والتاريخية.

كان هالما هو اسلوبه العلمي، فهو لو أراد ان يحقق  
معنى جملة واحدة او يقب عن تعبير نادر استعان بكل  
المتون والشواهد التي كانت لديه او كانت محفوظة في متاحف  
الغرب والشرق (ولا اظن انه يوجد من متن عربي قديم إلا  
وعرفه معرفة خبيراً) ولذلك الوانع الملغ بلوغ الحقيقة العلمية  
اشهر فيشر فيما بعد كناقذ لا تقمض عيناه عن شغوات

ولد أوجوست فيشر سنة ١٨٦٥، ودرس اللغات الشرقية  
قاصداً في أول الأمر الاشتغال بالترجمة واللغات السامية؛ ثم  
ركز همه على درس العربية والتركية، وإقام في فترة  
دراسته لمدة فصل دراسي واحد في جامعة ماربورج على يدي  
لان ليستفيد هناك من دروس ولاوزن Wellhausen المؤرخ  
العظيم (١٨٤٤ الى ١٩١٨) الذي كان قد اشتهر أولاً بتقدمه  
لمن التوراة من الوجهة التاريخية (فصار لذلك أحد مؤسسي  
علم اللاهوت العصري في الغرب)؛ ثم نشر بعد ذلك إجماله  
في مجال تاريخ العرب في عصر الجاهلية وفي عهد الرسول  
وعهد بني أمية، وكان هو العالم الواسع الصيت العميق  
البحث الذي لم تزل كتبه عن خروج الخوارج وعن دولة بني  
أمية مفيدة للغاية حتى يومنا هذا، خاصة لأنه سلك فيها  
طريقة جديدة في البحث عن التاريخ الإسلامي وكانت  
له موهبة خاصة لفهم الروابط الداخلية بين الحوادث  
التاريخية وإيضاح الوقائع وتمثيل خصوصيات الأشخاص  
المشاركين في وقائع الدهور.

لذلك قصد فيشر في شبابه الى درس العربية على يدي  
ولاوزن. وكتب بعد ذلك بستين سنة في بطاقة بحث بها في  
بناير عام ١٩٤٦ الى مؤلفة هذا المقال وهي اذ ذلك ملوسة  
في جامعة ماربورج:





صورة الأستاذ ليجوت فيشر في أواخر أيامه.  
تشكر الأستاذ الدكتور يوهان فليك الذي أتم علينا هذا التصوير.

لتحقيق مسائل لغوية تتعلق باللهجات المصرية (فلذا ذكر انه توجد هناك مثلا مقالة ذات أهمية له عن اسباب القتل في اللهجة المغربية...) واستحدث تلامذته الى تدوين ملاحظاتهم في مختلف الاقطار العربية التي يزورونها.

بعد ان عاد فيشر من المغرب عينته الحكومة أستاذا لكرسي اللغات الشرقية في جامعة لايبزيغ سنة ١٩٠٠ ولم يمتلئ من هذا المنصب العلمي الى ان توفي الى رحمة الله سنة ١٩٤٩، وبفضله أصبحت مدينة لايبزيغ مرة أخرى مركزا للدراسة العربية في ألمانيا على نحو ما كانت عليه في عهد الأستاذ فلايشر؛ وكان فيشر حاضرا لمؤاتة زملائه وتلاميذه اذا طلبوا اليه مددا في مسائل الصرف والنحو واللغة فاستقادوا منه، لأنه كان يعتبر النحو العربي قلب العلوم اللغوية، ولذا تفرعات في هذا المضمار، ومن ذلك ما ألفه حول مسألة النطق الصحيح باسم الشاعر امرؤ القيس، او عن مختلف صيغ القسم كما أنه عالج مشاكل الترجمة في إجابته على مثل هذه الأسئلة: كيف نحصل على ترجمة صحيحة لبيت من أبيات الشاعر فلان بن فلان، او: ماهو المعنى الحقيقي للمقصود في صورة تبت، وهو قد أظهر في هذه المقالات على

زملائه اذا اخطأوا، وقال فيه الأستاذ يوهان فليك J. Flock في مقالة تذكارية أجاد فيها وصفه:

فلم يدع بأي حال أنه معصوم عن الخطأ بل كان الأخرى يعلم تلامذته أن عليهم قبل البدء بالبحث ادراك جهلهم الكلي، ثم كان يرشدنا الى الطريق عابلا أن يبين لم أن أساس كل بحث في جميع فروع العلوم الاشتراكية لا يكون الا بمعرفة المسائل المطلوبة معرفة كاملة من جهة الصرف والنحو وبمساعدة القاموس والمصطلحات القوية.

بعد ان أتم فيشر دروسه في مدينة هاله عين ملحسا لغة العربية في معهد اللغات الشرقية الجديد في برلين سنة ١٨٩٦، وجلبت اهتمامه هناك اللهجة المغربية التي دروسها أولا في برلين ثم في المغرب نفسه، ونشر فيها بعد مجموعة من الاشعار المغربية التي حصل عليها أثناء إقامته في المغرب في كتاب عنوانه Das Liederbuch eines marokkanischen Sängers (اناشيد مغن مغربي، لايبزيغ ١٩١٨) ذلك أنه كان على اقتناع كامل بأن دروس اللهجات العربية المصرية من اهم الواجبات على كل من قصد تعلم العربية القصصى وأراد ادراك خصائصها والتعمق في تاريخ تطورها منذ قديم الزمان الى ايامنا هذه. ولذلك كرس جانبيا كبيرا من أبحاثه

nach nicht in Angstlichen Zittern gerieten<sup>1)</sup>. — Und sei mir göttlich,  
o Gott, wenn ich stürze! — Und gar spreche eine Wange<sup>2)</sup> stürzte  
Rosa, deren Reiz sie hat und nicht, erhebt sich und spült der Tau  
der Tränen, ohne daß sie die Rosenspitze davon hat. — Und von  
mich anderer, auf einem Strauche blühender Rosa herumzu sich  
die Blätter, weil sie weilt und durstet, während durch das Wasser  
in der Wurzel ihres Stoches rinnt. — Und Gott in seinem Reichthum  
hat ihrwohl gegen den, der ihm dient, und so fñhrt das ein an-  
genommene Leben. — Und selbst selbst das Alter geht mit dem  
Leben ihres Hegen ihre Junges<sup>3)</sup>! Heideck.<sup>4)</sup>

S. 74, 11 ff.:

وحي: وان قلت شجرة البدر من تحف النوت فمن فطر  
لك ذلك وشما يدانها: وان قلت شجرة البدر من تحف النوت فمن فطر  
لك ذلك وشما يدانها: وان قلت شجرة البدر من تحف النوت فمن فطر  
لك ذلك وشما يدانها: وان قلت شجرة البدر من تحف النوت فمن فطر  
لك ذلك وشما يدانها: وان قلت شجرة البدر من تحف النوت فمن فطر

1) Cf. Meisner, ed. Derrn, S. 74, 11 ff.

نوت: قوت النوت وله نوت

وهي نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

4) Derr. steht hier von der Wange einer Person. Sie steht, und  
war gleichfalls in Verbindung mit Nott, S. 6, 0, 1, 707, 117

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت  
نوت: قوت النوت وله نوت

والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت

## نوت: قوت النوت وله نوت

والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت  
والنوت: قوت النوت وله نوت

Das Liederbuch eines marokkanischen Sängers. صيغة من كتاب  
الناشد من مغربي، نشر سنة ١٩١٨.

صغر حجمها علما موسوميا بالتقاليد العربية وتاريخ التفسير  
والآداب وآثار النحويين ... ومن بين الموضوعات التي  
عنى فيشر ببعضها وضع اللهبجات المختلفة في جزيرة العرب  
في عهد النبي والخلفاء الراشدين كما أنه لم يتوان عن جلب  
اهتمام المستشرقين الى تقدير مدى أهمية الأشعار الجاهلية  
في ايضاح بعض التعابير الصعبة في القرآن الكريم. وقد  
رأى فيشر في الآداب العربية القديمة أربعة مجالات لغوية  
تختلف بعضها عن بعض من الوجهة النحوية واللغوية ومن  
جوانب السلوب والمضمون، ألا وهي الشعر الجاهلي،  
واسلوب القرآن، والنثر في الصورة التي يجمعها في كتب  
السرو والمغازي، وأخيرا الحديث النبوي. إلا أن هذا التقطيع  
النحوي والتحقين اللغوي الذي نهجه فيشر لم يكن هنا في  
حد ذاته كما ظنه الكثيرون من زملائه وإنما كان وسيلة  
لفهم الآداب العربية أو — إن شئت — الوسيلة الوحيدة  
الموثوق بها. ومع أن المستشرقين كانوا يخشون لادع تقدمه لهم  
وان بعضهم لم يحبروا طريقته هذه في تقطيع كل كلمة  
وتشريح كل عبارة، فكان فيشر نفسه قد اعترف وان  
الآداب في نظري هي جوهر التكاليف الشرقية كلها

صيغة من الرسالة العلمية إلى الله أوجوست فيشر حول «كتاب القصص»  
وقضايا إلى بلاد المغرب، ويلاحظ لها الأسلوب الذي كان يتبعه  
فيشر في معالجة موضوعاته العلمية.

وصميمها. ومع ميله للآداب لم يروم الفقه الإسلامي ولا  
أثار أهل الكلام، وفي صفة الموضوعية لم يتمكن من  
الانلاقات الى التصوف إلا من الوجهة اللغوية، ومع ذلك  
قد كان يرجح عبارات المتصوفين على أقوال أهل الكلام،  
وقد وجه الأستاذ فيشر شكره إلى كاتبة هذا المقال في أحد  
الأيام (وكان آنذاك في الرابعة والثمانين من عمره) على ترجمتها  
لبعض الأشعار الصوفية قائلا:

وان للتصوف اختصار وزنا، ولكنه بلا شك أعظم جاذبية  
من الكلام والصفات الإسلامية الشرعية فهو يسلب العقول أكثر  
منها، ومن المعتقد أنه من حظ التصوف الفارسي أنه سوف  
يمن على العالم بالكثير من المبادئ.

وكان الأستاذ فيشر على الرغم من تقديره للآداب والتصوف  
إلى حد ما لا يستحسن أثار بعض زملائه الذين صنفوا كتبها  
ورسائل في مواضيع تاريخية وأدبية ودينية بلون ان يعتمدوا  
على أسس نحوية قوية أو ان يحققوا معاني كل من التعابير  
تحقيقا علميا ... وبما يدعوا للأسف ان أوجوست  
فيشر — وهو يشبه في ذلك أستاذه فلاشر — لم يقم بتأليف  
كتاب في النحو العربي رغم أنه قد وقف حياته على بحث

Aus der religiösen Reformbewegung in der Türkei  
(عن حركة الإصلاح الديني في تركيا).

ترجم فيه رسالة للوزير الأعظم سعيد حلم باشا (١٨٦٣) الى  
١٩٢١) التي كان قد نشرها هذا المؤلف عام ١٩١٨  
عند انبثار الثورة العثمانية، وتقصص هذه الرسالة المعنوية  
وسلامتها عن إمكانيات تجديد الأفكار الإسلامية وإصلاح  
حياة المسلمين الروحية، كما ترجم فيشر في الكتاب ذاته  
بعض الأشعار لضياء كوك الب، عالم الاجتماعيات  
وواعظ النهضة التركية، وكذلك بعض الأشعار الأخرى  
لمبدع الحق حامد الذي اعتبره أهم شاعر تركي معاصر. وقال  
العلامة فيشر في مقدمته لهذا الكتاب انه يفتق ورأى  
المستشرق المولاني المشهور «سنوك هوركرينيه» الذي اعتبر  
مسألة الإسلام من المسائل المهمة في عصرنا هذا وأنها جديرة  
باهتمام العلماء وداعية لاجتهادهم. وأضاف فيشر الى هذه  
الكلمات انه من الواجب - في رأيه - على كل مؤرخ ومستشرق  
ان يهتم بالحالة الراهنة في العالم الإسلامي وأن المهمة السامية  
التي يجب على المستشرقين الاضطلاع بها، هي تعريف  
الجمهور بالتيارات الأدبية الجديدة في أصبح صورة ممكنة،  
اي في ترجمتها العلمية. لذلك قام فيشر بترجمة الأعمال  
التي تنطوي تحت هذه التيارات الأدبية الدينية التي انبثقت  
في تركيا. ومن العجيب ان كتابه هذا قد صار منبع  
الهام لوحيد من كبار المهنيين في عالم الإسلام الا وهو  
محمد اقبال الباكستاني الذي يتبادل الرسائل مع الأستاذ  
فيشر حتى أنه أوصى صديقه تركيا له (وهو المؤرخ خليل  
خالد، أحد اساتذة معهد اللاهوت القديم في جامعة  
استانبول) ان يحصل بهذا المستشرق الأوروبي الجليل. وقد  
ترجم محمد اقبال نفسه الكثير من الأفكار التي اوردتها فيشر  
في تراجمه المذكورة واقتبسها في كتابه وتجديد الفكر الديني  
في الإسلام دون ذكر اسم المستشرق الاتالي أو عنوان  
كتاب. وما أعظم تأثير مؤلف فيشر - آف الذكر -  
على تلميحات محمد اقبال في كل ما كتبه حول طرق التجديد  
الديني والإصلاح الروحاني في تركيا بعد الحرب العالمية  
الأولى! ولحق يقال ان ايجوست فيشر قد لعب بواسطة هذا  
الكتاب دورا لا يستهان به في تجديد الفكر الديني في الهند  
وبباكستان!

اما نحن فزوفنا في كتاب فيشر هذا - جانباً من تراجمه  
العلمية - أألوهم أنه بالمصادر الصوفية وتاريخ التصوف.  
لم يزل الأستاذ يشغل بالأدب التركية حتى أثناء الحرب  
العالمية الثانية عندما نشر في مجلة جمعية المستشرقين الألمان  
ترجمة للأشعار الأربعة الحسني لمبدع الحق حامد الشاعر

هذا الموضوع، ذلك أن ملاحظاته وحواشيه مشقة في غطف  
المراجع والمصنفات... كما نأسف أسفا أشد من ذلك إذ لم  
يأذن له القضاء بأتمام قاموسه الكبير الذي انكب على تجميع  
شواهد أكثر من اربعين سنة، إذ كان قد أعلن مشروعه  
هذا في عام ١٩٠٧ هادفاً الى إصدار معجم موسوعي يستمد  
عناصره من المتن العربية الكلاسيكية الممتلئة حتى القرن  
الثالث للهجرة ويبحث لا يستند الى الكلمات المسردة في  
القاموس العربية القديمة والتي يضمها قاموس «الن» معناه  
وغیره. وقد بقي هذا المعجم الشامل نصب عينی الأستاذ  
فيشر حتى آخر لحظات حياته، وكانت قد دعت الحكومة  
المصرية الى القاهرة ليعمل هناك بضعة أشهر من كل سنة في  
الإعداد لقاموسه المذكور، وهكذا أخذ معه ما كان قد جمعه  
من الكلمات والتعابير وضغطها في مصر منذ سنة ١٩٣٦، ولا  
ودع القاهرة للمرة الأخيرة عام ١٩٣٩ ترك مجموعاته في  
عملة ومجمع فؤاد الأول - سابقاً - لغة العربية الذي كان  
يتمتع بعرضته منذ سنوات، ولم يأت خبر من مصر أثناء  
الحرب العالمية الثانية ولا بعدها حتى ظن أن مجموعاته كلها  
قد ضاعت في تلك الحقبة الجبلية وقد كتب اليها «إله» انه  
الطبيسي ان أثلث غاية الأمل لأن قاموسه قد راح ضحية  
الحرب... ولكنه أخطأ في ظنه، وليته تمكن قبل وفاته من  
السفر الى مصر على النحو الذي تمناه! فلا زالت هناك  
بطاقاته الستة والثلثون ألما التي كانت مغفولة في المجمع  
للمذكور في القاهرة... كما قام بجمع اللغة العربية بالقاهرة  
بنشر نموذج لثن قاموس فيشر بعد وفاته مع مقدمة المؤلف  
المكتوبة باللغة العربية (في عام ١٩٥٠)، وكان عنوان هذا  
المصنف «معجم تاريخي لغة الآداب العربية حتى نهاية  
القرن الثالث الهجري». وذكر فيشر في مقدمته التي دونها  
قبل الحرب طريقته في جمع الشواهد من المتن فهو لم  
يستغن تماماً عن القواميس الشهيرة المعروفة من قبل. وهو  
قد وجه شكره الى «القراء والناسخين» المصريين الذين  
عاونوه في مطالعة المتن الهامة واستنساخ الكلمات والتعابير.  
وليزيد الأمل لم تمهله المنية لأتمام هذا المصنف العظيم أو  
استكمال مؤاده وجمعها في معجم يستفيد منه أهل العلم في  
الشرق والغرب..

والى جانب شهرة الأستاذ فيشر كـ مؤلف للقواعد اللغوية في  
مجال اللغة العربية وكـ تآقد صادم في مضمار فقه اللغة لا  
يصح ان ننسى أعماله الهامة حول الآداب التركية المصرية.  
فقد كان مجيد التركية حيث نشر ترجمات لأشعار محمد  
امين وكذلك، في سنة ١٩٢٢، كتيباً يحمل عنوانه  
العبارة التالية:

وهو يؤيد بالتصير الأصغر إلى بيت لشاعرنا جوتييه أنه من  
يقاوم الرزايا القوي والبلایا يستلج المعونة الالهية:

Allen Gewalten zum Trotz sich erhalten  
Rufet die Arme der Götter herbei...

ولا توفى خطيفته في معهد لايبزيغ - البروفسور اريش  
برونليش Bräunlich - في شهر آب ١٩٤٥ بينا كان أسيراً  
في الحرب، قام شيخنا الجليل بالتدريس على الرغم من  
تقدم سنه... وكان قد حل مكان الأستاذ برونليش في زمان  
الحرب، ثم منحه الحكومة عن التدريس (ووقعت على ذلك  
المرسوم المدينة لايبزيغ في منطقة الاحتلال الروسي آنذاك)  
ولكنه دأب على التدريس الخاص مع أنه قد فاق الثمانين  
من عمره، حيث كتب يقول في سنة ١٩٤٨: «لا يزال عندي  
بضعة طلاب أقوم بتدريسهم رحمة بهم إذ لا يوجد هناك معلم  
للغربية...»

وما يثر الحيرة ان اوجوست فيشر لم تأخذه كيلولة ولا تعب  
ورغم ما مر به من ظروف صعبة، بل أنه ألف من المقالات  
والأبحاث الكثير حيث نجد من بينها رسالة يعالج فيها صيغ  
القسم في الغربية، مثل «الله، ها الهذا، لاه ابيك، تعمر،  
عمرتك الله» وما إلى ذلك.

وفي هذا العام - ١٩٤٨ - جاءت دعوة من جامعة  
ماربورج وبدلتا مساعدتنا كي نجلبه إلى مناطق المانيا الغربية  
ليتمكن من هنا من السفر إلى الديار المصرية، وكان يرجو  
ان يلتقي في معهد الشرقاى بجامعة ماربورج «بعض  
المحاضرات ريثما تدعوني المأوية» (كلنا في الأصل الالماني ا)  
بلطف، أكثر أو أقل، للولوج إليها... إلا أن أميته لم  
تتحقق، وهكذا رحل إلى السماء في ١٤ شباط ١٩٤٩.  
وكان ذلك اليوم الذي صعدت فيه روحه إلى بارئها يوافق  
يوم ميلاده الذي أتم فيه الأربعة والثمانين من عمره.

نذكره - سنذكره الأجيال القادمة - كما قرأنا وقرأت كتابه  
الدراسي القرييد: Arabische Chrestomathie، وكلما  
استقدنا في استنباح التوحيد الغربية العسيرة من ملاحظاته  
وتراجمه، عملا بقول الشاعر:

ما القصر إلا لأهل العلم أنهم  
على الهدى لمن استهدى ادلاء  
وقدر كل أمرئ ما كان محسنه  
والمجاهلون لأهل العلم اعداء  
فقر يعلم تشي حيا به أبدا  
الناس موتى وأهل العلم أحياء

التركي المتوفى سنة ١٩٣٧، وفي الفترة نفسها قام فضلا  
عن ذلك باصدار ترجمة لمسرحية ألفها هذا الشاعر تحت  
عنوان «روحله» (أى: الأشباح)

ويجدر بالذكر ان الأستاذ فيشر على رغم شيخوخته في  
ذلك الوقت وما أصابه من بلایا أثناء الحرب قد دأب على  
اشتغاله باصعب التوحي العرية، اذ نشر عام ١٩٤٢ رسالة  
حول «كتاب الفصول والغايات» لأبى العلاء المعري، ومن  
المعلوم ان هذا المؤلف نادر جدا لصعوبة أسلوبه ولأن بعض  
النقاد قد اعتبروه «معارضة للقرآن الكريم». وقد أثبت  
فيشر خطأ هؤلاء النقاد من كلمات أبى العلاء نفسه عندما  
تكلم في «رسالة الغفران» عن ابن الرواندى وكتابه «البلدغ»  
قائلاً:

«وأجمع لمحمد ومهتد - وتأكب عن الحجة ومقتد - ان  
هذا الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه كتاب بهر  
بالاحجاز ولقى عدوه بالأرجاز: ما حدى على مثال - ولا  
أشبه غريب المثال، ما هو من التصيد الموزون - ولا  
الرجز من سهل وحزون - ولا شاكل خطابة العرب - ولا  
سجع لهنه ذوى الأرب، - وجاء كالشمس اللامحة -  
نوراً للمصرة والباحثة...»

وقد بن فيشر ان رأى المستشرقين الأوروبيين في معارضة  
أبى العلاء المعري للقرآن لا أساس له من الصحة ويهرن  
كذلك على انه لم يراهم الكتاب نفسه وإنما اقتبسوا ما  
وجدوه في آثار العرب اللين لم يستحسنوا افكار المعري،  
وسهم ابن الجوزى وياقوت الروى والذهبي، مع ان أكثر  
هؤلاء المؤلفين لم يشاهدوا مخطوطة لهذا الكتاب المختلف عليه.  
وقد فسر الأستاذ فيشر الجزء المنشور من مصر سنة ١٩٣٨  
وحقق أسلوبه وتحقق من توافقه ودقق مناسبة الغايات  
والأقسام المسجعة، وعلى كل بن اراد التعمق في افكار  
أبى العلاء وفن نظمها ان يطلع على كتاب فيشر هذا بكل  
دقة كي يتعلم منه طرز البحث العلمى الأصيل.

وفي أواخر الحرب وبعدما أصاب فيشر من المصائب ما  
أصابه لما ضاع قسماً كبيراً من كتبه وخربت كذلك مكتبة  
الجامعة في مدينة لايبزيغ وانهدم نصف بيته بالقنابل، ومع  
ذلك لم يستسلم لليأس بل لبث يكتب ويقرأ فيما تبقى له من  
الكتب حتى في تلك الأيام المظلمة وقد كتب يقول في أول  
رسالة بحث بها البنا بعد الحرب:

لم نصب في العام الماضى إلا بالكاترة تلر الاخرى ...  
ولكن لانفائدة من اطالة الكلام عن ذلك بل من المهم الآن  
ان نحافظ على بقائنا بمقاومة جميع القوى .....

# تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان

الحمد لله  
الذي خلق لكل داء دواء  
ولكل مرض شفاء

بقلم : جيزلا كيرشر

ما ميمو دولثا، وبينها وبين السموم ما ميمو دواء ميميا،  
واعتمدها الأطباء بعد اصلاح قوامها والاحتياال لدفع  
غواثلها حتى تم الانتفاع بها.

ويشير المؤلف إلى مسئولية الطبيب عندما يعد الدواء،  
ولذا تحوى مؤلفات مشاهير الأطباء على مقالات طويلة  
في هذا الباب، ومنها «فردوس الحكمة» لعل ريان الطبرى  
(المتوفى حوالى عام ٨٢٦/٨٢٦م)، و«الحاوى» فى الطب  
للرازى (المتوفى عام ٨٣١٣/٨٢٥م)، و«القانون فى الطب»  
لابن سينا (المتوفى ٨٤٧٨/١٠٣٦م)، و«كتاب التصريف»  
للزهراوى (المتوفى ٨٤٠١/١٠١٠م)، و«كتاب العملة فى  
صناعة الجراحة» لابن القف (المتوفى ٨٦٨٥/١٢٨٦م)،  
وقد بحث الأطباء فى الكتب المذكورة وأمثالا عن أفضل  
أنواع العقار بحسب درجة تأثيره، ثم عن الأمراض التى  
يعالجها مع إثبات كية الدواء لكل من هذه الأمراض.  
ونستطيع أن نتبين أهمية إلام الطبيب بخصائص العقار  
من كلمات أحمد الغافقى (المتوفى عام ٨٥٦٠/١١٦٤م)  
فى كتابه «الجامع فى الطب فى الأدوية المفردة» حيث يقول:  
«وإن كان ألباقرنا يرون أن هذا إنما يلزم الصيدلانى دون  
الطبيب لكان ظنهم صادقا لولا أنهم يقولون بأنفسهم عمل  
الأدوية المركبة وما أفصح بأحدهم أن يطلب أدوية مفردة  
فيؤتى بأدوية لا يعلم هل هى التى أرادها أم غيرها فيركبها  
ويسقى عليه مقلداً فيها للجبالين ومتماطلى الحشايش،  
قوم لا يقرنون الكتب ولا يبرهنون من الأدوية إلا ألقاها».

حتى إذا ما تصرف العلاج بواسطة الأدوية المفردة راح الطبيب  
يستعمل أذلك الأدوية المركبة التى كانت تسمى  
«الأقرباذين» لأنه من المظنون أن قوى الأدوية المفردة  
المستعملة فيها ستبلغ حدا بعيدا من التأثير بإكمال بعضها  
البعض. وقد بدأ الأطباء فى قديم الزمان يجمع نثرات  
خاصة بتحضير الأقرباذين وإعدادها، وتعد من هذا النوع

كان مسلمو القرن الوسطى يمدحون العقاقير «عجائب  
المخلوقات»، ويريدون بذلك أن الله تعالى خلق السموات  
والأرض قد خلق أيضا هذه الأشياء كى تمدد على الإنسان  
بالنفع والخير.

وكانت «عجائب المخلوقات» هبة السماء إلى الطبيب  
الذى يقضى عليه واجبه أن يعرف كيف تثنى الأمراض  
وكيف تعالج وتشفى.

وقد أخذ عرب المصور الوسطى فنون العقار عن  
«ديوسقوريدس» Dioskurides (المتوفى حوالى عام ٨٧٠م)  
وجالينوس Galen (المتوفى حوالى عام ٢٥٠م)، ولكنهم  
مالئوا أن زادوا عليها واستكملوها بفضل خبراتهم الطبية  
التي أتوا بها من مملكة ما بين التبرين ولغند والشرق  
الأقصى وشمال أفريقيا. وجدير بالملاحظة أن عبارة «الطب  
والصيدلة العربية» وإن أطلقت على آثار الحضارة الإسلامية  
فى هذا الميدان، فضلا عن أن ما ألفت فيها من أسفار  
كان بلغة العرب، إلا أن مصنفى تلك الكتب ومؤلفيها  
كانوا ينتمون إلى عديد من الشعوب التى تترأى من لغند  
والهند وحتى الشرق الأدنى والأوسط وشمال أفريقيا.

صنف ابن البيطار (المتوفى عام ٨٦٤٦/١٢٤٨م) فى  
موسمته المسماة «الجامع فى الأدوية المفردة» عجائب  
المخلوقات وهى التى كانت، باعتبارها عقاقير نباتية ومعنوية  
وحيوانية، تحط تصرف الطبيب العربى فى القرن الوسطى،  
إذ كان عليه أن يعرف مدى أثرها فى الجسم. ولكل عقار  
قوى وصفات تخصه، كما قال الآخرين. وقد أشار  
البهائى الإبرائى الفقيه المدحور البيرى (توفى عام ٨٤٤٠/  
٨٥٠م) فى مقلمة «كتاب الصيدلة» إلى ما للعقار من  
مكانة خاصة بين الأعطمة والسموم، فقال: «وجميع  
ما يتناول بقصد أو يجهل فتقسم فى أول الأمر إلى أطمعة  
وسموم، والأدوية واقفة فى البين لأنها بالإضافة إلى الأغذية  
مفسدة وإلى السموم مصلحة لا يظهر فعلها إلا الطبيب  
الحاذق المشتغل لها، ولهذا توسط بينها وبين الأغذية

ويعالج الله الرُّسُلَ لِيُؤْخِذَ بِهِمْ مَا هُمْ فِيهِ مُضْتَرُونَ  
مِنْ زُنُوفِهِمْ وَنُحُوبِهِمْ شَرَابٍ مِنْ مَفْهُوفٍ وَمُسْتَوَانٍ



على يد قسوس لا يوزنوا بالحق ولا يتحرفون بغير حق من رتبته  
 وسبقوا لظلم الخراج ما عايناه من الخبيثين وطلعت على مسقوفين وفعل  
 من رتبته من أخصا وعطوف الخما وما يابسا  
 ناعا وسقوف من الأديب شهابه زوايا الرتبته  
 حارطون بالتراتبه وكانوا السون وزايف

عمل منصبه لمعالجة لغة الريتل. صحيفة عن لسنة قديمة لترجمة حرية لكتاب ديستوريين، دوت في بنلا سنة ١٧٢٤ م. وهي عطلوة في Freer Gallery, Washington. لشكر إدارة Freer Gallery لتصرعها لنا بفتره الأرة.

أما الصيدلي فكان يحافظ على نوع «عجائب الخلق» وكيفيتها ويحضر الأدوية المركبة التي يوصي بها الطبيب، وكان له بذلك اليد الطولى في علاج المرضى وشفاهم. وهكذا ظل الحال حتى يومنا هذا. ومع أن المستحضرات الجاهزة التي تقوم بتركيبها معامل الأدوية الكبرى قد قست على تحضير الأقرباضين في الصيدليات، فإنه بما لا شك فيه أن قول الصيدلي كوهين المطارد في كتابه «سراج الذكاء» (عام ١٢٥٨/١٢٥٩م) لم يزل سارياً، إذ يخاطب ابنه قائلا: «الصيدلية أشرف الصناعات بعد صناعة الطب وهي آلة لصناعة الطب».

ولا عجب أنه عندما تطورت الدراسات العربية والإسلامية وتعمق المستشرقون الألمان في تاريخ ثقافة الإسلام تطور كذلك اهتمامهم بتاريخ الطب العربي وما يتعلق به من

من العقار مثلاً المراهق والشراب والربوب والمعالجين والحيوب وغير ذلك.

وكان إحصاء هذه الأدوية المركبة وتحضيرها من وظائف الصيدالة، كما قال البروني:

والصيدلاني (الصيادلة) وهو المحترف بجميع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزواهل الطب.»

وبعد، فقد عرف العالم الإسلامي الصيدليات منذ القرن التاسع للميلاد، أي منذ عصر العباسيين، كما وجلت في المذد الكبرية مستشفيات أُنشئ بها في أغلب الأحيان صيدليات، وكانت لهذه المؤسسات كتب خاصة بطريقة تحضير الأهراباذين دعيت *وبالمنصور البهارستاني*، ومازالت العلاقة الوثيقة بين الطب والصيدلية قائمة عبر القرون.



إشهار أدوية لأمرض العين. صحيفة من نسخة قديمة لترجمة مربية لكتاب فيثاغوريس، دوت في بيلداد سنة ١٢٢٤ م. وهي محفوظة في Freer Gallery, Washington. لشكر إدارة Freer Gallery لتصريحها لنا بنشر هذه الصورة.

ويترباخيان Peter Bachmann وهانريش شيرجس Heinrich Schipperges وهانز لاور Hans Lauer ولي أوتو شيس Otto Spies وتلاميذه الذين انصرفوا للتحقيق عن آثار الطب عند العرب. ويجدر بنا أن نذكر من بين من ذكرنا من المستشرقين، اسمي عالمن ألمانيين اخصاً بدراسة تاريخ الطب والصيدلة، وهما إرنست زيكنبرجر Ernst Sickenberger (المتوفى عام ١٨٩٥) وماكس مايرهوف Max Meyerhof (المتوفى عام ١٩٤٥)، إذ أقام كلاهما في الشرق مدة طويلة أتاحت لهما الفرصة لاكتساب على دروس نتائج العلوم الطبيعية عند العرب. جأنا الى مصر يطلبان العمل هناك، وكان الأول صيدلياً والثاني طبيباً للعين، وقد أصبح كلاهما مواطنين مصريين وكما فوق ذلك تمتع كل منهما شرف عضوية المعهد

محالات، ونذكر من بين هؤلاء العلماء الألمان: أوجين ميتوخ Eugen Mittwoch (المتوفى عام ١٩٣٢)، وإرنست ليرت Ernst Lippert (المتوفى عام ١٩١١)، ويوليوس روسكا Julius Roska (المتوفى عام ١٩٤٩)، وأبلهارد فيدمان Bilhard Wiedemann (المتوفى عام ١٩٢٨)، وإرنست زايدل Ernst Seidel (المتوفى عام ١٩٢٢)، وكلارك هيلموت ريتير Hellmut Ritter عالم البحوث علموت ريتير عالم البحوث الذي كشف عن الكثير من المخطوطات الهامة الخاصة بتاريخ الطب والصيدلة عند العرب والتي أخرجها من المكتبات التركية والأيرانية والعربية. وما زال البحث عن هذا القصر المهم من فروع الدراسات الإسلامية يحض ويتطور في أيامنا هذه، ويكفي أن نشير الى ألبرت ديترش Christoph Bürgel وكرستوف برجل Albert Dietrich



أرست زيكنبرجر

بسيطا لا يركن إلى الراحة ولا يهتم بمناخ الدنيا، فهو لم يعرف سوى العلم وواجهه بنجاح عمله.

ولد إرنست زيكنبرجر في كراوثايم/بادن Krautheim/ Baden عام ١٨٣١، وحرس العلوم الطبيعية والصيدلة في جامعتي هايدلبرج وبرلين، ثم قدم إلى مصر عام ١٨٧٦، حيث أصبح مديرا للصيدلة الألمانية بالقاهرة، وتولى بعدها في عام ١٨٨٣ إدارة حديقة النباتات بالقاهرة، نظرا لغزارة معلوماته في هذا الميدان. وفي عام ١٨٨٩ عين إلى جانب عمله هذا أستاذا وعلما لعلم الصيدلة ثم الكيمياء بمدرسة الطب بالقاهرة Ecole de Médecine.

وعندما سئل عام ١٨٨٧ عما إذا كان يريد البقاء في مصر أم لا أجاب القنصل الألماني بقوله: «لأنني أفضل الحياة في مصر ولأنني أرجح الجنسية المصرية على أية جنسية سواها».

وقد امتحنه جورج شفاينفورت بكلياته التي قال فيها: فلم يهمل زيكنبرج مهامه العلمية خلال الأعوام الخمسة عشر المليئة بالعمل الجاد المجهد بمدرسة الطب ولا لحظة واحدة، فانه لم يكن يعرف الإجازات ولا العطلات الصيفية الطويلة في أوروبا للاستجمام من الحرارة القوية في الصيف المصري الذي يجعل العمل اللغوي مرهقا.

وبعد، فقد قدم الأستاذ زيكنبرجر لمصر - وطنه الثاني - أبحاثا مفيدة وهامة في مجالات الكيمياء والنبات والجيولوجيا

المصري Institut d'Egypte الذي كان قد أسسه نابليون الأول، كما تولى كلاهما بالقاهرة.

وعندما فاضت روح الأول لم يكن الثاني إلا طالبا للعلم، حديث العهد بالحياة بعد، ولم يعرف أحدهما الآخر، ومع ذلك ربطت بين حياتهما صداقة العالم الكبير جورج شفاينفورت Georg Schweinfurth (المتوفى عام ١٩٢٥)، ذلك الباحث الدائب عن جغرافية إفريقيا، وكان زيكنبرجر قد حاوله فترة ثم اتصل التعاون العلمي بعد ذلك بين شفاينفورت ومايرهوف.

في ١٠ ديسمبر ١٨٩٥ شيع الصيقل لإرنست زيكنبرجر إلى مقره الأخير بالقاهرة. وقد ودعه حتى مقبرته عدد كبير من العلماء البارزين وممثل الدولة المصريين ومن بينهم نوبار (باشا) رئيس الوزراء في ذلك الحين، وكذلك جميع الطلبة الذين درسوا على زيكنبرجر. فإن المصريين الذين اندفعوا إلى تشييع جنازته استمروا فيه الأوروبي الكاثوليكي الذي بذل كل اهتمامه في خدمة وطنه المختار - هكذا قال الباحث جورج شفاينفورت عند تأييده لإرنست زيكنبرجر أمام أعضاء المعهد المصري، ثم استرسل قائلا: ويجب أن نشعروا بالفخر أيها السادة لأن واحدا منا قدم هذا اللؤلؤ الثمين لحياة مليئة بالعمل، وكان أسلوب حياته





ماكس مايرهوف

التضائل النادر وجودها من إخلاص تام في عمله وتواضع كامل وسيظل حيا بيننا كالنخل الأعلى لعالم بارز وأستاذ قدير.

«تنب مصر عن النظر، وستغرقى حزن وشوق عميق. عيشي يا أرض الصجائب الجميلة الكثيرة الألوان! إلى الأبد»

يولد ماكس مايرهوف يومياته عن رحلته الأولى إلى مصر عام ١٩٠٠/١٩٠١، ولم يكن يتوقع حينذاك أن هذا البلد سيصبح عما قريب وطنًا ثانيًا له حيث سيقضي فيه أكثر من ثلاثين عاما من حياته.

ولد مايرهوف في مدينة هلدنسهام Hildesheim في شالي ألمانيا عام ١٨٧٤، واستقر رأيه على دراسة الطب، ثم تخصص في طب العيون، وعند رحلته المذكورة إلى «بلاد القراعنة» أتبعته له الفرصة للدراسة للأمراض الكثيرة للعين، وهي التي كانت مفضية في ذلك الوقت في مصر. وقد عاد الدكتور مايرهوف عام ١٩٠٣ إلى «أرض الصجائب الجميلة الكثيرة الألوان» لكي يعمل «كحكيم للعين» بالقاهرة، وسرعان ما أنهال عليه سيل لا يتقطع من المرضى الذين أحياهم «الدكتور ماكس» وقدرهم، وهو الذي لم يرد قط من بابه فقيرا أو محتجا إلى معونه، فقد كان يعالج الفقراء دون انتعاب.

وعلم المعادن؛ والجدير بالذكر أنه قلم كذلك خطمات جليلة في أمحات الصبيلة القدعة عند العرب، ووفق في كتابه الموسوم بعنوان «النباتات المصرية Les Plantes Egyptiennes» إذ قام فيه بتصنيف النباتات التي ذكرت اسمائها في كتاب ابن البيطار «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» فيها عددا قليل منها؛ وقد ابتدأ قليل موته بنشر ما سماه «المقتطف المختصر» لكتاب ابن البيطار الذي لا يعرف في الغرب إلا بترجمة ألمانية ركيكة، وترجمة فرنسية يصعب الحصول عليها؛ ذلك أن الأستاذ زيكينبرجر كان يعتقد من حق أن مؤلفات ابن البيطار لم تنل في أوروبا ما تستحقه من التقدير. على الرغم من أن قيمة هذا الكتاب من الوجهة العلمية لا توازي الجهد الذي بذله المؤلف فإنه يحتوي على بعض الملاحظات العامة التي نثرها زيكينبرجر الصيدل في متن هذا البحث، ولعله جدير بنا أن نمجج بصارته وجهوده التي كرسها لإدلاء مثل هذا العمل إلى جانب وظائفه ومستلياته البجمة.

ولترك الكلمة مرة أخرى لجورج شفاينفورت الذي قال: «ولو لم يكن لهذا العالم سوى هذا الكتاب لكفاه حتى يذكر اسمه بنائية التكريم والتبجيل في مصر وفي أوروبا».

ونعم السيد وزير المعارف المصري تأييده للأستاذ زيكينبرجر بالكلمات التالية: «إن هذا العالم الباحث الممتاز توحدت فيه

الصفحة الرابع، الذي قاله المرسوم في ذلك وقت شبيه  
بذلك الذي في زمانه في الشاهين وقد نقله إلى الزمان  
في ذلك زمانه في ذلك زمانه في ذلك زمانه في ذلك زمانه



باب طبعها من ذلك زمانه في ذلك زمانه في ذلك زمانه  
الشبه وتم ذلك في ذلك زمانه في ذلك زمانه في ذلك زمانه  
مطلعها في ذلك زمانه في ذلك زمانه في ذلك زمانه في ذلك زمانه

قطع اثبات المسمى، والبريقين، صحيفة عن نسخة قديمة الترجمة عربية لكتاب ذيبيقوريدس، دولت في بيلاد سنة ١٢٢٤ م. وهي محفوظة في Freer Gallery, Washington. لفكر إدارة Freer Gallery لصريحها لنا بفرعه الوجة.

الشرق وكذلك للمستشرقين المهتمين بالطب العربي وتاريخه. ونجد في مؤلفاته التي يعالج فيها طب العيون عند حنين ابن إسحق ويحيى بن ماسويه ومحمد بن قسوم بن أسلم الغافقي، مادة غنية تتناول العقاقير التي كان يستعملها الأطباء العرب في القرون الوسطى لعلاج المرضى. وأحد الدكتور مايرهوف ملحقاً قياً لكتاب الغافقي وكتاب المرشد في الكحل ذكر فيه الأدوية المختلفة التي كانت تستعمل على زمان المؤلف لمعالجة امراض العيون، ومنها الأكحال والشياكات وغيرها. وسرعان ما انتقل مايرهوف الى دراسة علم العقاقير عند العرب. ولعله يجدر بالطباء والباحثين أن يتأملوا أسلوبه في التفتيش

عاد الدكتور مايرهوف إلى مصر وطنه المختار، بعد أن قطع إقامته بها منذ ١٩١٤ حتى ١٩٢٢. وقد حصل على الجنسية المصرية عام ١٩٣٥، وعاش بالقاهرة حتى وفاته أجله بعد مرض تحمله بصبر وشجاعة في ٢٠ ابريل عام ١٩٤٥. وإلى جانب معانيته اليومية لأمراض العيون وأبحاثه العلمية في هذه الأمراض الخاصة بمصر وكيفية معالجتها، اهتم الدكتور مايرهوف بدراسة تاريخ أمراض العيون، ووجد في مجال دراسته هذا مولداً غنياً من كتب الأطباء العرب في أثناء القرون الوسطى، كما مكنته خبراته العلمية ودراساته اللغوية التي بذل فيها ما بذل من الجهد، من تقديم معلومات هامة للأطباء الذين يهتمون بتاريخ الطب في بلاد



استخراج العين المختوم. صحيفة من نسخة قديمة لترجمة عربية لكتاب ديوسقوريدس، دلت في بنباد سنة ١٢٢٤ م. وهي عبطية في Freer Gallery, Washington. لشكر إدارة Freer Gallery لتصريحها لنا بنشر هذه الصورة.

العقاقير المختلفة أيضاً علمياً واسعاً. وتعتبر المقدمة الشاملة التي ألفها الدكتور مايرهوف لهذا الكتاب من أهم النصوص واعتمدها في موضوع تطور علم الصيدلة عند العرب. زد على هذا عدداً من الرسائل الصغيرة عن البنج والخشيش والشحم التي تكلل بحالة الخاصة بتاريخ الطب والصيدلة؛ أما مقالاته العميقة حول «سوق المطارين بالقاهرة» (عام ١٩١٨) فقد أشاد بها جورج شفاينفورت - الذي كان متخصصاً في دراسة النباتات المصرية - كل إشادة. بلغ عدد مؤلفات مايرهوف الثلاثمائة، ويتبدى في كل منها العلم الموصى الذي امتاز به هذا العلم، وإذ لا يمكننا ذكر عناوينها فليتنا أن نشير إلى بعض ماله قيمة خاصة

عن المراجع ولتكون الهامة. ومنها أنه أشار لأول مرة إلى وصف الأدوية المفردة العالم المشهور والشريف الإدريسي، (المتوفى عام ١١٦٦/٨٥٦٠م)؛ وأشار كذلك إلى أهمية كتاب الصيدلة في الطب البيروني الذي يلقب «بأستاذ» حيث ترجم المقدمة المهمة التي اقتبسنا جزءاً منها على ص ٤٩. وقام بمساعدة جورج صبيحي بنشر وكتاب الأدوية المفردة المختصر لأحمد الفافسي، وفي ترجمته وإعداد الملاحق والشروح العميلة لهذا الكتاب، غير أنه لم يتمكن للأسف من إتمامها. أما مؤلفه الأهم في مجال علم العقاقير فهو نشر وكتاب شرح أسماء العقاقير لموصى بن ميمون حيث يوضح كل واحد من أسماء

منها في تاريخ الطب، كأبحاثه التي تعالج الإرث اليوناني في الطب العربي، ثم تلك التي تبحث في مؤلفات جالينوس وترجمتها العربية، فضلاً عن دراسته لكتاب «فردوس الحكمة» لعلي بن ريان الطبري وكذلك تعرضه لابن النفيس.

كتب جورج سارتون George Sarton، الإحصائي الشهير في تاريخ الطب، قائلاً عن ماكس مايرهوف: «إن أحسن جزء يمنح للذكراه يكمن في حقيقة بسيطة، هو أن تقرر أعماله في المستقبل على طلبة تاريخ الطب العربي، وهكذا ينال اسمه التخليد».

ولقد منحت كلية الآداب بجامعة بنو الدكتور مايرهوف درجة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٢٨ لكونه «باحثاً كبيراً في الطب والعلوم الطبيعية عند العرب ومشجعاً دائماً للأعمال العلمية».

وعندما توفي عام ١٩٤٥ حزن لوفاته الكثيرون، وهم جميع من عرفوه وبخاصة العلماء المصريين وزملائه الأجانب الذين كانت تربطه بأكثرهم علاقة صداقة وطيدة.

وأمام أعضاء المعهد المصري الذي كان ينتمي إليه الدكتور مايرهوف التي كلمة التأيين بمناسبة وفاته الدكتور لودفيج كايمر Ludwig Keimer عالم الطبيعة والآثار المصرية، وكثر عدد مقالات التي التي دونت بمناسبة وفاة مايرهوف؛ أما أهمها وأشدها تأثيراً فهو ما كتبه عنه الأستاذ يوزيف شاخت Joseph Schacht، صديقه وزميله، حيث قال: «متيحياً ذكره لمدة طويلة بين طلبة العلم في العالم بأمره كعالم متميز في الطب والعلوم الطبيعية عند العرب؛ ثم بين الأطباء كباحث ممتاز لأمراض العين بمصر، ثم بين المرضى الشاكرين كطبيب ناجح يستحق التكريم والتبجيل، وبين أصدقائه الكثيرين من أنحاء العالم كشخصية طيبة

عجة للجميع ... وبينما كان ينفر من كل تناول مريح راح يتدفق شعوره العميق بالمسئولية الأخلاقية تجاه علاج مرضاه وفي تناول بحوثه العلمية الدقيقة. ومن بين المثل العليا التي كان يعمل ماكس مايرهوف على تحقيقها ويعيش من أجلها كان أن يصير أهل الشرق بماضهم الطيد، وأن يساعد على تشييد أسس مشتركة للتفاهم والتعاون المتبادلين بين الشرق والغرب والتخطب على التعصب والكرهية أينما كانت ...»

\*\*\*

لرنست زيكنبرجر وماكس مايرهوف - عالمان ألمانيان خطما العلم في الشرق. أحدهما طمعت ذكراه الأيام: كان صيدلياً وأستاذاً لعلم الصيدلة والكيمياء في بلد ترجع تقاليده إلى جلور بيدة العمق في هذا المجال .. في مصر، وقام بنوره في توضيح علم الأدوية والعقار عند العرب في القرنين الوسطي.

أما الآخر فهو طبيب العين الذي عرفته القاهرة واشتهر بين أهلها، كما اشتهر بين العلماء عن طريق دراساته العديدة في علم العقار عند العرب، وهي التي أدى بها خلمة كبرى لميدان البحث في هذا المجال حتى اليوم.

كانا عالمان كرسا حياتهما لخدمة العلم، وفتحاً باباً جديداً لإدراك العلوم العربية على مصراعيه؛ ولقد أحب كلاهما وطنه اللتان - مصر - وأخلص له، وفهم قومه ومشاكلهم فهما عميقاً. لذلك فإن لرنست زيكنبرجر وماكس مايرهوف يستحقان احترامنا وتقديرنا لما قلما من مساهمات علمية قيمة وهامة ولما اتصفوا به من خلال إنسانية عالية، بل نادرة الوجود.

ترجمة: عزيزه حمدي

# يُولْيُوسُ رُوسْكَا

(١٨٦٧ - ١٩٤٩)

بقلم : الأستاذ محمد يحيى الهاشمي

ولد يوليوس روسكا في ٩ شباط ١٨٦٧ في مدينة بول Buhl من مقاطعة بادن - بادن، فعلمنا عن الارث العلمي والفني فقد كان ينحدر من سلالة مقاومة للشكائد مجدة في العمل وكانت مقبلة في رايندورف - غرافنهاوزن - Rheindorf Grafenhausen من دائرة انهام Amt Ettenheim وكانت والدته المرأة الرقيقة الاحساس محبة للأزهار وبمحبة نادرة عرفت توجيه الالاداء.

بعد ان اتى يوليوس روسكا لدراسته الابتدائية والثانوية زار الجامعة لدراسة الرياضيات والعلوم الطبيعية، وبدون اية صعوبة وصل الى هدفه. ولم يكن مرتاحا نفسيا، لان التضارب بين العلم والايمان استيقظ في نفسه، شأنه في ذلك شأن جميع احرار الضمير في العالم. ومنذ ان كان طالبا في اللويزة كان باحثا عن الله وكان دوما يفكر بذلك السؤال: لماذا لم تتجاوز رسالة الخلاص المسيحية دائرة الشعوب الجرمانية والرومانية والسلافية؟ وكطالب جامعي اهتم كثيرا بالبحث النقدي لتاريخ الاديان، وكان يقبل على التعلم بعطش لا يتردى، وكان يريد عمل الانسجام بين تعليمه وعلمه. وبحماس زائد كان يهتم بمعرفة الامم وتاريخ الحضارات وتاريخ تطور البشرية. ولقد قاده حب الكشف عن لفر العالم الى المسائل الدينية، وهكذا اخذ ينمو في نفسه حب التعرف على الاديان العالمية وكتبها المقدمة بلغاتها الاصيلة، لان الترجمة مهما كانت محكمة فقد تفقدتها شيئا من خصائصها. وهكذا عزم عزيمته اكيدا على الاطلاع على اللغات التي كتبت بها هذه الوثائق الدينية الاصيلة، ولقد نفذ المخطط بهمة لا تعرف الكلل والملل، وان العالم ليدنين لجزمه على ذلك بالقائه

ينحدر العلامة يوليوس روسكا من اسرة عريقة، لعل منشأها ايطاليا، تهتم بالعلم والتربية بصورة خاصة، فقد كان والده فريديناند معلما متصدا بالخرائب في مدينة برناو في الغابة السوداء، وفي مدينة بول Buhl من مقاطعة بادن، وما يذكره الرسام هانس ثوما Hans Thoma بأنه زار مدرسته للرسم ويملك حفيده البساطة في التعبير الاكثروفي هيلموت روسكا صورة من الغابة السوداء من رسم هذا الرسام وذلك بتاريخ ١٨٦٠/٩/٥، وفي كنيسة «غرافنهاوزن» بالقرب من جبل كايزرشتل (كرسى الامبراطور) يوجد سجل عقد قران الجدة الاعلى نيقولاوس روسكا في عام ١٧٤٨، ومن المظنون ان هناك صلوات بين نيقولاوس روسكا ورسام الاشخاص كارلوفرانسيسكو روسكا الذي عاش (١٦٩٦-١٧٦٩)، وان اسم روسكا يردد بين موسرة الجنوبية وايطاليا العليا. ولم يكن الجدة الاعلى الكبير هو الفنان الموهوب الوحيد، بل هناك اربعة عشر شخصا ممن ينتمون الى هذه الاسرة كانوا معارين ونحاتين ورسامين والذين جاء اسمهم في قاموس الفنانين في موسيره. وقد قرأ كثيرون قصة حياة رئيس الواعظين نيقولاوس روسكا في قصص ينانش Jürg Jenatsch المائدة المؤلفه فكونراد فريديناند مايره وقد ولد هذا الرجل الديني اُخفى روسكا في عام ١٥٠٦ ماتت شيئا في عام ١٦١٨. وقد كتب واهب يحمل اسم فرويتره قصة حياته الى درجة وصل بها الى حد الاساطير، وان نسخة منها كانت توجد في مكتبة النولة في برلين. وكان علامتنا بفخر بحمله نفس الاسم الذي كان يحمله رئيس اساقفة كنيسة كومو Como اعني يوليوس روسكا.



الاستاذ يوليوس روسكا  
[طائرة : الاستاذ محمد يحيى الماشى.

In diesem Sinne, mit einem  
hochachtungsvollen "Gruß", grüßt  
Sie bestenfalls Ihr  
O. Buska

عامة رسالة من الاستاذ روسكا Buska إلى الاستاذ محمد يحيى الماشى.

عن اصل وانتشار العلوم العربية حتى انقضاها الى  
عالم الغرب.

لم يكن الطريق امام هذا العالم القى مبيدا، فان الحافظ  
ومستشار المدينة قررا بان روسكا لا يمكنه ان يكون  
استاذا رسميا في المدارس الثانوية في هايدلبرغ الا اذا  
استغنى عن مسلكه الجامعي، وبقلب جريح ونفس حزينة  
نضع لهذا الامر، وودع الشرق، وكان آخر عمل قام به  
هذا المجال ان ترجم وكتاب الاحجار من وعجائب  
في المخلوقات» لتركيا بن محمد القزويني وشرحه وذلك في  
عام ١٨٩٦.

لكن، كيف يمكن إيقاف الميل الاصلية في الانسان؟  
هنا الخلق: فيضا محمًا، يحول في النفس توافقًا للتخلف...  
وهل يقوى اليقوى على كبت الامواه المختزنة في احشائه،  
ام هل تستطيع الشمس ان تحول دين انبساط الضياء؟  
وهكذا ايضا فان هذا الرأس المشتعل بحب البحث  
لا يمكن اطفاؤه شعلته، فقد كان يكرس اوقاته خارجا  
عن عمله الخبير على ادائه في البحث في تاريخ العلوم،  
ومع ذلك فقد كان يقوم في تفهم ما اوكل اليه من تدريس  
العلوم الطبيعية على اساس ترويض نادر، لان تاريخ العلم  
يعطينا مقبرة لتدريسية في تفهم كيفية تطوره. وقد كان

انوار كشافة على تاريخ الكيمياء الذي لم يكن في يده  
حياته العلمية ضمن تفكيره. وحتى قبل ان يبدأ عمله  
كمدريس للعلوم الطبيعية في مدينة هايدلبرغ درس اللغة  
العربية والعبرية عند رودولف برنوف Rudolf Brünnow  
وسمع معارفه اللغوية باللغات السريانية والآشورية والفارسية.  
وعندما غادر رودولف برنوف مدينة هايدلبرغ مغادرة  
نهائية بقى تدريس مثل هذه اللغات مدة من الزمن  
في هذه المدينة فارغاً، فولى يوليوس روسكا وجهه شطر  
البحاث الكثير في العهد القديم أدالبرت مركس Adalbert  
Merx الذي علم اى طير نادر قد حط عنده. بيد أن  
هذا الاستاذ اشار على تلميذه وصديقه الصغير بمحويل  
اتجاهه من دراسة علم الاديان الى تاريخ العلوم بتقديره  
الاطروحة عن الرياضيات السريانية نظرا لمخطوطة في هذا  
الموضوع موجودة في مدينة غوتينغن، وقد اصفى روسكا  
للتصحيح وفي كانون الاول من عام ١٨٩٥ قدم الاطروحة  
المذكورة بمنوان والمربعات من كتاب محاورات لسرفوس  
ابن شاكر "Quadrivium aus Servus bar Schaku"  
"Buch der Dialoge" عند الاستاذ بيسولد Bezold وبهذه  
الاطروحة سلك اتجاهها جديدا لعماله العلمية من اجل  
المستقبل بصورة اساسية. وكانت تخامرة فكرة البحث

يعلّم علم المستعدّنات Mineralogie و الجيولوجيا والرياضيات ، وبعد سنين قلائل اهتم بالغات والفلسفة وفن التربية. ونظرا للدراسات العديدة والمتنوعة التي قامها في الصعب على من لم يكن يحمل نفس روح الشمول والمهذّب الفاضل<sup>(١)</sup> ففهمه او تصنيفه ضمن اختصاص معين. ومع ان العلم روسكا كان ناجحا في مهمته كدرس للعلوم في المدارس الثانوية فلم يكن متراح الضمير، وبعد فراق العلوم القديمة مدة اثني عشرة سنة عاد اليها ثانية في دراسة ما يسمى كتاب الاحجار لارسطوطاليس، وكان يود متابعة دراسته في هذا الخصوص، ولكن توسع الاسرة ونحو الواجبات الملقاة على كاهله كانت المانعة من تفرغه.

من هذه الحطب ظهرت بعض الدراسات له اذكر منها ودليل المستعدّنات Leitfaden der Mineralogie الفه لطلاب التجهيز عام ١٩٢٠ يحوى جميع ما يلزم ان يعرفه الطالب الثانوى عن هذا العلم الجليل بتبسيط واضح ومع ذلك كان مليا بالموضوع جهد المستطاع، كما اطلعت على النماذج من المقوى التي قام بصنعها لطلابها لابرار الاشكال المنصبة للبولرات الطبيعية: امام الاعين مع ما رافق ذلك من عرض نماذج من المفردات جاذبا للتلميذ الى محبة هذا العلم، علما عن الرحلات المدرسية من اجل المشاهدات الجيولوجية، فضلا عن ذلك فهناك دراسات عن العلوم الطبيعية بالذات كالحبيزات القرية من وجهة التشريح المقارن وعلم الحياة، والمناخات بين علم المستعدّنات والجيولوجيا والكيمياء، وكما ان هناك دراسات اخرى مثل الكتاب الانكليزي من مجال الفلسفة، وبعض تقارير قدمت الى مؤتمرات اللغويين، ومقالات تربوية مختلفة، ومع ذلك تتخلل هذه الفترة التي دامت من ١٩٠٢-١٩١٨ مقالات ودراسات عديدة عائدة لتاريخ العلوم العربية بصورة مدهشة، ولقد اصبحت في الخطاب الذي القاها «ويندريش» تكريما لعلامتنا عند بلوغه السبعين وذلك في عام ١٩٣٧، وهي تبلغ حتى عام ١٩١٨ مائة وثلاثة دراسة<sup>(٢)</sup>.

لقد حدث حادث محزن لم يكن بالحسبان هز حياته هزا مرعبا، ان عمه والد زوجته العلامة الكبير المستشار اطاربرت مركس المار المذكور وقع في حفرة القبر ميتا أثناء تأييد صديق له على قبره. كانت هذه المأساة ضربة كبيرة من اجل العلم، لان هذا العلامة مركس كان يقوم باخراج السفر العظيم لوالا انجيل الاربعة الاسامية، ولا يمكن الثقة باحد لاجرا هذا السفر العظيم الا يوليوس روسكا، وان الدراسة الاخيرة التي انتهت من انجيل يوحنا هي باللغة السريانية ومفسرة بمخطوطة باليمبست Palimpsest وقد عثر عليها في دير سيناء، فكانت تنظر من يتولى اخراجها ايضا الى الطبع بصورة صحيحة. من اجل ذلك منح اجازة لقيام بهله المهمة الشاقة، بيد ان الاجازة لم تكن كافية فلما طالب بالجلد ثانية رفض طلبه، ولكنه في هذه المرة لم يخضع للامر الواقع ولم يقطع عمله، فاستقال منه ومن التدريس بالتاتوى وذلك عام ١٩١٠، واستغنى بذلك عن حقه في التقاعد وعن خذمة عشرين عاما. ولو كان روسكا من امة لا تقدر البحث العلمى لقضى على نشاطه واصبح نسيا منسيا. نعم لقد انسد امامه طريق ضيق، ولكن اتفتح امامه طريق واسع، فآخذ يعمل بما توفى اليه نفسه، وانكب على اخراج السفر المذكور لعمه، وقدم دراسة عن «كتاب الاحجار لارسطوطاليس» كدكتوراه ممتازة<sup>(٣)</sup>، وقام بمحاضرة نموذجية في الجامعة في عام ١٩١١ وذلك عن علم المستعدّنات عند العرب. وعلى ضوء مقارنة المخطوطات العربية واللاتينية تبين لروسكا بأنه يلزم البحث عن اصل هذا الكتاب في مراكز الدراسات الطبية السريانية الآريانية، وكبرهنا لا يقبل الجدل على ذلك وجد معالجة المستعدّنات لما طابع ايراني، وكثيرا ما جاء ذكر ايران وخراسان والمند والصين ككاتب لبعض الاحجار السحرية، ففي بعض الاحيان حسب دراسة روسكا يظهر لنا مؤلف كتاب الاحجار المذكور طبييا قد زاد في ذكر الاحجار التي لها تأثير طبي، وفي الاحيان الاخرى يترامى لنا كانه مؤمن بالاعاجيب، وجميع اخبار الاحجار السحرية وغير ذلك.

berger Oberrealschule mit Realgymnasium, 9.2.1867—12.2.1949.

د. ويندريش: يوليوس روسكا وتاريخ الكيمياء.  
R. Winderich: Julius Runke und die Geschichte der Alchemie, Festgabe zu seinem 70. Geburtstage am 9. Februar 1937. Dargeboten von der Deutschen Gesellschaft für Geschichte der Medizin, Naturwissenschaft und Technik, Berlin 1937.

(٢) هي ما تسمى «هايليتاينديون» Habilitation والتي يحق للمهاجر الترشيح لامتاذية الجامعة.

(١) المصنف الفاضل: نسبة قفاوت في اثر غرة النجر.

(٢) ان ملين هذا الخطاب الآل الذكر، وذكرى ثرود مائة عام على المدرسة الثانوية هايدلبرغ الذي سره اين ملينتا هيلوت روسكا طوس منه المهر الاكترون في جلسة دوللويف، وما امله ان ادرست روسكا رئيس معهد المهر الاكترون في جمعية ماكس بلانك في برلين من الملوات:

هلموت روسكا، ذكرى الأستاذ روسكا

Helmut Runke, Zur Erinnerung an Prof. Dr. phil. Dr. phil. h.c. Julius Runke, Festschrift zur 100-Jahr-Feder der Heidel-

كان روسكا يطرح دوماً على نفسه السؤال الآتي: عن أي طريق أخذ العرب علومهم؟ وكيف انتشرت كتاباتهم وخاصة في الغرب المسيحي اللاتيني الذي كان فقيراً في العلم؟ ولم تكن النتائج التي وصل إليها مرضية، بيد أنه بقي أميناً لنفسه، رغم أن في دروسه في الجامعة لم يعط إلا اللغة العربية للمتدربين ودروسة القرآن. وكان سلفه في تدريس العلوم الشرقية كارل هاينريش بيكر Carl Heinrich Becker الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمعارف، وهو الذي فهم روسكا في رسالته العلمية الجديدة واستدعاه إلى برلين ليتولى إدارة معهد البحث في تاريخ العلوم الطبيعية وذلك في عام ١٩٢٧ والذي توسع في عام ١٩٣٠ إلى معهد البحث عن تاريخ الطب والعلوم الطبيعية تحت إدارة العلامة الكبير باول ديفين Paul Diepgen رئيس الشرف الجمعية الألمانية لتاريخ الطب والعلوم الطبيعية والصناعة والتي في الشرف أن أكون عضواً فيها وإن اشترك في عدة مؤتمرات لها مقدماً إيجازاً تتعلق بتاريخ العلوم الطبيعية العربية.

اتصلت بهذا المعهد قبل توسعه وغالب الظن أنه كان ذلك في عام ١٩٢٩. أما الدافع لهذا الاتصال فهو الحوادث الآتي: كنت أقدم فحوصاً في الكيمياء غير العضوية عند الأستاذ الكبير مانيش Mannich مدير معهد الصيدلة في جامعة برلين، وفي أثناء الفحص سألتني عن إمكان وجود الحديد في العلم، وذكرت له وجوده في ألمانيا وفي أوربا، ولما سألتني عن وجوده في البلاد العربية لم أعرف إعطاء جواب له، لأنني لم أكن على علم في ذلك الوقت، فنصحني أن أهتم أيضاً ببلادي لأن العلم الذي اتعلمه في الغرب يلزم أن تعود فألتمته على بلادي أيضاً ووطنى، فقدمت ترواً إلى مكتبة الدولة في برلين في شارع ونحت ظلال اليزبون "Unter den Linden" وراجعت القسم الشرقي منها والقهرس العام الكبير قسم الموضوعات، فتمرت على بعض المصادر، ولما راجعتها وجدت أن قسماً كبيراً منها من جملة ما أحمله من المصادر، الكتب العربية القديمة مثل والترشميدت، صاحب درواسة مكائن المستعذات في العربية Walther Schmidt, Mineralogienstätten Arabiens والذي أخذ كتاب صفة جزيرة العرب للحظي مصبوراً. فقلت في نفسي إذا كان الألمان يدرسون هذه الكتب القديمة مع صعوبة اللغة العربية من أجلهم، فما إحزاني نحن مشر العرب أن نقوم بمثل هذه الدراسة وهي مكتوبة بلغتنا وليس من الصعب علينا فهمها اليوم رغم تقدم السنين، فالتصفت بمعهد البحث بتاريخ العلوم

الطبيعية وتعرفت على البعثة الكبير في هذا الموضوع، ورئيس المعهد يوليوس روسكا، فقدم في عدة كتب من درواسة ودرواسة غيره، وكان من جعلتها درواسته الفنية عن كتاب الاحجار لارسطوطاليس، فجلبتني هذه الدراسة، وفيها أذكر أيضاً، رغم مرور أكثر من أربعين سنة، بأنني أثناء مروري في حديقة "ثير غارزن" بعد أن قطعت شارع تحت ظلال اليزبون أخذت أقرأ المقلمة فاستهزيت عبارات المؤلف الحكيم فيها فالتفت متابعتها قراءتها رغم أن الوقت أصبح مساء والنور ضئيلاً، ورغم تقدم المعهد على مطالعتها فلا تزال ترن في أذني كأنها الباهرة، وما أنا أقوم بترجمتها إلى العربية:

وليس الاشارة البدوية ولا الأدب الذي نشأ بعد ظهور الاسلام هو الذي جعل اسم العرب لاسماً في الغرب. إذا اردنا أن نفكر بتأثير الحضارة الاسلامية في الغرب المسيحي، فيجب علينا أن نفكر في الرياضيات العربية والفلك والكيمياء والطب، تلك الفروع التي تعلم منها الغرب مجد ونشاط قروناً عديدة قبل اكتشاف العلوم اليونانية، ولا تزال كثير من الظواهر العربية المتداولة تنبثق عن ازدهار العلوم تحت راية الاسلام، وتلقى الغرب المسيحي من الشرق الاسلامي؟ فوزني هذه الكلمات فالتفت على دراسة العلوم العربية القديمة بإرشاد العلماء الألمان، وقد طلب مني الأستاذ روسكا أن أترجم كتاب أحمد بن يوسف التيفاشي القيم من القرن السابع الهجري والرابع عشر الميلادي في القاهرة واصله من مدينة قصبة من أعمال تونس والذي هو بعبارة وزهار الأفكار في جواهر الاحجار، والذي كان يوجد منه عدة مخطوطات في غربا وبرلين والقاهرة. وكان ذلك بعد فترة تأسيس المعهد الكبير في برلين وذلك في عام ١٩٣٢ والذي أصبح يضم معهد تاريخ الطب أيضاً، ومكنت فيه حتى اواخر عام ١٩٣٣، وقمت في ترجمة كتاب التيفاشي المذكور ولا تزال الترجمة محفوظة عندي لم أجده الفرصة اللازمة في تنقيحها ووضع الشروح اللازمة ونشرها، كما قمت بعمل درواسة مطولة عن المستعذات العربية نشرت منها بعض القصص. ولكن بعد ذلك سافقتي الاقدار إلى جامعة برلين، لأن جامعة برلين لم توافق على المزج بين العلوم الطبيعية والصورة والعلوم القديمة رغم ما بذله استاذنا رئيس قسم تاريخ العلوم الطبيعية من جهود، ولعل موت المستشرق المار الذكر بيكر كان السبب في ذلك، فوافقت على هذا المزج جامعة برلين، فحولت وجهي إليها، وهناك قلمت اطروحي عن «منابع كتاب الاحجار لليزبون»،



والثاني عن جعفر الصادق الامام الشيعي السادس، في الكتاب الاول يقول روسكا بان الانسان لا يقدر ان يبنى الصلة ولا ان يبنيها والمصادر العربية هي اوثق من المصادر اليونانية، وما يذكره رواية عن خالد، الشر المأثور:

هو الحجر المصاب بكل ارض  
وفي الاسواق تلقاه حقيرا  
يضمن به الجواد على اخيه  
اذا اضمحى به يوما خيرا

اما الكتاب الثاني فيبنى روسكا علاقة جعفر الصادق بالكيمياء ويعد هذا الكتاب متسحلا ورثم كل شيء يقيم على دراسته بكل دقة وامانة وتزاهة ضميم، وتبقى جميع هذه الآثار كوثيقة هامة في تبيان العمل الجدي والدراسة المتقنة لهذا الحقن التي نحن بأمرس الحاجة اليها. وما يؤسف له حقا ان مخطوطات جابر لم تخرج الى النور على الطريقة التي قام بها علامتنا المذكور مع الترجمة والشرح لطضع باب البحث على مصراعيه في هذا الخصوص<sup>(١)</sup> لان الدلائل تشير على وجود كيمياء عربية في القرن الثاني الهجري، والشامن الميلادي رغم وجود زيادات متعثرة.<sup>(٢)</sup>

ان الصعوبة هنا في معرفة الترجمه الصادق في الكيمياء، لدى دراسي الاماكن التي تنوه بجعفر في الكتب المنسوبة الى جابريين ان هذه النصوص ليست في العمليات الكيميائية بل بالارشادات الدينية، ولدى فحص المذهب الجعفري حسب الوثائق المتواترة عنه، نجد التوافق فيما يذكره جابر عن اسمائه في الارشادات الدينية فذهب جعفر<sup>(٣)</sup>.

(١) ان ما قام به باول كراوس في اخراج مخطوطات جابر لا يتجاوز بنفسه استنباط كيفية وتحتاج الى دراسات جديدة، من اجل ذلك لا يمكن اصلا الحكم النهائي الا بعد اخراج جميع المخطوطات المنسوبة لجابر على الخط الذي اخرج به روسكا مخطوطاته. اما الاحكام الجنبية على غير ذلك فلا يمكن ان تكون لها قيمة الا بعد معرفة النصوص بدقة تامة.

(٢) راجع كتابي الامام الصادق عليهم الكيمياء ودراسات المنو منها سابقا، وقد روى روسكا عن ابن خلدون:

هو بحث هذا العلم في اللغة ... وعنه ظهور ثلاثة من التصويف وجزئهم الى كشف حجاب الحشر وظهور التواريق على انبيهم والتصرفات في عالم المتعصر وتكونون الكتب والاستفسلات ومزاعمهم في تنزل الوجود من الواحد وتزيينه، وزعموا ان الكمال الانساني بظاهرة ارباب الفتنة والكرابك وان طالع الحروب واسرارها سارية في الاسماء فهي سارية في الاكوان من لدن الابداع الاول تنقل في الطوبى وترب عن اسرارها، فعملت لذلك علم اسرار الحروب وهي من تقارير علم السحريات.

(٣) اني في اقل من علاقة آكيتة بين جعفر الصادق وجابريين سنان، بل ذكرت انها ممكنة وذلك في الارشادات الدينية، انظر كتابي الامام الصادق عليهم الكيمياء وبه الكيمياء العربية، للمصادر المتقنة، وهكذا يقع في هذا

مع مواد التخصص علم المستعندات والعلوم الاسلامية والفلسفة، وهكذا لم اقلص صلبى بالعلوم العصرية ابدا.

حدثت ثانية الى برلين وذلك في آخر عام ١٩٣٥ واتصلت بمعهد تاريخ العلوم الطبيعية ثانية وعندما قدمت للاستاذ روسكا اطروحتي والتي فيها تعليق على كتابه الاوهو كتاب الاحجار لاسطوطاليس هتاني ورجب بدراسي، وفي حقه يطبق وما تؤثر عن الامام الشافعي قوله المأثور: واذا كنت في مجلس لا ابالي ان انطق الله الحق على لساني اولسان خصمي. اخذت بعد ذلك بدراسة مؤلفات روسكا وخاصة المتعلقة بتاريخ الكيمياء. ولقد قام هذا العلامة بكشف جديد في هذا المضمار، ففي ربيع ١٩٣١ عندما كان مقبلا في غوتينغن عثر على مخطوطة من الاسرار لارازي، ولكن قسما من هذه المخطوطة وترجمتها الى اللغة الالمانية لم تظهر الى النور الا في عام ١٩٣٥ العام الذي عدت فيه الى برلين، ولعل هذا الكتاب الذي اخرج به روسكا هو من اهم الاعمال التي قام بها لكشف الثقب عن تاريخ هذا العلم، لان هذا الكتاب هو كتاب تجارب محضمة بعيد عن الطلامس والميلالات والالغاز، ولم اتوفى لدراسه نظرا لتقصير المدة التي يقبها بعد ذلك في ألمانيا واشغالي في امور غير تاريخ الكيمياء وسفري ايضا الى الوطن وزيارتي مناطق اسكندنافيا، ولكني قمت بشيء من هذه الدراسة عندما التقيت في معهد البحث في تاريخ العلم الطبيعية التابع لجامعة مونيخ في الصحف الالمانية سلسلة من المحاضرات عن تاريخ الكيمياء العربية في صيف عام ١٩٦٧، بعد ان فرغت من زيارتي للمعاهد العلمية الالمانية بدعوة من التبادل الاكاديمي الالمانى في باد فودسبرغ. وكان جل اهتمام المعهد بالمواد التي كان يعرفها الاوائل من العرب والعمليات التي قاموا بها.

اما الطلامس والسحر التي وردت عند المؤلفين القدي قد كان اهتمام المعهد بها قليلا، لان هذا المعهد التابع للمتحف الالمانى المذكور يهتم بتطور العلوم من الوجهة الواقعية، اما الامور الاخرى فهي خارجة عن نطاق اختصاصه. وقد استمتعت بالقاء هذه المحاضرات على دراساتي في المخطوطات القديمة ودراسات روسكا وكذلك دراسة ايلهارد ويدمان عن الكيمياء عند العرب: Eilhard Wiedemann, Zur Chemie bei den Arabern, Beitr. z. Geschichte der Naturwissenschaften XXIV., Erlangen 1911.

وما يخص تاريخ الكيمياء فقد اخرج روسكا كتابين: الاول عن مشكلة خالد بن زيد بن معاوية واشتغاله في الكيمياء وخاصة الكتاب المنسوب اليه كتاب القواطيس،

الأرض ليس الا صورة عالم السماء، وهنا نكون في المراكز الطبية السريانية القاصية وفي المدن الكبيرة في الشمال والشرق من المملكة الساسانية وفي الطرقات المؤدية الى شعوب آسيا المركزية. ومن هناك كانت تنصب منذ القرن الثاني الهجري والثامن الميلادي تيارات من الفلكيين والمؤمنين بالمشاير الفلكية (النسجيين) والأطباء والكيميائيين فقد كانت هذه المراكز المحرقات الفكرية للحضارة الاسلامية.

ان دراسة تاريخ التشاير افضى بعلامتنا بصورة اضطرابية الى دراسة جابر بن حيان ذلك الغز في تاريخ الفكر الاسلامي، في البدء اقصر روسكا على مطالعة ما اخرجته برتولت Bertholet من كتب السبعين المشوهة، وفي مجرى عمله استلم بناء على رجائه من البحاة في تاريخ الطب الاسلامي ماكس مايزوف في القاهرة (٨) صور مخطوطات جابر التي اقلت انواراً كشافة على هذا الموضوع، وقد كانت هذه المخطوطات مشحونة بجانب المعالجات الكيميائية والصناعية بالأفكار الفلسفية، وكانت الفكرة العامة عند جابر مشكلة العلية ويراها في فهم النظام وان الاختلافات الكيفية في الكون ترجع الى الكمية (٩).

لمعرفة دور الكيمياء في القرون الوسطى الاوربية افضى به البحث عن كتاب ما يسمى بصراع الحكماء Turba Philosophorum والذي كان معروفاً في عالم الغرب في القرن الثاني عشر. ولكن لم يفظن احد بقيمته، ولكن روسكا برهن انه ترجمة لاصل عربي، وان الاساس التي وردت فيه والتي كانت غير مفهومة في النقل تشير الى الاعتراف بالاسلام وذكر السورة ١١٢ من القرآن الكريم **وقل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد** (١٠).

لقد وجد في هذا الكتاب اساس يونانية محرفة، وكانت بعد معرفة التشويش الذي حصل في النقل اساسي فلاسفة اليونان امثال انكسمنطوس وكسينطون واميدوقليس وغيرهم، كما وجد بعض اساس مستعندات مثل غادانيا (غاديا

ان في اخراج كتاب الكيميائيين العرب رقم ٢ Arabische Alchemisten II, Heidelberg 1924 اي الكتاب المنسوب لجعفر الصادق صد به روسكا فراغا كبيراً، رغم انه نفي تماماً علاقة الامام بالكيمياء. ويوجد روسكا الصعوبة في فهم الكيمياء القديمة لخفاها بالرموز، وتسهيل الموضوع اخرج بالتعاون مع ابلهارد ويدمان J. Ruska-Eilhard الكيميائية Wiedemann, "Alchemistische Decknamen", Sitzungsberichte der phys.-med. Sozietät Erlangen 1924, 56، ومما وجهه انه يوجد للاسم الواحد عدة اسماء مستترة كالنشايد مثلاً الذي يسمى العقاب والطير الخراساني وللحج الطائر ويصاق الاسد وغير ذلك، وكذلك الامر في الزئبق وغيره.

الثام بحث روسكا بتاريخ النشايد وجد النص الاصل لكتاب اللوح الزبرجدي Tabula Smaragdina والذي كان معروفاً في ترجمته اللاتينية، ويعتبر هذا الكتاب كتاباً مقدساً من اجل الكيميائيين القدامى، وان يحره لا يمكن ان يستغنى عنه اي طالب لصناعة الكيمياء. وان آخر كتاب له اثر في الاخلاق الهرمسية، ولكن هل هذا الكتاب من اصل عربي؟ وهل انضل بعد ذلك الى اليونانية ووصل عالم الغرب عن طريق اللاتينية؟ ولقد حل هذا السؤال جال روسكا مسافة قرنين من الزمن في تاريخ الكيمياء ووجد ان هذا اللوح الزبرجدي في صيغته الاصلية هو ثمرة نهاية مخطوطة تبحث في الكون، وقد جاء ذكره ايضاً في اسفار جابر، وينسب تفسير اسرار الخلقية وحلل الاشياء الى بلينوس الطواني Apollonios von Tyana (٧) ولم يعرف ان هذا العالم الفيشاغوري اشتغل بالكيمياء. اما فكرة تأثير الطوائف على السلفيات والكواكب فيازم ان تكون ضمن الحضارة المصرية اليونانية، وبذلك نصل الى الفكرة القديمة بأن العالم

انما وارتين بلسه في مجلة المستشرقين الالمانية انظر:

Martin Plessner, Gābir ibn Ḥayyān u. die Zeit der Entstehung der arab. Gābir-Schriften, ZDMG, Bd. 115, Heft 1, 1965.

(٧) ابلوقليس الطواني: عاين هذا المفكر اليوناني في عام (١٠٠ ب. م.). وقد جاء ذكره عند علماء الاحبار في ذكر حال الاحبار، راجع مقال في مجلة المجلات الاثرية السورية، ج ١٥، ١٩٦٥.

M. Y. Haschemi, Die griechischen Quellen des Steinbuches von al-Beruni, Les Annales Archéologiques de Syrie, Damas 1965, Vol. XV, Tom II, p. Vgl. W. Windelband, Lehrbuch der Geschichte der Philosophie, Tübingen 1935, p. 179, J. Ruska, Tabula Smaragdina, Heidelberg 1926, p. 164.

(٨) عن تاريخ حياة هذا البحاة في تاريخ الطب العرب والذي عاش في القاهرة كطبيب لعين، وتوفي فيها عام ١٩٤٥، راجع مقال جيزلا كيرشر، **والاكتات وتاريخ الطب العربية**، فكر ولن ١٣، ص ٥٤/٥٣. J. Ruska, Turba Philosophorum, Quellen und Studien ٩. x. Geschichte der Naturw. und der Medizin, Bd. I, Berlin 1931.

(١٠) وقد وجد تاليف روسكا يالو كرايس هذا الكتاب اسمايانية، وقد قلنا في الرد عليه في كتابنا: **الامام الصادق علم الكيمياء**، المصدر المتقدم، لما به الكيمياء في الحضارة العربية فيازم ان تكون قبل القرن التاسع الميلادي، انظر المصادر السابقة.

— (الأحمد)، بورتيوس (حجر القداح)، والسلسلوس (كبريت الزرنيخ) وغير ذلك. ولم يكن التفسير عن طريق الكيمياء اليونانية بل العربية، ويشير أيضا إلى رموز عديدة في هذه المخطوطة وإرشادات عملية عديدة. وكل هذه الدراسات هي في الحقيقة مقدمة للدراسة الرازي.

ان العمل العظيم الذي قام به روسكا في تاريخ الكيمياء العربية هو اظهار كتاب سر الاسرار الرازي الموجود بصورة غشوية في مكتبة غوتينغن الى ضوء النهار وترجمته الى اللغة الالمانية مع التفسير والشرح، وبذلك يلقى انوارا كاشفة على هذا الموضوع بصورة واضحة جلية. وقد كان قد انتهى روسكا من هذا السفر الكبير بصورة غشوية قبل سنوات من بلوغه سن السبعين وذلك في عام ١٩٣٧. ولقد تعاون كل من دار نشر بيلوس شيرنر Julius Springer في برلين ومعهد دراسات تاريخ الطب والعلوم الطبيعية في نفس المدينة لاخراج هذا السفر الرئيسي الرازي مترجما الى اللغة الالمانية، وقد سبق ذلك مقال نشره في مجلة الاسلام الالمانية (عدد ٢٢-١٩٣٥ ص ٢٨١ - ٣٧١) بعنوان «الكيمياء عند الرازي»، وكذلك اخرج فصول ثلاثة من كتاب الرازي المذكور، وكتاب الشبوب (جمع شب) والاملاح والسفر الاسامي للكيمياء<sup>(١٠)</sup>. وتكرما لعلامتنا اخرجت دار النشر المذكورة الترجمة الالمانية الكاملة مع الشروح والتفسير لهذا الاثر عند بلوغ روسكا السبعين وذلك في عام ١٩٣٧<sup>(١١)</sup>.

وإذا كرر روسكا نفسه في مقدمة كتاب الرازي الاخير ما يلي: «ويظهر ان جميع مصادر الكيمياء من مواد وآلات ومنهج واعمال والمصادر اللاتينية لجير Geber<sup>(١٢)</sup> يمكن ارجاعها الى مصادر كتاب الرازي (سر الاسرار)».

نم ان بعض النتائج العلمية التي اتى بها روسكا قد تبدلت اليوم، وتبين ان الكيمياء العربية هي من تاريخ اقدم

(١٠) الكيمياء اللاتينية المتأخرة: Das Buch der Alaune und Salze. Ein Grundwerk der spätmittelalterlichen Alchemie, Berlin 1935, Verlag Chemie.

(١١) Al-Razi's Buch Geheimnis der Geheimnisse, Quellen und Studien z. Geschichte der Naturw. u. d. Medizin, Bd. VI, 1937, Berlin, XII.

(١٢) تختلط نصوص الكيمياء في مخطوطات جابر بن حيان العربية عن ما تواتر من جابر وجيبر من المخطوطات اللاتينية في الكيمياء، ويرجع روسكا هذه النصوص الأخيرة للرازي. يبد أن هيلارد يشير بأن مصادر جابر اللاتينية هي ليست من كتب جابر بل ما دونه المأخوذ من جابر، راجع مقال هيلارد عن الكيمياء في التردد الأصول الإسلامية، أطروحة التعليل المقدمة لجامعة لندن ١٩٥٤.

R. J. Holmward, Alchemy in medieval Islam, Endeavour, Vol. XV, 55, July 1955. M. Taslimi (Tildaki) Thesis aproved for the Ph. D. degree University of London 1954.

ما كان يظن، حتى انه من المحتمل ان تكون شخصية جابر شخصية حقيقية عاشت في ذلك الزمن المتأخر اى القرن الثاني للمجرى والثامن الميلادي، نظرا للمخطوطات العديدة المكتشفة حديثا<sup>(١٣)</sup>. حتى ان انتحال كتاب ارسطوطاليس قد عرفه محمد بن احمد البيروني من القرن العاشر والحادي عشر الميلادي، اذ يقول في كتابه البحار في معرفة الجواهر (جابر آياد ١٣٥٥ هـ) ص ٤١: «وفي كتاب الاحجار المنسوب الى ارسطوطاليس (لما اخذته الا منحولا عليه) انه ربما اتفق في الياقوت نكتة فاضلة الحمرة على سائرهما فاذا نفخ عليه في النار انبسطت النكتة فيه فزادته حسنا وان كانت سوداء ذهبت بعض سوادها». وهذا النص مع بعض الاختلافات موجود ايضا في كتاب الاحجار لارسطوطاليس الذي نشره وترجمه روسكا (ص ٩٩، ١٣٥). وهناك في الحقيقة بعض المناهبات بينها تواتر من ارسطوطاليس الفيلسوف المعروف وكتاب الاحجار المنسحق. ان النتائج متبدلة دوما، ولكن البحث العلمي التريه باق الى الأبد، ويقم هذا لروسكا وامثاله نصبا تذكاريا خالدا لا يقضى عليه تعاقب الایام ومر الاعوام، وينطبق هنا وما تواتر عن الشاعر الالمانى ليسنغ، Lessing:

ولا ينسهر فضل الانسان في امتلاكه للحقيقة... وانما فضله في الجهد الذى يبذله مخلصا في السعى اليها، ولا تنمو ملكات الانسان بامتلاك الحقيقة، بل بالبحث عنها، وكما له المتزايد ينحصر في هذا وحده، بل ان امتلاك الانسان الشئ يميل به الى الركود والكسل والغرور. ولوان الله وضع الحقائق كلها في يمينه ووضع في شماله شوقنا المستمر اليها وان اخطأناها دائما ثم خبرتي لسارعت الى اختيار ما في شماله، وقلت - يا ابانا؟ رحمتك، ان الحق الخالص لك وحده». وهذا يوافق دعاء المسلمين في صلواتهم من سورة الفاتحة: «اهدنا الصراط المستقيم»، ويؤثر عن محمد اقبال في هذا الصدد قوله: «انى اصبحى باليقين المطلق في سبيل الشك لأنى شجيد البحث». بقيت علينا ناحية واحدة لا بد لنا في ختام ذكرى هذه الشخصية الفذة من التنويه بها الا وهى تربية اولاده، فيقول عنه ابنه هيلموت ما على<sup>(١٤)</sup>.

Fuad Sezgin (Frankfurt/M), Das Problem des Gelehrten Ibn Hayyān im Lichte neu gefundener Handschriften, ZDMG, 114, 1954, S. 255-68.

(١٣) راجع مقال من المصادر اليونانية البيروني، المصدر المتقدم (مجلة الحيليات الأثرية السورية).

(١٤) ذكرى روسكا، المصدر المتقدم. (هيلموت روسكا)

الحامسة في تقدم الحياة. وان تنفيذ مثل هذه الامور بحكمة وروية هي من الواجبات الاولى للمجتمعات الانسانية». ان فكرة الدقة هذه اوردتها يوليوس روسكا لابنيه كل من ارنست واخيه الاصغر هيلموت. فاصبح الاول اليوم مدير معهد المجهز الالكترونى في جمعية ماكس بلانك<sup>(١٠)</sup> في برلين والثاني مدير معهد الفيزياء الحياتية والمجهز الالكترونى في جامعة دوسلدورف. وليست هذه المرة الاولى التي توقظ العلوم الفكرية البحتة العلوم الانشائية الحديثة، فلقد تطلعت ايضا جهود سابقة، فاذا كانت جهود روسكا مزيجاً من العلوم الانشائية والفكرية، فهناك من كانوا من العلوم الفكرية المحضة وكانوا مع ذلك السبب في تقدم العلوم الواقعية، فان الباحث على تشكيل جمعية الامبراطور ويلهلم والتي اصبحت فيما بعد جمعية ماكس بلانك هو ويلهلم فون هومبولت الديبلوماسى والعالم اللغوى والثرى الكبير، وان اول رئيس لهذه الجمعية كان العالم اللاهوتى ادولف فون هارناك Adolf von Harnack ومع ذلك فقد كانت هذه الجمعية الباحثة على تقدم العلوم الانشائية بصورة مثالية.

يجدر بنا ان نختتم ذكرانا لعلامتنا يوليوس روسكا بكلمة للجاسط، ذكرتها ايضا في ختام محاضرتي عن علم الحياة عند الجاسط في مؤتمر تاريخ الطب الدولى العشرين الذى انعقد في برلين،<sup>(١١)</sup> تمييزاً عن التقدم المستمر الى الامام: «ينبى ان يكون سيلنا لمن بعدنا كسيل من كان قبلنا فينا، على اننا قد وجدنا من العيرة اكثر مما وجدنا، كما ان من بعدنا يجد من العيرة اكثر مما وجدناه».

هكذا انمخص هذا العالم التحرير والمحقق القدير عينيه في الثانى عشر من شباط عام ١٩٤٩ الى الراحة الابدية. ويصادف الآن مرور احدى وعشرين عاماً على وفاته، ولكنه سيبقى خالداً الى الاجيال القادمة طالما هناك دواست جديدة في تاريخ العلوم العربية.

(١٠) عام ١٩٦٦.

Biologie bei al-Dehazik, einem arabischen Naturphilosophen aus dem IX. Jahrhundert.

ولقد نشرت هذه المحاضرة ايضا باللغة العربية فقط. المجلس الاوّل للملوم في اسبوع العلم التاسع (مهرجان الجاسط) دمشق ١٩٦٨.

ولقد كان ابونا الكثير الانشغال، من اجلنا نحن الاولاد غرقاً في غرفة دراسته، ورغم ذلك فقد كنا نقوم بصحته بالترمة في ايام الاحاد وفي العطلات بصورة كافية، وكذلك كنا نجري بعض المباحثات في ابيولوجيا وعلم المستعدانات والنبات، وكان التاريخ وما قبل التاريخ من المواضيع المحببة اليانا. اما قيام والدنا في مراقبة بعض الواجبات المدرسية فلم تكن عبية لدينا. وكانت تثار في بعض الاحيان بينى وبين اخى مناقشات حادة، ولكن وجودنا حول طاولة الدراسة للوالد كانت تسكن من حدة هذا التوتر وتهدئ الزوبعة الفكرية. وفي مقال نشره والدنا عن البهد المتوى لتأسيس المدرسة (في هابيلبرغ) ذكر انه استعمل المجهز المبدع في احدى خزائن المدرسة. ولم تلع لي الفرصة بالقيام بالتجارب المكروصكوبية مع والدى، ولكن الاستاذ لاير Leibner دربنا على تمارين فحص الانسجة والخلايا لاداء الفحص التمهيدى للطلب. وعندما اظهرت لوالدى رغبتي للحصول على مجهز حقن لي هذه الرغبة على الفور. وبعد عشر سنوات من ذلك كنت اتمرن على المجهز الالكترونى لاخى ارنست Ernst ولصهرنا بودوفون بوريس Bodo von Barries في مختبرات سيمنس — هالسكر (الشركة المساهمة) Siemens-Halske AG. للفحص الحياتى. ثم يتابع قوله: «هناك شكايات عديدة من اجل اصلاح المدارس، وكان والدى من اولئك المصلحين، وكان يتطلب ثقافة في العلوم الطبيعية في المدارس بصورة كافية، رغم انه كان من الملتزمين الى الثقافة الانسانية (للأوائل)، والتاريخ، وعلم اللغات (بجانب العلوم الطبيعية)، وكان على يقين بأن المواهب النادرة في جميع الفروع لابد من ان تتضمنها ثقافات في العلوم الطبيعية المحضة. لقد تعلمنا في البيت احترام المدرسة وجهود المعلم، ولقد تربينا على ان نكون بنشاط دائم لقيام باعمال فريدة داخل المدرسة وخارجها، وكان والدى يعطى الحرية لنا في اختيار الاختصاص الذى كنا نصبو اليه، وان لم تكن هناك وظيفة براتب تلأهب خطاطنا. تربينا ايضا على لزوم التعاون بين البيت والمدرسة، وتعرفت بدفع مواهبنا الى الامام بدءاً من المدرسة حتى الى المواقف

# كَازِلْ بَرُوكْلَمَنْ

(١٨٦٨ - ١٩٥٦)

بقلم: الأستاذ يوهان فوك

الذي كان قد ألف كتاب قواعد لتاريخ لهجة مكلنبورغ  
أثار حماس بروكلان الشديد للدراسة الألمانية السفلى، بحيث  
ظل طيلة حياته ينتاج باهتمام شديد مراحل التقدم في هذا  
الحقل. ومع هذا الحب الشديد للوطن كان يتمتع بحب  
غريب للاقطار البعيدة كانت تغلبه قصص الرحلات  
الاستكشافية في أجزاء العالم المجهولة بحيث نشأت في نفس  
العصى رغبة ملحة في أن يحوب العالم سواء كطبيب بحري  
أو مترجم أو مبشر. وكان هذا هو الدافع الذي حمله به  
إلى الاستماع إلى درس العبرية الذي كان يعطيه نيرغر؛  
وقد ذكر بافتخار أنه استطاع في امتحان الشهادة الثانوية  
النهائي أن يترجم مقطعاً غير مشكل من سفر عاموس (العهد  
القديم) دون أي إعداد سابق. وتعرف في المدرسة أيضاً إلى  
لغة الكتاب المقدس الآرامية وإلى السريانية كذلك. وحين  
التحق بجامعة روستوك بعد عيد الفصح عام ١٨٨٦ قرر  
أن يدرس اللغات الكلاسيكية والتاريخ إلى جانب  
الاستشراق. وكان مدخله إلى العربية والآشورية والقواعد  
المقارنة للغات السامية على يدى المستشرق فريدريش فيلهلم  
مارتن فيلهي، F. W. M. Philippi. وبدافع من فيلهي  
ذهب بعد عيد الفصح من عام ١٨٨٧ إلى بريسلاو للدراسة  
على فرانتز بروجويوس Frns Praetorius الذى كان عالماً  
ممتازاً بلغات الحبشة. وحده زيموند فريكل S. Fraenkel  
لغة التلمود. وراح يدرس اللغة التركية التي كان تدرسيها  
لا يزال نادراً في ألمانيا، راح يدرسها لوحده.

وحسب نصيحة فيلهي وبروتيوريوس مضى بروكلان في  
عام ١٨٨٨ إلى ستراسبورغ للدراسة على يدى تيودور  
نولذكه. وإلى جانب ذلك راح يدرس الفلسفة  
والألمانية لدى عالم اللغات الإنثو - جرمانية هاينريش  
هوبمان Heinrich Hübschmann. وجدته كذلك  
دراسة الحضارة المصرية القديمة فراح يحضر محاضرات  
دوميشن Dümichen، الذى كان عالم آثار بالدرجة الأولى

لم يكن من طبع بروكلان أن يثير ضجة كبيرة حول نفسه  
وأعماله، فمتلما احتفلت جامعة هاله عام ١٩٤٨ بعيد  
ميلاده الثمانين وذكرت في تهنيتها له بجليل أعماله في  
خطة الاستشراق، أجاب مذكراً الحاضرين أن مصير  
جميع الأبحاث العلمية أن يتوقف عليها تقدم المعرفة  
العلمية وقال إن المادة هي أنه بعد مرور خمسين عاماً  
على وفاة الباحث يصبح كل ما كان صحيحاً ثابتاً من  
أبحاثه تراثاً عاماً للبحث العلمى، بينما تذهب أخطاؤه  
ضحية للنسيان. إن مثل هذا الرأي يبدو مفاجئاً حين  
ينطق به رجل أعقد عليه بالوافر الكثير من آيات التقدير  
والاعتبار - فقد كان عضو شرف في جمعية المستشرقين  
الألمانية والجمعية الآسيوية الملكية والجمعية الآسيوية  
والجمعية الشرقية الأمريكية والجمعية القوية الأمريكية،  
كما كان عضواً نظامياً في أكاديمية العلوم السكسونية،  
وعضواً مراسلاً لسلسلة من الأكاديميات والجمعيات  
العلمية، ومنع عام ١٩٥١ الجائزة الوطنية من المرتبة  
الأولى - ومع ذلك فإن رأيه ذلك كان مميزاً لموضوعة  
الصداقة الخالصة من أى وهم إلى كان بروكلان ينظر بها  
لأعماله الخاصة ولأعمال غيره أيضاً. ولذا فن الضرورى  
لكي نفهم قوة فاعليته أن ننشئ دوماً للعلاقة الداخلية التي  
كانت تربط عمله الفردي بكل مستوى من مستويات  
البحث العلمى، وخاصة أنه شهد ثلاثة أعمار بشرية تقريباً  
وأنه كان منذ الثمانينات شاهداً على الازدهار الكبير الذى  
مر به الاستشراق.

ولد بروكلمان في السابع عشر من سبتمبر من عام ١٨٦٨  
لعائلة ميسورة متبررة من طبقة التجار في مدينة روستوك.  
وقد أعزى ميله العلمية لأمه، التي كانت امرأة خصة  
الفكر عرفت بتركيز الأدب الألماني. وظهرت موهبته للغات  
بسرعة في المدرسة الثانوية ولاقى تشجيعاً خاصاً من مدرس  
علم اللغة الألمانية ك. نيرغر K. Neger. وأثار نيرغر،

5. 1. 1. Halle  
 الى العلامة الجليلي صلاح الدين المنجد  
 سيدي العرش بعد التحيات والاعتراير فقد تفضلتم  
 برسالي كتاب فطائل الشام وذو مشق للرب وقرع عني  
 بتحقيقه ونشره فاشكره بقرائه واستندت من  
 اعلايته المصحة فتفضلوا بقبول شكري على المنهج  
 الجليلي على احب العالم العربي وذوهم بالخير  
 الخاص  
 Broekmann

Halle 1. 1. 1. Halle

العلامة صلاح الدين المنجد  
 تحيات طيبات  
 واشكركم خالص الشكر على انكم انبأتموني بوصول كتابي  
 الاستاذين الجليلين محمد كرم علي في المذكرات واحد  
 امين في حياتي فاني ما ايتها الي الان كالكثير الكتب الجديده  
 الخارجة عن المطابع المصنوعه والشاعية وجزى الله عناكم ان اقرأها  
 واضيف بضعة اسطر عنها الى دوايخ في التراجم الشخصية  
 حسب العرب فان تفضلتم بارسالها الى شكرتكم خالص الشكر  
 فدمتم بخير وتقبلوا خالص الاعتذار  
 الخاص  
 Broekmann



*Brockhaus*

المشتق كارل بروكلمان

أشياء كثيرة لا تهم أغلب المحتاجين له ولا تفيدهم. وفي فترة قصيرة جداً لا تتجاوز الثلاثة أعمار استخرج بروكلمان مفردات «هيشناه» و«أفرا» و«أفرمه» وراح يقرأ نصوصاً كثيرة غيرها ليتم عمله. وتكسب الشروح والتعليقات هذا المؤلف قيمة خاصة حيث أنها تستند جميعاً إلى جمع من عمل المؤلف الخاص. وظهرت ميوله اللغوية في بعض الإشارات الخاصة بتاريخ المفردات وتطورها. وفوق ذلك فقد أفرد فهرساً لائتياً سرانياً. وساهم كل ذلك في تفضيل الكتاب من الناحية العلمية على قاموس J. Bruns, Dictionarium Syriaco-Latinum الذي صدر في الفترة نفسها في بيروت.

وقبل أن يطبع المعجم السرياني Lexicon Syriacum في شهر شباط من عام ١٨٩٥ طلب إدوارد زانخاو Eduard Sachau من بروكلمان أن يساهم في العمل على مؤلف ابن سعد الضخم وأن يسافر إلى لندن واستانبول للدراسة المخطوطات المتعلقة بذلك. وهكذا سافر في شهر أغسطس عام ١٨٩٥ إلى لندن وانتقل من هناك في شهر سبتمبر إلى باريس ومرسيليه وأثينا وأزمير ومن ثم إلى

بميت أهل علم اللغة. وقد أسف بروكلمان كثيراً لعدم عثوره على استاذ قدير في هذا الحقل، إذ أن العلاقات القائمة بين اللغات السامية ولغات شرق وشمال أفريقيا ظلت تشغله طيلة حياته. واشترك كذلك بتأليف قراءة النقوش التي كان يديرها مدير مكتبة جامعة ستراسبورغ فيما بعد، يوليوس أوتينغ Julius Buting، الذي كان أحسن عارف بتاريخ الكتابة السامية وخيراً ممتازاً بالنقوش.

وفي شتاء عام ١٨٨٩ وضع نولده مسابقة كان الواجب فيها دراسة العلاقة بين «الكامل» لابن الأثير و«أخبار الرسل» والملوك للطبري. واستطاع بروكلمان أن يحل هذه المسألة ونال في التاسع من أبريل عام ١٨٩٠ درجة الدكتوراة في الفلسفة. وبعد ذلك بقليل فاز في امتحان الدولة — وكان قد حضر في ستراسبورغ كذلك محاضرات عالمي اللغات الكلاسيكية ليو Leo وكايل Kaibel، وعالم الآثار أ. ميشائيلس A. Michaelis، والمؤرخين ك. ي. نيمان K. J. Neumann وباريل شيفر-بريشتورست Paul Scheffer-Boichorst وباومغارتن Baumgarten وكذلك الفيلسوف فنلاند Windelband، وبدأ يعمل منذ أول أكتوبر في المدرسة الثانوية الإنجليزية في ستراسبورغ كمساعد مدرس. وإلى جانب ذلك واصل دراساته العربية ونشر عام ١٨٩١ يدافع من نولده الترجمة الألمانية للجزء الأول من ديوان ليد التي أمّاها انطون هوبر Anton Huber قبل وفاته المبكرة، ثم أصدر الجزء الثاني من الديوان بالفرنسية والترجمة استناداً إلى العمل التحضيري الذي كان قد أعده هوبر وهانريش ثوريكه H. Thorbecke.

ولم يدم عمله في المدرسة الإنجليزية طويلاً؛ وبما أنه لم يكن يرغب في العمل في مدرسة خارج ستراسبورغ، فقد قرر العمل في التدريس الجامعي، فذهب في نهاية عام ١٨٩٢ إلى بريسلاو وحصل على درجة الكفاءة للتدريس الجامعي في ١٨٩٣/١/٢٨ بدرجة تاريخية أدبية عن مؤلف ابن الجوزي التاريخي.

وفي هذه الأثناء كان بروكلمان قد جمع نشاط كبير مادة لأول مؤلف كبير له وهو المعجم السرياني Lexicon Syriacum. وكان تأليف قاموس السريانية آنذاك مهمة مطولة: فقد كان المعجم السرياني لكاسيولوس Castellus المطبوع عام ١٧٨٨ قد نفذ منذ زمن طويل وأصبح قديماً، كما أن معجم المفردات السريانية Thesaurus Syriacus الذي كان في سبيله إلى الطباعة منذ عام ١٨٦٨ لمؤلفه ر. بين سميت R. Payne Smith، كان يحتوي

استانبول حيث أمضى الشتاء هناك. ولم يتم بتفصيل ما كلف به فحصب، وإنما نقل نسخة من عين الاختبار لابن قتيبة وأدخلها معه. وفي نهاية شباط (فبراير) عام ١٨٩٦ عاد بطريق البر إلى بريسلو.

واهتمت أكاديمية برلين بطباعة مؤلف ابن سعد، وظهر المجلد الثامن الذي اشتمل عليه بروكلمان عام ١٩٠٤. أما أمر إصدار نسخة عين الأخبار فقد كان عليه أن يتعهد به بنفسه ووجد في شخص إ. فيلبر E. Felber في فابار ناشراً كان مستعداً لتكليف النشر إذا ما ترك له بروكلمان في الوقت نفسه أمر كتاب آخر كان تصريفه بعد بأكبر من مثل هذا الفن العربي الذي لن يعم إلا عدداً قليلاً من المكتبات والاختصاصيين. وكان هذا هو الدافع الخارجي لتأليف ذلك الكتاب الذي احتملت عليه شهرة بروكلمان العالمية وهو تاريخ العرب العربي (GAI.) Geschichte der arabischen Literatur وكان قد رسم الخطة لتأليف ذلك العمل منذ زمن طويل. وكان يعلم أنه كان من المستحيل إزاء المستوى الذي بلغه البحث العلمي آنذاك أن يتمكن المرء من عرض مجرى التطور الداخلي للأدب العربي والمؤلفات العربية، ومع ذلك فقد كان عدد النصوص المطبوعة بمقارنتها بمجموع المؤلفات العربية عموماً ضئيلاً لا يذكر، والأكل من ذلك هو عدد تلك المؤلفات التي جرى تحقيقها ودراساتها فعلاً. وإلى جانب ذلك ظهر بغضه لجميع المؤلفات المتعلقة بتاريخ الأفكار التي تستقر على الأساس الفئوي الثابت. وهكذا فقد قرر كشرط لا غنى عنه لجميع الأبحاث والدراسات المقبلة للأدب العربي والمؤلفات العربية أن يقدم عرضاً كاملاً لجميع المؤلفات الإسلامية باللغة العربية المتوفرة حتى الآن مع استبعاد المؤلفات الصادرة باسماء منفصلة والتي لا تحمل تاريخاً لتأليفها، مع إثبات جميع المخطوطات والمطبوعات وتبيان أماكنها وإعطاء نبذات مختصرة عن سير مؤلفيها. وفي عام ١٨٩٧ صدر النصف الأول من المجلد الأول، وفي عام ١٨٩٨ تلاه النصف الثاني، وفي ١٩٠٢ صدر المجلد الثاني وتم المؤلف بذلك.

إن ما مكن بروكلمان من القيام بهذا المشروع المائل وتنفيذه حسب خطة مدروسة وفي حدود ما يمكن تحقيقه عملياً هو ذاكرته الممتازة التي كانت تحفظ بأمانة كل ما كان يقرأ - وكان يقرأ كثيراً وبسرعة - ويضاف إلى ذلك قدرته على التنظيم والتنسيق التي كانت تحلل التفاصيل الكثيرة المتجمعة إلى كل مقبول، وأخيراً فإن

الفضل في ذلك يعود كذلك إلى براعته وموهبته في التعبير عن أفكاره بعبارة سلسلة دون عناء وفي سهولة بحيث كانت المسودة التي يخطها تصلح في الغالب للطبع مباشرة. وبذلك كان يتحدد أثناء تأليفه ذلك العمل الجبار على ذاكرته إلى حد بعيد، وما كان يوسع أن يعمل بسرعة لو أراد أن يتحقق ويفحص كل دقيقة وكل تفصيل على حدة، بغض النظر عن أن كثيراً من المصادر التي كان يستقي معلوماته منها لم تكن متوفرة دوماً بين يديه. ومن الطبيعي أنه لم يكن بالوسع تجنب الاضطهاد والسهر في مثل طريقة العمل هذه على كتاب يزخر بالأساء والسنوات والأرقام. بحيث أن بروكلمان نفسه أدرك ذلك وكان يمتنع لكل تصحيح. ولكن أهمية عمله الحقيقية لم تتأثر بهذه النواقص مهما بلغ مدى تشوئتها على القارئ. إذ أن تقديم عرض لحفل كان يشبه حتى ذلك الحين أدغلاً كثيفة لا يمكن اختراقها لم يكن يتوقف على التفاصيل الصغيرة، وقد أحسن بروكلمان بإمهاله أولئك القواد الذين أرادوا أن يقتبسوا هذا العمل الجبار بنفس القياس الدقيق الذي تقاس به مقالة علمية. ومن الطبيعي أن نصف المجلد الأول الذي تناول الفترات المعروفة جيداً من الأدب والتأليف العربي كان أبعد من أن يكون ملائماً لتوضيح فكرة هذا الكتاب، بحيث أن القواد الحسن التوايا لم يستطيعوا أن يولوه التقدير الصحيح. ولكن عندما صدر تاريخ الأدب العربي (GAI) بكامله أصبح فوراً أداة لا يستغنى عنها لكل مستشرق مهتم بالعربية.

وفي ربيع عام ١٩٠٠ استحضرت زاخاو Sachau بروكلمان كمدرس للعربية في معهد اللغات الشرقية في برلين. وكان عليه أن يدرس هنا اللهجة المغربية بدلاً من آفست فيشر August Fischer الذي استدعى إلى لايبزغ، واستطاع بروكلمان القيام بدراسات علمية في اللهجة المغربية مع المحاضر الظالني من الرباط. وفي صيف العام نفسه أصبح استاذاً خارج الملاك في إيرلانجن على إثر وفاة لودفيج أبل Ludwig Abel، وقدم له على إثر ذلك أيضاً منصب استاذ خارج الملاك في بريسلو على إثر انتقال ه. تريمير H. Zimmer إلى لايبزغ، فأشتر بروكلمان.

وكان بروكلمان يدرك دوماً واجب تبسيط نتائج العلوم والإنجازات للقراء غير الاختصاصيين بلغة مفهومة وسهلة. وهكذا فقد قدم في المجلد الأول من مؤلفه الجامع: «آداب الشرق ١٩٠١» Die Literaturen des Ostens. «تاريخ الأدب العربي» Geschichte der arabischen Literatur وذلك بصيغة مختصرة، وقد أعيد طبعها للمرة الثانية



Dr. Hermann Andersen N. 12/15  
 Fondation / 12/15  
 a comparison in the of person  
 the ... more ...  
 of ...  
 ...  
 ...  
 ...

ملسوفة دنيا الأستاذ بروكلان.  
 وأرسل الأستاذ أنطون شينار (جامعة ميونيخ) شكرها بروكلان المنشور على ص ٨٧.

بالدرجة الأولى في بحث اللغات المفردة كل على حدة،  
 بينما كانت الدراسات التي تتناول جميع اللغات أو عدة  
 لغات، كأبحاث هاوِل دى لا جارد P. de Lagarde وى.  
 بارت J. Barth مثلاً، كانت لا تزال تنحصر لتصورات  
 فلسفة لغوية رومانتيكية تسعى إلى الاستدلال على المعاني  
 الأصلية لأشكال الكلمة بطرق منطقية شكلية. أما بروكلان  
 فقد استخدم الطريقة التاريخية اللغوية لأول مرة بشكل  
 منظم في دراسة جميع اللغات واللهجات السامية، بالقرن  
 الذي كانت معروفة فيه آنذاك، وعرض في موجز الخالد  
 مادة زاهرة وشواهد كثيرة عرضت بتنسيق وشرحت شرحاً  
 يعتمد على طريقة علمية منظمة. وتجنب بكثير من الموضوعية  
 أى تحيزات قد تميز إليها عقيدة علم الشواذ في القوانين  
 الصوتية ونظرية التطور التي تستند إلى التصورات البيولوجية،  
 ووصف في حصر كان النزاع في اللغات الإندوجرمانية على  
 أشده في حيل ما يدعى بالوطن الأصلى للإندوجرمانيين،  
 ووصف محاولة إعادة تركيب لغة أصلية كشيخ وهمى لم يعد  
 العلماء والباحثون الحقيقيين يسمعون جادين في البحث عنه.  
 إن ما أثار إعجابهم هو بالذات كان مجرد تطور وصيرورة  
 كل من اللغات في وضعها التاريخي، فكان يرى من  
 الضرورة لهذا السبب فقط أن يستعين بالاصطلاحات  
 القريبة من اللغة المدروسة لفرض المقارنة، لأنه لا يمكن  
 أن نجعل لغة ما مفهومة من خلال عباراتها وحدها فقط  
 ودون الاستعانة بغيرها ولأن قوانين تطور اللغات في الأزمنة  
 التاريخية ظلت ثابتة لم تتغير. وكان بروكلان يدرك أن  
 موجزه لا يستطيع أن يعطى جواباً ثابتاً لجميع الأسئلة  
 المطروحة، وصرح إنه لن يسهل شيء أكثر من إصدار  
 طبعة ثانية من هذا الكتاب بعد تنقيحه من أسامه. ولكن

عام ١٩٠٩. وقد أوصى إليه باصدار «تاريخ الآداب  
 المسيحية في الشرق» Geschichte der christlichen  
 "Literaturen des Orients" في المجلد السابع من السلسلة  
 نفسها، وعالج فيه الأدب السرياني والمسيحي العربي.  
 وقد سعى بعد ذلك إلى وصف المجموعة الصغيرة من  
 المخطوطات الشرقية في مكتبة مدينة برينسلو و«فهرس» خاص  
 عام ١٩٠٣. وفعل الشيء نفسه في الأعمام القادمة بالنسبة  
 لمجموعة المخطوطات الشرقية الأكثر أهمية في مكتبة هامبورغ.  
 وفي ربيع عام ١٩٠٣ استلم بروكلان ليحتل مقعد الأستاذية  
 النظامي في كونينجسبرج Königsberg بعد أن أصبح خالياً  
 بسبب استقالة جوستاف يان G. Jahn. وهنا ألف ذلك  
 العمل الذي يعتبر أكثر أعماله أصالة والذي كان أحب  
 أعماله جميعاً إلى نفسه هو: «موجز قواعد اللغات السامية  
 المقارنة» Grundriß der vergleichenden Grammatik  
 der semitischen Sprachen. (2 Bde, 1907—13)  
 وكان قد تعرف على يدى هوبشمان على طرق البحث  
 الخاصة بالموضعية التاريخية اللغوية، التي أصبحت سائدة  
 دون منازع منذ نشوب النزاع بين علماء اللغة الشباب  
 في حلل اللغات الإندوجرمانية. وقد وجدت هذه النظرية  
 التاريخية اللغوية أن طبيعة اللغة تكمن في عملية التقى  
 الفردية ولسرت العلاقات القائمة بين اللغات المتقاربة  
 بافتراض أن أصوات اللغة الأصلية قد تطورت ضمن  
 لهجة معينة وخلال عصر لغوي معين حسب قوانين صوتية  
 ثابتة لا شواذ لها، وأن الشواذ الظاهرة للقوانين الصوتية  
 المفترضة يجب أن تفهم على أساس أنها تراكيب قياسية  
 تعتمد على التلاعب السيكلوجي للمعاني الكلامات. وقد  
 طبقت هذه النظرية التاريخية اللغوية في اللغات السامية

هذا الأمل لم يتحقق، إلا أنه كان يسجل دون كلل جميع ملاحظاته وتصحيحاته في نسخته اليدوية، تلك التصحيحات والملاحظات التي بدت له ضرورة لإصدار طبعة جديدة منقحة؛ وتشير مقالاته حول المسائل المتنازع عليها في اللغات السامية واشتقاقاته المصرية السامية وتقريفاته للكُتب أنه كان مطلعاً على التقدم في علم اللغات وأنه كان يسعى إلى السير خطوية خطوية مع هذا التطور والتقدم. ولذا فقد كان يتمتع في دوائر علماء اللغة أيضاً باعتبار كبير؛ وقد دعي للاشتراك في المؤتمر الخاص بالتسجيل الصوتي والكتابة الصوتية الذي عقد في أربيل عام ١٩٢٥ في كوبنهاغن، كما أنه مثل ألمانيا عدة اعوام في لجنة اللغويين الدولية الدائمة (CIPL).

وإلى جانب الموجز، فقد ألف بروكلمان في موجز قواعد اللغات السامية المقارنة في *Porta linguarum orientalium* (Bd. 21) عام ١٩٠٨ كتاباً تعليمياً عالج فيه علم الأصوات وقواعد الصرف واقتطف الشواهد والأمثلة فيه من اللغات الأدبية. وفي عام ١٩٠٦ كان قد عرض أهم الحقائق المتعلقة باللغات السامية في كتيب صغير من دار Göschens بصورة واضحة ومفهومة تحت عنوان وعلم اللغات السامية؛ *Semitische Sprachwissenschaft*. وقام ويليام مارسيس *William Marçais* ومارسيل كيهين *Marcel Cohen* عام ١٩١٠ بترجمة الكتاب إلى الفرنسية وإعداده ليتلام وساجات الدارسين الفرنسيين الخاصة، كما أن النسخة الألمانية أُعيد طبعها مرة ثانية عام ١٩١٦. وفي العشرينات الأخيرة من عمره قام بروكلمان بتحرير طبعة جديدة لتلامم ومستوى البحث العلمي الحاضر، وأراد أن يراعى اللغة الأوغارية بالدرجة الأولى، إلا أن مشروعه هذا لم يتحقق.

ولفهم المسائل التاريخية اللغوية فقد اعتبر بروكلمان اللغة السريانية ذات ملامحة خاصة بين اللغات السامية الكلاسيكية. ولذا فقد عالج في قواعد اللغة السريانية التي صدر في بادئ الأمر عام ١٨٩٩، عالج قواعد الأصوات بتفصيل خاص ثم كان يعود إليها دوماً أثناء علاجه لقواعد الصرف لإيضاح خصائص التركيب الصرفية على ضوء التطور التاريخي اللغوي. ومن الطبيعي أن عدداً كبيراً من القراء الذين كانوا يتلمذون السريانية لأهمية أدبها بالنسبة لتاريخ الكنيسة فقط كانوا على استعداد للاستغناء عن التفسيرات اللغوية العلمية، إلا أن بروكلمان رفض كلياً فكرة تأليف كتاب لقواعد من وجهات نظر عملية تطبيقية خالصة. ومن الجبهة الأخرى فقد كان

يحب منذ البداية حساباً خاصاً لرغبات الدارسين اللاهوتيين بحيث جمع في منتخبات القراءة التي تمثل النواة الحقيقية لكتابه والتي اخترت من الأدب الكلاسيكي فقط لأسباب تاريخية لغوية، لقد جمع نصوصاً تبين تطور الكنيسة السريانية من البداية حتى الانشقاق. وهكذا انتشر للكتاب بسرعة ومر حتى عام ١٩٥١ بخمس طبعات ونقل معارف طريقة البحث التاريخية اللغوية حتى إلى الدوائر البعيدة عن علوم اللغة.

واتيحت له فرصة استخدام الطريقة نفسها بالنسبة للغة العربية عندما كلفته هيئة *Porta linguarum orientalium* لإعادة تنقيح كتاب ألبرت سوسين *Albert Socin* في قواعد اللغة العربية (إبداء في الطبعة الخامسة عام ١٩٠٤). ومنذ الطبعة السادسة قدم فيها خاصاً حول قواعد الأصوات كان يعود إليه دوماً في القسم الخاص بقواعد الصرف. وأزال المقطع التي وضعت لترجمتها إلى الألمانية لاعتقاده بأن مثل هذه المقطع تلائم قواعد للمحادثة ولكنها لا تتناسب وعرضاً للغة الأدبية الكلاسيكية. ولهذا السبب نفسه فقد قام فكرة تقسيم المادة إلى دروس صغيرة حسب وجهات نظر عملية تطبيقية. وكسب الكتاب بين يديه شيئاً فشيئاً طابع القواعد العلمية. وإبداء في الطبعة الحادية عشرة (١٩٤١) أشد الكتاب بحمل اسمه. وبلاط عشرة طبعة بلغ الكتاب شهرة وانتشاراً لم يحققها أي كتاب آخر من هيئة *Porta linguarum orientalium* ومع أن بروكلمان لم يكتب قواعد صوتية وصرفية للغة العبرية إلا أنه عقد عشرات المرات حلقات دراسية للتمرين على القواعد العلمية للغة العبرية لتتريف طلاب اللاهوت بالدرجة الأولى على طرق بحث اللغات السامية المقارنة التي لم يتوقف عن نشرها قط والتي كان يحزن لإهمالها في الجامعات الألمانية.

وفي صيف عام ١٩٠٩ توفي زيجموند فرينكل *Siegmund Fraenkel* في بريسلو. وعاد سلفه *Petrus Prætorius* الذي كان قد استندى إلى حاله عام ١٨٩٣، عاد الآن إلى جامعة بريسلو. وبذلك أصبح للقعد الجامعي في هاله خالياً وقدم لبروكلمان للذي قبله بسرور وخاصة أن مكتبة جمعية المستشرقين الألمانية ستقدم له إمكانيات دراسية أفضل وأوسع. وفوق ذلك فقد كان قد تزوج عام ١٩٠٩ ولم تكن زوجته قادرة على تحمل متاع كونيغسبرغ. وفي هاله أنهى موجزه، الذي ظهر قسمه الثاني الذي يتناول علم الإعراب وتركيب الكلام ما بين ١٩١١ و١٩١٣. وفوق ذلك راح يحضر

المجربة للعلوم كجبل أول من المكتبة الشرقية المجرية "Bibliotheca Orientalis Hungarica"، وكواصلة لهذه الأبحاث رسم بروكلمان خطة لكتابة تاريخ اللغات التركية المكتوبة. ونفذ من هذه الخطة كتابه: «قواعد اللغة التركية الشرقية للغات الأديلة الإسلامية لأواسط آسيا» من عام ١٩٥١ حتى ١٩٥٤.

"Osttürkische Grammatik der islamischen Literatursprachen Mittelasiens"، وعالج في هذا الكتاب تاريخ الأصوات وعلم تكوين وتصريف العبارات التي استعملها قبائل أواسط آسيا التركية في الأدب منذ دخولها الإسلام في القرن العاشر وحتى فقد استقلالها السياسي.

ان الفترة الأولى لنشاط وعالية بروكلمان في جامعة هاله تمتد من ١٩١٠ حتى ١٩٢٢. وقد احتل ذروة الحياة في تلك الأعوام. وقد حقق لنفسه بإنجازاته الفردية الخاصة اسمًا لامعًا في الدراسات السريانية والعربية وعلوم اللغات السامية واللغات التركية - وهي حقول كانت مع تقدم التخصص العلمي آخذة بدورها في الاستقلال كل بمفرده كعلم خاص ذي نظام قائم بذاته. وبفضل ثقة زملائه الذين اتخذهوا رئيسًا للجامعة في يوليو عام ١٩١٨، وقسم على عاتقه مهمة ذات مسؤولية كبيرة وهي قيادة صير الجامعة في فترة انتقالية صعبة. وفي مايو عام ١٩١٩ حيا أعضاء الجامعة المائدين في ميادين القتال بمضطاب طبع بعنوان «إعادة البناء».

وفي هذه الاثناء كان مقعد التدريس الجامعي الذي كان يحطه إدوارد زاخولا يزال خاليًا منذ انتهاء خيلمت الأخير، كما تصادف أن أصبح مقعد التدريس في القسم الشرق بجامعة بون خاليًا عام ١٩٢١ كذلك. وعرض المقعدان على بروكلمان، الذي قرر قبول منصب برلين لأنه كان يرجو أن يجد فيها ظروف عمل أفضل منها في أية جامعة ألمانية أخرى وأن يجد للمراجع الأجنبية التي لا يستغنى عنها لأبحاثه ودراساته المقبلة. إلا أن الآمال التي نشأت في نفسه أثناء المفاوضات حول قبول مقعد برلين لم تتحقق. فلم يستطع الانتقال إلى برلين واضطر أثناء فترة هبوط النقد الألماني إلى السفر إليها كل أسبوع لبضعة أيام وذلك طيلة فصلين دراسيين. وكان أكثر ما خيب ظنه أن غرف المعهد التي وعد بالحصول عليها قلمت لفرع دراسي آخر. ولكي يجنب مواقف شاذة أخرى كهذه فقد نُحِّلَ بعد عام واحد عن منصب الاستاذية في برلين وعاد كخلف لاسناده برينوروس في جامعة بريسلاو، حيث أمضى على حد تنميره «سنوات جميلة

الطبعة الثانية من معجمه السرياني. إلا أن الحرب العالمية الأولى أعاق العمل كثيرًا؛ وظلت طبعات النصوص الصادرة في الخارج بعيدة عن متناول يده وبدأت تجد طريقها بعد الحرب تدريجيًا إلى المكتبات الألمانية. ورغم أن طباعة المعجم بدأت فعلاً عام ١٩١٨ وأمكن تقديم القسم الأول عام ١٩٢٣، إلا أن المعجم لم يته بكامله إلا عام ١٩٢٨. وبمقارنة هذه الطبعة الثانية بالطبعة الأولى فإنها تبليو عملاً جليداً تماماً بضعف الحجم وبشرح وتعليقات جديدة وكثيرة. وقد وسعت الشواهد المتعلقة بالاشتقاقات التاريخية بحيث يمكن اعتبار المعجم خطوة علمية تمهيدية لقاموس مقارن للغات السامية يمكن أن يصدر في المستقبل.

لقد كانت الظروف أكثر ملائمة لدراسات بروكلمان في حقل اللغة التركية منها في حقل الدراسات السريانية، وخاصة أنه طبع أثناء الحرب العالمية الأولى في استانبول أهم عمل عربي - تركي في حقل علم اللغة وهو كتاب: ديوان لغات الترك الذي ألفه محمود بن الحسين الكاشغري بين ١٠٧١ و ١٠٧٣ ميلادي. ويحتوي سجل لغات الترك هذا عدداً زائحاً من الأخبار والروايات عن لهجات الشعوب التركية لأواسط آسيا في العصر الوسيط. ولكن الكتابة العربية غير الملائمة مطلقاً لتسجيل الأصوات التركية وتعابير التحوين العرب التي استعملها الكاشغري لغة التركية ذات الطابع المختلف تماماً عن العربية، كانا عائقين شديدين أمام أية محاولة للاستفادة من هذا الكنز الثمين لدراسة تاريخ اللغة التركية. ولذا فقد شرح بروكلمان لفائدة وخير علماء التركية الذين لا يلمون للمأ حسناً بالعربية، شرح أول الأمر عرض الكاشغري لتركيب الالفعال التركية (في المجلد الثامن عشر من مجلة Kéleti Szemle لعام ١٩١٩)، ثم حقق ما يحوى عليه الديوان من بقايا الشعر الشعبي التركستاني القديم وكذلك الحكم الشعبية التركستانية القديمة وكرس لذلك عدداً من الدراسات الأخرى ولكنه بذل مجهوداً خاصاً في كتابة جميع الكلمات التركية الواردة في «الديوان» بالحروف اللاتينية وترجمة شروح الكاشغري العربية إلى اللغة الألمانية، مضيفاً لكل كلمة عدداً من الشواهد والشروح التاريخية القوية والاشتقاقية. وهكذا نشأ بالتدريج كتابه المرتب حسب الحروف الأبجدية: «المفردات التركية الوسيطة حسب ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري» "Mitteltürkischer Wortschatz nach Mahmūd al-Kāšgarī's Dīwān lughāt at-Turk" ذلك الكتاب الذي طبع عام ١٩٢٨ بمساعدة الأكاديمية

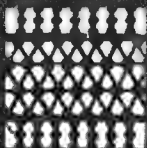
من الناحية الإنسانية، إلا أنه ظل يعاني من الاضطرار إلى المراجع الاختصاصية، ذلك الاضطرار الذي اشتكى منه في مقدمة تاريخ الأدب العربي (G.A.I.). وفي صيف عام ١٩٣٧ انتخب رئيساً للجامعة. وفي فترة رئاسته حدثت مظاهرات الطلاب النازيين ضد الأستاذ الجديد التكليف وكونه مما أدى إلى إغلاق الجامعة لمدة ثلاثة أيام. وبما أن بروكلمان سعى جاهداً إلى حماية الحرية التعليمية الجامعية، فقد راحت الصحافة النازية تهاجمه بشدة بحيث اضطر أخيراً إلى التنخل عن رئاسة الجامعة في شهر مارس عندما تسلم النازيون زمام الحكم.

وفي خريف عام ١٩٣٥ استلم بروكلمان على التقاعد وانتقل في ربيع عام ١٩٣٧ إلى حاله ثانية، لأنه أراد أن يستخدم مكتبة جمعية المستشرقين الألمانية لأبحاثه وخاصة لمواصلة العمل على تاريخ الأدب العربي. وكان، كما دله، قد جمع في نسخته اليدوية جميع النصحيات والتصويبات والنقائات المتعلقة بتاريخ الأدب العربي، التي توصل إليها منذ عام ١٨٩٧. وكان الأحب إلى نفسه والأفضل إلى الدارسين لو أنه تمكن من إصدار طبعة ثانية من العمل الضخم، ولو تم له ذلك لما تمكن من تصحيح بعض الأخطاء والسو فحسب، بل وكذلك من مراجعة بعض أحكامه على المؤلفين العرب، ومن تحسين خطة وتنظيم الكتاب بكامله أيضاً، ولو تم ذلك لنشأ كتاب جديد تماماً. ولكن بما أن مطالب ورثة الناشر فيلبر جعلت إصدار طبعة ثانية أمراً مستحيلاً، فقد نشر بروكلمان المادة المجموعة الإضافية في مجلدين ملحقين ضخمين صدرتا عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ عن دار برييل في لايدن. وفي الأربعين عاماً التي مضت منذ صدور الكتاب الأصل كان الأدب العربي الحديث قد تطور بشكل هائل، وكان بروكلمان قد أهتم اهتماماً كبيراً به أيضاً. وهكذا فقد استطاع عام ١٩٤٢ إصدار ملحق ثالث صالح فيه تاريخ الأدب العربي الحديث من عام ١٨٨٢، وهو عام الاحتلال البريطاني لمصر، حتى الوقت الحاضر. وكما فعل في المؤلفات الأصل والملاحق فقد احتفظ في الملحق الثالث أيضاً بعرض لسير المؤلفين؛ ولكن بينها اكتفى هناك بتعداد المؤلفات، قدم هنا معلومات تفصيلية عن محتويات المؤلفات المختلفة، وأشار إلى المثل العليا الأدبية وجعل ملاحظات تتعلق بالغة والأسلوب ولم يحتفظ في أحكامه على الأعمال الجارية مجهاً. ولم يخف شيئاً من تعاطفه مع الاتجاهات السياسية لشعوب الشرق الأدنى ضد الاستعمار الأوروبي وضد

الاستبداد المثل يبعث كان يتمتع باعتبار كبير في العالم الإسلامي بسبب موقفه هذا. وكان على اتصال دائم بالمراسلة مع عدد كبير من شعراء وكتاب وعلماء الشرق، وقد سر قبل وفاته حين علم بأن القسم الثقافي للجامعة البول العرية قرر نشر الترجمة العربية لتاريخ الأدب العربي وملحقاته.

ولتصرف على الخلفية السياسية الثقافية للأدب العربي الحديث فإن بروكلمان لم يهتم بدراسة الإسلام في الوقت الحاضر يتمتع فحسب، بل وراح يدرس تاريخه بنفسه التعمق أيضاً. ويعود اهتمامه بالأبحاث الإسلامية إلى سنوات دراسته في ستراسبورغ. فمن عام ١٨٩٥ حتى عام ١٩١٤ كان يكتب عن أحدث المؤلفات في التاريخ الإسلامي في التقارير السنوية لطوع التاريخ وفي عام ١٩١٠ قدم في المجلد الثالث لتاريخ العالم الذي أصدره يوليوس فون فليوك-هارتونغ Julius von Prätor-Hartung عرضاً لتاريخ الإسلام منذ بدايته حتى العصر الحاضر (من الصفحة ١٣١ حتى ٣١٩). والآن وبعد مضي ربع قرن على ذلك عاد إلى هذا العمل القديم من جديد وأعاد تنقيحه وأضاف له فصلاً عن والنظام الجديد للدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الثانية؛ صوره في الأحداث حتى بداية عام ١٩٣٩. وبذلك نشأ كتاب تاريخ الشعوب والدول الإسلامية والاسلامischen Völker und Staaten وظهر عام ١٩٣٩ كجزء من المجموعة التي أصدرتها دار نشر. أولدنبورغ عن تاريخ الدول. ونظراً لاسراع إطار التاريخ الإسلامي الهائل الذي امتد عبر ثلاثة عشر قرناً وانتشر فوق ثلاث قارات فقد كان العمل ينطوي على جراحة كبيرة وخاصة أن المصادر لم تكن معروفة بعد بالنسبة لحقوق كثيرة فيه، فضلاً عن معالجتها واستخدامها بطريقة نقدية علمية. وكان سد هذه الثغرات يفوق طاقات مؤلف بمفرده. ومن الجهة الأخرى فقد استطاع جمهور القراء غير المختصين والمهتمين بالسياسة العالمية أن يتحقق بحق الحصول من رجل اختصاصي على نظرة عامة تغطي ومستوى البحث العلمي الحاضر عن التاريخ الإسلامي: وكما هو الحال مع بروكلمان دوماً، فقد استغنى هنا أيضاً عن جميع الحقوق في الأولوية وتمسك في المسائل المتنازع عليها مستغنياً عن أي بحث للموضوع بأولئك القادة الذين اعتبرهم الأفضل في رأيه. وأبرز من بينهم ي. فلهاوزن J. Wellhausen. ول. كيتاني L. Caetani بالنسبة لتاريخ العرب وف. بارثولد W. Barthold. ومن مينورسكي V. Minorsky لتاريخ آسيا الوسطى

جامعة الدول العربية  
الأمانة العامة



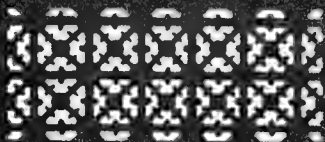
كارل بروكلمان

# تاريخ الأدب العربي

الجزء الأول

الدكتور محمد الطبعي

الطبعة الأولى



دار النشر

وب. فيتك P. Wittek لتاريخ الدولة العثمانية. وبأصالة وحلق مألوفين استطاع أن يمد أهام القارئ خضياً كبيراً من الحقائق التاريخية منسقة بشكل قابل للاستيعاب، كما راحى في ذلك الحضارة والحياة الفكرية، وتخل عن كل التفاصيل التي لا داعي لها وأصبح مجالاً كافياً للتطورات التي حدثت منذ عام ١٨٠٠. وجاء الكتاب ليلى حاجة ملحة واعيد طبعه ثانية عام ١٩٤٣. وهناك ترجمة المجلدية تمت خلال الحرب العالمية الثانية دون علم بروكلمان وظهرت عام ١٩٤٧ (واضيف إليها عرض للأحداث التي جرت من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٧، اتخذ مؤلفها م. بيرلمان M. Perlmann فيها موقفاً من القضية الفلسطينية منازيراً لمؤلف بروكلمان). واعيد طبع هذه الترجمة الإنجليزية (دون مراجعة بيرلمان) عام ١٩٤٩ في لندن، ثم ظهرت فيها بعد ترجمات فرنسية وعربية وتركية وبولونية.

وكاستاذ مقاعد في بريسلا واضطر بروكلمان عام ١٩٤٥ إلى القيام بمنصب أمين مكتبة جمعية المستشرقين الألمانية بصورة مؤقتة، وأهم منذ ذلك الحين تصنيف وترتيب الكتب للمكتبة. وفي صيف عام ١٩٤٧ أصبح استاذاً فخرياً وحصل في العام نفسه على مقعد الاستاذية في اللغات التركية حسب رغبته. وراح يدل طلابه على مبادئ اللغة التركية الحديثة ويقرأ معهم فصولاً تاريخية عتيبة قديمة، ويفسر لهم الوثائق التركية ويحاضرهم في تاريخ الدولة العثمانية. وإلى جانب ذلك فقد كان يلقى محاضرات في التعريف بالسريانية والاكادية والآشورية والقبطية وكان يفسر المصادر السريانية المتعلقة بتاريخ الاسلام، والنصوص العبرية الآرامية، والنقوش السامية الشمالية، وغنارات من رسائل البارز، والنصوص الميثولوجية والتاريخية الاكادية. وكان يقدد كذلك حلقات دراسية كثيرة للتمرن على قواعد اللغات السامية المقارنة.

وكما يظهر هذا العرض فقد أخذ بروكلمان أثناء نشاطه التعليمي - وكان قد ألقى وعقد ما يقارب الخمسمائة محاضرة وحلقة تعليمية - أخذ بنظر الاعتبار رغبات مستمعيه حتى وإن كان الأمر يتعلق بمقول قديم عالماها في مؤلفاته أو لم يعالماها قط. وهكذا فقد كان يقيم حلقات دراسية كثيرة لتعلم الاكادية والفارسية الحديثة، وحياناً الفارسية الوسطى والآرامية. وكان في المحاضرات ييبب بكل طبع خاطر على جميع الأسئلة التي كان طلابه يوجهونها له ولم يكن يتقدم في المحاضرة إلا بعد التأكد من زوال أي غموض أو صعوبة. أما خارج

محاضراته فقد كان منغمساً في أبحاثه وأعماله العلمية، بحيث قلما تجرأ طلابه على توجيه أي سؤال له. وإذا ما حدث وسأله أحد رغم ذلك، فإن بروكلمان كان يلقى عليه الجواب فوراً بكل ما يتعلق بالموضوع من تفاصيل وبكل دقة بحيث يمكن أن يرسل جوابه الطبع فوراً. أما السبب في عدم تكوينه مدرسة خاصة به فيمكن في طبيعة شخصيته كباحث، تلك الشخصية التي جمعت بالنسجام فريد من نوعه ذاكرة ممتازة، وقدرة خارقة على التنظيم والتنسيق، وموهبة للفهم السريع، وقدرة على حسن تقدير ابعاد عمل أو بحث معين، بالإضافة إلى ارادة حديدية وطاقة خارقة على العمل والانتاج. وقد عرف مقدراته غير معروفة وكان يستخدمها غير استخدام. وكان عمله اليومي منظماً بكل دقة وصرامة، ولكنه كان يترك لنفسه أيضاً ساعات للراحة والاسترخاء. وفي اعوام حياته الأولى كان يسافر كثيراً في الاجازات وكان يحب البحار ويستمتع بالتجوال.

وفي صيف عام ١٩٥٣ احيل بروكلمان للمرة الثانية على التقاعد، ولكنه واصل نشاطه التعليمي. وفي ليلة عيد الميلاد من عام ١٩٥٤ أصيب بركام لم يستطع أن يتخلص من مضاعفاته فيما بعد. وراح يواصل العمل محاطاً برعاية زوجته الثانية، متابعاً أبحاثه بالقدر الذي كانت تسمح به حالته الصحية. وبمساعدة أحد مستمعيه الآخرين، الدكتور كونراد فوين راينو Dr. K. von Rabenau استطاع أن يتم كتاب قواعد الصرف العبري Hebräische Syntax الذي ظهر بعد وفاته. وفي السادس من مايو عام ١٩٥٦ فازت روحه عائدة إلى خالقها بسلام.

وقد أهدى قواعد الصرف العبري لقسم اللاهوت في جامعة هاله شكراً على منحه لقب الدكتوراه الفخرية في اللاهوت أثناء يوبيل الجامعة لعام ١٩٥٢. وهي العمل الوحيد الذي يحمل إهداء باستثناء اطروحة الدكتوراة التي أهداها إلى ولديه.

وفي عصر أصبحت فيه الدراسات الاسلامية وعلوم اللغات السامية واللغات التركية وعلوم الشرق المسيحي علوماً مستقلة ذات اهداف وطرق بحث قائمة بذاتها مع موجة التخصص العلمي المستمرة التي لا تعرف التوقف، في هذا العصر الذي أصبح فيه كل من هذه الفروع حقلاً واسعاً يمكن لاه حياة علم بكلماها، استطاع بروكلمان أن يمثل في شخصه وفي انتاجه وحلى أتم وجه وحدة علم الاستشراق. وقد عنت وظائفه نهاية عصر بكامله.

ترجمة: محمد علي حشيشو

# هانز هاينريش شيدر

(١٨٩٦ - ١٩٥٧)

بقلم: الأستاذ أوميليان پريستاك

الوالد. وكما قال صديقه كارل ي. بوركهاردت (١) Carl J. Burckhardt عنه بحق: «لقد كان من القلائد اللذين تمكنوا من شد قوس أوديسيوس: فعل أسمى صعيد للخبرة اللغوية والتاريخية نجراً على اتخاذ أسلوب البحث التركيبي ونجح في ذلك. وفي أى عهد كان نجاحه؟ في عهد كان الباحث والمفكر في حقل العلوم الانسانية لا يتجو فيه من ضغط السلطة الغاصية إلا القليل أو التفتي — عهد أحيل التراث الذي أوكل إليه، وهو تراث جهد انساني عبر آلاف السنين، إلى مهزلة باستخدام الكلدب الدائم المنظم» (٢).

ولم تتوفر شروط هذه المرأة في أحد كما توفرت لدى شيدر. فقد ظلت ذاكرته حتى وظائفه فريضة من نوعها. كما منحه الطبيعة بالتساوي موعة لغوية ومواهب موسيقية شعرية: فقد كان عظيمياً بليغاً شديد الاستيعاب للظواهر الموسيقية والأدبية، كما كان يتصف بقلبي فكري يكاد يبلغ درجة إتلافي النفس. وكان من حسن طالع أنه نشأ في منزل أوي على مستوى رفيع من الثقافة في كوتنكن (١٨٩٦-١٨٩٩) وفي كيل (١٨٩٩-١٩١٨). وكان أبوه د. إيريش شيدر D. Erich Schaefer (١٨٦٦-١٩٣٦) استاذاً لعلم اللاهوت (الذهب البروتستانتي) — فلا عجب أن يهتم الصبي المتفتيح منذ السادسة من عمره — ميتدًا بأسئلة طفولية — بالبحث في الكتاب المقدس وأن يتمكن وهو لا يزال في سن التاسعة الثانوية من تهذيب وتدريب إحساسه القريد للظواهر الدينية.

غير أن أسلوبه في الملاحظة التاريخية نشأ على خلاف

في صباح الثالث عشر من مارس ١٩٥٧ توفي في غوتنغن بعد عذاب جسدي ونفسي طويل مريح الاستاذ النظمي للغات الشرقية وتاريخ الأديان هانز هاينريش شيدر Hans Heinrich Schaefer. ويفقده فقد الاستشراق الألماني، الذي لا يفتر إلى الشخصيات العظيمة، واحداً من أطرف عظيمة، لا بل مستشرقاً فريداً من نوعه. وعندما ينوي المرء كتابة سيرة مستشرق عظيم، يتجه عادة، بعد الافتتاح بتسجيل المعلومات الشخصية اللازمة، إلى تصوير تاريخ الحقل العلمي الذي عظمه ومساهمته العلمية فيه بمعدل عن شخصه. أما بالنسبة لشيدر فقد كان اعتناقه للظواهر الفكرية يتسم، حتى مع أشد الالتزام بالروح العلمية، بطابع شخصي، فقد كان دوماً يتنقل في الحدود بين العلم والفن والفلسفة والدين، تماماً كما كان اختيار موضوعاته العلمية يتحدد عادة بمجائه المتأثرة بالسانية القرنين السادس عشر والسابع عشر. وفي عصر الاختصاص المطرد في العلوم الإنسانية التي ظلت — خلافاً للعلوم الطبيعية — تتابع أهدافها الذاتية السرية وحدها بسبب عزلتها عن الحياة اليومية، لم يرد ولم يستطع أن يكون مجرد عالم شخصي. وظل طيلة حياته على اهتمام دائم بجميع الظواهر الفكرية لعصره كما كان يبدل الجهد لاتنظيمها في فلسفته العامة عن العالم، تلك الفلسفة التي ظلت في توتر دائم بين التفرم الإنساني والمسيحي. ووفق هذا فقد كان يسي إلى مواجهة هذه الظواهر الفكرية بالواقع في نشاط فكري نابض بالحياة — ونذكر هنا محاضراته التي لا تحصى والتي كانت تبلغ عدة محاضرات في الاسبوع

لاهوت آيه (آرنولد توينبي: Arnold J. Toynbee: Chah- Lange and Response). واعتاد شيلر أن يشير دوماً بكبرياه إلى «جسيمة الموسوية» العامة. فقد استوعب الفئات والأدب الكلاسيكية في الجمنازيوم الانساني في كبل بالإضافة إلى اللغات الحديثة (الانكليزية والفرنسية والاطالية) وكذلك العبرية. وحين بلغ السابعة عشرة كان قد قرأ الكوميديا الإلمية لدانتي بكاملها بلغتها الأصلية. وإلى جانب ذلك فقد تلقى دروساً نظرية في الموسيقى (التوافق والتأليف)؛ وكان عازف بيانو فوق المستوى المتوسط. وظلت الموسيقى مع جهده الفكري وقلقه الدائمين ترويحاً لا غنى عنه طيلة حياته.

إلا أن الشيء الحاسم بالنسبة لتطوره وكذلك بالنسبة لحياته كلها ونتاجه الفكري فقد ظل اتصافه بالمنطق اليوناني والفعل اليوناني وتراث الرومان الانساني. واختار الشاب الذي بلغ الثامنة عشرة عندما بدأ دراسته في جامعة كبل في فصل الصيف عام ١٩١٤ الاستاذين: الإنسان فيرنر ييكر (١) Werner Jaeger ومؤرخ العصر الوسيط هريتر كيرن (٢) Fritz Kern (١٨٨٤-١٩٥٠). وكان الأخير يعمل آنذاك على تقوم التقارير والروايات العربية حول تاريخ ألمانيا، وكان يأسف كثيراً لعدم استطاعته دراسة المصادر والحكم عليها بنفسه مستقلاً. ونصح تلميذه الموهوب شيلر بدراسة العربية وإعطاءه بذلك اللامع الأول للمضى في طريقه إلى دراسة اللغات الشرقية. وما كاد الفصل الدراسي الأول بالنسبة لشيلر ينتهي، حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، فتقدم متطوعاً، وكيف كان له أن يفعل غير هذا؟ ولأسباب صحيحة أحيل على الخدمة الصحية التي قضاهها أولاً في المهاجر الصحية في فرنسا (نواين، لا كابل)، وفيها بعد (نخريف ١٩١٥ حتى نهاية ١٩١٦) في ليتوانيا. (كونفو، فيلنا) وأخيراً في زينبوركن وكوكسهافن (١٩١٨). وكانت سنوات الخدمة الحربية هذه بالنسبة له «جامعات» للحرية والفراس على حد تعبير مكسيم غوركى. إذ بعد أن عاد في نهاية ١٩١٨ إلى الوطن (كان أبوه قد بدأ يعمل في بريسلو منذ ١٩١٨) كان قد أصبح رجلاً وباحكاً ناضجاً. وخلال الفصلين الدراسيين المتعديين عند تغيير الجامعة لم يته اطروحة الدكتوراه فحسب، وإنما تمكن من اجتياز امتحان الدكتوراه أيضاً.

لقد جعله اتصاله الوثيق بالموت متفتحاً لجميع قضايا الوجود البشري. ولكن هذا كان يعني بلوغه مرحلة التفروج. وكان الموظف الصحي الشاب يصطحب معه

دوماً الكتاب المقدس والمؤلفات اليونانية وكتب دانتى وجوته وكانط وكتب النحو لعدة لغات شرقية وخاصة السامية منها. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يتابع - بقدراً كان يسمح به ظرفه - قراءة منشورات الاوساط الأدبية والفكرية في تلك الآونة. وقد حمل لقائهم من ذلك العهد أهمية خاصة بالنسبة لمؤرخ الأدبان والمستشرق الناضج شيلر وكان اللقاء الأول مشاهدته للشرق اليهودي في كونفو وفيلنا (١٩١٥-١٩١٦). وقد ظل هذا لقاءه الوحيد مع الشرق الحى. وبمساعدة حانخام كونفو استطاع إتمام دراسته الخاصة بالكتاب المقدس وذلك بمشاهدة جميع مظاهر الحياة الدينية عن كتب. أما اللقاء الثاني فقد كان ذا طابع أدبي. ونصى به المقالات التي ظهرت في «آرشفيف العلوم الاجتماعية» منذ ١٩١٥ حول «الأخلاق الاقتصادية للاديان العالمية» لماكس فيبر (٣) Max Weber (١٨٦٤-١٩٢٠) الذي سقحدث عن تأثيره على شيلر فيما بعد.

وكان عالم اللغة الآشورية برونومايسر (٤) Bruno Meissner (١٨٦٨-١٩٤٧) صاحب كرسي تدريس اللغات السامية في بريسلو آنذاك يود مساعدة المالك من الحرب شيلر عام ١٩١٩ على كتابة أطروحة غير معقدة بحيث يمكن إتمامها بسرعة. ولذا فقد اقترح عليه أن يعمل على دراسة مادة الحسن البصري، يمثل الوبع الاسلاى الهام في القرن المجرى الأول في الجزء الأول من المجلد السابع من طبقات ابن سعد الذي أصدره آنذاك. ولكن شيلر أدرك بسرعة أن «المادة التي يقيمها ابن سعد وغيره من مؤلفي علم الرجال لا تكن في حال من الاحوال لهذا البحث، لا بل انها على العكس من ذلك ملائمة لإحاطة الموضوع الحقيقي بالغموض». كما أن السيرة وحدها لا تضيف شيئاً جديداً. فالتسبل إلى فهم الطابع الدينى الحقيقي للحسن البصري هو في ضرورة العودة إلى «مؤرخى الدين الاسلاى وخاصة مؤلفي سير القديسين والصوفيين» (مجلة Der Islam، المجلد ١٤، ١٩٢٤، ١). وهكذا فقد مال الفضل في بحث هذه الاطروحة إلى جانب التاريخ الدينى. وكشروط أساسى لذلك كان لا بد من دراسة التيارات الفكرية في العراق، موطن الحسن. وأدى هذا الأمر بشيلر إلى مواجهة المسائل الجارية في الأبحاث والدراسات الإسلامية ومنها إلى المسائل الجارية لعلم الأديان بوجه عام. فالعراق - بلاد بابل القديمة، هى الوطن الحقيقي لعلم الديانة الإسلامية، وللتصوف الاسلاى، كما أنها موطن العقائد الغنوصية المختلفة - وخاصة المانوية، أى تلك





صورة شبليل

الروح المحركة التي أدت بصورة حاسمة إلى نشوء علم الكلام عند المسلمين (وعلم اللاهوت المسيحي قبل ذلك). ولم يكن العراق جزءاً من المملكة الساسانية فحسب، وإنما عجزها الأساس. فهنا كانت تقع العاصمة كيسفون، على مقربة شديدة من بابل القديمة، ومن بغداد فيما بعد. وتبرهن الدراسات الطبوغرافية والتاريخية التي قام بها شيلدر تقصياً وراء أصل الحسن أنه كان منذ ذلك الحين يتم اهتماماً جديداً بدراسة اللغة والحضارة الإيرانية. وقد فعل ذلك معتمداً على نفسه بطبيعة الحال ولكنه بلغ من الدراسة الذاتية مستوى جعله يفوز بعد ذلك بفضة أعوام بكرسي الاستاذية لعلم اللغات الإيرانية والأرمينية — وهو الوحيد في ألمانيا. ولم تنشر أطروحة شيلدر فوراً، بل أعاد مراجعتها وتفتيحها مرتين، وكانت للمرة الثانية عام ١٩٢٢، إذ تمكن في هذه الأثناء من الاطلاع على مؤلف لوى ماسينيون (١) Louis Massignon الرائع عن أبرز مبادئ التصوف الإسلامي، الحلّاج. ولم ينشر من الأطروحة المتضمنة إلا القسم الأول (مجلة Der Islam، المجلد ١٤، ١٩٢٤، ص ١-٧٥). أما الفصلان اللذان تناولتا أهمية الحسن في التاريخ الأدبي والفكري فقد ظلّا بدون نشر، وهو أمر يؤسف له. وكرس شيلدر لعمل الحلّاج بحثاً واسعاً في مجلة Der Islam (المجلد ١٥، ١٩٢٥، ص ١١٧-١٣٥) تدرك منه مدى تأثيره بأسلوب بحث ماسينيون وروحه. وكما ماسينيون الذي أولى دوراً مركزياً لدراسة تكوين الاصطلاحات الدينية وأشكالها القوية فقد فعل شيلدر ذلك فيما بعد في دراساته وأعماله المتعلقة بالمانوية. غير أن توجيده للمفكر المتعبرس في الفلسفة اليونانية والأوروبية والباحث القوي والموضوعي في شخص واحد مكنه من المعارضة الواضحة لموقف ويعتقد بالانحصار لإزاء التراث الفكري الشرقى على مجرد الاعادة والتوليد والوصف بقدر الامكان، بدلا من الرد عليه فكرياً (مجلة Der Islam، المجلد ١٥، ١٩٢٥، ١٣٥). لقد أصبح الحوار الفكري مع الشرق وليس عظمه، بسبب التصورات الرومانتيكية، اللامع البارز لموقف شيلدر لإزاء الشرق. ولم يكن يتمتع بملاحظات تذكر مع «شرقين» معاصرين ولم يكن راغباً في عقد هذه الصلات؛ كما أنه لم يذهب إلى «الشرق» الحقيقي قط. وكان يعتبر الدراسات الشرقية الطريق الذي يستطيع الغرب عليه أن يدرك ذاته بتجديدها من الشرق مع اقتباس ملا يلائمه من تراثه الفكري في الوقت نفسه. وقد وجد شيلدر موقفاً مشابهاً كذلك في «الديوان الغربي الشرق» لجوته. ولكننا سنعود إلى ذلك فيما بعد.

إن موقف ألمانيا الفكري بعد الحرب العالمية الأولى كان مبهلاً ولكنه يتسم بالنشاط. وقد شعر شيلدر بدافع ذاتي للاشتراك فيه. فيعدّ نواله درجة الدكتوراة جاء في بداية ١٩٢٠ إلى برلين واشترك في تحرير "Grenzboten" وراح يحطّك بدائرة الشبيبة المسيحية المحافظة لتنادي يونيو وللمطقة وكانت تتألف من معارفين سابقين أمثال شيلدر نفسه. إن نظرة سريعة في قائمة المواضيع التي عالجهها الكاتب الشاب في ١٩٢٠-١٩٢١ تعطي فكرة كافية. فهي تبدأ بقوم أدبي لأفونبراون (٨) Otto Braum بمناسبة طبع مذكراته وأشعاره ووسائله، ثم تنل ذلك أربع مقالات عن الموسيقى (حول النزاع بين Busoni (٩) و Pfitzner (١٠))، وحول الجلود القوية للموسيقى الألمانية في العصر الحاضر، وحول الموسيقى في الحياة المصرية، وحول موسيقى ماكس ريجر (١١) Max Reger، ثم أعمال أدبية من جلبيد (شعر جلداني جلبيد، والطبعة الجلبيدية

ك. ه. بيكر (١٨) G. H. Becker، والثاني المورخ والمعلم بالدراسات الإيرانية ي. ماركفارت (١٩) J. Markwart. ومن الطبيعي أيضاً أن يكرس شيدر أول بحثين كبيرين ألفهما لهُنَّ العالِمَيْن: «النظرية الإسلامية في الإنسان الكامل» - مهدة إلى ي. ماركفارت (١٩٢٥) ودراسات في الوثيقية في العصر القديم - دراسات إيرانية - مهدة إلى ك. ه. بيكر (١٩٢٦). أما ما صرح به ك. ه. بيكر فقد أحرِبَ عنه شيدر عام ١٩٤٦ كائناً: «يبدو تأثيره المباشر على زملاته في الاختصاص إلى دراساته التاريخية الدينية وما كان يتوصل إليه من نتائج في ذلك. وكان منطقته الأساسي هو الحقيقة القائلة بأن العصر الوسيط الغربي والشرق مبعدرى تراث مشتركين وهما الميثيق والمسيحي، في الأول تلقى الجرمان هذا التراث مستغنين عن استقلالهم الفكري، وفي الثاني تلقاه العرب مع تعديله بالعقيدة الإسلامية التي جاءوا واحتفظوا بها عند دخولهم عالم الحضارة القديمة» (٢٠). وكتب شيدر عن ماركفارت الذي جاء كليلك من العهد القديم إلى الدراسات الإيرانية، كتب عام ١٩٣٠: «وأننا نشرح الشاهنامة مثلاً التي لم يكن يتعرض كثيراً لمضمونها الشعرى، كان ينجس إيماناً تستغرق عدة ساعات كان يعلق فيها، دون الحاجة إلى ما يدعى الذاكرة، على خطأ في المتن، أو ملاحظة ميتولوجية، أو نقطة طوبوغرافية، فتصبح إيماناً هذه مصدر علم وافر لا يقدر بشئ» (٢١). ويمكن اعتبار شيدر ورثاً للأثنين. وهكذا فقد أشرف على نشر مؤلف بيكر «دراسات إسلامية» (١٩٢٤)، كما أن بيكر أهدى شيدر الذي كان قد بلغ الخامسة والثلاثين إحدى كتاباته الأخيرة التي كانت نتاجاً أيضاً وتراث الأولين في الشرق والغرب» (١٩٣١). وفي السنة نفسها خلف شيدر ماركفارت في احتلال مقعد تدريس اللغات الإيرانية في برلين.

وفي محاضراته ودراساته الواسعة العديدة كان شيدر يتعرض دوماً إلى التراث اليوناني في الشرق. وفي دراسة خاصة كرسها لاستادته السابق في كيل ف. بيجر بين بصورة تبحث على الاهتمام الاختلاف في استعمار تأثير التراث اليوناني في الغرب (الرومان) وفي الشرق (١٩٢٨) (٢٢). فهنا (أي في الغرب) تُشَدُّ القدرة على المروءية فكري جليد ناتج من الاحتكاك (أي الرغبة التي لا حد لها في التعلم) بالفكر اليوناني، بينما هناك (أي في الشرق) لا نلمس بهذا للتقدم ناتجاً عن الضغائل معه، وإنما حفظاً وتحليلاً له. «بينما نلاحظ لدى الرومان إرادة مفتوحة للتعلم،

لأعمال رودلف بورشاردت (٢٣) R. Borchardt ومقدمة لعمل ج. ياكوب (٢٤) G. Jacob: قصائد مترجمة لحافظ وعسكري. وفوق ذلك فقد عالج شيدر تيارين اعتبرهما مفتحين على حد اقتناعه: إذ كتب مقالين حول رودلف شتاينر (٢٥) Rudolf Steiner ومقالين آخرين حول رسول الانحطاط أوزفالد شبنجلر (٢٦) Oswald Spengler ولم يفته أن يكتب كلمة تقدير عن «مثله الأعلى» ماكس فيبر؛ ففي عام ١٩١٩ بالذات كان قد صدر لأخير مؤلفان أثارا اهتمامه الشخصي أيضاً. وكتب شيدر حول هذين المؤلفين عام ١٩٤٩، بعد الكارثة المؤلمة الثانية التي كان عليها أن يشدها: «إن من كان ينهب آنذاك إلى الجامعة ليتعلم شيئاً حقاً وليشهد في التعلم الحق حرية الفكر، فإنه لن يفسق قط كيف سمح في أول سنوات ما بعد الحرب، وفي وسط الضيقة التي بدأت حول نبوءة الانحطاط التي أرسلها شبنجلر، صوت قوى هادئة مرئيين، صوت سمح في الأعماق. وكان هذا الصوت يؤكد له صحة اللرب المطروق، ويثير الطريق أمام تساؤلاته الغامضة ويكسبها نظاماً وجلاء، ويعطيه شجاعة وثقة لخوض الحياة الفكرية. لقد انطلق ذلك الصوت من كراسين، طبعاً على ورق رديء كما كان يقتضيه الظروف، وضمناً في غلاف بالسـ أصفر، وكان المرء يقرأ الكراسين، ثم يعيد قراءتهما مرة بعد أخرى، ويتأبطها للأصدقاء وقد تجعدت صفحاتهما وامتلات بالخطوط تحت السطور، أو كان يجمع القروش - وكان المرء عام ١٩١٩ لا يزال يحسب بالقروش - ليشرهما بها ويقدمهما هدية للأصدقاء. وكان عنوان الكراس الأول «العالم كهنة» والثاني «السياسة كهنة». وكان يجمع بين الاثنين خليط من الموضوعية والحساس يسلبان اللب ويضعان من الجملة الأولى» (٢٧). وكان هذان الكتيبان الدافع الظاهري لقرار شيدر في استبدال العلم بالسياسة وفي الإسراع إلى ميونيخ للتمثل بين يدي المعلم الكبير. إلا أن هذه الخطوة فشلت بسبب وفاة فيبر المفاجئة. فقد ظل شيدر في برلين وراح يشترك بالاضافة إلى عمله التحريري في الدوريات العلمية التي كان يقدّمها للاهوتي والفيلسوف البروتستنتي الكبير ايرنست ترولتش (٢٨) Ernst Troeltsch الذي أصبح يرمي تراثه الفكري بكثير من التقدير فيما بعد أيضاً.

وفي تلك الفترة كان قد التقى كذلك بعالمين وشخصيتين كان لهما أثر خارق في تكوينه الفكري: وكان الأول مؤسس حقول الدراسات الإسلامية في ألمانيا، وزير الثقافة

وافتحاً حاسماً، لا بل خضوعاً صادق الماطفة للفكر اليوناني، فالتناجد لدى الشرقيين أنه رغم تبنيهم الذي لا يقل عمقاً بالتراث الفكري اليوناني الموروث، إلا أنهم لا يملكون تلك النزعة الفكرية الخاصة بالرومان إلا في حالات فردية استثنائية. ويستمر الرومان مثلاً أعلى لبقية الأمم الغربية حيث أنهم الأمة الأولى التي حققت فكرة الإنسانية<sup>(٢٢)</sup>، وأما ما تعلمه الشرقيون من الاغريق فقد استخلصوه لأغراض عملية، وليس لتجديد ثروتهم الثقافية وإحداث تغيير في كيانهم الثقافي والعلمي<sup>(٢٣)</sup>. إذن فلا وجود لفكرة الإنسانية القائمة على بحث التراث القديم في الشرق! وكنتمة لا هودة فيها لهذا التسلسل الفكري ظهرت دراسة شيدر الزائفة والفرد في الإسلام<sup>(١٩٢٩)</sup>،<sup>(٢٤)</sup> وجاء فيها: وإن أهل قيمة يستطيع الوحي الإنساني تكوينها، وهي الحبرية، لم تكن تعني ولن تعني بالنسبة للشرقي إلا حرية النفس المنطوية على ذاتها السامية في حد ذاتها وحيدة فوق خوف الحياة الأرضية وآلامها<sup>(٢٥)</sup>.

وكانت لدى شيدر أيضاً أمور كثيرة مشتركة بينه وبين ماركفارت فهناك أولاً نفس المنطق: إذ انتقل كلامهما من حقن العهد القديم واليونانية القديمة إلى حقن الدراسات الإيرانية، كما فعل أيضاً تيودور نولكه<sup>(٢٦)</sup> Th. Nöldeke. وب. دي لاغارد<sup>(٢٧)</sup> P. de Lagarde. اللذان كان لهما أثر كبير في تحويل شيدر إلى عالم بالدراسات الإيرانية - وهو الطريق الوحيد الذي يمكن طرده ليتمكن الباحث من التغلب على مشاكل حقن الدراسات الإيرانية. كما أن حب ماركفارت لمعالجة الوجه القوي والتاريخية والدينية والالئوغرافية لمسألة ماء، بحيث يضع قلماً في إيران والآخرى في آسيا الوسطى أو الصين، صفة تمتاز بها دراسات شيدر الاختصاصية. وأود هنا أن أشير فقط إلى عمله وإيرانيكا Iranica. وماركفارت فإن شيدر أيضاً لم يكن يميل إلى نشر النصوص الطويلة المستقلة<sup>(٢٨)</sup> وكان اهتمامهما الحقيقي عمل دراسات نقدية للنصوص المنشورة أو نشر مواضيع معينة من النصوص تتعلق بالمسائل التي كانا يعالجها.

لقد كان طريق شيدر من الحسن البصري (اطروحة الدكتوراة، ١٩١٩) إلى حافظ (بحث إجازة التدريس الجامعي، ١٩٢٢) على خط ميله الخاص إلى المظهر الفكرية على الحد الفاصل بين الدين وعلم الجبال (الشعر). وكان داني هوالبداية كما سبق وذكرنا. أما للمراحل الأخرى فهي: د بورشارت<sup>(٢٩)</sup> R. Borchardt. (هو مترجم داني أيضاً)، وهو جون هوفمانثال<sup>(٣٠)</sup> H. v. Hofmannsthal.

ور. ا. شردور<sup>(٣١)</sup> R. A. Schröder. وحافظ وغوته وأخيراً (وابقاء من ١٩٤٦) ت. س. إليوت<sup>(٣٢)</sup> T. S. Eliot. وظل بحث إجازة التدريس الجامعي «دراسات حول حافظ» محفوظاً غير منشور (ويذكر شيدر فيه ج. ياكوب<sup>(٣٣)</sup> G. Jacob. وهيلموت ريتز<sup>(٣٤)</sup> H. Ritter. كاستاذيه الأديبين<sup>(٣٥)</sup>). وما يضاعف الشعور بالأسف لعدم نشر هذه الدراسة أن شيدريلو فيها عارفاً بجميع الشعر الفارسي الكلاسيكي وقادراً على التمييز بين العناصر الاسلوبية والفردية لدى الشاعر الفارسي. إن اليأس الذي يجب أن ينبج عن معالجة منعزلة لشاعر فارسي يتضح في النقد الذي نشره شيدر حول دراسة ه. ماسيه<sup>(٣٦)</sup> H. Massé. عن الشاعر سملي في مجلة «الاسلام» Der Islam، مجلد ١٤، ١٩٢٤، ١٨٥ - ١٩٠.

وبالحصول على إجازة التدريس الجامعي عام ١٩٢٢ بدأ شيدر الذي بلغ السابعة والعشرين الآن مسرجه المهني اللامع في الجامعة كباحث وأستاذ. ويمكن تقسيم نشاطه العلمي إلى ثلاث مراحل: مرحلة برسلو-كونغز بيرغ (١٩٢٢-١٩٢٦ - ١٩٣٠)، مرحلة برلين (١٩٣١ - ١٩٤٤) ومرحلة غوتنغن (١٩٤٦-١٩٥٧). وكانت الاولى أهم المراحل وأكثرها إنتاجاً. كان في برسلو قد اكتسب معرفة مدهشة في ميادين اللغات السامية والدراسات الإيرانية وعلم اللغات المقارن والدراسات التركية وتاريخ الأديان، وعلم الأديان والفلسفة بالدراسة الذاتية، منزراً معرفته بالاتصال بلوى الاختصاص كل في حقله (وقد تحولت هذه الاتصالات بعد ذلك إلى صدقات). وبالإضافة إلى المذكورين فقد كان يستشير الباحثين التاليين: ج. بيرغشريس<sup>(٣٧)</sup> G. Bergsträsser. (اللغات السامية)، ر. كيتل<sup>(٣٨)</sup> R. Kittel. (الدراسات اليهودية)، ا. هيلبيرانت<sup>(٣٩)</sup> A. Hillebrandt. (حقن أبحاث الفيدا)، ف. تومسون<sup>(٤٠)</sup> V. Thomsen. (علم اللغات المقارن، والدراسات التركية)، ه. فينكلر<sup>(٤١)</sup> H. Winkler. (علم اللغات المقارن)، ف. بانغ<sup>(٤٢)</sup> W. Bang. (الدراسات التركية والماتونية)، ي. ستينزل<sup>(٤٣)</sup> J. Stenzel. (الفلسفة القديمة)، ر. رايتزشتاين<sup>(٤٤)</sup> R. Reitzenstein. (التوفيقية الدينية القديمة)، وه. من. نيبغ<sup>(٤٥)</sup> H. S. Nyberg. (الغنوصية الإسلامية، الدراسات الإيرانية). وتدل مقالاته النقدية المفصلة في مجلة «الاسلام» Der Islam (المجلدات: ١٣-١٥). وكذلك في «الحوليات السنوية الحبرية» «Ungarische Jahrbücher» (المجلد الخامس) على أنه كان قادراً لا على الكتابة كباحث اختصاصي فحسب،

## Urform und Fortbildungen des manichäischen

Systems“ وذلك عام ١٩٢٧، وقد جعلته الموقف الحقيقي لفكر ماني. وقد حكم رفيق شيدر القديم في البحث نيبرغ عام ١٩٣٥ على هذا الكتاب بالكلمات التالية: «إن شرف الأولوية في إحلال النظام في هذه الفوضى (أرى في التنظيمات السائدة حتى ذلك الحين حول طبيعة المانوية الحقيقية - المؤلف) يعود إلى المستشرق الألماني الشاب ه. ه. شيدر فيه فازت أبحاث المانوية بقوة من الدرجة الأولى تمتاز بشروط غير عادية للقيام بأعمالها الماثلة. وقد بدأ مدرجه العلمي بعصفته مؤرخاً دينياً كتلميذ لرايتزنشتاين ... ثم ما لبث أن انفصل عنه فيما بعد ليشق طريقه الخاص بنفسه. وفي عام ١٩٢٧ أصدر في لايبزغ بحثاً عرض فيه رأيه في مسألة المانوية (الشكل الأصلي... الخ) وهو ليس بحثاً واسعاً - ٩٢ صفحة - ولكنه يبين شك أم بحث يزعمي ألف حتى الآن حول مسألة المانوية. فبالإنطلاق من الكساندر لايكوبوليس<sup>(٥٦)</sup> Alexander von Lykopolis الذي يعرض الأفكار الأساسية لنظام ماني دون أي خلاف اسطوري، يسعى إلى تجديد العلاقة بين المحتوى النظري للمانوية والحوادث الاسطورية الخيرة التي تظهر في كل مكان ولا تخلو منها كذلك نصوص خطوطات تورفان سواء في عرض النظرية أم في الترايل. ثم يستنتج أن ماني أقام دينه على نظام فلسفي عقلاني واضح، يهدف إلى إعطاء تفسير للعالم والحياة وإلى منح البشر المعرفة، *gnoŋ*، التي كانوا بحاجة إليها للخلاص. وأمكن التعبير عن هذا النظام بكلمات عقلانية واضحة، فقد كان بلاغة عقلية، *logos* بالمعنى الفلسفي الاغريقي. ولايصال هذه الصالح إلى البشر، استخدم ماني اصطلاحات اسطورية ميثولوجية. وبالرجوع إلى تصورات البشر المألوفة استخدم الصور الميثولوجية للتداول في الاوصاف التي كان يحتاجها كمناصر اسلوبية تعبيرية. وهكذا فالي جانب كلامه العقلاني الفلسفي *logos* قدم الاسلوب الميثولوجي *mythos* كما فعل أفلاطون قبله. وكانت هذه الفكرية عبقرية بحيث جعلت الميثولوجيا المانوية مفهومة من حيث المبدأ مرة واحدة.»<sup>(٥٧)</sup>

ويربط بين المؤلفين وعزراه<sup>(٥٨)</sup> ومساهمات ايرانية<sup>(٥٩)</sup> (١٩٣٠) نفس الموضوع الرئيسي: إيران والكتاب المقدس، وكذلك شخصية الانسان الرئيسي الذي يدور حوله البحث. ففي تحليل ظهوي لكلمة *Sopha* «الكتاب» يتم البرهان على أن عزرا، المجدد الفكري للجيل اليهودي بعد النبي البابل، استخدم هذا القالب كدلالة رسمية على خليفته

وانما فوق ذلك على تطوير البحث في المسائل التي تعرضت لها الكتب التي كان يقرؤها. وفي تلك الفترة أيضاً نشأت دراساته الطليعية الخاصة حول المانوية: «مساهمات ايرانية» وعزرا والكتاب.

كان حسن البصري وحافظ متعلق شيدر لدراسة التصوف الاسلاي<sup>(٦٠)</sup> والنزوعية الاسلامية (مبتدئاً بحركة الباطنية)<sup>(٦١)</sup> وإذ تعرف على الحفل ودخله من الدراسات الرائعة التي ألفها ل. ماسينيون<sup>(٦٢)</sup> L. Massignon وتور أندري<sup>(٦٣)</sup> T. Andrae و. أ. نيكولسون<sup>(٦٤)</sup> R. A. Nicholson وه. س. نيبرغ، وضع نصب عليه مهمة متابعة تطور وفكرة شرقية قديمة مقبته من الحضارة الملهيلية حتى تشكيلها التاملي الكلاسيكي في النزوعية الإسلامية: أما هذه الفكرة فهي فكرة الانسان الكامل (النظرية الاسلامية للانسان الكامل، أسهلها وتشكيلها الشرقي: *Die islamische Lehre vom Vollkommenen Menschen, ihre Herkunft und ihre dichterische Gestaltung* في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ZDMG, Bd. 79, 1925, 192-268). ومن هنا وجد طريقه إلى المانوية. ومنذ اكتشاف البقري ف. ف. ك. مولر<sup>(٦٥)</sup> F. W. K. Müller بين مخطوطات أحضرها معه عام ١٩٠٤ - ١٩٠٥ من تورفان في شمال سينكيانغ مخطوطات مانوية أصلية بثلاث لهجات ايرانية وبالتركية حصلت الأبحاث المانوية على دوافع جديدة. ويجدر بالدرجة الأولى هنا أن نذكر أعمال الفوري الكلاسيكي في كوتنن ر. رايتزنشتاين الذي اشترك مع مؤسس معهد الدراسات ايرانية في كوتنن ف. ك. أندرياز<sup>(٦٦)</sup> F. C. Andreas في دراسة المكتشفات الجديدة وتقييمها وشرحها. وقد أثرت نظريته في سر الخلاص الايراني<sup>(٦٧)</sup>، الذي يرى أنها الأساس الذي تقوم عليه التواشدية والمانوية وطقوس العبادات الملهيلية، قلنا إنها أثرت كثيراً على شيدر وقام بينهما سبيل من الرسائل أدى بعد حين سريع إلى تعاون وثيق. وبالاشتراك مع رايتزنشتاين أصدر شيدر الآن عملاً ذا أهمية هائلة عولت فيه لأول مرة نظرية الانسان الأول (وقد عالج شيدر النظريات الايرانية)<sup>(٦٨)</sup> وكان ذلك عام ١٩٢٦. غير أن طريقتيهما انفصلا بعد حين. فبعد أن انشغل شيدر بدراسة المصادر المانوية لم يعد قادراً على مواكبة رايتزنشتاين على موضوعه الكل الخاص بسر الخلاص. وقررا أن يجمع نتائجهما الخاصة وينشرها. وبذلك نشأت دراسته الملهدة إلى ي. شتينزل J. Stenzel والشكل الأصلي والتطورات التالية للنظام المانوي<sup>(٦٩)</sup>

*For, East to East and West to West  
 Has never the furrow shall meet,  
 Till Earth and Sky have parted  
 At God's great judgment seat  
 And there is neither East nor West,  
 Border nor bound nor birth,  
 When two strong men come face to face,  
 Though they come from the east of the earth.*

*In herzlichen Dankbarkeit für gütige gesandte  
 Gedenkblätter und Wünsche  
 Würzburg 11. Febr. 1944 Hans Heinrich Haack*

هانس هاينريش هاك.  
 تفكر أرملة الأستاذ المرحوم، الدكتور جيره فايد، التي وضعت هذا  
 التصوير تحت تصرفنا.

«مشكلة إيران والكتاب المقدس» حتى وفاة شيلر القضية  
 الرئيسية التي تشغل باله. وقد صمم سلسلة من الدراسات  
 الخاصة الأخرى حول هذه المسألة. إلا أنه لم يتمكن  
 لسوء الحظ من نقل الأفكار الجاهزة في ذكره إلى الورق.  
 ومع ذلك فإن المؤلفين فزيران جداً من الناحية اللغوية  
 البحتة أيضاً. فقد أدرك شيلر لأول مرة كنة «الآرامية»  
 الامبراطورية (كان ماركفارت هو الذي وضع هذه  
 التسمية). والمقصود هنا هو لغة ادارية موحدة كانت  
 تستخدم في جميع دويلات الدولة الأخمينية وتخلو من أى  
 اختلاف في اللهجة ولم تكن لغة للمخاطبة وإنما للتدوين  
 وتتألف من رموز صورية يستطيع كل قارئها بلهته  
 الخاصة. وفي جداول طويل مع ف. ك. اندرياز أظهر  
 شيلر أن الكلمات والأسماء الآرامية في «الآرامية الامبراطورية»  
 لم تكن متقدمة كثيراً في طريق تطورها إلى اللغة الفارسية

ومنصبه الادارى في المملكة الأخمينية. إلا أن الجالية  
 اليهودية اتخذت هذا القالب بمعنى «الكاتب العالم». وبذلك  
 يصبح هنا لقب «الكاتب» رمزاً لمكانة عزراء القريضة  
 الخاصة بين الحكومة الآرامية والمجتمع اليهودي. إن ما فن  
 شيلر في دراساته للكتاب المقدس هو انجاز اليهود القريد  
 من نوعه في حقل الدين، ذلك الانجاز الذي يعتبره  
 مضاهياً لانجاز الإغريق في الميدان الفكري (ولانجاز  
 الألمان في حقل الموسيقى). إن العمليين («عزراء» و«مساحمات»  
 إيرانية) لا يعتبران رمزاً لطريقة بحث شيلر فحسب،  
 وإنما كذلك لطبيعته الفكرية: فهنا يؤدى الجهد اللاهوتي  
 الذي نشأ فيه شيلر في منزل والده إلى إيقاظ الاهتمام  
 بعلم الدين الذي يمثل بدوره وفي الوقت نفسه ربطاً بين  
 الدراسات السامية والدراسات الآرامية ويطرح بذلك  
 وجهات نظر جديدة في التاريخ العالمى! لقد ظلت

الوسطى (المساهمات الإيرانية، ٢٥٥-٢٧٣). ويربط بحثه حول تاريخ تطور الاصطلاح العربي «زنتيق» مؤلفه والمساهمات الإيرانية» (٢٧٤-٢٩١) بمؤلفاته المأثورة. والأكثر أهمية بالنسبة لتاريخ الأديان هو رأى شيلر القلدى حول مسألة التاريخ الأصيل للتعيمد المسيحى. فقد استطاع أن يثبت بطلان موضوعة راينزشتاين القاعة، وهى اشتقاق تعيمد يوحنا وتعيمد المسيحية الأصلية فى تنوعه من التعيمد المائندوى: إذ أن التعيمد المسيحى جاء من التعيمد اليهودى لمعتقى الدين الجديد (١٧).

لقد أفرد شيلر «لوقية الشاعر التنظيمية» مكانة خاصة. فهو يرى أن الشاعر يستطيع ويجب أن «يعطينا ما لا يستطيع أن يعطينا إياه العلم التجريبي فى البحث والتفاس والإفصاح ولا الفلسفة فى المبادئ التجريدية التى تستخلصها فى لغتها المدرسية: ألا وهى الرموز التى لا ينضب معناها والتى تشبع روحنا وتهدئ من قلق خاطرها، الرموز التى تشير إلى علاقات كل شئ بكل شئ. إن وحدة الحياة، والعلاقات الأزلية والبسيطة بين الله والعالم، وبين العالم والـ«أنا»، بين الاجتماع والافراد، إن هذه الأمور هى التى تشغل بال الشاعر والتى - بتشكيلها والتعبير ضها - يربطنا بالمطلق» (١٧). وهكذا قد الفتن شيلر لأمد طويل بالحوار الدائر لدى ر. ا. شرود بين الإنسان والمسيحى، بين الإنسان المعتقد للجمال والمؤمنين. وقد أمدنى له - بالإضافة إلى بضع دراسات - عام ١٩٣٨ كتابه «مجرمة غوته للشرق» وعام ١٩٤٨ الكتاب الذى ألفه مع زوجته «طريق إلى ت. س. ايليوث»؛ وكما سبق وقلنا فإن ر. ا. شرود مترجم أعمال ايليوث أيضاً.

وفى فترة برينسلو-كونفزيبرغ كان شيلر شديد التعلق بهوغوفن هولمانزتال. وقد كرس له دراستين وكتاباً ضخماً كان قد أعلن عنه عام ١٩٣٣، غير أنه لم يسمح بنشره، وقد وصف فيه طريق هولمانزتال من جو بجالى خالص إلى احتلال العالم الفكرى الغربى، إلى الارتباط الشخصى ببقمه الأخلاقية والدينية. ويكتب شيلر فى رثائه هولمانزتال عام ١٩٢٩: «ولقد كان شاعراً يحيل القدرة اللاهائية على التجربة والأك فى طبيعته وفى جيله منذ بداية الظهور إلى فكرة خالصة ويشكلها فى كلمات خالصة، شاعراً انفتح أمامه - بفضل وعيه الطبيعى لثبات النظام الأخلاقى - الطريق إلى علم من الأشكال يحتوى جميع الناحى الإنسانية على اختلاف ألوانها، وهو طريق اجتازه بطاقة تهذيب ذاتى لنفسه تعتبر فريدة فى عصرنا» (١٧). وأصبح هولمانزتال شاعر قدره أيضاً. لقد استقطب الاهتمام بأعمال

هولمانزتال منذ عام ١٩٢٧ عندما اشترك شيلر بدراسة هذه الأعمال مع الباحثة الشاببة المختصة بالشاعر غرته فارينتش (١٧) Dr. Grete Waranitsch (المولودة عام ١٩٠٣) التى أصبحت منذ ذلك الحين حرمه الوفية المضحية ورفيقة عمره وشريكته فى البحث فى حقل الأدب.

لقد بدأت الفترة البرلينية بداية تمد بالآمال والوعود الزائفة. فقد استطاع شيلر الآن أن يوجد مع كثير من أصدقائه (ك. ه. بيكر وف. بانغ وغيرهما) فى مكان واحد. كما أن زملاء القسم فى تلك الجامعة البارزة استقبلوه بحفاوة وود كيرين. وأصبح «جاره» المباشر بعد حين استاذة الفاض السابق فى برينسلو وسلفه فى كونفزيبرغ ريشارد هارتمان (١٧) Richard Hartmann ومرحبا ما أصبح شيلر عضو الندوة الشهيرة «Kränzchen». وبدل نفوس اسماء ومواضيع أعضاء هذه الندوة (ويظهر اسم شيلر كثيراً فيه) الذى طبع عام ١٩٣٩ على مدى نشاط وأهمية هذه المؤسسة الخاصة التى انشأها الاساتذة البرلينيون بالنسبة للتطور العلمى. وأصبح شيلر ناشر عدد كبير من المتسلسلات النشرية التى يجب أن ننص بالذكر منها «الأبحاث الإيرانية Iranianische Forschungen» و«امبراطورية المغول الحالية Das Mongolische Weltreich» ومن مؤلفاته الخاصة فى تلك الفترة نذكر: تحقيقه ودراسته لنقوش آريارامنس الفارسية القديمة (١٧)، ودراسته الخاصة بسلف مائى: باردمانس الراوى، وأربع دراسات من حقل الأديان الشرقية (زراشت - المائوية - محمد فى OLZ، ١٩٣٢، ص ١١٧٧-١١٨٥؛ DLZ، ١٩٣٢، ص ٢١١٣-٢١٢٧) وأخيراً الدراسة «ايرانىكا» (١٧) Iranica. ويذكر شكلها الخارجى بمؤلفه ودراسات ايرانية: «فى محتوى على مسألتين منفصلتين من حيث الزمان والمكان (وهما القبب الأخميني «عين الملك»، ص ٣-١٩، والاسم الصينى 'Rom' Fu-lin من عهد T'ang، ص ٢٤-٦٨) وبجنان آخران أيضاً؛ وتصل جميع هذه الموضوعات بالمائوية. وبفضل مقدرته الخاصة فى إيجاد الصلات والروابط، أدرك شيلر كلمة from فروم فى البارسية والصربغية وهى الكلمة التى سبق لب. ييليوث (١٧) P. Pelliot أن طالب بأنها الشكل الايرانى الشئلى الشرق لكلمة 'Rom' Hrom فى الإيرانية الوسطى وهى الكلمة التى يقوم عليها اسم Fu-lin الصينى. ولهم أيضاً البحثان الآخران حيث يبحث فى الأول (بالنقى) مسألة التعيمد المائوى المزعوم (ص ١٩-٢٤)، وفى الثانى يتناول بالبحث مذهب الديناويرا التابع للمائوية

الشرقية. واستطاع أن يبرهن بالحجة القاطعة أن مؤسس هذا المذهب هو سندان أوريوند حول سنة ٦٠٠ ق.م. لقد ختم شيلدر محاضرة افتتاح مدرسه التدريس في جامعة لاينزغ بعنوان «فكرة تاريخ الأديان الشرقية» (١٩٣٠/٥) لم تنشر؛ وكان شيلدر قد جاء إلى لاينزغ خلفاً لـ A. Fischer (١٩٢٢) بالكلمات التالية: «إن الحوار بين المسيحي والإنساني هو الموقف الذي تواجهه حياتنا الفكرية. ولم تكن هذه الجملة مجرد كلمات «أكاديمية» فصيح، وإنما كانت اعترافاً ذاتياً عما يؤمن به بنفسه. وعندما نعلق بهذه الكلمات كان الاتجاه المسيحي الذي بدأ في بريسلاد قد ولى. وكان الجانب الإنساني هو الفائز في الصراع. وكانت فكرة الثقافة الإنسانية قد طرحت على شيلدر بواسطة غوته، الذي كان قد تمكن من اختيار سعة الفن التنبؤي من قبل أثناء عمله على أطروحة إجازة التدريس الجامعي حول حافظ وشعره؛ ونفى بذلك حكم غوته على شعر حافظ. لقد رافق الكتاب المخلص غوته - كما رافق شيلدر - طيلة حياته؛ وكان - كشيلدر أيضاً - يعرفه بجميع تفاصيله. ورغم أنه كان يعتبره وحى منزل من الله، ولكنه لم يكن بالنسبة لمصدر الحى الوحيد. تماماً كما كان شيلدر يرى ذلك أيضاً في تلك الفترة. وبذلك أصبح غوته بالنسبة لشيلدر الضمانة الكبرى لديانة الفكر تلك، التي اعتقد أنها توحد في ذاتها بين العلم والإيمان.

ثم جاءت فترة ١٩٣٣ - ١٩٣٤. وبق شيلدر في برلين وتولى مؤقتاً مهمة إدارة معهد الدراسات الشرقية (١٩٣٣ - ١٩٣٥). إنه لا يستطيع الحياة دون أن يتفرغ لديه حقل واسع من النشاط والفاعلية، حتى وإن اضطرت سبيل ذلك إلى دفع ثمن من التكيف للوسط الجليدي وخداع النفس والتدخل عن امتلاك خط واضح. وأختلعت الصراعات الداخلية تشوش عليه وقدرته على التركيز. ورغم أنه نشأت مساهمات هامة في حقل تاريخ اللغة والكتابة الإيرانية (٣٢)، وفي حقل النقوش الإيرانية (٣١)، ودراسات تاريخية - طوبوغرافية مليئة بالأراء الخفزة (٣٥)، وتقييم لتعاليم زرادشت (٣٦)، ودراسة حول الزرقانية (٣٧)، ودراسات عن المانوية (٣٨) وعن المسيحية (٣٩)، وأبحاث عديدة، منها ما يعالج أيضاً مشاكل العالم الشرق (٤٠) منها ما يتناول أبحاث الاستشراق الألمانية (٤١) - إلا أنه لم يكتب لأى من هذه الموضوعات المطروقة أن ينمو ويتفرع. وهو في جميع الصعوبات التي يواجهها يجد الرضاء لدى غوته. فقد جلباً بسحر الشرق - ثم الشعور

بالغربة وعملية الانتماء فالانتماء التاريخي ومحاولة انقاذ اللغات واتخاذ السلوك الانشائي في زمن عاصف - هنا اكتشف شيلدر عند غوته علة مشكلات كشكلاته نفسها. ومن أكثر المسائل أهمية بالنسبة لشيلدر في ذلك العهد مفهوم غوته حول تاريخ العالم (٤٢) - وهي المسألة التي كان عليها أن تصبح العمل والمنهج الذي سيضلل شيلدر منذ الآن. وإذا كان في الماضي قد رأى التاريخ بالدرجة الأولى كتاريخ للأفكار والأديان، فقد أصبح التاريخ السياسي يحل المرتبة الأولى الآن - وبعد أن شهد السلطة السياسية. وكلمتين يهتدى بهم في هذا الاتجاه اختار ادوارد غيبون (٣٢) Edward Gibbon وليوبولد رانكه (٤١) Leopold Ranke، وياكوب بوركهارت (٤٠) Jacob Burckhardt، ويوليسر فلهارزون (٤٢) J. Wellhausen، وفلهلم (فاسيل فلاديميروتش) بارتولد (٤٣) Wilhelm (Vasilij) Barholdt، وكان الموضوعان الرئيسيان: «الامبراطورية الفارسية الكبرى» وعمده (دخول العرب في التاريخ العالمي). ولكن الموضوعين لم يتخطيا حدود الدراسات الأولية الصغيرة (٤٤). ومع ذلك فأنهما يستحقان القراءة حتى في هذه الصيغة. وأود هنا أن أشير فقط إلى التفسير الذكي لعبارة «في العام نفسه» نقش دارا. غير أن العمل على غوته وديوانه جاء بهاراً أيضاً. فقد نشأ من ذلك أعظم مؤلف له في هذه الفترة: «تجربة غوته للشرق» (٤٥) "Goethes Erlebnis des Ostens"؛ وفي أعوام حياته الأخيرة رسم أن يصدر طبعة ثانية يوسع فيها الفصلين: «غوته والكتاب المقدس» و«النظرة الحياتية والشكل الوجداني عند حافظ».

ثم جاءت فترة غوتغن وهي فترة الميوط (١٩٤٦ - ١٩٥٧). فقد ذكرته الأعوام التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كثيراً وبصورة حية جداً بتجاربه كطالب يحن عن الحقيقة بعد انهيار الدولة والعقيدة السائدة بعد الحرب العالمية الأولى. وهكذا فقد رأى من واجبه أن يسعف هذا الشباب بالحن في المحاضرات العامة ذات الصبغة الانسانية من حقل التاريخ الفكري والتاريخ السياسي الأوروبي والأوروبي الاسيوي. وقد سعى بهذه خاص إلى تمهيد الطريق أمام الجيل الجديد من مواطنيه التعرف على ت. س. إيليت وعلى المؤرخ الجامع أ. ج. توينبي A. J. Toynbee. وكثيراً ما كان مزاجه يدفعه إلى الضيق بأقوال لا مبالاة فيها، كانت تفهم خطأ أحياناً، وتثير له المتاعب الكبيرة من جهات غخطفة، وكان من نتيجتها أيضاً أنه منع عن لقاء الخطب مدة عام تقريباً. وقد سبب له هذا

لا بد أن يكون قد جاءه وهو باحث ثم الأعداد. ورغم أنه يوجد عدة علماء يشعرون بالانجذاب إليه، ويقدرونه كأستاذهم - إلا أنه لا توجد له مدرسة مستقلة به. فقد كان أكثر عالمية وأوسع شمولاً من أن يعطى مدرسة ما إنجهاً معيناً. وكان شديد التركيز على نفسه شديد الاندفاع. وكان يعيش دوماً بين الحليد المتطرفة. وقد اشتهرت الألقاب الوصفية "Epitheta" التي كان يیدهها من وحى اللحظة ويسجلها كتابة فوراً، وكان يصف فيها أفكار شركائه في البحث، وتلامذته أيضاً. وكان يحثه الدائم عن المواجهات الجديدة الناتجة عن حسه القطري يؤدي إلى إحساس «فوضى مواهب الأمم الجديدة» بالكتب والإعمال لإزاء «مواهب اليوم» والغد، رغم أن استعداده الودي للعون وسجبه للضيافة لم يكن لهما حد. غير أن كل لقاء معه، سواء أكان ذلك في الدروس، أم في منزله، كان دوماً تجربة لا تنسى، وإثراً للمعرفة وتصحيحاً للرؤية وحافزاً لاكتشاف أفكار جديدة<sup>(٩١)</sup>.

إن قائمة من المؤلفات الملهمة إليه وأسماء مؤلفيها الذين يمثلون حقولاً مختلفة عديدة تستبرأ أفضل دليل على تأثيره على البيئة المحيطة به:

1926: Joachim Wach, Die Typenlehre Trendelenburgs und ihr Einfluß auf Dilthey. Tübingen.

Eberhard Zwirner, Zum Begriff der Geschichte. Eine Untersuchung über die Beziehungen der theoretischen zur praktischen Philosophie, Leipzig.

1928: Martin Plessner, Der Oikonomikos. Heidelberg.

1931: C. H. Becker, Das Erbe der Antike im Orient und Okzident, Leipzig.

Julius Stenzel, Metaphysik des Altertums. München und Berlin.

Wilhelm Eilers, Gesellschaftsformen im alt-babylonischen Recht, Leipzig.

Günther Raphael, Quartett Nr. 3 in A-dur für 2 Violinen, Viola und Violoncell. Op. 28, Leipzig.

H. S. Nyberg, Hilfsbuch des Pehlvi, II. Glossar, Upsala.

1934: P. Kraus, Beiträge zur islamischen Ketzer-geschichte. Das Kitāb az-zumurrūf des Ibn ar-Rāwandī, Rom (Rivista, Bd. 14, 93-379).

وغيره من التجارب المأساوية شعوراً بالأسى والكدر، وأضيف إليه المرض والألام العضوية التي لم يعد قادراً على الخلاص منها. وبذل محاولات يعثرها التشنج لتحقيق جزء من مشاريعه على الأقل. إلا أنه لم يتمكن من تأليف بحث جديد عن أناشيد الـ Gathas الزردشتية على الورق، ولا من تحقيق مشروعه الكبير في تأليف دراسة تاريخية حول دخول العرب في التاريخ العالمي، ولم يعرف إلا فصل منه على شكل محاضرة، وهو الذي عالج فيه القبائل الآرية الآسيوية Avaren. ولم تتحقق كذلك محاولاته لوضع كتاب في قواعد الفارسية الوسطى ودراسة حول التصوف الإسلامي، كما لم يتمكن من تأليف بحث شامل جديد عن المانوية استناداً إلى المصادر الجديدة<sup>(٩٢)</sup>.

كانت آخر تجربة شعرية لطيفر هي أعمال ت. س. ايليوت التي تعرف عليها منذ عام ١٩٤٦. وأصبح ايليوت بالنسبة له ما كانه هولتزثال في فترة بريسلو-كوننغزبيرغ وما كانه غوته في الفترة البرلينية. وبذلك نشأت دراساته العديدة حول ايليوت وكذلك الكتاب الذي اشترك مع زوجته في تأليفه «طريق إلى ت. س. ايليوت Rinweg zu T. S. Eliot» (هاملن، ١٩٤٨، ١٦٠ صفحة). أما الشيء الذي فتن شيدر في ايليوت فهو التغلب بقوة الشعر على عصره وأهواله في «الرابعيات الأربع». فكما فعل نيتوون في رباعياته الأخيرة: السموفيق صعيد الموسيقى بموائل الموسيقى نفسها، أراد ايليوت أن ينير بموائل الشعر عالمًا سامياً أعلى من مستوى الشعر نفسه، لا يمكن ادراكه إلا بالایمان. وهنا يظهر التحول اللبني لأول مرة، ذلك التحول الذي يتم في شيدر نفسه في أحواله الأخيرة. ويتحقق ختام ذلك بانتقاله إلى المذهب الكاثوليكي عام ١٩٥٥.

كتب شيدر في رثائه الماركفارت عام ١٩٣٠: «لم يكن معلماً في المعنى المألوف للكلمة. ومن حضر محاضراته ودروسه كمتنئ أصيب بالدوار ولكن كلما حاول المزم أن يتعلم عنده، كلما ازداد فهمه له»<sup>(٩٣)</sup>. غير أن هذه الكلمات تنطبق تماماً عليه نفسه. إذ أن كاتب هذه السطور يستطيع أن يشهد أنه في دوس واحد لمدة ساعتين في مادة الفارسية الوسطى حدث «عزماً وبالنسبة» تناول مسائل أخرى أيضاً كشكل الأدب الفارسي الحديث، وتاريخ الصين القديم، والتاريخ الروسي، وتصنيف اللغات الأفريقية وغير ذلك، تبعها نقاش لآراء شينجلاروف. لك أندرياز دوستوفسكي وغيرهم أيضاً. ولم يكن لشيدر تلامذة أتباع. ومن استطاع أن يفهمه لديه، كان



1943: Bertold Spuler, Die Goldene Horde, Leipzig.

وبعد وفاته:

لقد كان شيلر يتمتع بطلاقة في أغلب اللغات الأدبية الأوروبية والآسيوية (بما في ذلك الروسية والصينية). إلا أنه كان كذلك بليغاً في الألمانية — وهو شئ نادر في تاريخ أدب الاستشراق! وكان حارسه الروائع العلمية التي كان يبدعها زملاؤه في الاختصاص من الاجانب يبلغ حداً بحيث لم يكن يعتبر الأمر مضيقاً للوقت في أن يترجم دراسات موصية بكتابتها إلى الألمانية ليتبع بذلك الفرصة أمام الاساطير المتفخمة الألمانية للإطلاع على هذه الكنوز<sup>(١٢)</sup>.

لقد كتب صحافي سويسري عام ١٩٢٨ بمناسبة محاضرة

ألقاها شيلر في زوريخ ما يلي: «إن الجمهور العام لا يعرف حتى الآن إلا جزءاً يسيراً من علمه ومعارفه ... إلا أن قسماً كبيراً منها يمكن كونه ضخمة أو مشاريع لم يكتمل أكثر من نصفها، وكل ذلك أجزاء من برنامج هائل لا يمكن لإنسان واحد أن يحفظه إلا إذا اقتصد في قواه بعناية. وهنا يمكن للخطر، إذ أن قوة هائلة مدمرة للذات تفيض في جوانح شيلر، وهي ترق في كل لحظة في فقهه، إلا أنها، كما أكد لي وكما اعتقد، أكثر ما تكون تأثيراً في محاضراته وإلقائه الشفوي<sup>(١٣)</sup>.»  
وبما يوصف له أن الأمر حدث كما تنبأت به هذه الكلمات المرافقة. بما يوصف له؟ كلا، إذ لم يكن بالوسع أن يكون الأمر غير ما كان عليه! ونحن، الذين كان من حظنا أن نشهد شيلر، مدنيون لهذا التنبؤ في أن تصبح هذه الأجزاء الرائعة تراثنا المشترك.

ترجمة: محمد علي حشيشو

#### تلميحات

- ١) كابل: ياكوب بوركهات: مؤرخ وديبلوماسي وكتّاب سويسري ولد في بازل عام ١٨٩١. انتخب عضواً في داتزغ من ١٩٣٧ حتى ١٩٣٩. أصبح رئيساً للسليب الأحمر النرويجي من ١٩٤٤ حتى ١٩٤٨، ثم وزيراً مالياً في برلين من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٩ له عدة مؤلفات أدبية وتاريخية.
- ٢) من مقال نشره بوركهات حول هانز هانريش شيلر في الصحيفة السويسرية Die Tat, Zürich, 25. 3. 1937.
- ٣) فيرنر ليجر: عالم باللغات القديمة ولد في منطقة راولاند عام ١٨٨٨ وتوفي عام ١٩٦١. عمل استاذاً في بازل، دكل وبراين وشيكاغو وكامبريدج (ماساتشوستس). برز اسمه خاص بفضل دراساته في الفلسفة اليونانية وتاريخ الفكر اليوناني.
- ٤) فرانتز كيرن: مؤرخ ولد في شتوتغارت عام ١٨٨٤ وتوفي في مايز عام ١٩٥٠. أصبح عام ١٩١٤ استاذاً في فرانكفورت على الماين ثم انتقل إلى برلين عام ١٩٢٢. انتقل من تاريخ للتصانير الويسية وحاول وضع تاريخ عالمي للفكر.
- ٥) ماكس لير: عالم اجتماعي ألماني ولد في أبنفورت عام ١٨٤٤ وتوفي في ميونخ عام ١٩٢٠. عمل استاذاً في برلين وفرايبورغ وهايدلبرغ وفينينا وميونيخ. افتتح في تأسيس الحزب الديمقراطي الألماني وكان بفضل مؤلفاته المتفرقة أهم علماء الاجتماع في عصره والعلوم تطبيقاً. برز كذلك في تحليل السلطة والسيادة وأسس ما يسمى بعلم الاجتماع الحديث. أم أعماله والاقتصاد الحديث.
- ٦) برنارد ماينر: عالم بالآشورية والاكاد القديمة ولد عام ١٨٦٨ وتوفي عام ١٩٤٧. أصبح عام ١٨٩٤ استاذاً مساعداً في هاله واشترك في ١٨٩٠/١٩٠٠ في محاضرات بحث الآثار الآشورية في بازل ثم انتقل لتدريس البرية في المعهد الشرقي في برلين وأصبح منذ عام ١٩٠٤ استاذاً في برلين ومنذ ١٩٢١ في برلين.
- ٧) لوي ماسينيون: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٨٣ وتوفي في باريس عام ١٩٢٦. كان استاذاً في معهد كيريج دو غراس ومن أشهر المؤلفين

(١٤) رودلف شتاينر: مؤسس علم الأروبيوسوف، القائم على دراسة الفكر والفروح. ويرى هذا العلم إلى توسيع علم الفرج الحثي والانطولوجية والمسيحية والتنبؤية والتصفية. والمثالية الفلسفية والديس في نظام موجد شامل. ولد شتاينر عام ١٨٦١ في كروياتا وتوفي عام ١٩٢٥ بالقرب من بازل. أهم كتبه دراسة أعمال غوته وفيتشه.

(١٥) أرنولد شينجلر: فيلسوف تاريخ (١٨٨٠-١٩٣٦) اشتهر بكتابه الرقي ونشاطات التربية التي اعتد على حل آراء غوته ورونتشه لوضع فلسفة التاريخ ونظرية تقييم التطور التاريخي. ويهمل شينجلر في نظره إلى التاريخ من الوضعية ويعمل أدراك التاريخ العالمي من خلال الفن والأدب؛ فيرى في ذلك مشكلات ثمان، يعتبر كلا منها كائناً متكاملًا ذا روح خاصة به في طريق التطور إلى الزوال.

Sonntagblatt der Basler Nachrichten, 43. Jhg., Nr. 27, (١٦) 10. 7. 1949.

(١٧) إيرنست ترولتش: لاحق، وحام اجتماع وفيلسوف تاريخ (١٨٦٥-١٩٢٢). أصبح عام ١٨٩٢ استاذًا في بين ثم انتقل عام ١٨٩٤ إلى ميونخ عام ١٩١٥ إلى برلين. احتل منصب أمين الدولة في وزارة القضاة البروسية عام ١٩٢٢.

(١٨) كاتله هاتينز بيكر: مستشرق حاش بين ١٨٧٦ و١٩٣٣. قام برصدت في أفريقيا وركبها وحمل استاذًا في هامبورغ وبين وبرلين منذ ١٩٣٠. أصبح عام ١٩٢١ وكذلك من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٠ وزيراً للقضاة. له كتب ودراسات استدلالية في جزئين وكان يهتم اهتمامًا خاصًا بفلسفة الفكر والعرب في مصر.

(١٩) يوف ماركولت: مستشرق حاش من ١٨٦٤ إلى ١٩٣٠. كان استاذًا في برلين وكان اهتمامه مبدئيًا بشكل خاص إلى دراسة الجغرافية التاريخية لأسيا الصغرى وأندلس.

(٢٠) Sammlungen, Jhg. 1, 8, Göttingen, Mai 1946, 455. Ungar. Jahrb., Bd. 10, 1950, 119. (٢١)

Der Orient und das griechische Erbe, in: "Antike", Bd. 4, (٢٢) 226-65.

Neue Schweizer Rundschau, Nov. 1928, 807. (٢٣) Antike, Bd. 4, 233. (٢٤)

Biologie der Person, Bd. 4, 1929, 913-35 (٢٥) Die Leistung des Islam, in Z. f. (٢٦) 1931, 353-81.

مراجع أيضاً: R. Kittel, Biblia Hebraica, 2. Aufl. 1937 und 3. Aufl. 1945, 1284-1284.

Die Biol. d. Person, Bd. 4, 923. (٢٦) تيودور نولكه: مستشرق ألماني كبير ولد في هامبورغ عام ١٨٣٦

وتوفي في كارلزروه عام ١٩٠٠. راجع المقالة التي نشرت عن حياته في مجلة نكروني، العدد ٤٩، ١٩٦٧ (العدد الخامس)، ص: ٣٣-٤١.

(٢٧) بول أنتون دي لاكارد: مستشرق وفيلسوف سويسري (١٨٢٧-١٨٩٨). حين من عام ١٨٦٩ استاذًا لغات شرقية في هونغن وما زال

أثر سيا حتى اليوم بفضل شروحه وتحليله لنصوص العهد القديم. اشتهر أيضاً بمقالاته السياسية التي تتناول نقد الحضارة والمسيحية بالروح الغربية الرومانتيكية.

(٢٨) ياكوب كاتيه: قديم بشر كتاب جزرا ونحيا في: R. Kittel, Biblia Hebraica, 2. Aufl. 1937 und 3. Aufl. 1945, 1284-1284.

(٢٩) راجع التعليق رقم (١٢).

(٣٠) ميونخ فون ميونخ: شاعر سويسري حاش بين ١٨٧٤ و١٩٢٩. قام برصدت إلى إيطاليا وفرنسا واليونان. درس الحقوق واللغات الرومانية

وعاش في فيينا أو قريباً منها. كانت أشعاره ومسرحياته الأولى تسم بقوة الشعور والإيقاع الحثي وصفية لثوت والهم. أصيب بجنون أمل

شديدة في أحوال الحرب العالمية الأولى وما بعدها قللت اهتمامه بطرحه في قضايا الفكر والسلطة، الشعراء والزمن، والحفاظ على الفكر الغربي وخاصة الألمان. يعتبر ميونخ استاذًا كاشف ومثالي ومثالي مسرعي مثلاً

وحيثاً للانطولوجية والرواية النسوية. وقد كان لتأثره الوثيق مع المصنفات ويشارد شتراوس أهمية كبيرة للمصرح المصنف الحديث. تتمسك من أعماله

بروح عام جهوده الكثيرة للحفاظ على تراث الفكر الأوروبي.

(٢٢) رودلف ألكساندر شرويدر: شاعر ورومان ولد عام ١٨٧٨ في مدينة برين. كان صديقاً لميونيخال وهورشاور. تأثر بفكره والفكر المحافظ

التي انتسبها من ميونيخال وأصبح حرسياً على الحفاظ على تراث الفكر الغربي القائم على الفكر المسيحية والكلابسيكية الأوروبية.

(٢٣) ت. س. زيلبيوت: شاعر ولد في إنجلترا ولد عام ١٨٨٨ في سانت لويس بالولايات المتحدة. درس في هارفارد وباريس وكسفورد وألمانيا.

أصبح عام ١٩٢٧ مؤلفاً بريطانياً وللاز عام ١٩٤٨ بجائزة نوبل للأدب. يعتبر أهم شعراء إنجلترا المعاصرين والقياديين. تأثر بالرواية الفرنسية

وشعر داني والشعراء الميتافيزيقين وألف أشعاراً معقدة البناء غنية بالرموز والشعائير والأياميات تظهر الأتية الفكرية التي يجتازها العالم

المصري (The Waste Land, 1922) ثم احتل ذلك فيها به شعر يكشف عن احتمالات الطغرس والتكلم على الزمن باللاتيني (Abae, 1948) Four Quartets, 1930) Wednesday, ويسمى أليوت إلى

تجديد الدراما الشعرية الإنجليزية وباريس، كشاعر ومن صفحات مجلة "Criticism" التي يشرط عليها، تأليفاً كبيراً على الأدب الأوروبي.

شير أنه حافظ في لفته الإنشائي.

(٢٤) انظر الملاحظة ١٢.

(٢٥) هيلوت ريدر: مستشرق سويسري حاش بين ١٨٩٢ و١٩٧١. عمل استاذًا في هامبورغ بين ١٩١٩ و١٩٢٦ وفي استانبول عام ١٩٣٥.

كان مثلاً بلسية للمستشرقين الألمان في استانبول من ١٩٢٧ حتى ١٩٤٩. عضو الجمعية القوي في دمشق وغير كبير في الشعر العربي

والفارسي. انظر كلاً من راته في مجلة نكروني ١٨.

(٢٦) هنك في بحث كاشفاته الشعرية الإسلامية ألفت فصل: Die persische Vorlage von Goethes Seilger Schnauze" in: Festschrift E. Spranger, Berlin 1942, 93-102.

وكذلك "Läßt sich die seelische Entwicklung des Dichters Hafts' ermitteln?" in OLZ 1942, 201-10.

(٢٧) ماسيه: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٨٦ وعمل استاذًا في كلية الآداب في الجزائر ثم مديراً للمعهد الوطني لغات الشرقية حتى عام ١٩٥٨.

لشرعة كتب تتعلق بالأدب الفارسي توفي عام ١٩٧١.

(٢٨) ج. بيرجوتيرس: عالم لغات سامية حاش بين ١٨٨٦ و١٩٣٣. عمل استاذًا في استانبول عام ١٩١٥ ثم في كولن بيرجوتيرس وروسلو وهايلينج. يعتبر خبيراً بالشرع الاندلسي أيضاً.

(٢٩) رودلف كيتل: لاحق، بيرجوتيرس حاش بين ١٨٥٣ و١٩٢٩.

(٣٠) القديس الجليليات: عالم بالسنسكريتية حاش بين ١٨٥٣ و١٩٢٨. اهتم بجمع حاش بأدب الهند.

(٣١) ف. كوسن: باحث لغوي دانماركي حاش بين ١٨٤٧ و١٩٢٧ وعمل استاذًا في كوبنلغن من ١٨٨٧ إلى ١٩١٣.

(٣٢) د. فينكلر: مستشرق ألماني حاش من ١٨٦٢ حتى ١٩١٣.

(٣٣) يوهان هيلبر باين-كايوب: عالم بلغات والآداب التركية والإنجليزية حاش بين ١٨٦٩ و١٩٢٢. درس في فرنسا وهولندا وإنجلترا وحل عام

١٩١٤ استاذًا لغة الإنجليزية وألمانيا في ليدن وفي عام ١٩١٧ استاذًا

للم اللغة التركية في فرانكفورت ثم انتقل بعد ذلك إلى برلين. كرس جل

أعماله لدراسة لغات الفارسية والنظرية وتاريخ لغات آتوك وسام

في تطوير الدراسات المتعلقة بالمانوية.

(٣٤) ي. شنتزل: لم تتمسك من التطور على ترجمته.

(٣٥) ر. رابشتاين: عالم بلغات القديمة وطرح أدیان حاش من ١٨٦١ إلى ١٩٣١. عمل استاذًا في ريدلج وبرينج وستراسبورغ وراينبرورج وجوتنجن.

وكونزيريج وهالينج وأختين: أشهر بديهي حول الاسمايات وكتب مؤلفات حول تصنيف والإسلام عروا. انظر كرونو ٦.

(٦٦) Über die Inschrift des Ariarannes, SBAW 1931, 23, (٦٧) 635—45; SBAW 1935, 19, 494—96.

Z. f. Kirchengesch., 3. Folge, II, Bd. 51, 1—2, 1932, (٦٨) 21—74.

Iranica (Abh. d. Ges. d. Wiss. zu Göttingen, 3. Folge, (٦٩) Nr. 10), Berlin 1934.

(٧٠) ترجمت هذه الدراسة إلى الصينية.

(٧١) هـ. بيلو: مشترك فرنسي تخصص في ثلاث الشرق الأقصى وعاش من ١٨٧١ إلى ١٩٤٥ وحمل منذ عام ١٩١١ استاذاً في الكوليج دو فرانس بباريس. أسفروه خطوط قيمة من رحلات في آسيا الوسطى بين ١٩٠٦ و ١٩٠٨.

(٧٢) أ. فيشر: مشترك وله عام ١٨٦٥ في هاله وتوفى عام ١٩١٩ في لايبزغ. درس في هاله وبرلين وماربورج. عمل مدرساً لغة البرية منذ عام ١٨٩٦ في معهد اللغات الشرقية في برلين. ثم انتقل استاذاً إلى جامعة لايبزغ حيث خلف المشترك المعروف لايفر في كرسي علم اللغات الشرقية. وكان فيشر عالماً ممتازاً باللغة البرية ابتداءً من الشعر الجاهل حتى اللغات الحديثة وقد قام بإبحاث قيمة لدراسة هذه اللغات. انظر كرونو.

Beiträge zur iran. Sprachgeschichte, in Ung. Jahrb., (٧٣) Bd. 15, 1935, 560—88; Ein parthischer Titel im Sogdischen, BSOS Bd. 8, 1935, 737—49; Eine verkannte aramäische Präposition (boğan), OLZ 1938, 598—99; Ein indogerman. Liedtypus in den Gathas, ZDMG, Bd. 94, 1940, 399—408; Altpersisch arvanista 'Rüstigkeit', OLZ 1940, 289—93; Die Veröffentlichung der Kopenhagener iran. Handschriften, OLZ 1940, 148—50; Mittel- und neuers. bāš 'aīl', OLZ 1941, 193—201; Beiträge zur mittelpers. Schrift- u. Sprachgeschichte, ZDMG Bd. 96, 1942, 1—22; Ein iran. Lehnwort in den Inschriften von Mithrakāla, ZDMG Bd. 97, 1943, 330—32.

Über einige altpers. Inschriften, SBAW 1935, 489—506; (٧٤) Die Jonier in der Beuinschrift des Dareios von Susa, Jahrbuch d. Deutschen Archäol. Inst. 1922, 1/2, 269—74; Die Gründungsurkunden des Sassanidenreiches und der zoroastr. Staatskirche, ZDMG, Bd. 95, 1941, 14—18.

Türkische Namen der Iranier, Die Welt d. Islams, (٧٥) Festschrift F. Gliese, 1941, 1—84; Zwei altiran. Ortsnamen, ZDMG, Bd. 96, 1942, 127—38.

Was Daqiqi Zoroastriest, in Festschrift G. Jakob, 1932, (٧٦) 288—303; Gott und Mensch in der Verkündung Zarathustas, in Corolla (Festschrift L. Curtius), 1937, 187—200; Zarathustas Botschaft von der rechten Ordnung, Corona, Jhg. 9, 1940, 6, 575—602.

Der iran. Zeitgott und sein Mythos, ZDMG, Bd. 95, (٧٧) 1941, 268—99.

Der Manichäismus und spätantike Religion, in Z. f. (٧٨) Missionskunde, Jhg. 50, 3, 1934, 65—85; Der Manichäismus nach neuen Funden und Forschungen, in Orient. Stimmen zum Erlösungsgedanken, 1936, 80—109.

Historische Theologie und Religionsgeschichte, Z. f. syst. (٧٩) Theologie, Bd. 9, 3 (Festschrift E. Schneider), 1931, 567—79.

(٨٠) هـ. م. نيرخ: مشترك سويدي وله عام ١٨٨٩ وحمل استاذاً في أوبسالا. له همة خاصة كالم باللغات السامية والآرامية القديمة.

(٨١) Zur Deutung der islam. Mystik, in OLZ 1927, ٤٧ 834—48.

Die kleineren Schriften des Ibn al-'Arabī, in OLZ 1925, 794—99.

Zur Stifterlegende der Bektaschia, in OLZ 1928, ٤٨ 1038—58.

Neue Quellen zum Verständnis der bāhānischen Bewegung, ZDMG, Bd. 78, 1924, LXXVI—VII.

(٨٢) انظر ملاحظة رقم (٧).

(٨٣) تور أندريه: لاحق، ومولد أندريه سويدي عاش من ١٨٨٥ إلى ١٩٤٧. عمل استاذاً في ستوكهولم وأوبسالا وأصبح استقفاً في لينكوبينج عام ١٩٣٦. يعتبر عالماً طليعاً في العلوم الآرامية وله عدة مؤلفات عن الرمن وأصل الإسلام والمسيحية.

(٨٤) ر. أ. نيكولسون: مشترك انجليزي عاش من ١٨٦٨ إلى ١٩٤٥ وحمل منذ عام ١٩٢٦ استاذاً في كنينج. من أهم أعماله: التاريخ الأدبي للعرب، ودراسات في التصوف الإسلامي.

(٨٥) ف. ك. مولر: مشترك ألماني عاش من ١٨٦٣ إلى ١٩٣٠ واهتم بدراسة لغات الشرق الأقصى. قدم مساهمة كبيرة في تلك الدول خطوطات تورفان.

(٨٦) فريديش كابل أندرياز: مشترك غصي بالدراسات الآرامية. وله عام ١٨٩٦ وتوفى في ١٩٤٠. ألف عدة أبحاث عن التقدير الآرامية الوسطى وعن اللغات الإيرانية الحديثة.

(٨٧) وخاصة: Das iranische Erlösungsmysterium, Bonn 1921; OLZ 1922, 318—21.

(٨٨) انظر: Studien zum antiken Synkretismus, Teil II, OLZ 1926 (Studien der Bibliothek Warburg 7), 203—355.

(٨٩) انظر: Vorträge der Bibliothek Warburg 4, 63—157. Ein Lied von Mani, OLZ 1926, 104—07; Manichäer und Muslime, ZDMG Bd. 82, 1928, LXXVI—LXXXI; Manichäismus, RGG, Bd. 3, 1929, 1959—73.

كذلك لتقريب Schmidt-Polotsky: Ein Mani-Fund aus Ägypten: Gnomon, Bd. 9, 1933, 337—62.

ومن ذلك أيضاً دراسة شير حول السابئة: Die Stellung der mand. Überlieferung im orientalischen Synkretismus, Klio, Bd. 21, 1927, 441.

وكذلك: Zur Mandäerfrage, OLZ 1928, 163—71.

(٩٠) لم نشر له حل ترجمة.

Z. f. d. neutest. Wiss., Bd. 34, 1935, 85.

(٩١) Esra der Schreiber, Tübingen 1930, VIII, 77.

(٩٢) Iranische Beiträge I, Halle, 1930, Schriften d. Königl. Gel. Ges., 6. Jhg., H. 5, XI, 199—296.

(٩٣) Gnomon, Bd. 5, 1929, 353—70. Archiv f. Rel. wiss., Bd. 27, 3—4, 1929, ٢٤١—77.

(٩٤) Neue Schweizer Rundschau, 1929, H. 8, 573. In memoriam Hugo von Hofmanns- كالك. نفس المرجع. thal, Antike, Bd. 5, 1929, 221—41.

(٩٥) قدمت أربعة شير أوليف هذه القالة مساعدات كثيرة كتعب خزائن أريش وزبيها ومراصة أسنقته القناري الحبيب على تقاسيل من مراسل حياته.

(٩٦) ريشارد هانمان: مشترك وله عام ١٨٨١ وحمل استاذاً في لايبزغ

187

# أنو ليتمان

(١٨٧٥ - ١٩٥٨)

بقلم: الأستاذ رُودف بَاريت

من نصيب اللغات الشرقية بوجه خاص. ولكن بما أن الاستشراق وحده لم يكن آنذاك أيضاً ليفتح المجال لمستقبل مضمون فقد اختار علم اللاهوت كفرع مهني. وفي ربيع عام ١٨٩٨ اجتاز في جامعة هاله امتحان التلمذ الثانوي بمادتي اللاهوت والعبرية كفرضين رئيسيين، والألمانية واللاتينية والانجليزية كفروع ثانوية. ثم تقدم في صيف العام نفسه لأداء الامتحان النهائي الوحيد في الدراسات الشرقية وهو امتحان الدكتوراة في الفلسفة استناداً إلى أطروحة حول الفعل في اللغة التكرية. وفي شتاء ١٨٩٨/١٨٩٩ قضى ليتمان فصلاً دراسياً إضافياً في جامعة ستراسبورغ لدى المستشرق الأسبيل الألبي والعالي في الوقت نفسه تيودور نولكه (Theodor Noeldke) (١)، جد زوجته فيما بعد.

وفي هاله تصادق مع الأمريكي الشاب (W.W.K. Prentice)، وهو طالب كان يدرس اللغات الكلاسيكية. ومن هذه الصداقة نشأت علاقة متينة بجامعة برنستون. وحصل على فرصة ثمينة وهي الالتحاق بعضوية حملة استكشافية أثرية لهذه الجامعة نفسها من ١٨٩٩ إلى ١٩٠٠ في أول رحلة أبحاث إلى سوريا وفلسطين. وفي عام ١٩٠١ استلحق ليحاضر في برنستون. وفي عام ١٩٠٤ وأولد من هناك للمرة الثانية في حملة استكشافية أمريكية إلى اثيوبيا، لكنه لم يمكث فيها حتى النهاية، إذ حصل من برلين أثناء طريقه في تلك الرحلة على أمر مشرف وهو أن يترأس حملة استكشافية ألمانية برعاية الامبراطور فيلهلم الثاني إلى اكسوم.

وبينما مكث ليتمان في اثيوبيا كرئيس لحملة اكسوم الألمانية هذه حصل عام ١٩٠٦ على استدعاء من جامعة ستراسبورغ ليشغل كرسي الدراسات الشرقية كخلف لاساتذه الذي ارحل على التقاعد، تيودور نولكه. ولحق هذا الاستدعاء بكل بهجة وأنهى بذلك شطراً من حياته مليء بالرحلات الاستكشافية. ومن عام ١٩٠٦ حتى تقاعده

في عام ١٩٥٨ ذكرت الصحافة والأذاعة في كثير من التقدير رجلين شهيرين من أولدنبورغ مرات عديدة: وهما استاذ الفلسفة في جامعة بازل كارل ياسبرز (Karl Jaspers)، الذي بلغ آنذاك الخامسة والسبعين عندما منحه جائزة السلام لمائة مجلة الكتب الألمانية، واستاذ اللغات الشرقية في جامعة توينجن إرنو ليتمان عندما وافته المنيعة عن اثنين وعشرين عاماً في الرابع من مايو من ذلك العام. وقد غرس العالمان بشخصيتهما وأعمالهما قطعة من طبيعة ألمانيا السفلى في الجنوب الغربي من البقاع الناطقة بالألمانية وجعلها تشع على العالم كله من وطنها الجديد. وكان كلاهما، رغم اختلاف وجهات نظرهما تماماً، يسميان طيلة حياتهما إلى إدراك ماهو حقيقى واقع وإلى الاعتراف به في واقعهما هذا.

ولد إرنو ليتمان في السادس عشر من سبتمبر عام ١٨٧٥ لصاحب مطبعة في أولدنبورغ. أما أمه فقد انحطت من أسرة ألمانية فريزية. وفي مدينة أولدنبورغ نفسها قضى مع اخوته وانخوته التسعة فترة شبابه الأولى. وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية والثانوية وألم بالعبرية ومبادئ الإيطالية والعربية والسريانية والفارسية وتعلم الألمانية السفلى على يد عم له كان يعيش في الريف، التحق في الأهرام ما بين ١٨٩٥ و١٨٩٨ بجامعة برلين وكرايزفالد وهاله. وكان من اساتذته العالم بالمعهد القديم إميل كاروش (Emil Kautsch)، والمؤرخ ادولف ماير (E. Meyer)، واستاذ اللغات الألمانية أوتو برنمر (Otto Bremer) (٢)، وكان بينهم من المستشرقين استاذ اللغة الحبشية أروست ديلمان

(August Dillmann) (٣)، وفرانتز برنجر (Franz Praetorius) (٤)، الخبير في حقل علم اللغة الحبشية وقراءة النقوش السامية والنحو والوزن الشعرى العبرى، وأخيراً جيورج ياكوب (Georg Jacob) (٥)، واحد من أكثر ممثلي الاستشراق تمحداً في الاهتمامات وخصوصية في الأفكار واستقلالاً في الشخصية. وكان حب الطالب الشاب



Ernst Littmann.

اينس ليتمان.  
لشكر السيدة إزرا ليتمان بتبرينج لإرسالها اليها هذه الصورة.

في اللغات الأصلية أو بصيغ مترجمة. كما أن ترجمة ألف ليلة وليلة في مجلداتها الست وفي لغة دقيقة واسلوب في رائع، يمكن كذلك أن تنسب إلى حفل اهتمامه وعمله هذا.

وإلى جانب كل ذلك فهناك عدد كبير من الحقول الجاهلية التي أجرى ليتمان فيها بحثاً علمية: كالمهدين القديم والحديث والاسلام واللغة التركية ولغة النجر والألمانية السفلى وغير ذلك كثير. وإن فهرس المؤلفات الواسع الذي أعده انتين شال Anton Schall<sup>(١٢)</sup> والذي نشره عام ١٩٥٥ في المؤلفات التذكارية «قرن من الاستشراق» بمناسبة العيد المائتين للمستشرق الكبير ليشير إلى اتساع وعمق إنتاجه العلمي. فكثيراً ما تجتري متنوعاته الصغيرة معارف وتفسيرات لغوية هامة. وقد أثار كثيراً وبوجه خاص فيما كان ينقله من الكتب بأسلوب واضح متحفظ نقاد. وأخيراً،

عام ١٩٥١ ظل يعمل استناداً نظامياً للنواصير الشرقية في الجامعات الألمانية. وحتى عام ١٩١٤ ظل يدرس في ستراسبورج — مع فترتي انقطاع قضى الأولى منها وهو يحاضر في جامعة القاهرة الحديثة آنذاك، والثانية في تركيا لحل رموز النقوش المبدية التي وجدت في ساردس — وعمل من ١٩١٤ حتى ١٩١٦ كمخلف لفلهاوزن J. Wellhausen، في غوتنجن، ومن ١٩١٨ حتى ١٩٢١ كمخلف لبيكر G. H. Becker<sup>(١٣)</sup> في بين، واجتلاء من ١٩٢١ كمخلف لزايبولد Chr. Fr. Seybold<sup>(١٤)</sup> في توينجن. ومن جامعة توينجن كان يعضى عدة مرات خلال الحربين إلى القاهرة والاسكندرية لالقاء محاضرات علمية وللإشتراك في جلسات المجمع اللغوي في القاهرة. ولكن وطنه الثاني ظل تلك المدينة الجامعية السوابية. وقد رفض أثناء عمله عروض من جامعات برلين وهابيلبرغ ومينينج والتينبور و غوتنجن.

وكان اتجاهه الاختصاصي ضمن حقل الاستشراق. الراسخ نتيجة موهبة لغوية لدية هذبت منذ الصغر، وتأثير متواصل عميق الأثر من أساتذته المستشرقين ديلمان وبرتوريوس ونولدكه. وقد حدد هذا الاتجاه أكثر بعد إنهاء دراسته بفضل رحلاته الاستكشافية وما نجم عنها من مهمات ووجهات نظر خاصة. وقد تركز اهتمامه وجهده العلمي على فك رموز النقوش السامية. وكان يعمل بلا هوادة وفي دقة متناهية على حل النقوش التلمرية والنبطية والسريانية والعبرية والعربية والآشورية وشرحها. وقد عمل بحيرة متناهية كذلك على حل النقوش السبئية واليونانية واللاتينية والليدية وتفسيرها. ومن اهتماماته العلمية الكبيرة أيضاً حفل اللغات الحبشية الواسع الذي لم يتطرق إليه إلا القليلون. فبالإضافة إلى اهتمامه بالآشورية وهي اللغة الكلاسيكية انجبه إلى البحث في اللغة الامهارية الحديثة وكذلك في لغة غالاء، والمروري وتيجرينيا وخاصة لغة تيجرى. ولم يقتصر في ذلك على الحقل اللغوي البحت، بل عالج كذلك مسائل الوزن الشعرى والأدب (وفن شعر الغالاء و«تاريخ الأدب الآشوري») وأوضاع أثيوبيا الحديثة على اختلاف أنواعها. وقد أهتم بوجه خاص بجمع الاشارات الشعبية والمواد القولكلورية بوجه عام من البلاد التي كان يزورها أى من البقاع الناطقة بالحبشية والعربية، كما كان مهتماً بتقديم هذه المواد لقراء عن طريق ترجمتها ما وسعه ذلك. وهنا يمكن جانب هام آخر من جوانب نشاطه العلمي. فنحن مدنين إلى ولعه الشديد بالمجمع والشعر في تلك اليوم من عدد كبير من النصوص العامية، العربية والحبشية،

لا بد أن نذكر في هذا الخصوص أيضاً عمله ككشاف على إصدار القهرس الحبشي Bibliotheca Abessinica (من ١٩٠٤ حتى ١٩١١) وعجلة الدراسات السامية (من ١٩٢٢ حتى ١٩٣٤).

إن الكتب والمقالات التي ألفها ونشرها ليّان خلال حياته المدنية مستخلصة وتتم في الدوائر المختصة وغيرها أيضاً. ولكن صورة هذا العالم الكبير لن تتم إذا سنبنا فيه الإنسان الحيوي النشط. إذ لم يكن استاذ اللغات الشرقية في توبنجن عالماً جافاً. بل إنه كان يصنع جمعية نادرة وهي قدرته على تمثيل التوارد والتجارب والمواقف التي شهدتها أثناء ترحاله وتجماله بأسلوب تخيلي بارع، وإعادتها من الذاكرة في تصوير يكاد يشبه الحقيقة. وكان يسبح بملك جواً من الانفراج والمرح على طلابه ويتفهم بطريقة مسلية إلى أوساط شرقية خالصة. وكان في الأحاديث الخاصة سيلاً في رواية التوارد والمطلع وفي تقليد الهجاء بفضل مواهبه القوية النادرة. وكان يحب العشرة المرحمة الطبيعية بوجه عام، وخاصة في التلوات الصغيرة. وكانت تربطه أواصر الصداقة بعدد كبير من الرجال حتى بعد فترة عزوبته. وبعد زواجه واصل عشرة أصدقائه في إطار الأسرة، وراح يستقبل الزائرين القادمين من قريب وبعيد في منزله الجميل في شارع موريك ويستضيفهم على الرحب والسعة. وكانت تروى الأقاصيص والأحداث الذكية في الأمسيات الطويلة أثناء تلخين الخليلين أو السجائر واحتساء كأس من الخمر.

ولم يكن ليّان يهوى الإفراط في الكد. وكان متحفلاً في الأمور للشخصية ويكاد يكون خجولاً لإزادها. ولم يكن يتحدث كثيراً عما كان يراه في أعماق نفسه. ولكن طبيعته الأميلة كانت تشع بوضوح لا يحوص فيه جواً من الصفاء والجلال. وفي كثير من طيب المنصر وحب المساعدة والمسالمة والتواضع على غير جهل بقدرة الحقيق، أصبح المستشار السري البروسي، ذو القامة المنيهة والرأس الذي يشع تعبيراً وفكراً ناقياً، أصبح مع مرور الأعوام والأجيال السيد الجليل الحقيق للاستشرق الآلاني. وقد تعرف أثناء رحلاته الكثيرة على عدد كبير من البشر في الشرق أيضاً. وبفضل قدرته على عادة أهل البلاد بلغتهم الأصلية، وبفضل اهتمامه الطلي والانساني بأعالمهم ومشاكلهم لم يكسب احترامهم وأصحابهم الشديدين فحسب، بل ونال حبيهم وصلاتهم أيضاً.

وخلافاً لمواطنه ياسبرز، لم يكن ليّان يهتم بالفلسفة.

كما أن القضايا اللاهوتية لم تثر اهتمامه رغم دراسته اللاهوتية. ويمكن اعتباره بشئ من التحفظ ابناً متأخراً من أبناء عهد التنوير العقل وتأييداً من أتباع المذهب الوضحي. وكان دافع المعرفة العلمية لديه يشق من حيث المبدأ سبيل الطريقة الاستقرائية. وكان يهتم بالدرجة الأولى بالحقائق القائمة سواء كانت قسماً أم أشكالا لغوية أم مواد فولكلورية. فكان يسمى إلى ايضاحها وتفسيرها متجنباً بقل ما صوره أن يضيح في التأملات التاريخية الفكرية. ولذا فانه لم يكن كملك مؤرخاً حقيقياً رغم إعجابه الشديد في سنوات دراسته بإدوارد ماير ويوليس فلهاوزن فيما بعد. وحتى في حقل أبحاثه الخاص قلما وجد نفسه مستعداً لتقديم إبحاث تركيبيّة شاملة. ولم يتمكن من تنفيذ مشروعه الذي أعلن عنه طويلاً وهو تأليف كتاب في قواعد اللغة اللاتينية. ولكن بسبب طريقة عمله الخلقة والمادة إلى ايضاح الحقائق والملمن وتفسيرها ظلت نتائج أبحاثه صامدة أمام النقد والظمن.

وبسبب الانجازات الكبيرة التي حققها إينو ليّان تجاوز تقليده وشهرته حدود ألمانيا وتعداه إلى الدول الأوروبية الأخرى والولايات المتحدة والشرق الأدنى. وكان يحمل درجة الدكتوراه الفخرية في اللاهوت من جامعة هاله، والدكتوراه الفخرية في الفلسفة من جامعة القاهرة. وكان عضواً في المجمع العلمي في برلين وغوتنجن وماينز وأستردام وبروكسل والقاهرة وكوبنهاجن وباريس وروما، كما كان عضواً فخرياً في الاكاديمية العلمية في فيينا، والرئيس الأول ثم العضو الفخري لجمعية المستشرقين الألمانية، وكان فلوس مرتبة السلام في نظام pour la science وحائزاً على اوسمة أجنبية رفيعة. ومن الطبيعي أن هذه الأمجاد لم تلق في نفسه الرفض، ولكنه كان يتلقاها بالتواضع المعروف عنه، ولم يحاول أن يتباهى بها قط. وكانت رغبته الأخيرة أيضاً أنه يود حين سيحين الأجل أن يتأخر العلم والحياة بهوده، تماماً كما جاءها بهوده. وقد تمت مراسيم إحراق جسده ومباركته في أضيق دائرة من أفراد عائلته وبعض أصدقاء الأسرة. وبسيرة بسيطة مختصرة كان قد كتبها بنفسه لهذه المناسبة، وقد قرئت في هذا الاحتفال الجنازي العائل الضيق، تكلم بطبيعته المتكاملة المتناسقة لآخر مرة. إن هذا العالم العظيم ليستحق الخلود ببساطة ودون تزوير في ذاكرة جميع من تعلموا منه، ومن كانوا مقربين إليه، ومن قدروه وأجلوه.

ترجمة: محمد علي حشيشو

## تطبيقات

(١) كارل ياسبرز (Karl Jaspers): فيلسوف معاصر وله في ١٨٨٢/٢/٢٣ في برلين وبروخ، وأصبح استاذاً في هايدلبرغ وبازل. وبدأ حياته كطبيب نفسي، وما لبث أن أصبح مع هاينريش مونس الفيلسوف الوجودية.

(٢) إميل كاوتس (Emil Kautzsch): عالم لاهوتي بروتستانتي وله عام ١٨٤١ في بادون وتوفي عام ١٩١٠ في هاله. وأصبح استاذ العهد القديم في بازل عام ١٨٧٢، وفي جوتينغن عام ١٨٨٠ وفي هاله عام ١٨٨٨.

(٣) إدوارد ماير (E. Meyer): مؤرخ عاش بين ١٨٥٥ و ١٩٣٠.

(٤) أوتو بريمر (Otto Bremer): من علماء اللغة الألمانية وله في شترابونك عام ١٨٦٢ وأصبح استاذاً للغة الألمانية في هاله عام ١٩٠٥.

(٥) أوغست ديلمان (August Dillmann): مستشرق وعالم لاهوتي بروتستانتي، ولد في ولاية فورتمبيرغ بالألمانيا في ١٨٢٣ وتوفي في برلين عام ١٨٩٤. عين عام ١٨٥٤ استاذاً في كيول، وعام ١٨٦٤ في هلمين، وعام ١٨٦٩ في برلين. برز في إبحائه في اللغة الآثورية، كما ألفت عدة شروح لكتب العهد القديم.

(٦) فرائز برتوريجوس (Franz Bractorius): عالم بالغة السامية ولد في برلين عام ١٨٤٧ وتوفي في برسلو عام ١٩٢٧. أصبح استاذاً في برسلو عام ١٨٨٠ وفي هاله عام ١٨٩٣. وقد نشر إبحاءاً علمية لتتليل اللغة الجليشية وتفسير النقوش السامية وقواعد اللغة العبرية وأوزانها الشعرية.

(٧) جيورج ياكوب (Georg Jakob): مستشرق غصص باللغة التركية وعلم الإسلام، ولد عام ١٨٦٢ وتوفي عام ١٩٣٧. أصبح منذ عام ١٩١٢ استاذاً للغات الشرقية في جامعة كيول وأهم خاصة بدراسة التصريف ومصاحب العالم كالكنتاني. وله مؤلف طريف وهام حول تاريخ مسرح المراسل وخيال الخيال في الشرق والغرب (أنظر فكر وفن، المجلد ١١).

(٨) تيودور نولدكه (Theodor Nöldke): بشأن هذا المستشرق الكبير راجع المقالة المنشورة في فكر وفن، المجلد ٩، السبتمبر ١٩٣٣.

(٩) د. ك. بريتس (W. K. Prentice): عالم أمريكي، اعتصالي في اللغات الكلاسيكية، وله عام ١٨٧١.

(١٠) يوليوس فلهاوزن (J. Wellhausen): مستشرق وعالم لاهوت بروتستانتي، ولد في هاملن عام ١٨٤٤ وتوفي في جوتينغن عام ١٩١٨. ويصير أهم عالم غصص بالعهد القديم في القرن التاسع عشر. أصبح استاذاً للاهوت في خرايفزفاله عام ١٨٧٢، واستاذاً للغات الشرقية في هاله عام ١٨٨٢، ثم في ماربورغ عام ١٨٨٥، وفي جوتينغن عام ١٨٩٢. له مؤلفات وإصحات عظيمة في اللاهوت وتاريخ العهد القديم. وتكثرت بلوزا اكتشاف في الأناجيل آثاراً ذات أصول آرامية. وكمثال باللغة العربية وعلوم الإسلام فقد شرح فلهاوزن وقايا الوثائق العربية وألف أول تاريخ نقلي للفترة الإسلامية الأولى في كتابه والامبراطورية العربية وسقوطها، كما ألفت أيضاً كتاب الأحزاب البدئية السياسية للمعارضة في بياكر عهد الإسلام. (أنظر فكر وفن، المجلد ١٣)

(١١) كارل هاينريش بيكر (Carl Heinrich Becker): مستشرق وسياسي بروسي، ولد في استخدام عام ١٨٧٦ وتوفي في برلين عام ١٩٣٣. وقد عمل استاذاً في هايدلبرغ وهايمبورغ ووين وبرلين. وعمل منذ عام ١٩١٦ في وزارة الثقافة البروسية وأصبح من عام ١٩٢٥ حتى ١٩٣٠ وزيراً للثقافة. ومن أعماله كوزير للثقافة إصلاح نظم التعليم الجامعي وتأسيس الأكاديميات البروسية وأكاديمية الفهرمان. ومن أهم مؤلفاته في حقل الاستشراق ومقالات وبحوث في تاريخ مصر في العهد الإسلامي، (جولاند، ١٩٠٢-١٩٠٣) ودراسات إسلامية (جولاند، ١٩٢٤-١٩٣٢)، وتقول منذ عام ١٩١٠ إصدار مجلة والإسلام الألمانية المرموقة.

(١٢) زايبلر (Chr. Fr. Seybold): ولد عام ١٨٥٩ وكان استاذ اللغات السامية في جامعة توبنجن. وقد حقق ونشر آثار ابن أبيباري، كما أصدر القاموس اللاتيني - العربي وغير ذلك من المصطلحات العربية الكلاسيكية. توفي عام ١٩٢١.

(١٣) أنتون شال (Anton Schall): استاذ اللغات السامية وعلوم الإسلام في جامعة هايدلبرغ ومن المستشرقين المعاصرين الألمان المرموقين من مؤلفاته العامة ودراسات حول المفردات اليونانية في اللغة السريانية، وكتاب حول فن الشعر الآثوري.

# الينوليتمان استاذاً ولباً

## بقلم مراد كامل

ومن المعروف ان الدكتور طه حسين في حفل تأبين الاستاذ ليثان على عهد الزاوي كان من تلاميذ الاستاذ ليثان في الجامعة المصرية القديمة، والتي كان ليثان عميداً لكلية الآداب بها فترة من الزمان، كما كان الأمير أحمد فؤاد (الملك فؤاد فيما بعد) مديراً لها.

والواقع أن ما أحس به طه حسين وعبر عنه بهذه الكلمات، وهو من الرعيل الأول من تلاميذ ليثان، أحسنا به نحن فيما بعد، ولسمناه من معاملة الاستاذ الأب.

كنا نحيط به في منزله في قاعة من قاعات مكتبته نستمتع إليه يحاضرنا، يرضى كل منا بطفه خاص. وأذكر أني

قال الدكتور طه حسين في حفل تأبين الاستاذ ليثان بجميع اللغة العربية: «وما أنسى ظن أنسى الاستاذ ليثان حين لقيته في مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين، في مؤتمر لينيزج، وكنت ألقى حديثاً في هذا المؤتمر، وإذا الاستاذ ليثان - وكان رئيس الجلسة في ذلك اليوم - ينيكي بكاء شديداً، كأنه تأثر أن يرى تلميذه يتحدث بين يدي هذا الجمع من العلماء المستشرقين الذين أقبلوا إلى هذا المؤتمر في لينيزج.

كانت إذن بين ليثان وبينى هذه المودة التي تكون بين الآباء والابناء».



قالت نعم هذا من قرية بفيفنجن Pfaffen Ingen ونلقبهم بالمصريين.

فمجيئ لنا وأخذت أسأل عن بفيفنجن وهي قرية من توبنجن يمرى فى وادىها واد من رولفد نهر النكر يسمى الأمر وعرضه لا يزيد عن المتر، وعبر الساترالى هناك على جسر خشبى يسميه الاهالى جسر قناة السويس، ووجدت وادى الأمر جهة بفيفنجن متسعا اتساعا لا يطق مع ضيق النهر الصغير.

وسألت نفسي، هل مر من هنا بعض الغجر، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم المصري (جيسى)؟ ولكنى وجدت الناس هناك من الاملان الصرغ ومحتشم الالمانية، وليس بهم ما يدل على دم ججرى دخل عليهم. وذهبت إلى الأستاذ ليثان، وقلت له أنت تحب الآداب الشعبية وتمشقا، فهل لك أن تشرح لى معنى هذا؟ وكيف أصبحت عندكم كلمة مصرى؟ سبة؟

ولم تخف الا أيام حتى جاء مهلا، فقد توصل إلى كشف السر، وتعليل أصل الموضوع. فوجد أن رافد الأمر ضيق جدا وهو يمرى تحت الشوارع فى توبنجن، بينما نهر النكر متسع. ووجد أن حوض نهر النكر فى هذه المنطقة ضيق جدا، بينما وجد أن حوض الأمر فى بفيفنجن متسع وخصب. وقد سمي الطلبة فى توبنجن الأمر على سبيل الدعاية نهر النيل، وبطبيعة الحال الأرض التى يمرى فيها الأمر هى مصر أى بفيفنجن، وسمى الناس سكانها بالمصريين.

هذا هو تعليل الأستاذ ليثان لمسألة معقدة غامضة، تدل على أنه كان لاقب النظر فى كل ما يتعلق بحياة الشعوب وتفكيرهم.

#### سرعة خاطره

ذهبت مع الأستاذ ليثان إلى إحدى المكتبات فى حى من أحياء القاهرة القديمة، وكان يريد أن يشتري بعض الكتب، وأخذ يناقش صاحب المكتبة فى الثمن. فقال له صاحب المكتبة انت خواجه ومك من التقود ما يكفى أن تلغ القيمة التى طلبتها منك. فرد عليه الأستاذ ليثان على البنية مداعبا، ابدا، أنا حتى ساكن فى درب الفلسين. فظن صاحب المكتبة أن هناك دربا يسمى درب الفلسين يسكنه من لا مال عنده، فرق حاله وتجاوز له عن نصف قيمة الكتب.

كان الأستاذ ليثان فى طريقه إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة وكنت أحبه، وكان عليه فى هذا اليوم أن يناقش

حين حضرت من مصر اليه كنت أجهل الالمانية تماما، وكان يراملى أحد الاسبان، وهو مجهل الالمانية ومعا طالب للمانى. وكنا نقرأ النص الاثيوى عليه يترجمه الالمانى بالالمانية والاسبانى باللاتينية وأنا بالعربية.

كان لى زميل أجنبى يحضر رسالة الدكتوراه على الأستاذ ليثان، وأتى اليه يوما يبكي ويدكر له أن حكومته قد أنهت بعثته وأنه يريد أن يتقدم إلى الدكتوراه خوفا من أن يعود إلى بلده دون الحصول على شهادته. وكان ليثان يعرف أن بينه وبين إتمامها بعض الوقت، وتحركت عاطفة الأبوة وتغلبت على موقف الأستاذية قبل الرسالة. ولما تبين له أن الطالب استغل ما عرف من ليثان من حطف على أبنائه الطلبة، لم يفتضب وإنما أضعاف من وقته الثمين فيها يهد حوالى الخمسة ساعة، يصصح الرسالة حتى تطبع على الوضع العلمى اللائق.

#### ذكر ليثان

اعتاد ليثان أن يدعو طلبته فى آخر كل فصل دراسى على حفل عائلى فى منزله، وكان يقص علينا من ذكرياته الكثيرة. أذكر وهو يتحدث عن استاذته نولدكه، أن نولدكه كان يدعو طلبته أيضا فى آخر كل فصل دراسى وكان يقابلهم فى منزله بستره المتزل، ويلاحظ ليثان أنه كان يجد أضرار هذه السهرة تنقص زواكل عام حتى لم يبق فيها من الأضرار شئ عام وفاته.

ومعذنا عن الملك فؤاد أنه كان يتحدث معه بالاطالية بطلاقة ولكن بلهجة روم.

ويذكر أنه كان فى صحراء الشام ومر بجيمة متزلة ورأى ثلاثة أطفال يلعبون خارجها، وما كانت أشد دهشته حين سمع الأم تنادى أطفالها من الداخل ويحتشم بلهجة المانية سويبية Schwäbisch.

#### هل المصرى سبه؟

كنت اسكن فى توبنجن فى غرفة فى الشارع الرئيسى، وكان اليوم صيفا، وأنا جالس إلى مكبى. وفى غرفة مجاورة تحيط بناقلها زهور الجارونيا وقت صاحبة المنزل نسق الزهور. وسقط بعض الماء على عامل بورشة اصلاح السيارات فى أسفل المنزل فأخذ يسب. وأملت صاحبة المنزل من النافذة ورأت العامل فقالت له: «يا مصرى»، ثارت ثائزته وأخذ يسبها ويلعنها.

ولم أصطق أخذى بادئ الأمر، فلهجت إليها أسلمنا اذا كنت ما سمعت صحيفا، وهل قالت له يا مصرى؟

يوجه اليه الكلام. وعلى أى حال لم يظهر صاحبنا بهذا المظهر قريبا بعد في أى حل من الحلقات.

كان من سوء حظى أن أبداً بدراسة اللغة الألمانية في تورينج، وزاد الطين بلة أن النص الذى بدأت أدرسه وأترجمه، كان مقدمة كتاب قواعد اللغة الاثيوبية لديليان. وتبدأ المقدمة بحملة في أول الصفحة وتنتهى عند ثلث الصفحة الأخير، ويضللها جمل اعتراضية وجمل موصولة وما إلى ذلك مما هو معروف بطريقة كتابة العلماء الألمان في القرن الماضى، والمؤثر بأسلوب الكتابة اللاتينية في المصور الوسطى. والحقيقة أن هذه البداية في تعلم الألمانية قد كونت عندي عقدة نحو الألمانية وصورت لى اللغة الألمانية بأنها صعبة للمثال، معقدة الأسلوب، لا سبيل إلى معرفتها مهما بلغت من سر هارون أو حكمة سليمان.

وسألتى الأستاذ ليثان عن حالى في دراسة الألمانية وما احترته من تقدم في معرفتها. فقلت أدور منذ شهرين عند جملة واحدة، وشرحت له ما ألقته من عقبات وما أواجهه من صعوبات. فقال لى لا تيأس، ودخل معى إلى مكتبته وقف حيث وضع ترجمة ألف ليلة وليلة. وقال أتعرف كيف أمكننى أن أنهى هذه الترجمة في وقت قصير، وعلى غير وجه؟ طريقة واحدة، ومنهج واحد يجب أن يضمه المترجم نصب عينيه: وهو أن يقسم الجملة الطويلة إلى جمل قصيرة، وبهذا يصل إلى هدفه في أسلوب سهل مجمع، مفهوم من القارئ، به رقة وأناقة. وكان هذا هو الطريق الذى سلكته في ترجمة ألف ليلة وليلة. وأصبح هذا الدرس نبأساً لى فى حياتى حين أترجم وحين أكتب أيضاً.

يقول الأستاذ ليثان كنت في أكسوم في اثيوبيا فطلب من أحد العمال أن يأتينى بحجرة وأشرت على حجرة كبيرة وتلفت العامل حوله وقال للأستاذ انى لا أرى حجرة، وإنما ما أراه حجراً، لأن الحجر كبير والحجرة صغيرة. وقد نهت هذه العبارة الأستاذ ليثان - كما يقول - أن التاء هنا ليست للقومث أو للوحدة وإنما للتعصير. وقد ذكرت له أن هذا الاستعمال شائع أيضاً في العربية الحديثة. وجعله هذا يفكر في الكثير من اسماء الاعلام العربية القديمة المذكور الى تنهى بالتاء هي في الواقع ليست موقفة، بل هي نوع من التعصير لم تأخذ به اللغة العربية ولا اللغات السامية. وهذا النوع موجود في بعض لغات جنوب افريقيا، في لغة الناما مثلاً، وفيها تقسم الاسماء الى أقسام مختلفة يدخل الكثير تحت قسم المذكور،

رسالة ذكرناه عن ألف ليلة وليلة المذكورة سبيل القلأوى. وبينما كان في طريقه الى دخول الكلية بالجيزة، قابله ساعى مدير الجامعة واسمه عبد العاطى وكان يعرف الأستاذ ليثان منذ أن كان عينا في الجامعة القديمة، فبادره بالتحية، فقال له ليثان ملاحظاً يا عبد العاطى أنا اليوم مسرور جداً لأنى امتحن بنت ابنى يقصد سبيل القلأوى وهى تلميذة المذكور طه حسين الذى يشتره ليثان من أبنائه. فرد عليه عبد العاطى يا أستاذ ليثان مصر مليئة بالأولاد واولاد الأولاد. فقال له ليثان أخفض صوتك حتى لا تسمعك زوجتى وتصدق ما تقوله، وتحاف أن لا يبق لها من الميراث شيئا.

طلبت اليه في الاحتفالات باليوبيل الفضى لجامعة القاهرة صورة فوتوغرافية وكان قد بلغ الخامسة والسبعين من عمره، لأن الجامعة كانت قد كلفتني بالكتابة عنه نبذة تنظر في كتاب الوبيل الفضى، وهو ذكرى مرور ٢٥ عاماً على انشاء الجامعة، فأعطاني صورة له وهو في سن الستين. فقلت له هذه صورتك وانت في الستين، فرد على قائلا انشر هذه الصورة، لأنى لا اريد أن يتذكرني الناس بعد موتى بأكثر من هذه السن وهذا الشكل والسحنة.

### ملاحظات ثالثة

كنت في برلين وارسلى لى الأستاذ ليثان خطابا يطلب منى الرد على بعض المسائل. وتأخرت في الرد عليه. ولما حضرت لى تورينج وقابلته أخذ يعتز عني لتأخرى في الرد عليه لكثرة مشاغل وقال لى انى نظمت أوقاتى بأن خصصت يوم الاثنين من كل اسبوع للرد على البريد وبهذا أنمى ما على أولا بأول. وكانت هذه طريقته في التوبيخ والتوجيه، وذلك في رفق ورقة.

وبهذه المناسبة أذكر أنه في يوم من أيام شهر ريفيه الحار وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر، دعا الأستاذ ليثان طلبته في نهاية الفصل الدراسي إلى حفل شاي - كما تعود ذلك .. واجتمع الطلبة والطالبات واذا أحد الطلبة الاجانب وقد دخل علينا بلبس السموتنج وعليه كرافطة حمراء طويلة، فكمعننا ضحكنا، وفهم الأستاذ ليثان من يريق أعيننا ما يدور بمثلنا من نقد واستفهام. فلما استوى بنا المجلس أخذ يتحدث - فلما تحدث - عن عادات الشعوب المختلفة في لبس لباس السهرة وغير ذلك من أنواع اللباس في المناسبات المختلفة، ويقص ما حدث له هنا وهناك، وهو في ذلك كله يريد أن يلحق صاحبنا درساً، يدين أن

والصغير يتلرج تحت المؤنث، ولها كان في هذه اللغة لدى المرأة مذكر لأنه «كبير»، وتلى الرجل مؤنثاً لأنه «صغير». والواقع أن هذه الملاحظة العائرة التي ذكرها الاستاذ ليّان نهجتي لكثير من أشباهها في دراسة اللهجات العربية الحديثة.

اهتم الاستاذ ليّان بدراسة أسماء الاعلام وألف فيها، لأنه كان يرى أن العالم يمكنه أن يستخلص كثيراً من الدراسات الاجتماعية والتقاليد من خلال الاسماء. ويقص علينا أنه حين كان في رحلة من رحلاته في جنوب مصر، الشام للكشف عن النقوش الصفوية والثمودية والحباشية، قابل أحد البدو، فسأله عن اسمه، فقال اسمي سكران، فسأله الاستاذ ليّان متبسّطاً معه: سكران من شرب أي نوع من الخمر؟ فرد عليه على الفور: لا أنا سكران من دم الاعداء. يقول الاستاذ ليّان فتذكرت ما يقول العرب قديماً: إن أسماء عبيدنا لنا، وأسماءنا لاعدائنا.

في رحلة من رحلات الاستاذ ليّان الكشفية جنوبي حوران، كان قد حصل على خارطة جغرافية للمنطقة وضعتها أحد الضباط الإنجليز. وقرأ على الخارطة اسماً لواد من الأودية أطلق عليه «وادي الويسكيات». وشعر الاستاذ ليّان أن الاسم الحقيقي لهذا الوادي انحطط على الضابط البريطاني مع الويسكي. وحاول أن يصل إلى الخطأ الذي وقع فيه الضابط فلم يسفحه التخمين. وصمم الاستاذ ليّان أن يتحمل مشقة السفر إلى هذا الوادي حتى يكشف عن اسمه الأصلي. وحين وصل إلى المنطقة انحط يسأل البدو هناك عن اسم الأودية التي تقع في هذه المنطقة أو على مقربة منها. وما كانت أشد دهشة إذ علم أن الوادي الذي سماه الضابط البريطاني بالويسكيات هو وادي الحوُسُجيات. وأنى أنهي حديثي بقصة وقعت بين وبين الاستاذ ليّان تدل على عظمته العلمية وروحه الأكاديمية ومعاملته الأيوبة.

أنكر ليّان كما أنكر غيره من العلماء مثل كونتي روسيني وماريو مورينو، وجود أي نوع من الأوزان في الشعر الأثيوبي. ولما ذهب إلى اثيوبيا على رأس البعثة التعليمية المصرية، وتوليت مركز المستشار الفني لوزارة المعارف الاثيوبية، تبيأت لي الفرص أن أقابل عدداً من العلماء الاثيوبيين. وخطر ببالي أن أنظم بعض الأشعار الأثيوبية من القتي، وعرضتها على العلماء الاثيوبيين، فقالوا لي إن الأشعار ليست سليمة. وسألهم عن السبب، فقالوا لا ندري سببها، وإنما هي مخالفة لما تعودناه وألفناه. وفكرت في أن الشعر الاثيوبي، لابد أن يكون له من الوزن

ما لا نعرفه، وما لا يعرفه الاثيوبيون أيضاً. وهم يقرضون الشعر بحسب السماع ولم يسبق لهم أن درسوا الأوزان لا عن قرب ولا عن بعد، وإنما يحسن بالصحيح منها وغير الصحيح. وقلدت أن تكون الأوزان تخالف كل ما نعرفه من أوزان في اللغات المعروفة. وهذا ما حدا بعلماء الغرب وفي مقدمتهم ليّان أن ينكروا وجود الأوزان في الشعر الاثيوبي.

وبدأت بدراسي في القتي وهو لون من ألوان الشعر الاثيوبي وهو على ثلاثة عشر نوع وكل نوع على ضروب، وتوصلت - كما خيل لي - إلى نتيجة إيجابية.

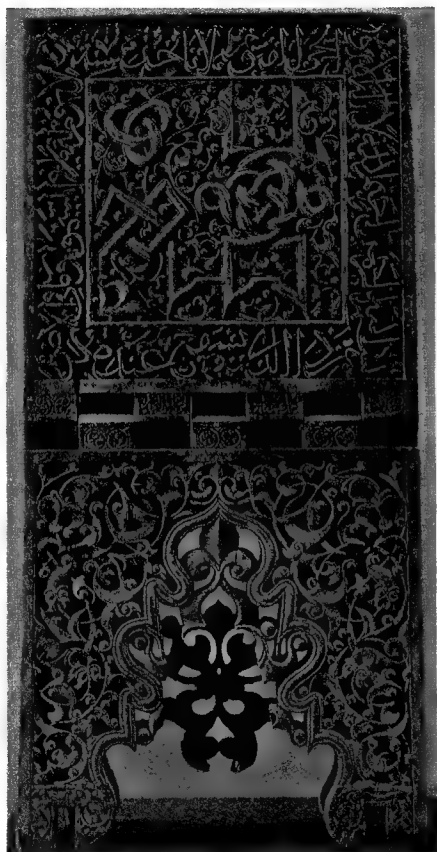
ولكن ساورني الشكوك، وترددت أن أعلن على الناس ما أنكروه أساتأتي من قبل. وظننت أنني جاوزت حدود المنطق العلمي إلى الخيال.

وانتظرت حتى أتى الاستاذ ليّان إلى القاهرة في الربيع يحاضر في كلية الآداب. فقلت له هل لي أن أسألك معروفاً. فقال هات ما عندك. قلت فلنجلس جلسة طويلة على التيل، وذهبتا إلى حيث الهدوء، وأخذت أقص عليه قصتي، وأعرض عليه نتيجة عملي. وتوقع أن يفض المجلس بلحمة من ملح أو نادرة من نوادره، وبني بذلك أمرخيالي. ولكنه على العكس ما توقع، هتني على هذا الكشف - كما قال - وشجيتي على الاستمرار في بحثي، وطلب لي أن أقوم بمرصه في مؤتمر المستشرقين في باريس وكان يحضر الجلسة - على غير علم مني - كونتي روسيني ومورينو.

وذكر ليّان هذا البحث في عرضه للدراسات الاثيوبية، كما وجه الاستاذ شال Schall أن يجعل من هذا البحث سائلته للأستاذية Habilitation. هنا كله يدل على معاملة ليّان لتلاميذه، وعلى عظمته العلمية كما قلت. فلم يؤثر عليه أن يمارض تلميذه رأييه، بل شجعه على أن يعضي فيه. ثم فائز هو بما انتجه تلميذه وسرله ورحب به.

تلقى العلم على الاستاذ ليّان في مصر وفي ألمانيا عدداً غير قليل من الطلبة العرب. وقد أمدح ليّان بعلمه النزير، وبلد معهم جهداً كبيراً، وضحي بوقته، وفتح بيته ومكتبته لابنائته من العرب، ولم يقبل على عمله أجراً أو هدية.

ونحن حين تلقى بالطلبة الألمان الذين يقومون بالبحث والدرس في جامعاتنا، فإنا نعطيم ما نستطيع إعطاءه، ونلبل ما نقدر عليه من جهد، وفاء لبعض ما أسداه إلينا أساتلتنا في ألمانيا.



شيخ المستشرقين الألمان :

## هلموت ريتير

(١٨٩٢ - ١٩٧١)

بقلم: الأستاذة أنا ماري شمل

بعد الاستشراق الألماني واحدا من كبار شيوخه. تبنى هلموت ريتير في التاسع عشر من شهر مايو عام واحد وسبعين وتسعة

ليس بالأماكن أن تحيط بقدر هذا العالم الفذ وقيمته العلمية والإنسانية في صجالة قصيرة كهذه. فأولئك الذين تعاونوا معه عرفوا عنه اتساع ميادين اهتماماته، وحدة ذكائه، فضلا عن ارتفاع مستوى ملكاته الفنية. أما الذين انتبعوا ما نشر في ميدان الاستشراق الأوربي خلال العقود الخمسة الأخيرة فقد لاحظوا ولاشك تطرق ريتير إلى بحث عدد كبير من الموضوعات في مختلف تيارات التخصص. كما أنه لم تصدر عنه دراسة واحدة، مهما كان حجمها مخلوذا، إلا وكانت تعتمد على مراجع غزيرة من أقدم وأوثق المصادر العلمية.

ولد هلموت ريتير في ٢٧ فبراير ١٨٩٢ بالقرب من «كاسل» (مقاطعة هسن). وقد صار فيها بعد كل من أشقائه الخمسة الذين نشأ وترعرع معهم عالما ذائع الصيت والمكانة.

أدى هلموت ريتير خدمته العسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى في الجيش الألماني بتركيا. وقد انتهز هذه الفرصة ليجمع من العراق خاصة قدرا كبيرا من المواد اللازمة للقيام ببحوث أنثروبولوجية ولغوية. وكان عنوان أول إنتاج كبير له هو «قاموس عربي لعلوم التجارة». وفي جامعة هامبورج بدأ يحاضر للمرة الأولى في معهد الدراسات الشرقية الذي كان قد أسسه الوزير البروسي «كارل هاينريش بيكر». ورغب أنه كان من أصغر محاضري ذلك المعهد سنا، إلا أنه كان معروفا بشدته المتنامية ودقته العلمية الفائقة، مما جعل له رغبة خاصة في نفوس الدارسين. ولقد حدثت به ملاسبات شخصية إلى الرحيل إلى استانبول في نهاية العشرينات حيث أقام عشرين عاما وصار من أئمة المارفين بالخطوط الإسلامية المتوفرة في تلك المدينة. فمن كان بحاجة إلى معونة أو مشورة بشأنخطوط تركية أو عربية أو فارسية ولما إلى ريتير وجد فيه خير مرشد وخبير.

عاد ريتير إلى ألمانيا بعد نهاية الحرب العالمية الأخيرة وحاضر عدة أعوام في جامعة فرانكفورت التي تنلمذ فيها على يديه عدد كبير من الدارسين الألمان وغير الألمان، فكان عليهم جميعا أن يتمرسوا بشدته وأمانته العلمية القصوى.

عاد ريتير مرة أخرى إلى استانبول خلال الخمسينات، وإن ظل يشكو للمرض طوال الأعوام الأخيرة من حياته. حياته التي لم يفقد متعة العمل يوما واحدا فيها ولو كان يومه الأخير. وقد قضى لحظاته الأخيرة في داره الأنيقة الكائنة بشاحية وأوبرا أورزيلة التابعة لفرانكفورت/ماين.

لو تأملنا الآثار العلمية التي خلفها ريتير لتبيننا اتساع رقعتها وضخامة مكاتبتها خاصة وأنها تعالج قدرا هائلا من موضوعات الحضارات الإسلامية كما أنها تربط مختلف ميادين الاستشراق بعضها ببعض الآخر. فريتير هو الذي حقق أثناء إقامته في تركيا نصوص تمثيلية القراقوز وترجمها إلى الألمانية بمهارة فائقة، حتى أنه استطاع في هذه الترجمات أن يوجد مضامين ألمانية شعية لكل لعب لفظي وارد في الأصول الشرقية. وقد كرس هذا العلم نفسه في أواخر حياته لبحث لهجة سريانية حديثة والترجمة عنها إلى الألمانية وتحليلها بنية اتقاد لغتها وأدبها اللتين في سبيلهما إلى الانقراض. وهو نفسه الذي قام بتحقيق على نموذجي (ومقالات الإسلاميين، للأشعري، فضلا عن إصداره مصنفات والمكتبة الإسلامية Bibliotheca Islamica في الغرب طيلة عشرات السنوات، وتقديمه الشعر الفارسي في أوربا أجمل وأروع تقديم. ويعد الكتيب الذي ألفه بالألمانية وحول اللغة التصويرية عند نظامي (١٩٢٧) أثرا قويا لكل مهتم بالشعر الفارسي إذ يعرض في صفحات



قليلة خصائص شاعرية اللغة الفارسية كما لا يعرضها عمل آخر. وفي عام ١٩٣٠ قام ريتز بالتعاون مع المستشرق التشيكوسلوفاكي الشهير يان ريبكا في تحقيق نص رائعة نظامي «هفت بيكره» (الصور السبع). إنه لمن الصعب حقاً تعيين الأثر الرئيسي الذي خلقه ريتز. ولقد صدرت دراساته المتصلة المخطوطات الشرقية عبر عشرات السنين في مجموعة سلسلة من المقالات التي نشرها أول الأمر في مجلة والاسلام الألمانية Der Islam ثم بعد ذلك في مجلة أورينس Oriens التي كان هو مؤسسها. وكانت هذه السلسلة من الأبحاث المنشورة تحمل عنوان «لغويات» Philologica حيث يقف قارئها على قدر هائل من المواد حول المخطوطات التي تتناول لونا معيناً من الموضوعات خاصة ما تعلق منها بتاريخ التصوف الإسلامي. ومن ذلك دراسته عن مولانا جلال الدين الرومي الذي عرف فيها الغرب بمحلفات أتباعه ومريدته. وله دراسة أخرى عنوانها «السهرورديين الأربعة» Die vier Suhrawardis قدم فيه كبار متصوفي الإسلام في القرن الثاني عشر. كما أن له آثارا أخرى تعالج قضايا اللغة العربية أوتعرض لأصول السلام والعقيدة الإسلامية. وقد انكب ريتز في أواخر أيامه على مخطوطات أحب المتصوفين الفارسيين إلى قلبه: فريد الدين العطار. الذي حقق له نص كتاب «الهى نامه» حتى ليعد الكتاب الذي ألفه ريتز عن العطار في عام ١٩٥٥، وصدر بالألمانية تحت عنوان «بحر النفس» Das Meer der Seele، من أربع أنتاج للمستشرق الكبير ومن أنفس ما كتب عامة عن متصوف وشاعر إسلامي. يحل ريتز في هذه الدراسة أفكار العطار الأساسية، ويستعرض عبر فصول الكتاب شتى المراحل التي مرت بها شخصيته جاثلاً مع مختلف أبطال تلك المراحل، حتى يبلغ في النهاية غاية المرام، وهو بلوغ النفس بحر الكل الشامل وإزمتها في أحضانها. ولا يعكس نص ريتز الرائع أفكار العطار المستمدة من آثاره وحسب، وإنما يرجعها في نفس الوقت إلى الأفكار الأساسية لكبار المتصوفين المسلمين، ويحاجه كل جملة من جملة العطار بالعديد من المواضيع المقابلة لدى هؤلاء. وبعد كتاب «بحر النفس» للأستاذ ريتز من المراجع التي لا مناص من أن يطلع عليها كل مهتم بالحياة الثقافية والدينية في الإسلام. وهو يستحق بكل جدارة أن يترجم إلى اللغات الكبرى المتداولة.

كان اهتمام ريتز بالتصوف الإسلامي ميكراً. وتدل دراسته المنشورة في مجلة الاسلام Der Islam الألمانية عام ١٩٢٤ عن «الحسن البصري» على منهجه في بحث هذه الظاهرة الدينية الثقافية، مثلاً تدل عليه مقاله البالغة العمق عن «أبي يزيد البسطامي»، وهي التي نشرت ضمن مجموعة الدراسات التي صدرت بحجة وتكريماً للأستاذ «توشودي» Tschudi في عام ١٩٥٤. وإن الاستشراق الأوروبي مدمن له بالفضل على تقديره وصفه للحركات الإيقاعية التي يقوم بها المشتركون في حلقات الذكر من دلويش طريقة مولوي استجابة لموسيقى «المعاج».

٩٥٧ / ٢ / ١٠

صديقنا الاجل الاستاذ صلاح الدين الخجندى

تحيات طيبات

اشكركم على رسالتكم المؤرخة ٩٥٧/٢/٨٣ واعتذر اليكم عن  
طول كسوف كنت مشغولا بها وذا ازال كذا لك لتقل قبته في  
ال UNESCO وهو تنظيم فهرست مخطوطات وواوين الشراء الفارسية  
في الاستاذة وهذا الشغل قد تيقن انه اصعب والعلل مما كنت اقصور  
واقصده لا اعلم كيف اتجه الى الوقت المعين ففقدت سبب تأخر  
الجواب لرسالتكم دتتاني عن الشكر على المملة الثانية الاني  
وصيت احد بيتي بكتابة رسالة شكر اليكم لانهم الذين اكلوها  
واستلخوا منها... وسعدت من الاستاذ دمرانه بلا حاكم ليرا ورسالته  
مفعلة بالمدح لكم والتقاء عليكم من وجود وخاصة من تنظيمكم معهد المخطوطات  
الذي لا نظيره في الشرق والغرب وكيف لا يمدحكم وقد علمنا من فضلكم  
وحسن ادارتكم وعظمت ما يجره نادرا في عالم النجوم والشمس <sup>ايضا</sup> انتم ارسال  
الكتب وانتم ارها بهد رغبة فوالهي من الشغل الماهر الشاه وحدثت  
الى آلتها تبسرت مطالعتها والاستفادة منها وادعو لمسلها  
بالسلامة وكل خير

المخلص

هو رر

- نزلت في مجلة معكم والفتنة فبذرة ناضجة  
 جدا هو اهل مجلة تختص بالخطوط والساعات  
 والخطوط الخلفين وغير ذلك والاعتناء الى مثلها  
 كانت مائة من زمان طويل الا ان عمادكم لم  
 يروا اهمة تلك البحوث التي هي اساس كل  
 تحقيق في <sup>العلم</sup> فانا انتم هذه الخدمة الليرة  
 للعلم وبكم ما نشر في المخطوطات فبذرة ايضا جدا  
 وصيت جمعية بالمبادلة منتظما ولا يفوتني  
 تقديم المجلة لباري <sup>مفيدة</sup> بالتبوية والهدى والثناء  
 - كتبت تنويرا لبعض مؤلفاتكم الا انه سيقتصر  
 في الجزء الاول من المجلد التاسع راني المجلد الثامن  
 سرف انكم زرقت له وادعوه ولائه بالصحة  
 - رسالة ولاسل ان سيجب فضل الارب والام  
 ويعبر من رواه الدرب في العلم والفضل وكل غير اناء  
 وكيف وله زلا الارب وكل الام با وقدموا للام  
 نزيكات وتحياى الصمينة  
 المحلف  
 د ريد



ومن بين المخطوطات التي حققها الأستاذ ريتز نجد كتاب «صوانح» الذي ألفه بالفارسية أحمد الغزالي (شقيق الامام الغزالي). وهو يحتوي على أذكى نظرية حب صوفي كُتبت بالفارسية.

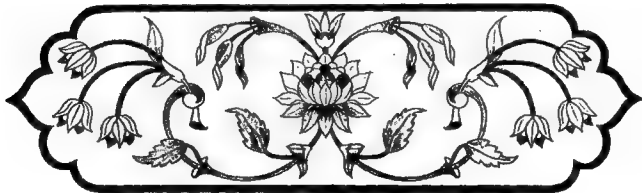
ولا يمكن إغفال دراسات الأستاذ ريتز حول الفلسفة الإسلامية وعلاقتها بالفلسفة الهيلينية، ولا اشتراكه مع «مارتين بلسنر» في وضع كتابها الذي يدعى Picatrix. كما لا ننسى أبحاثه القيمة حول طرق صنع الخزيات الفارسية التي قام بها مستعينا بزملاته من أساتذة العلوم الطبيعية. وبعد فوق ذلك مقاله عن «ابن خلدون من وجهة نظر علم الاجتماع الحديث» بمثابة دراسة رائدة عن المورخ والفيلسوف العربي الكبير. ولا ننسى ترجمته الرائعة لكتاب «أسرار البلاغة» لمؤلفه عبد القاهر الجرجاني.

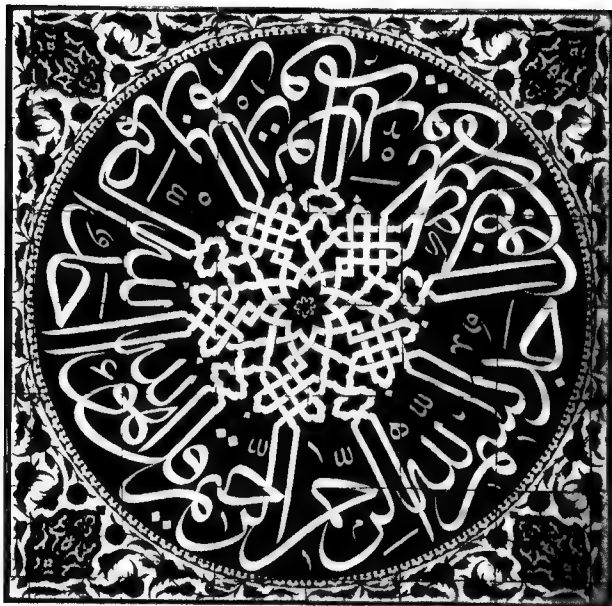
وقد قام ريتز بما لا يحصى من تحقیات على ما تخرجه المطابع من إنتاج علمي. وكانت معظم هذه التحقیات مقالات مستقلة. بينما عرف عنه قسوته البالغة في نقد ما يتعرض له من أعمال. ولم يكن ذلك منه إلا رغبة في الدفاع عن الدقة والاختلاص العلميين. فالحق أن الدرس على يدى ريتز كان غاية ما يطمح إليه طلبة الاستشراق.

رأيتُه آخر مرة في أنقرة. كان يقضى هناك أحد أيام الآحاد، وقد صار أدمت طبعا، لا تناديه النكته، ولا تخلو كلماته من فكر متقد غنى بالموجبات. لكن عانى في حياته — وليس قليلا ما عاناه من جهالة المحيطين به، واستبداد المرض به في أواخر حياته. وإننا نعتز ونفخر إذ عرفناه — وإن موته ليسدل الستار على حقبة جليلة من حقب الاستشراق الألماني. فلنسا نعتقد أن أحدا سيكون له من بعده ما كان يتمتع به الفقيه من عمق البحث وتباين مبادئه في آن واحد.

إليك ما يقول في «نهاية بحر النفس»: «لم يعد توقف وجود الفرد نهاية تهدده، أو بوابة تفضي به إلى مصير غيبي مجهول نطلع إليه وفراصنا ترتعد، كما أنه لم يعد جسرا يحق لنا أن نشهد عيا الرب المشوق، إنما هو الانفتاح والانطفاء في قاع الوجود ذاته، وهو ثلاثي القطرة في بحر ما وراء الدنيا الذي عنه نشأت ومنه جاءت، وفيه تظل أبدا، باعتبارها فريدة، مطرودة ومحفظا بها في آن واحد: ضالعة، مخفية، وموثقنا عليها.»

(أنباري شميل)





# الفهرس

٥	تمهيد
٧	لمحات من عظمة الاستشراق الألماني صلاح الدين المنجد
١٥	برهان بمقوب رابسكه برهان فوك
٢٧	يوسف فون هامر - پورجستال أنا ماري شمل
٣٩	هاينريش بارت فيلكس فرانكه
٥٥	فريدريش روكرت أنا ماري شمل
٧١	ارنست ترايب أنا ماري شمل
٧٩	الرحالون الألمان محمد علي حشيشو
٩٣	ادوارد غلازر ماريا هوفنر
١٠١	فيلهم الورد مانفريد اولمان
١٠٧	يوليوس فيلهاوزن انطون شال
١١٥	تيودور نولدكه اينو ليتان
١٢٥	جورج ياكوب أنا ماري شمل
١٣١	اوغست فيشر أنا ماري شمل
١٣٧	الألمان وتاريخ الصيدلة العربية جيزلا كيرشر
١٤٥	يوليوس روسكا محمد يحيى الهاشمي
١٥٣	كارل بروكلن يوهان فوك
١٦٣	هانز هاينريش شيدر اوميليان بريستاك
١٧٧	انتو ليتان رودي بارت
١٨٥	هلموت ريتز أنا ماري شمل









# GERMAN ORIENTALISTS

BIOGRAPHIES  
AND  
CONTRIBUTIONS TO ARAB STUDIES

EDITED

by

SALAHUDDIN AL MUNAGGID

*The New Book Publishing House*

BEIRUT — P.O. Box 2000 — LEBANON